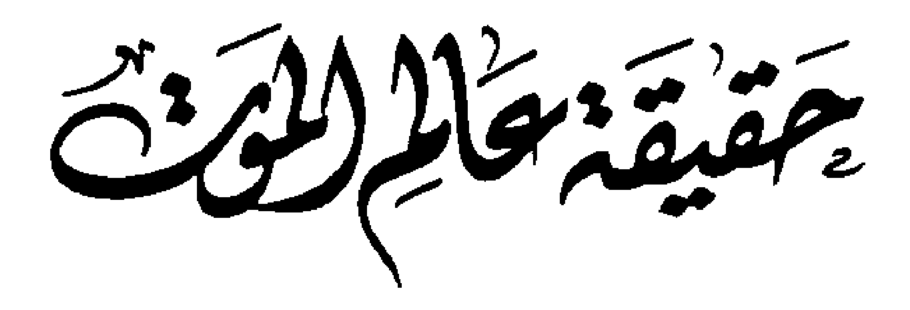

حقيقة عالم الموت



الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com



من وقت البعث والنشور إلى المحشر وأحوال القيامة

العلامة المجلسي

صاحب البحار

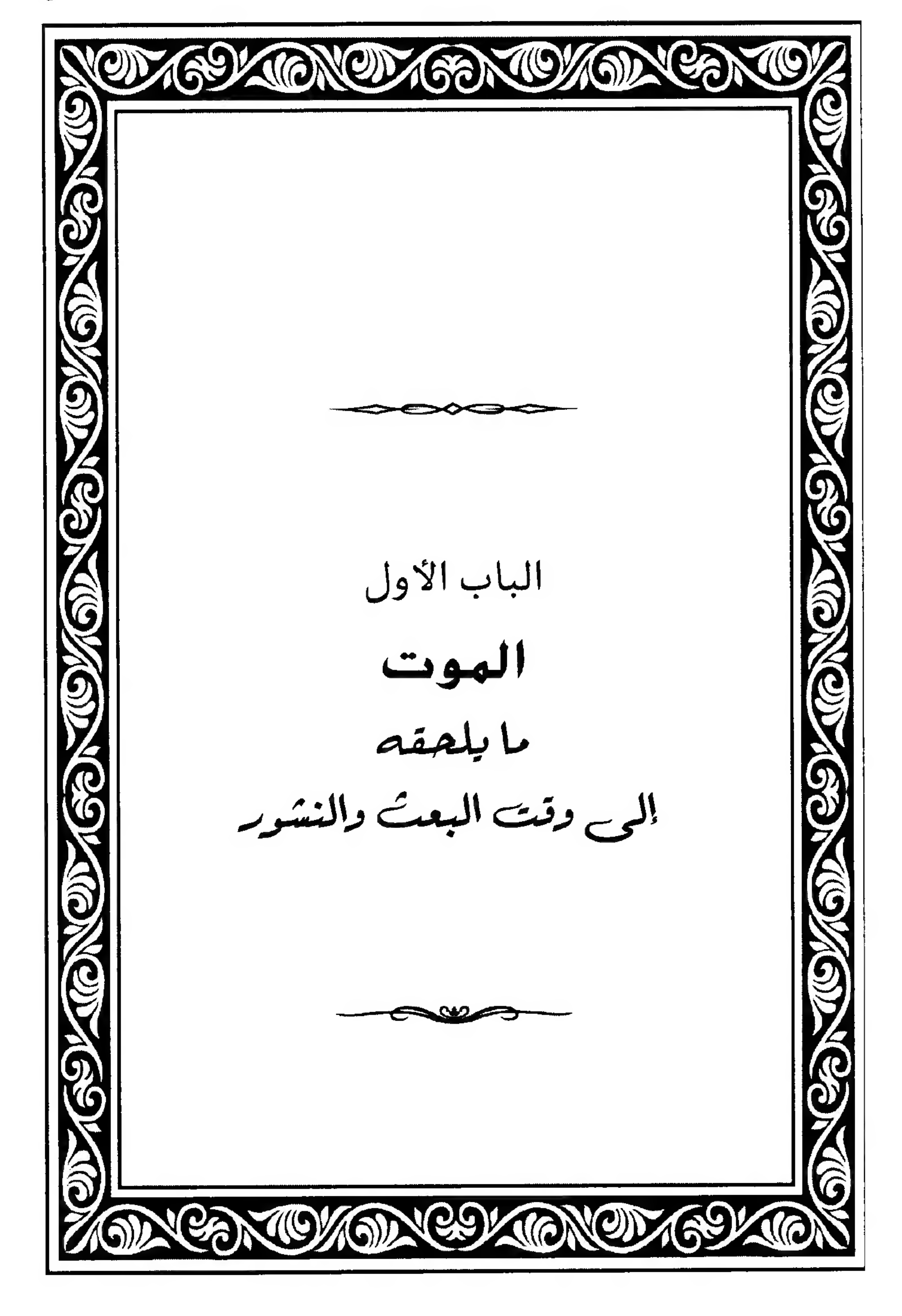
حققه واعتنى به

محسن عقيل

دار المحجة البيضاء



صُورَة المُؤلّف "قدّس سرّه"

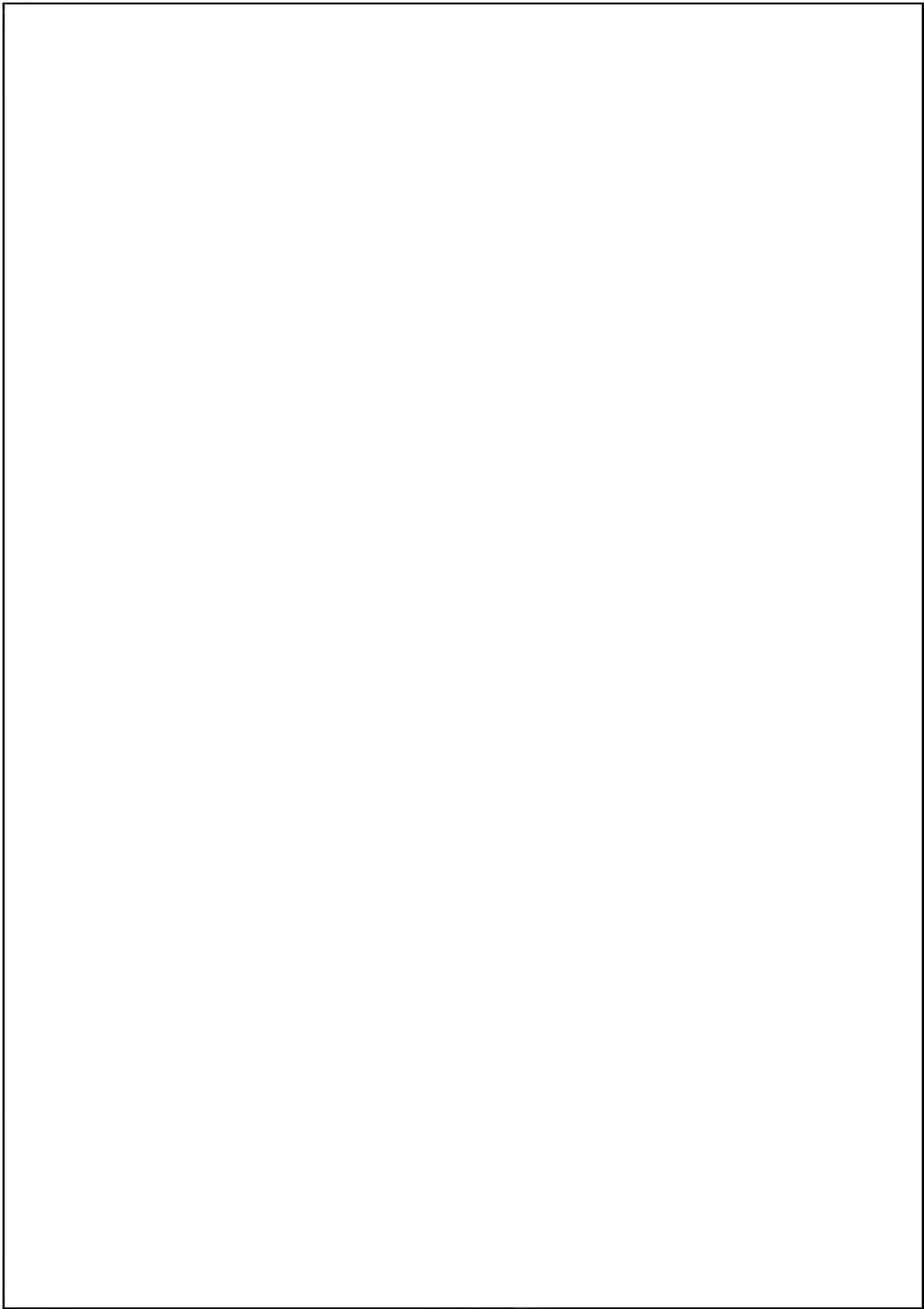


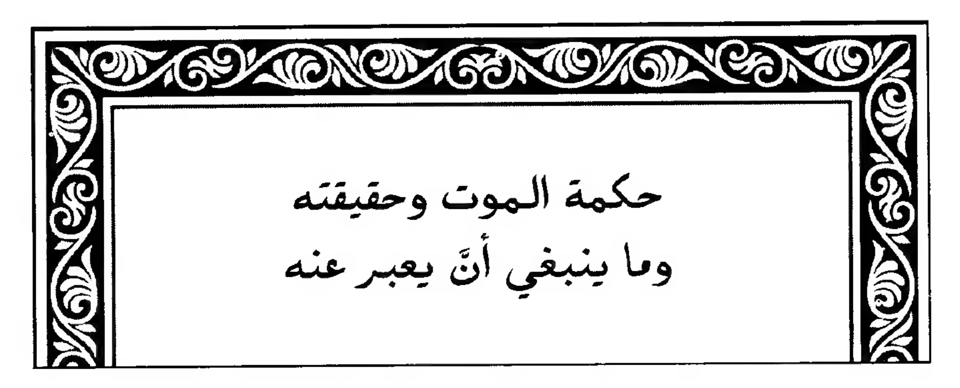
الباب الأول

الموت

ما يلحقه

إلى وقت البعث والنشور





حكمة الموت وحقيقته وما ينبغي أنَّ يعبر عنه

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

قال الطبرسيّ: أي خلق الموت للتعبّد بالصبر عليه، والحياة للتعبّد بالشكر عليها، أو الموت للاعتبار، والحياة للتزوّد.

وقيل: قدّم الموت لأنّه إلى القهر أقرب، أو لأنّه أقدم.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كلاًّ بقدر عمله.

وقيل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أيّكم أكثر ذكراً للموت، وأحسن له استعداداً، وعليه صبراً، وأكثر امتثالاً في الحياة.

عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً أتوا نبيّاً لهم فقالوا: ادع لنا ربنا يرفع عنّا الموت؛ فدعا لهم فرفع الله تبارك وتعالى منهم الموت، وكثروا حتّى ضاقت بهم المنازل وكثر النسل، وكان الرجل يصبح فيحتاج أنَّ يطعم أباه وأُمّه وجدّه وجدّ جدّه، ويرضّيهم ويتعاهدهم فشغلوا عن طلب المعاش.

فأتوه فقالوا: سل ربّك أن يردّنا إلى آجالنا الّتي كنّا عليها، فسأل ربّه عزّ وجلّ فردّهم إلى آجالهم[١].

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الحياة والموت خلقان من خلق الله،

---

(١) أمالي الصدوق ص ٣٠٥، البحار ج٦ ص ١١٦، ح١.

فإذا جاء الموت فدخل في الإنسان لم يدخل في شيء إلاّ وقد وخرجت منه الحياة(١).

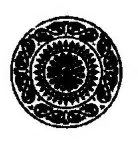
عن محمّد بن سكين قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الرجل يقول: استأثر الله بفلان.

فقال: ذا مكروه.

فقيل: فلان يجود بنفسه.

فقال: لا بأس، أما تراه يفتح فاه عند موته مرّتين أو ثلاثاً، فذلك حين يجود بها لمّا يرى من ثواب الله عزّ وجلّ وقد كان بها ضنيناً(٢).

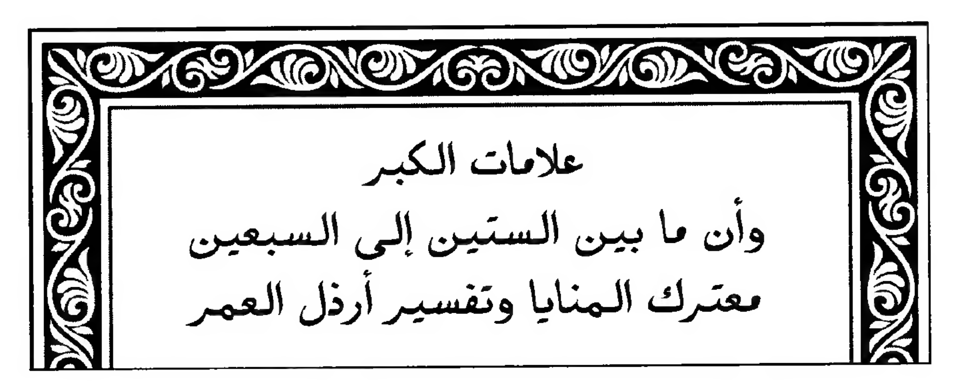
دعوات الراونديّ: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: لولا ثلاثة في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء: المرض، والموت، والفقر؛ وكلّهن فيه وإنّه لمعهنّ وثابّ(٣).



(١) الكافي ج١ ص٧٢، البحار، ج٦ ص ١١٧، ح٢.

(٢) الكافي ج١ ص ٧٢، البحار ج١ ص ١١٧، ح٣.
قال الجزريّ: الاستيثار: الإنفراد بالشيء، ومنه الحديث: إذا استأثر الله بشيء فالهُ عنه انتهى.
أقول: لعلّ كراهة ذلك لإشعاره بأنّه قبل ذلك لم يكن الله متفرّداً بالقدرة والتدبير فيه؛ أو لإيمائه إلى افتقاره سبحان بذلك وانتفاعه تعالى به.

(٣) البحار ج٦ ص١١٨، ح٥.



علامات الكبر وأن ما بين الستين إلى السبعين معترك المنايا وتفسير أرذل العمر

قال الطبرسي: ﴿إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾(١) أي أدون العمر أوضعه، أي يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخوف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله.

روي عن علي عليه السلام: أن أرذل العمر خمس وسبعون سنة. ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ﴾(٢) أي ليرجع إلى حال الطفولية. بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان عليه. وقيل: ليقلّ علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه.

عن ابن عبد الحميد، عن الصباح مولى أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فلمّا مررنا بأحد قال: ترى الثقب الّذي فيه؟

قلت: نعم.

قال: أمّا أنا فلست أراه، وعلامة الكبَر ثلاث: كلال البصر، وانحناء الظهر، ورقّة القدم(٣).

عن ابن عبد الحميد، عمّن حدّثه قال: مات رجل من آل أبي طالب لم يكن حضره أبو الحسن عليه السلام؛ فجاءه قوم فلمّا جلس أمسك القوم كأنَّ على رؤوسهم الطير، فكانوا في ذكر الفقراء والموت فلمّا جلس قال ابتداءاً منه: قال رسول

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٠.

(٣) الخصال ج١ ص ٤٤، ح١.

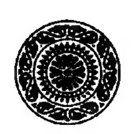
الله ﷺ : ما بين الستّين إلى السبعين معترك المنايا، ثمَّ قال عليه السلام : الفقراء محن الإسلام[١].

عن عليّ بن المغيرة، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: إذا بلغ العبد مائة سنّة فهي أرذل العمر[٢].

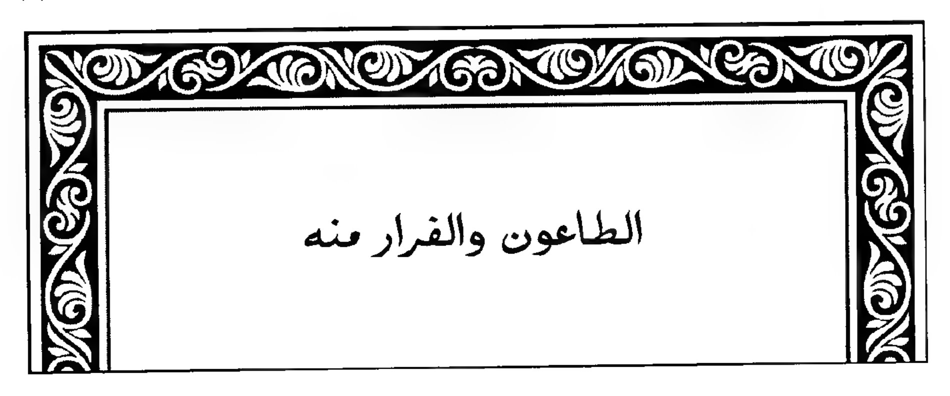
عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنّة فقد بلغ أشدّه، وإذا بلغ أربعين سنّة فقد انتهى منتهاه، وإذا بلغ إحدى وأربعين فهو في النقصان، وينبغي لصاحب الخمسين أنَّ يكون كمن هو في النزع[٣].

دعوات الراوندي: قال النبي ﷺ : المسلم إذا ضعف من الكبَر يأمر الله الملك أن يكتب له في حاله تلك ما كان يعمل وهو شابّ نشيط مجتمع[٤].

نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين عليه السلام : العمر الّذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة[٥].



(١) معاني الأخبار ص١١٤، البحار ج٦ ص١١٩، ح٢.
(٢) البحار ج٦ ص ١١٩، ح٣.
(٣) البحار ج٦ ص ١٢٠.
(٤) المصدر السابق.
(٥) البحار: ج ٦ ص ١٢٠، عن نهج البلاغة.



الطاعون والفرار منه

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]

قيل: نزلت في أهل داوردان قرية قبل واسط، وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله، فمرّ بهم حزقيل وقد عريت عظامهم وتفرّقت أوصالهم فتعجّب من ذلك، فأوحى الله إليه: ناد فيهم أن قوموا بإذن الله؛ فنادى فقاموا يقولون: سبحانك اللّهم وبحمدك لا إله إلاّ أنت؛ وقيل: نزلت في قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففرّوا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثمّ أحياهم.

عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل للصادق عليه السلام: أخبرنا عن الطاعون.

فقال: عذاب الله لقوم، ورحمة لآخرين.

قالوا: وكيف تكون الرحمة عذابا؟

قال: أما تعرفون أنّ نيران جهنّم عذاب على الكفّار، وخزنة جهنّم معهم فيها فهي رحمة عليهم[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا ص ١٧٩، البحار ج٦ ص ١٢١، ح١.

عن عليّ بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: القوم يكونون في البلد يقع فيها الموت، ألهم أن يتحوّلوا عنها إلى غيرها؟

قال: نعم.

قلت: بلغنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عاب قوماً بذلك.

فقال: أُولئك كانوا رتبة بإزاء العدوّ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يثبتوا في موضعهم، ولا يتحوّلوا منه إلى غيره، فلمّا وقع فيهم الموت تحوّلوا من ذلك المكان إلى غيره، فكان تحويلهم من ذلك المكان إلى غيره كالفرار من الزحف[١].

عن أبان الأحمر قال: سأل بعض أصحابنا أبا الحسن عليه السلام عن الطاعون يقع في بلدة وأنا فيها، أتحوّل عنها؟

قال: نعم.

قال: ففي القرية وأنا فيها أتحوّل عنها؟

قال: نعم.

قال: ففي الدار وأنا فيها أتحوّل عنها؟

قال: نعم.

قلت: فإنّا نتحدّث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف.

قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما قال هذا في قوم كانوا يكونون في الثغور في نحو العدوّ. فيقع الطاعون فيخلّون أماكنهم ويفرّون منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فيهم[٢].

محمّد بن يحيى يرفعه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: دعا نبيّ من الأنبياء على قومه فقيل له: أُسلّط عليهم عدوّهم؟

(١) علل الشرائع ص١٧٦، البحار ج٦ ص ١٢١، ح٣.
(٢) معاني الأخبار ص٧٤. البحار ج٦ ص ١٢١ - ١٢٢، ح٥.

فقال: لا.

فقيل له: فالجوع؟

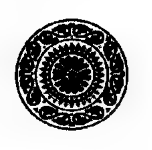
فقال: لا، فقيل له: ما تريد؟

فقال: موت دفيف يحزن القلب ويقلّ العدد: فأرسل عليهم الطاعون[١].

دعوات الراوندي: سئل زين العابدين عليه السلام عن الطاعون: أنبرأ ممّن يلحقه فإنّه معذب؟

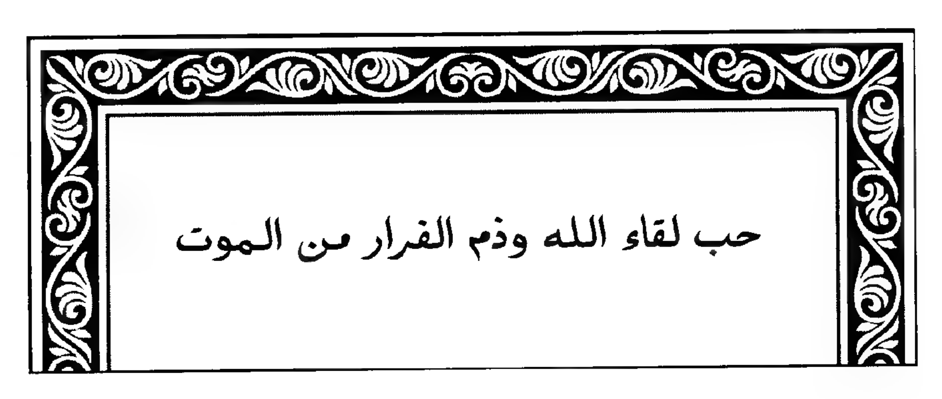
فقال عليه السلام: إن كان عاصياً فابرأ منه، طعن أو لم يطعن.

وإن كان لله عزّ وجلّ مطيعاً فإنّ الطاعون ممّا تمحّص به ذنوبه؛ إنّ الله عزّ وجلّ عذّب به قوماً، ويرحم به آخرين، واسعة قدرته لمّا يشاء؛ أمّا ترون أنّه جعل الشمس ضياءاً لعباده ومنضجاً لثمارهم ومبلّغاً لأقواتهم؟ وقد يعذّب بها قوماً يبتليهم بحرّها يوم القيامة بذنوبهم وفي الدنيا بسوء أعمالهم[٢].



(١) الكافي ج١ ص ٧٢، البحار ج٦ ص ١٢٢ - ١٢٣، ح٧.

(٢) البحار ج٦ ص ١٢٤، ح١٠.



حب لقاء الله وذم الفرار من الموت

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٤-٩٦]

«خالصة» أي خاصّة بكم، والخطاب لليهود لقولهم: «لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً». ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾(١) لأنّه من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاقها وأحبّ التخلّص إليها من الدار ذات الشوائب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾(٢)، أي من موجبات النار، وروي أنّهم لو تمنّوا الموت لغصّ كلُّ إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهوديّ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾(٣)، أي أحرص منهم، أو خبر مبتدأ محذوف، صفته «يودّ أحدهم» أي ومنهم ناس يود أحدهم؛ وعلى هذا أيضاً يحتمل أن يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾(٤)،

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٦.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

والزحزحة: التبعيد، ويحتمل أن يكون المراد عذاب الآخرة أو الأعم فيكون الزحزحة كناية عن رفعه عنهم؛ إذ بمقدار زيادة العمر يبعد عنهم عذاب البرزخ.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ أي الحرب فإنّها من أسباب الموت، أو الموت بالشهادة، وهو توبيخ لمن لم يشهد بدراً وتمنّى الجهاد ثم شهد أُحداً وفرّ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٧-٨].

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾[1] أي لا يتوقّعونه لإنكارهم البعث، أو لا يخافون عقابنا، إذ قد يكون الرجاء بمعنى الخوف ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ﴾[2] الخطاب وإن توجّه ظاهراً إلى اليهود لكنّه تعريض عامٌّ لكلّ من يدّعي ولاية الله ويكره الموت.

عن داود الأبزاريّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ينادي منادٍ كلّ يوم: لد للموت واجمع للفناء وابن للخراب[3] [4].

عن أبي عبيدة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك حدّثني بما أنتفع به، فقال: يا أبا عبيدة ما أكثر ذكر الموت إنسان إلاّ زهد في الدنيا[5].

عن زيد بن أبي شيبة الزهريّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) سورة يونس، الآية: ٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٤.
(٣) اللام في الجمل الثلاثة: للعاقبة.
(٤) البحار ج٦ ص ١٢٦، ح٢.
(٥) البحار ج٦ ص ١٢٦، ح٣.

الموت، الموت، جاء الموت بما فيه، جاء بالروح والراحة والكرّة المباركة إلى جنّة عالية لأهل دار الخلود الّذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم، وجاء الموت بما فيه، جاء بالشقوة والندامة والكرّة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور الّذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم(١).

عن ابن ظبيان، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لمّا أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبط الله ملك الموت، فقال: السلام عليك يا إبراهيم!

قال: وعليك السلام يا ملك الموت أداع أم ناع؟

قال: بل داع يا إبراهيم فأجب.

قال إبراهيم: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟

قال: فرجع ملك الموت حتّى وقف بين يدي الله جلّ جلاله فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم.

فقال الله جلّ جلاله: يا ملك الموت إذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ إنّ الحبيب يحبّ لقاء حبيبه(٢).

عن الصادق، عن أبيه عليه السلام قال أتى النبيّ صلى الله عليه وآله رجل فقال: ما لي لا أُحب الموت؟ فقال له: ألك مال؟ قال: نعم.

قال: فقدّمته؟ قال: لا. قال: فمن ثمّ لا تحبّ الموت(٣).

عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام: بماذا أحببت لقاء الله؟

قال: لمّا رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أنّ الّذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه(٤).

عن محمود بن لبيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: شيئان يكرههما ابن آدم: يكره

---

(١) البحار ج٦ ص ١٢٦، ح٤.
(٢) أمالي الصدوق ص ١١٨، البحار ج٦ ص ١٢٧ ح٨.
(٣) الخصال ج١ ص١٠، البحار ج٦ ص١٢٧ ح٩.
(٤) الخصال ج١ ص١٤، البحار ج٦ ص ١٢٧ ح١١.

الموت والموت راحة للمؤمن من الفتنة، ويكره قلّة المال وقلّة المال أقلّ للحساب(١).

عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: جاء رجل إلى الصادق عليه السلام فقال: قد سئمت الدنيا فأتمنّى على الله الموت.

فقال: تمنّ الحياة لتطيع لا لتعصي، فلأن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت فلا تعصي ولا تطيع(٢).

عن عبد الصمد بن بشير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أصلحك الله من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه؟ ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه؟

قال: نعم.

قلت: فوالله إنّا لنكره الموت!

فقال: ليس ذاك حيث تذهب، إنّما ذلك عند المعاينة، إذا رأى ما يحبّ فليس شيء أحبّ إليه من أن يتقدّم، والله يحبّ لقاءه وهو يحبّ لقاء الله حينئذٍ، وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله عزّ وجلّ والله عزّ وجلّ يبغض لقاءه(٣).

عن شعيب العقرقوفيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيء يروى عن أبي ذر رحمه الله أنّه كان يقول: ثلاثة يبغضها الناس وأنا أحبّها: أُحبّ الموت، وأُحب الفقر، وأُحبّ البلاء.

فقال: إنّ هذا ليس على ما تروون إنّما عنى:

الموت في طاعة الله أحبّ إليّ من الحياة في معصية الله.

والفقر في طاعة الله أحبّ إليّ من الغنى في معصية الله،

والبلاء في طاعة الله أحبّ إليّ من الصحة في معصية الله(٤).

---

(١) الخصال ج١ ص٣٧، البحار ج٦ ص١٢٨ ج١٣.

(٢) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ص١٧٩، البحار ج٦ ص١٢٨، ج١٥.

(٣) معاني الأخبار: ص٧٠، البحار: ج٦ ص١٢٩، ح١٧.

(٤) معاني الأخبار: ص٥٢، البحار: ج٦ ص١٣٠ ح١٩.

عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتّى يكون فيه ثلاث خصال: يكون الموت أحبّ إليه من الحياة، والفقر أحبّ إليه من الغنى، والمرض أحبّ إليه من الصحّة.

قلنا: ومن يكون كذلك؟

قال: كلّكم، ثمَّ قال: أيّما أحبّ إلى أحدكم: يموت في حبّنا، أو يعيش في بغضنا؟

فقلت: نموت والله في حبّكم أحبّ إلينا.

قال: وكذلك الفقر والغنى والمرض والصحّة؟

قلت: إي والله[١].

عن عباية بن ربعيّ قال: إنّ شاباً من الأنصار كان يأتي عبد الله بن العبّاس، وكان عبد الله يكرمه ويدنيه[٢] فقيل له: إنّك تكرم هذا الشابّ وتدنيه وهو شابّ سوء! يأتي القبور فينبشها باللّيالي!

فقال عبد الله بن العبّاس: إذا كان ذلك فأعلموني.

قال: فخرج الشابّ في بعض اللّيالي يتخلّل القبور فأُعلم عبد الله ابن العبّاس بذلك فخرج لينظر ما يكون من أمره ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشابّ.

قال: فدخل قبراً قد حفر، ثمَّ اضطجع في اللّحد، ونادى بأعلى صوته يا ويحي إذا دخلت لحدي وحدي، ونطقت الأرض من تحتي فقالت: لا مرحباً ولا أهلاً قد كنت أُبغضك وأنت على ظهري، فكيف وقد صرت في بطني؟! بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفاً والملائكة صفوفاً، فمن عدلك غداً من يخلّصني؟ ومن المظلومين من يستنقذني؟ ومن عذاب النار من يجيرني؟ عصيت من ليس بأهل أن يعصى، عاهدت ربّي مرّة بعد أُخرى فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاءاً. وجعل يردّد هذا الكلام ويبكي فلمّا خرج من القبر التزمه ابن عبّاس وعانقه ثمَّ قال له: نعم النبّاش، نعم النبّاش، ما أنبشك للذنوب والخطايا! ثمَّ تفرّقا[٣].

---

(١) معاني الأخبار: ص٥٨، البحار: ج٦ ص١٣٠ ح٢٠.

(٢) أي يحسن إليه.

(٣) أمالي الصدوق: ص١٩٩. البحار: ج٦ ص١٣١ ح٢٤.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبور، وقيامكم بين يدي الله عزّ وجلّ تهون عليكم المصائب[١].

عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كم من غافل ينسج ثوباً ليلبسه وإنّما هو كفنه، ويبني بيتاً ليسكنه وإنّما هو موضع قبره[٢].

فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر: عباد الله! إنّ الموت ليس منه فوت فاحذروا قبل وقوعه وأعدّوا له عدته، فإنّكم طرد الموت إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوي خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات، وكفى بالموت واعظاً، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنّه هادم اللّذّات، حائل بينكم وبين الشهوات[٣].

عن عباد المنقريّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لو أنّ البهائم يعلمون من الموت ما تعلمون أنتم ما أكلتم منها سميناً[٤] [٥].

عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الكافر الموت خير له أم الحياة؟

فقال: الموت خير للمؤمن والكافر.

قلت: ولمَ؟

قال: لأن الله يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[٦] ويقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) الخصال ج٢ ص١٥٨، البحار ج٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص١٦٥.

(٣) أمالي الطوسي: ١٧-١٨. البحار: ج٦، ص١٣٢، ح٣٠.

(٤) لا ينافي هذا الخبر في أنَّ الموت ممّا لم تبهم عنه البهائم، إذ المعنى فيه: لو علموا كما تعلمون من خصوصيّات الموت وشدائده؛ فلا ينافي علمهم بأصل الموت؛ أو المراد: أنّهم لو كانوا مكلّفين وعلموا ما أوعد الله من العقاب لمّا كانوا غافلين كغفلتكم، ولذا قال صلّى الله عليه وآله: من الموت.

(٥) معاني الأخبار ص٢٨٩، البحار ج٦ ص١٣٢ - ١٣٣، ح٣١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.

كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(١) (٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: فإنّ الغاية أمامكم، وإنّ وراءكم الساعة تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٢) البحار: ج٦، ص١٣٤، ح٣٣.

(٣) قال السيد في نهج البلاغة بعد إيراده هذا الكلام: إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحاً وبرز عليه سابقاً، فأما قوله عليه السلام: «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموماً ولا أكثر محصولاً وما أبعد غورها من كلمة! وأنفع نطفتها من حكمة، وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها انتهى.

أقول: وقال بعض الشارحين: الغاية: الثواب والعقاب، والنعيم والشقاء، فعليكم أن تعدوا للغاية ما يصل بكم إليها، ولا تستبطؤها فإن الساعة التي تصيبونها فيها - وهي القيامة - آزفة إليكم فكأنها في تقربها نحوكم وتقليل المسافة بينها وبينكم بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما تسيرون إليه، سبق السابقون بأعمالهم إلى الحسنى فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من أثقال الشهوات وأوزار السابقون بأعمالهم إلى الحسنى فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من أثقال الشهوات وأوزار العناء في تحصيل اللذات، ويحفز بنفسه عن هذه الفانيات فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار، وأصله الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه. قال ابن ميثم: كون الساعة وراءهم فلان الإنسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفر منه وكانت العادة في الهارب من الشيء أن يكون وراءه المهروب منه وكانت الموت متأخراً عن وجود الإنسان ولاحقاً تأخراً ولحوقاً عقلياً أشبه المهروب منه المتأخر اللاحق هرباً وتأخراً ولحوقاً حسياً فلا جرم استعير لفظ المحسوسة وهي الوراء. وأما كونهم تحدوهم فلان الحادي لما كان من شأنه سوق الإبل بالحداء وكان تذكر الموت وسماع نواد به مزعجاً للنفوس إلى الاستعداد للأمور والآخرة والأهبة للقاء الله سبحانه فهو يحملها على قطع عقبات طريق الآخرة، كما يحمل الحادي الإبل على قطع الطريق البعيدة الوعرة لا جرم أشبه الحادي فاسندا الحداء إليه. قوله: «تخففوا تلحقوا» لما نبههم بكون الغاية أمامهم وأن الساعة تحدوهم في سفر واجب وكان السابق إلى الغاية من ذلك السفر هو الفائز برضوان الله وقد علم أن التخفيف وقطع العلائق في الأسفار سبب للسبق والفوز بلحوق السابقين لا جرم أمرهم بالتخفيف لغاية اللحوق في كلمتين فالأولى منها قوله: «تخففوا» وكنى بهذا الأمر عن الزهد الحقيقي الذي هو أقرب أسباب السلوك إلى الله سبحانه، وهو عبارة عن حذف كل شاغل عن التوجه إلى القبلة الحقيقة، والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها، فإن ذلك تخفيف للأوزار المانعة عن الصعود في درجات الأبرار، والموجبة لحلول دار البوار، وهي كناية باللفظ المستعار وهذا الأمر في معنى الشرط. والثانية قوله: «تلحقوا» وهو جزاء الشرط أي إن تتخففوا تلحقوا. إلى آخر كلامه ومن شاء فليراجعه.

وتبع أمير المؤمنين جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال: كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الّذي نرى من الأموات سفر عمّا قليل إلينا راجعون نبوّؤهم أجداثهم ونأكل تراثهم، قد نسينا كلّ واعظ وواعظة، ورمينا بكلّ جائحة، وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموت! ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير[1].

قال رجل لأبي ذر رحمه الله: ما لنا نكره الموت؟

قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب. قيل له: فكيف ترى قدومنا على الله؟

قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأمّا المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

قيل: فكيف ترى حالنا عند الله؟

قال: أعرضوا أعمالكم على كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾[2].

قال الرجل: فأين رحمة الله؟

قال: إنّ رحمة الله قريب من المحسنين[3].

كتاب الدرّة الباهرة: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما الاستعداد للموت؟

فقال: أداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتمال على المكارم، ثمّ لا يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه؟ والله لا يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه[4]؟.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: بقيّة عمر المرء لا قيمة له، يدرك بها ما قد فات، ويحيي ما مات[5].

---

(١) البحار: ج٦، ص١٣٦، ح٣٨.

(٢) سورة الإنفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٣) البحار: ج٦، ص١٣٧، ح٤٢.

(٤) البحار: ج٦، ص١٣٨، ح٤٣.

(٥) البحار: ج٦، ص١٣٨، ح٤٦.

تحقيق مقام لرفع شكوك وأوهام: ربما يتوهّم التنافي بين الآيات والأخبار الدالّة على حبّ لقاء الله، وبين ما يدلّ على ذمّ طلب الموت، وما ورد في الأدعية من استدعاء طول العمر وبقاء الحياة، وما روي من كراهة الموت عن كثير من الأنبياء والأولياء، ويمكن الجواب عنه بوجوه:

الأوّل: ما ذكره الشهيد رحمه الله في الذكرى من أنّ حبّ لقاء الله غير مقيّد بوقت، فيحمل على حال الاحتضار ومعاينة ما يحبّ، واستشهد لذلك بما مرّ من خبر عبد الصمد بن بشير(١).

الثاني: أنّ الموت ليس نفس لقاء الله فكراهته من حيث الألم الحاصل منه لا يستلزم كراهة لقاء الله، وهذا لا ينفع في كثير من الأخبار.

الثالث: أنّ ما ورد في ذمّ كراهة الموت فهي محمولة على ما إذا كرهه لحبّ الدنيا وشهواتها والتعلّق بملاذّها، وما وردّ بخلاف ذلك على ما إذا كرهه لطاعة الله تعالى وتحصيل مرضاته وتوفير ما يوجب سعادة النشأة الأُخرى، ويؤيّده خبر سلمان.

عن حسين بن المختار، رفعه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: لولا السجود لله ومجالسة قوم يتلفظون طيب الكلام كما يتلفظ طيب التمر لتمنيت الموت(٢).

الرابع: أنّ كراهة الموت إنّما تذمّ إذا كانت مانعة من تحصيل السعادات الأُخرويّة بأن يترك الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهجران الظالمين لحبّ الحياة والبقاء، والحاصل أنّ حبّ الحياة الفانية الدنيويّة إنّما يذمّ إذا آثرها على ما يوجب الحياة الباقية الأُخرويّة، ويدلّ عليه خبر شعيب العقرقوفيّ، وفضيل بن يسار(٣)، وهذا الوجه قريب من الوجه الثالث.

---

(١) عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن القاسم بن محمد، عن عبد الصمد بن بشير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أصلحك الله من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه؟ ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه؟ قال: نعم، قلت: فوالله إنّا لنكره الموت! فقال: ليس ذاك حيث تذهب، إنّما ذلك عند المعاينة، إذا رأى ما يحبّ فليس شيء أحبّ إليه من أن يتقدّم، والله يحبّ لقاءه وهو يحبّ لقاء الله حينئذٍ، وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله عزّ وجلّ والله عزّ وجلّ يبغض لقائه. (معاني الأخبار ص٧).

(٢) البحار: ج٦ ص١٣٠، ح٢٣.

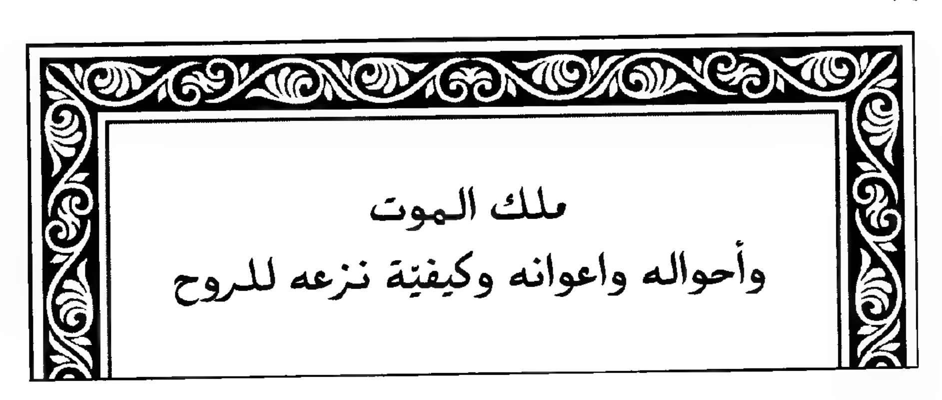
(٣) أحمد بن محمّد عن ابن فضّال، عن يونس بن يعقوب عن شعيب العرقوفيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيء يروى عن أبي ذرّ رحمه الله أنّه كان يقول: ثلاثة يبغضها الناس وأنا أُحبّها: =

الخامس: أنَّ العبد يلزم أنَّ يكون في مقام الرضا بقضاء الله، فإذا اختار الله له الحياة فيلزمه الرضا بها والشكر عليها، فلو كره الحياة والحال هذه فقد سخط ما ارتضاه الله له وعلم صلاحه فيه، وهذا ممّا لا يجوز، وإذا اختار الله تعالى له الموت يجب أن يرضى بذلك، ويعلم أنَّ صلاحه فيما اختاره الله له فلو كره ذلك كان مذموماً، وأمّا الدعاء لطلب الحياة والبقاء لأمره تعالى بذلك فلا ينافي الرضاء بالقضاء، وكذا في الصحّة والمرض والغنى والفقر وسائر الأحوال المتضادّة يلزم الرضا بكلّ منها في وقته، وأمرنا بالدعاء لطلب خير الأمرين عندنا، فما ورد في حبّ الموت إنّما هو إذا أحبّ الله تعالى ذلك لنا، وأمّا الاقتراح عليه في ذلك وطلب الموت فهو كفر لنعمة الحياة، غير ممدوح عقلاً وشرعاً كطلب المرض والفقر وأشباه ذلك، وهذا وجه قريب، ويؤيّده كثير من الآيات والأخبار والله تعالى يعلم.



= أُحبّ الموت، وأُحبّ الفقر، وأُحبّ البلاء. فقال: إنّ هذا ليس على ما تروون إنّما عنى: الموت في طاعة الله أحبّ إليّ من الحياة في معصية الله، والفقر في طاعة الله أحبّ إليّ من الغنى في معصية الله، والبلاء في طاعة الله أحبّ إليّ من الصحّة في معصية الله. (معاني الأخبار ص٥٢).

عن ابن أبي عمير، عن حمزة بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يخلق الله عزَّ وجلَّ يقيناً لا شكّ فيه أشبه بشكّ لا يقين فيه من الموت. (الخصال ج١ ص١٠).



ملك الموت
وأحواله واعوانه وكيفيّة نزعه للروح

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾(١).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧].

﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي يقبضون أرواحهم؛ وقيل: معناه: حتى إذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفّونهم إلى النار يوم القيامة ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ أي ذهبوا عنّا وافتقدناهم فلا يقدرون على الدفع عنّا وبطلت عبادتنا إيّاهم.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ أي المقتدر المستولي على عباده ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم ﴿تَوَفَّتْهُ﴾ أي تقبض روحه ﴿رُسُلُنَا﴾ يعني أعوان ملك الموت ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يضيّعون ولا يقصّرون فيما أُمروا به من ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾(٢) أي ملك الموت وأعوانه.

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٧.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾: أي وكلّ بقبض أرواحكم.

عن ابن عبّاس قال: جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضى عليه الموت من غير عناء، وخطوته ما بين المشرق والمغرب.

وقيل: إنَّ له أعواناً كثيرةً من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس ويدلّ عليه قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وقوله: ﴿تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾

وأمّا إضافة التوفّي إلى نفسه في قوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فلأنّه سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه أحد سواه.

في الاحتجاج للطبرسي: في خبر الزنديق المدّعي للتناقض في القرآن قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، وقوله: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ و﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ و﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: فهو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلاً وسفرةً بينه وبين خلقه وهم الّذين قال الله فيهم: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّى قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتونه منسوب إليه، وإذاً كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإنَّ فعل أُمنائه فعله، كما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ﴾[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء

---

(١) الإحتجاج: ص١٢٩-١٣٠. البحار: ج٦، ص١٤٠-١٤١، باب ٥، ح١.

رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه، ثبّه كهيئة الحزين؛ فقلت: من هذا ياجبرئيل؟!

فقال: هذا ملك الموت، مشغول في قبض الأرواح.

فقلت: ادنني منه ياجبرئيل لأُكلّمه، فأدناني منه فقلت له: يا ملك الموت أكلّ من مات أو هو ميّت فيما بعد أنت تقبض روحه؟

قال: نعم.

قلت: وتحضرهم بنفسك؟

قال: نعم، ما الدنيا كلّها عندي فيما سخّرها الله لي ومكّنني منها إلاّ كدرهم في كفّ الرجل يقلّبه كيف يشاء، وما من دار في الدنيا إلاّ وأدخلها في كلّ يوم خمس مرّات[١]، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم: لا تبكوا عليه فإنّ لي إليكم عودة وعودة حتّى لا يبقى منكم أحد.

قال رسول الله: كفى بالموت طامّة[٢] يا جبرئيل!

فقال جبرئيل: ما بعد الموت أطمّ[٣] وأعظم من الموت[٤]!

عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

(١) أي في أوقات الصلوات، على ما في حديث عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الهيثم بن واقد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنّه مؤمن، فقال: أبشر يا محمّد فإنّي بكلّ مؤمن رفيق، واعلم يا محمّد إنّي أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول: ما هذا الجزع فوالله ما تعجّلناه قبل أجله، وما كان لنا في قبضه من ذنب، فإن تحتسبوه وتصبروا تؤجروا، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا أنّ لنا فيكم عودة ثمّ عودة، فالحذر الحذر إنّه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلّا وأنا أتصفحهم في كلّ يوم خمس مرّات، ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأمرني ربّي بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما يتصفّحهم في مواقيت الصلاة، فإن كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، ونحّى عنه ملك الموت إبليس. (البحار ٦: ١٦٩-١٧٠).

(٢) الطامة: الداهية تفوق ما سواها.

(٣) أي أعظم وأفقم.

(٤) البحار: ج٦، ص١٤١، باب ٥ ح٢.

قال: هو الّذي سمّي لملك الموت عليه السلام في ليلة القدر[١].

قال إبراهيم الخليل عليه السلام لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك الّتي تقبض فيها روح الفاجر؟

قال: لا تطيق ذلك.

قال: بلى.

قال: فأعرض عنّي؛ فأعرض عنه ثمَّ التفت فإذا هو برجل أسود، قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان؛ فغشي على إبراهيم ثمَّ أفاق، فقال: لو لم يلق الفاجر عند موته إلاّ صورة وجهك لكان حسبه[٢].

من خطبة للإمام علي عليه السلام ذكر فيها ملك الموت: هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟

أم هل تراه إذا توفّى أحداً؟ بل كيف يتوفّى الجنين في بطن أمّه: أيلج عليه من بعض جوارحها؟

أم الروح أجابته بإذن ربّها؟

أم هو ساكن معه في أحشائها؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله[٣]؟.

قال الصادق عليه السلام: قيل لملك الموت عليه السلام: كيف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة؟

فقال: أدعوها فتجيبني.

قال: وقال ملك الموت عليه السلام: إنّ الدنيا بين يديَّ كالقصعة بين يدي أحدكم، يتناول منها ما يشاء، والدنيا عندي كالدرهم في كفّ أحدكم يقلّبه كيف شاء[٤].

---

(١) البحار: ج٦ ص١٤٣، باب ٥ ح٧.

(٢) البحار: ج٦، ص١٤٣، باب ٥ ح٨.

(٣) البحار: ج٦، ص١٤٣، باب٥ ح٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ص٣٢-٣٣. البحار: ج٦، ص١٤٤، باب٥ ح١٣.

سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾.

وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.

وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصيه إلاّ الله عزّ وجلّ فكيف هذا؟

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجهم فتتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفّاه الله عزّ وجلّ من ملك الموت(١).

عن أسباط بن سالم مولى أبان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يعلم ملك الموت بقبض من يقبض؟

قال: لا إنّما هي صكاك(٢) تنزل من السماء: اقبض نفس فلان بن فلان(٣).

عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾.

قال: فما هو عندك؟

قلت: عدد الأيّام.

قال: إن الآباء والأُمّهات يحصون ذلك، لا ولكنّه عدد الأنفاس(٤).



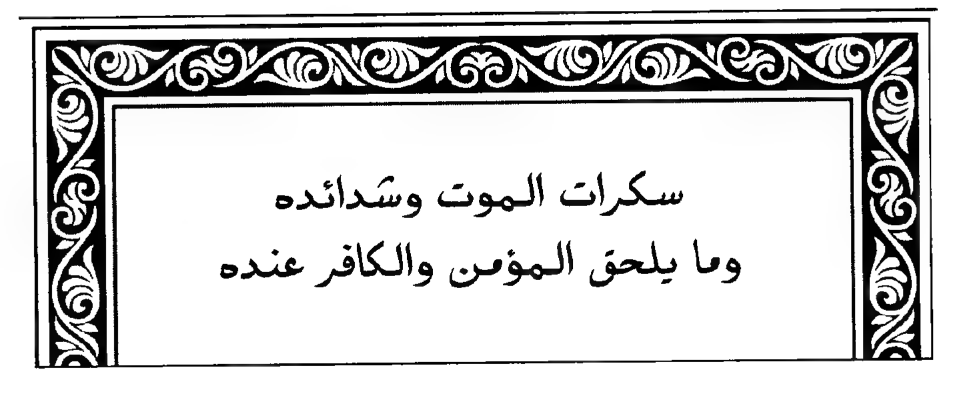
---

(١) من لا يحضره الفقيه: ص٣٣. البحار: ج٦، ١٤٤ باب ٥ ح١٥.

(٢) وزان بحار جمع الصك وهو الكتاب.

(٣) البحار: ج٦ ص١٤٥، باب ٥ ح١٦.

(٤) البحار: ج٦ ص١٤٥، باب ٥، ح١٧.



سكرات الموت وشدائده
وما يلحق المؤمن والكافر عنده

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ **[النساء: ٩٧]**

قال الطبرسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ أي تقبض أرواحهم الملائكة: ملك الموت أو ملك الموت وغيره؛ فإنّ الملائكة تتوفّى، وملك الموت يتوفّى، والله يتوفّى، وما يفعله ملك الموت أو الملائكة يجوز أنّ يضاف إلى الله تعالى إذا فعلوه بأمره، وما تفعله الملائكة جاز أنّ يضاف إلى ملك الموت إذا فعلوه بأمره.

﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي في أيّ شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لفعلهم.

﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا، ويمنعوننا من الإيمان بالله واتّباع رسوله، ولو ترى يا محمّد.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ **[الأنفال: ٥٠]**

﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي يقبضون أرواحهم عند الموت.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ يريد إستاههم، ولكنّ الله سبحانه كنّى عنها.

وقيل: وجوههم ما أقبل منهم، وأدبارهم ما أدبر منهم، والمراد: يضربون أجسادهم من قدّامهم ومن خلفهم، والمراد بهم قتلى بدر.

وقيل: معناه: سيضربهم الملائكة عند الموت.

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي وتقول الملائكة للكفّار استخفافاً بهم: ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة.

وقيل: إنّه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلّما ضربوا المشركين بها التهبت النار في جراحاتهم فذلك قوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

[يونس: ٦٣-٦٤]

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي صدقوا بالله ووحدانيّته ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ مع ذلك معاصيه ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ﴾ قيل: فيه أقوال:

أحدهما: أنَّ البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشّرهم الله تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ﴾ وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾.

وثانيها: أنّ البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم: ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون.

وثالثها: أنّها في الدنيا الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن لنفسه أو ترى له، وفي الآخرة الجنّة وهي ما تبشّرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنّة يبشّرونهم بها حالاً بعد حال، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

وروى عقبة بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلاّ هذا الدين الّذي أنتم عليه، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما

تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه إلى هذه - وأومأ بيده إلى الوريد - الخبر بطوله، ثمَّ قال: إنّ هذا في كتاب الله وقرأ هذه الآية[(١)]. وقيل: إنَّ المؤمن يفتح له باب إلى الجنّة في قبره فيشاهد ما أُعدّ له في الجنّة قبل دخولها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي لا خلف لمّا وعد الله ولا خلاف.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وفي قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ روي عن البراء[(٢)] أنّه قال: يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلاّ سلّم عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[فصلت: ٣٠].

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ (أي استمرّوا) على أنّ الله ربّهم وحده لم يشركوا به شيئاً، أو ثمّ استقاموا على طاعته وأداء فرائضه. وروى محمّد ابن الفضيل قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستقامة فقال: هي والله ما أنتم عليه.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني عند الموت، وروي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.

وقيل: تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله تعالى.

وقيل: إنّ البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند

---

(١) البحار: ج ٦ ص ١٤٨.

(٢) بالباء المفتوحة والراء المهملة، والألف والهمزة.

البعث ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي يقولون لهم: لا تخافوا عقاب الله ولا تحزنوا لفوت الثواب.

وقيل: لا تخافوا ما أمامكم من أمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلّفتم من أهل وولد. وقيل: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم، فإنّي أغفرها لكم.

وقيل: إنّ الخوف يتناول المستقبل، والحزن يتناول الماضي أي لا تخافوا فيما يستقبل من الأوقات، ولا تحزنوا على ما مضى(١).

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ أي غمرة الموت(٢) وشدّته الّتي تغشّي الإنسان وتغلب على عقله ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي أمر الآخرة حتّى عرفه صاحبه واضطرّ إليه.

وقيل: معناه: جاءت سكرة الموت بالحقّ الّذي هو الموت ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الموت ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي تهرب وتميل.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٤].

---

(١) البحار: ج ٦ ص ١٤٨.

(٢) غمرة الشيء: شدته ومزدحمه، غمرة الموت: مكارهه وشدائده.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ أي فهلاّ إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت وأنتم يا أهل الميّت ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي ترون تلك الحال وقد صار إلى أن يخرج نفسه.

وقيل: معناه: تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم والقدرة ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك ولا تعلمونه.

وقيل: معناه: ورسلنا الّذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون رسلنا.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ﴾ يعني فهلاّ ترجعون نفس من يعزّ عليكم إذا بلغت الحلقوم وتردّونها إلى موضعها إن كنتم غير مجزيّين بثواب وعقاب وغير محاسبين.

وقيل: أي غير مملوكين.

وقيل: أي غير مبعوثين، والمرد أنّ الأمر لو كان كما تقولونه من أنّه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يحاسب ويجازي فهلاّ رددتم الأرواح والنفوس من حلوقكم إلى أبدانكم إن كنتم صادقين في قولكم، فإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا أنّه من تقدير مقدّر حكيم وتدبير مدبّر عليم.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ ذلك المحتضر ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي فله روح وهو الراحة والاستراحة من تكاليف الدنيا ومشاقّها.

وقيل: الروح: الهواء الّذي تستلذّه النفس ويزيل عنها الهمّ ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يعني الرزق في الجنّة.

وقيل: هو الريحان المشموم من ريحان الجنّة يؤتى به عند الموت فيشمّه.

وقيل: الروح: الرحمة، والريحان: كلّ نباهة وشرف. وقيل: الروح: النجاة من النار، والريحان: الدخول في دار القرار.

وقيل: روح في القبر، وريحان في الجنّة.

وقيل: روح في القبر، وريحان في القيامة[1].

---

(١) البحار: ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥٠.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي فترى فيهم ما تحبّ لهم من السلامة من المكاره والخوف.

وقيل: معناه: فسلام لك أيّها الإنسان الّذي هو من أصحاب اليمين من عذاب الله، وسلّمت عليك ملائكة الله؛ قال الفرّاء: فسلام لك إنّك من أصحاب اليمين؛ فحذف إنّك.

وقيل: معناه: فسلام لك منهم في الجنّة لأنّهم يكونون معك ويكون ﴿لَكَ﴾ بمعنى عليك.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي فنزلهم الّذي أعدّ لهم من الطعام والشراب من حميم جهنّم.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي إدخال نار عظيمة.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦-٣٠]

﴿كَلَّآ﴾ أي ليس يؤمن الكافر بهذا.

وقيل: معناه: حقّاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي النفس أو الروح ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ «التراقي» أي العظام المكتنفة بالحلق، وكنّي بذلك عن الإشفاء على الموت.

وقيل: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ أي وقال من حضره: هل من راق أي من طبيب شاف يرقيه ويداويه فلا يجدونه؛ أو قالت الملائكة: من يرقي بروحه؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟

وقال الضحّاك: أهل الدنيا يجهّزون البدن وأهل الآخرة يجهّزون الروح.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أي وعلم عند ذلك أنّه الفراق من الدنيا والأهل والمال والولد؛ وجاء في الحديث: أنَّ العبد ليعالج كرب الموت وسكراته، ومفاصله يسلّم بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقني وأُفارقك إلى يوم القيامة.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ فيه وجوه:

أحدها: التفّت شدّة أمر الآخرة بأمر الدنيا.

والثاني: التفّت حال الموت بحال الحياة.

والثالث: التفّت ساقاه عند الموت لأنّه تذهب القوّة فتصير كجلد يلتفّ بعضه ببعض.

وقيل: هو أنَّ يضطرب فلا يزال يمدّ إحدى رجليه ويرسل الأُخرى ويلفُّ إحداهما بالأُخرى.

وقيل: هو التفاف الساقين في الكفن.

والرابع: التفّت ساق الدنيا بساق الآخرة وهو شدَّة كرب الموت بشدّة هول المطّلع؛ والمعنى في الجميع أنّه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدَّة إلاّ جاء أشدّ منها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ أي مساق الخلائق إلى المحشر الّذي لا يملك فيه الأمر والنهي إلاّ الله تعالى.

وقيل: يسوق الملك بروحه إلى حيث أمر الله به، إن كان من أهل الجنّة فإلى علّيين، وإن كان من أهل النار فإلى سجّين.

﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]

﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بالإيمان، المؤمنة، الموقنة بالثواب والبعث. وقيل: المطمئنّة الآمنة بالبشارة بالجنّة عند الموت ويوم البعث. وقيل: النفس المطمئنّة الّتي يبيضُّ وجهها وتعطى كتابها بيمينها فحينئذ تطمئنّ.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي يقال لها عند الموت وقيل: عند البعث: ارجعي إلى ثواب ربّك وما أعدّه لك من النعيم.

وقيل: ارجعي إلى الموضع الّذي يختصّ الله سبحانه بالأمر والنهي فيه دون خلقه.

وقيل: إنَّ المراد: ارجعي إلى صاحبك وجسدك فيكون الخطاب للروح أن ترجع إلى الجسد ﴿رَاضِيَةً﴾ بثواب الله ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ أعمالها الّتي عملتها.

وقيل: راضيةً عن الله بما أعدّ لها، مرضيّةً رضي عنها ربّها بما عملت من طاعته.

وقيل: راضيةً بقضاء الله في الدنيا حتّى رضي الله عنها ورضي باعتقادها وأفعالها.

﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ أي في زمرة عبادي الصالحين المصطفين الّذين رضيت عنهم.

﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ الّتي وعدتكم بها وأعددت نعيمكم فيها[1].

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الناس اثنان: واحد أراح، وآخر استراح.

فأمّا الّذي استراح: فالمؤمن إذا مات استراح من الدنيا وبلائها.

وأمّا الّذي أراح: فالكافر إذا مات أراح الشجر والدوابّ وكثيراً من الناس[2].

عن محمّد بن عطيّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الموت كفّارة لذنوب المؤمنين[3].

عن حنّان بن سدير، عن أبيه، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر عنده المؤمن وما يجب من حقّه، فالتفت إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال لي: يا أبا الفضل ألا أُحدّثك بحال المؤمن عند الله؟

فقلت: بلى فحدّثني جعلت فداك.

فقال: إذا قبض الله روح المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا: يا ربّ عبدك

---

(١) البحار: ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥٠.
(٢) البحار: ج٦، ص١٥١، باب ٦، ح١.
(٣) أمالي الطوسي: ص٦٨، البحار: ٠٦، ص١٥١، باب٦، ح٣؟

ونعم العبد؛ كان سريعاً إلى طاعتك، بطيئاً عن معصيتك، وقد قبضته إليك، فما تأمرنا من بعده؟

فيقول الجليل الجبّار: اهبطا إلى الدنيا وكونا عند قبر عبدي ومجّداني وسبّحاني وهلّلاني وكبّراني واكتبا ذلك لعبدي حتّى أبعثه من قبره[١].

عن الحسن بن ضوء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: ما من شيء أتردّد عنه تردّدي عن قبض روح المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، فإذا حضره أجله الّذي لا يؤخّر فيه بعثت إليه بريحانتين من الجنّة، تسمّى إحداهما المسخية، والأُخرى المنسية؛ فأمّا المسخية فتسخيه عن ماله[٢]، وأمّا المنسية فتنسيه أمر الدنيا[٣].

عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل للصادق عليه السلام: صف لنا الموت.

قال عليه السلام: للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس[٤] لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعيّ ولدغ العقارب أو أشدّ.

قيل: فإنَّ قوماً يقولون: إنّه أشدّ من نشر بالمناشير![٥] وقرض بالمقاريض! ورضخ بالأحجار! وتدوير قطب الأرحية على الأحداق.

قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الّذي هو أشدّ من هذا لا من عذاب الآخرة فإنّه أشدّ من عذاب الدنيا.

قيل: فما بالنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدث ويضحك ويتكلّم، وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟

---

(١) أمالي الطوسي: ص١٢٢، البحار: ج٦، ص١٥٢، باب٦، ٤٤.

(٢) كأنه من سخوت نفسي عن الشيء أي تركته ولم تنازعني إليه نفسي.

(٣) أمالي الطوسي: ص٢٦٤، البحار: ج٦، ص١٥٢، باب٦، ح٥.

(٤) أي تأخذه فترة في حواسه فقارب النوم.

(٥) جمع المنشار وهي آلة ذات أسنان ينشر بها الخشب ونحوه.

فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيّاً، نظيفاً، مستحقاً لثواب الأبد، لا مانع له دونه؛ وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفّى أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلاّ ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدّة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاد حسناته ذلكم بأنَّ الله عدل لا يجور(١).

عن أبي محمّد الأنصاريّ - وكان خيّراً - عن عمّار الأسديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أنَّ مؤمناً أقسم على ربّه عزّ وجلّ أن لا يميته ما أماته أبداً، ولكن إذا حضر أجله بعث الله عزّ وجلّ إليه ريحين: ريحاً يقال له: المنسية، وريحاً يقال له: المسخية.

فأمّا المنسية: فإنّها تنسيه أهله وماله.

فأمّا المسخية: فإنّها تسخي نفسه عن الدنيا حتّى يختار ما عند الله تبارك وتعالى(٢).

عن أبي جعفر الجواد، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل لامير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت.

فقال: على الخبير سقطتم، هو أحد ثلاثة أُمور يرد عليه: إمّا بشارة بنعيم الأبد، وإمّا بشارة بعذاب الأبد، وإمّا تحزينٌ وتهويلٌ وأمره مبهم، لا تدري من أيّ الفرق هو؛ فأمّا وليّنا المطيع لأمرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد.

وأمّا عدوّنا الخالف علينا فهو المبشّر بعذاب الأبد.

وأمّا المبهم أمره الّذي لا يدرى ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثمّ لن يسوّيه الله عزّ وجلّ بأعدائنا لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتّكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عزّ وجلّ فإنّ من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلاّ بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة(٣).

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص١٥١-١٥٢.
(٢) البحار: ج٦ ص١٥٣، باب ٦، ح٧.
(٣) البحار: ج٦، ص١٥٤، ح٩.

وسئل الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ما الموت الّذي جهلوه؟

قال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنّتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد[١].

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: لمّا اشتدّ الأمر بالحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم، وتهدئ جوارحهم، وتسكن نفوسهم.

فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت!

فقال لهم الحسين عليه السلام: صبراً بني الكرام! فما الموت إلا قنطرةٌ يعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسطة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أنَّ ينتقل من سجن إلى قصر؟ وما هو لأعدائكم إلاّ كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إنّ أبي حدّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كّذبت ولا كُذبت[٢].

وقال محمّد بن عليّ عليه السلام: قيل لعليّ بن الحسين عليه السلام: ما الموت؟

قال: للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفكّ قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطئ المراكب، وآنس المنازل؛ وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل أنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظم العذاب[٣].

وقيل لمحمّد بن عليّ عليه السلام: ما الموت؟

قال: هو النوم الّذي يأتيكم كلّ ليلة، إلاّ أنّه طويل مدّته، لا ينتبه منه إلاّ يوم

(١) المصدر نفسه.
(٢) معاني الأخبار: ص٨٣. البحار: ج٦، ص١٥٣-١٥٥. باب ٦، ح٩.
(٣) معاني الأخبار: ص٨٣. البحار: ج٦، ص١٥٣-١٥٥. باب ٦، ح٩.

القيامة، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه؟ هذا هو الموت فاستعدّوا له[1].

عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: دخل موسى بن جعفر عليه السلام على رجل قد غرق في سكرات الموت وهو لا يجيب داعياً فقالوا له: يابن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف الموت وكيف حال صاحبنا؟

فقال: الموت هو المصفاة تصفّي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم كفّارة آخر وزر بقي عليهم؛ وتصفّي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذّة أو راحة تلحقهم هو آخر ثواب حسنة تكون لهم، وأمّا صاحبكم هذا فقد نخل[2] من الذنوب نخلاً وصفّي من الآثام تصفيةً، وخُلّص حتّى نقي كما ينقى الثوب من الوسخ، وصلح لمعاشرتنا أهل البيت في دارنا دار الأبد[3].

عن عليّ بن محمّد عليه السلام قال: قيل لمحمّد بن عليّ بن موسى عليه السلام: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟

قال: لأنّهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عزّ وجلّ لأحبّوه ولعلموا أنّ الآخرة خير لهم من الدنيا. ثمّ قال عليه السلام: يا أبا عبد الله ما بال الصبيّ والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه؟

قال: لجهلهم بنفع الدواء.

قال: والّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنّ من استعدّ للموت حقّ الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنّهم لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نخل الدقيل: غربله وأزال نخالته، ونخل الشيء: اختاره وصفاه.

(٣) معاني الأخبار: ص٨٣-٨٤. البحار: ج٦، ١٥٥، باب ٦، ح١٠.

(٤) معاني الأخبار: ص٨٤. البحار: ج٦، ١٥٦، باب ٦، ج١٢.

عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: دخل عليُّ بن محمّد عليه السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: يا عبد الله تخاف من الموت لأنّك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أنَّ الغسل في حمّام يزيل ذلك كلّه أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو تكره أنَّ تدخله فيبقى ذلك عليك؟

قال: بلى يابن رسول الله.

قال: فذلك الموت هو ذلك الحمّام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيّئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاورته فقد نجوت من كلِّ غمّ وهمّ وأذى، ووصلت إلى كلّ سرور وفرح، فسكن الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه ومضى لسبيله.

وسئل الحسن بن عليّ بن محمّد عليه السلام عن الموت ما هو؟

فقال: هو التصديق بما لا يكون.

حدّثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ المؤمن إذا مات لم يكن ميّتاً، فإنّ الميّت هو الكافر، إنَّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن[١].

عن عليّ بن الصلت، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنّا معه في جنازة فقال بعض القوم: بارك الله لي في الموت وفيما بعد الموت.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: فيما بعد الموت فضلٌ، إذا بورك لك في الموت فقد بورك لك فيما بعده[٢].

عن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت لأيّ علّة إذا خرج الروح من الجسد وجد له مسّاً، وحيث ركّبت لم يعلم به؟

(١) معاني الأخبار: ص٨٤. البحار: ج٦، ص١٥٦، باب ٦، ح١٣.
(٢) معاني الأخبار: ص١٠٨. البحار: ج٦، ص١٥٨، باب٦، ح١٦.

قال: لأنّه نما عليها البدن[(١)] [(٢)].

عن ياسر الخادم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن:

١ - يوم يولد ويخرج من بطن أُمّه فيرى الدنيا.

٢ - ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها.

٣ - ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا.

وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[(٣)].

وقد سلّم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[(٤)] [(٥)].

---

(١) قوله عليه السلام: لأنّه نما عليها البدن أي أنّ الألم إنّما هو لأُلفة الروح بالبدن لنموّه عليها لا لمحض الإخراج حتّى يكون لإدخال الروح أيضاً ألم؛ أو أنّه لمّا نما عليها البدن وبلغ حدّاً يعرف الآلام والأوجاع فلذا يتألّم بإخراج الروح، بخلاف حالة الإدخال فإنّه قبل دخول الروح ما كان يجد شيئاً لعدم الحياة، وبعده لا ألم يحسّ به، ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أنّ السائل لما توهّم أنّ الروح يدخل حقيقة في البدن سأل عن الحكمة في عدم تأثّر البدن بدخول الروح وتأثّره بالخروج، مع أنّ العكس أنسب، فأجاب عليه السلام بأنّ الروح الحيوانيّ لا يدخل من خارج في البدن، بل إنّما تتولّد فيه وينمو البدن عليها[(١)]. والمسّ أوّل ما يحسّ به من التعب والألم منه.

(٢) علل الشرائع: ص١١١. البحار: ج٦، ص١٥٨، باب ٦، ح١٧.

(٣) سورة مريم، الآية: ١٥.

(٤) سورة مريم، الآية: ٣٣.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص١٤٢، ج١. الخصال: ص٣٥. البحار: ج٦، ص١٥٨. باب ٦، ح١٨.

---

(١) لو بدل رحمه الله الروح الحيواني بالروح الإنساني انطبق على الحركة الجوهرية القائلة بكون الروح الإنساني إحدى مراتب البدن الاستكمالية كما يدل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ الآية والمدرك للذة والالم هو النفس فيتم البيان؛ فالروح حدوثه كمال للبدن وهو نفسه به، ومفارقته مفارقة ما أنس به بالتعلق والتصرف فيوجب التالم.

عن الزهريّ قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات:

١ - الساعة الّتي يعاين فيها ملك الموت.

٢ - والساعة الّتي يقوم فيها من قبره.

٣ - والساعة الّتي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار.

ثمَّ قال: إن نجوت يابن آدم عند الموت فأنت أنت وإلاّ هلكت.

وإن نجوت يابن آدم حين توضع في قبرك فأنت أنت وإلاّ هلكت.

وإن نجوت حين يحمل الناس على الصراط فأنت أنت وإلاّ هلكت؛ وإن نجوت حين يقوم الناس لربّ العالمين فأنت أنت وإلاّ هلكت. ثمَّ تلا: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] قال: هو القبر، وإنّ لهم فيه لمعيشة ضنكاً، والله إنّ القبر لروضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حفر النار. ثمَّ أقبل على رجل من جلسائه فقال له: قد علم ساكن السماء ساكن الجنّة من ساكن النار فأيّ الرجلين أنت؟ وأيّ الدارين دارك[2]؟.

عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: لمّا حضرت الحسن بن علي عليه السلام الوفاة بكى فقيل: يابن رسول الله أتبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك الّذي أنت به وقد قال فيك رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال، وقد حججت عشرين حجّة ماشياً، وقد قاسمت ربّك مالك ثلاث مرّات حتّى النعل والنعل؟

فقال عليه السلام: إنّما أبكي لخصلتين: لهول المطّلع، وفراق الأحبّة[3].

عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: والله لا يصف عبد هذا الأمر فتطعمه النار، قلت: إنّ فيهم من يفعل ويفعل!

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٢) الخصال: ج١، ص٥٩. البحار: ج٦، ص١٥٩، باب ٦، ح١٩.

(٣) أمالي الصدوق: ١٣٣-١٣٤. البحار: ج٦ ص١٥٩-١٦٠، باب ٦، ح٢٢.

فقال: إنّه إذا كان ذلك ابتلى الله تبارك وتعالى أحدهم في جسده فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلاّ ضيّق الله عليه في رزقه، فإن ذلك كفّارة لذنوبه وإلاّ شدّد الله عليه عند موته حتّى يأتي الله ولا ذنب له، ثمَّ يدخله الجنّة[١].

قال رسول الله ﷺ: فوالّذي نفس محمّد بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميّتهم ولبكوا على نفوسهم، حتّى إذا حمل الميّت على نعشه رفرف روحه فوق النعش، وهو ينادي: يا أهلي ويا ولدي لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي فجمعت المال من حلّه وغير حلّه، ثمَّ خلّفته لغيري فالمهنأ له والتبعة عليَّ، فاحذروا مثل ما حلّ بي.

وقيل: ما من ميّت يموت حتّى يتراءى له ملكان الكاتبان عمله فإن كان مطيعاً قالا له: جزاك الله عنّا خيراً، فربّ مجلس صدق أجلستنا، وعمل صالح قد أحضرتنا؛ وإن كان فاجراً قالا: لا جزاك الله عنّا خيراً فربّ مجلس سوء قد أجلستنا، وعمل غير صالح قد أحضرتنا، وكلام قبيح قد أسمعتنا[٢].

عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ آية المؤمن إذا حضره الموت يبيضّ وجهه أشدّ من بياض لونه، ويرشح جبينه، ويسيل من عينيه كهيئة الدموع فيكون ذلك خروج نفسه؛ وإنّ الكافر تخرج نفسه سيلاً من شدقه[٣]، كزبد البعير، أو كما تخرج نفس البعير[٤].

عن إدريس القميّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ يأمر ملك الموت فيردّ نفس المؤمن ليهون عليه ويخرجها من أحسن وجهها فيقول الناس: لقد شدّد على فلان الموت؛ وذلك تهوين من الله عزّ وجلّ عليه.

وقال: يصرف عنه إذا كان ممّن سخط الله عليه، أو ممّن أبغض الله أمره أن يجذب الجذبة الّتي بلغتكم بمثل السفّود من الصوف المبلول.

---

(١) المحاسن: ص١٧٢.
(٢) البحار: ج٦، ص١٦١، باب ٦ ح٢٨.
(٣) الشدق: جانب الفم.
(٤) فروع الكافي: ج١ ص٣٨، البحار: ج٦، ص١٦٥-١٦٦، باب ٦، ح٣٤.

فيقول الناس: لقد هوّن على فلان الموت[١] [٢].

عن الحسن بن حذيفة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرض رجل من أصحاب سلمان رحمه الله فافتقده فقال: أين صاحبكم؟

قالوا: مريض.

قال: امشوا بنا نعوده، فقاموا معه فلمّا دخلوا على الرجل إذا هو يجود بنفسه.

فقال سلمان: يا ملك الموت ارفق بوليّ الله، فقال ملك الموت بكلام سمعه من حضر: يا أبا عبد الله إنّي أرفق بالمؤمنين، ولو ظهرت لأحد لظهرت لك[٣].

عن الهيثم بن واقد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنّه مؤمن.

فقال: أبشر يا محمّد فإنّي بكلّ مؤمن رفيق، واعلم يا محمّد إنّي أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول: ما هذا الجزع فوالله ما تعجّلناه قبل أجله، وما كان لنا في قبضه من ذنب، فإن تحتسبوه وتصبروا تؤجروا، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا أنّ لنا فيكم عودة ثمَّ عودة، فالحذر الحذر! إنّه ليس في شرقها ولا في غربها[٤] أهل بيت مدر ولا وبر[٥] إلاّ وأنا أتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات، ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتّى يأمرني ربّي بها.

---

(١) قوله عليه السلام: فيردّ نفس المؤمن أي يردّ الروح إلى بدنه بعد قرب النزع مرّة بعد أخرى لئلاّ يشقّ عليه مفارقة الدنيا دفعةً، والكافر يصرف عنه ذلك؛ وقيل: يراه منزله في الجنّة ثمَّ يرد إليه الروح كاملاً ليرضى بالموت ويهون عليه، أو يردّ عليه روحه مرّةً بعد أخرى ليخفّف بذلك سيّئاته ويهون عليه أمر الآخرة، والأوّل أظهر. والسفّود بالتشديد: الحديدة الّتي يشوى بها اللّحم.

(٢) فروع الكافي: ج١ ص٣٨. البحار: ج٦، ص١٦٦، باب ٦، ح٣٥.

(٣) أمالي الطوسي: ص٨٠، البحار: ج٦، ص١٦٧، باب ٦، ح٤٠.

(٤) الضمير في الكلمتين يرجع إلى الأرض، ولم يذكرها اعتماداً على القرينة.

(٥) أراد من أهل بيت المدر أهل القرى، ومن أهل بيت الوبر أهل البوادي وأهل الفساطيط والخيم.

فقال رسول الله ﷺ: إنّما يتصفّحهم في مواقيت الصلاة، فإن كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، ونحّى عنه ملك الموت إبليس[1] [2].

عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه اشتكى عينه فعاده النبيّ ﷺ فإذا هو يصيح.

فقال له النبيّ ﷺ: أجزعاً أم وجعاً؟

فقال: يا رسول الله ما وجعت وجعاً قطّ أشدّ منه!

فقال: يا عليّ إنّ ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفّود من نار فنزع روحه به فتصيح جهنّم، فاستوى عليٌّ عليه السلام جالساً فقال: يارسول الله أعد عليّ حديثك فقد أنساني وجعي ما قلت، ثمَّ قال: هل يصيب ذلك أحداً من أُمّتك؟

قال: نعم حاكم جائر، وآكل مال اليتيم ظلماً، وشاهد زور[3].

عن عبد الله بن سليم العامريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريّا عليه السلام وكان سأل ربّه أن يحييه له، فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر، فقال له: ما تريد منّي؟

فقال له: أُريد أنَّ تؤنسني كما كنت في الدنيا.

فقال له: يا عيسى ما سكنت عنّي حرارة الموت وأنت تريد أنَّ تعيدني إلى الدنيا وتعود عليّ حرارة الموت؛ فتركه فعاد إلى قبره[4] [5].

عن محمّد بن عليّ بن موسى، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قيل للصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: صف لنا الموت.

---

(١) استدلّ بهذا الخبر على أنّ القابض لأرواح غير الإنسان من الحيوانات أيضاً هو ملك الموت عليه السلام، وفيه نظر.

(٢) فروع الكافي: ج١، ص٣٨. البحار: ج٦، ص١٦٩-١٧٠، باب ٦، ح٤٤.

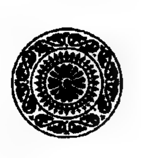
(٣) فروع الكافي: ج١ ص٧٠. البحار: ج٦ ص١٧٠ باب ٦، ح٤٦.

(٤) لعلّ ذوق حرارة الموت إنّما يكون بعد استمرار التعيّش في الدنيا وعود التعلّقات كما كانت.

(٥) فروع الكافي: ج١، ص٧٢. البحار: ج٦ ص١٧٠-١٧١ باب ٦، ح٤٧.

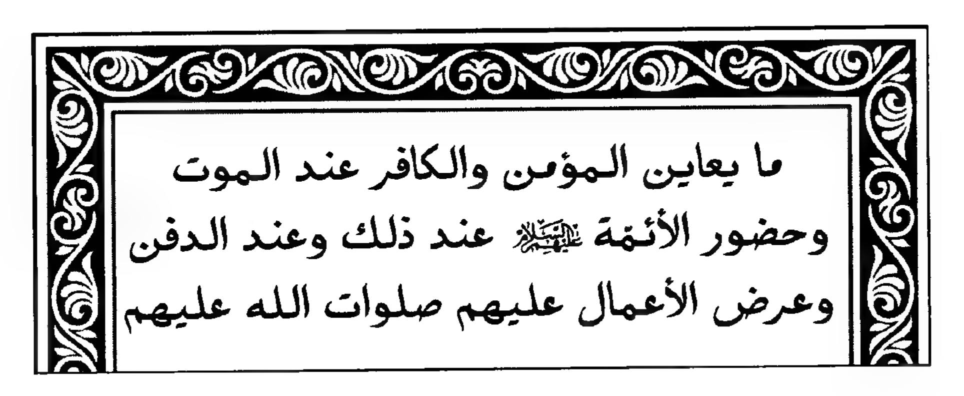
قال: للمؤمن كأطيب طيب يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم عنه؛ والكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشدّ[١].

عن أبي الحسن الثالث، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الناس اثنان: رجل أراح، ورجل استراح، فأمّا الّذي استراح فالمؤمن استراح من الدنيا ونصبها، وأُفضي إلى رحمة الله وكريم ثوابه؛ وأمّا الّذي أراح فالفاجر أراح منه النّاس والشجر والدوابُّ وأُفضي إلى ما قدّم[٢].



(١) أمالي الطوسي: ص٥٥. البحار: ج٦ ص١٧٢، باب ٦، ح٥٠.

(٢) أمالي الطوسي: ص١٠٦-١٠٧. البحار: ج٦، ص١٧٢ باب ٦، ح٥١.



ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمّة عليهم السلام عند ذلك وعند الدفن وعرض الأعمال عليهم صلوات الله عليهم

عن أيّوب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن أشدّ ما يكون عدوّكم كراهيةً لهذا الأمر حين تبلغ نفسه هذه - وأومأ بيده إلى حنجرته - ثمَّ قال: إنَّ رجلاً من آل عثمان كان سبّابة لعليّ عليه السلام فحدّثتني مولاةٌ له كانت تأتينا قالت: لمّا احتضر قال: مالي ولهم؟

قلت: جعلني الله فداك ماله قال هذا؟

فقال: لما أُري من العذاب، أما سمعت قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١)؟ هيهات هيهات! لا والله حتّى يكون ثبات الشيء في القلب وإن صلّى وصام(٢).

عن عبد الرحيم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما أحدكم حين يبلغ نفسه ههنا ينزل عليه ملك الموت فيقول: أمّا ما كنت ترجو فقد أُعطيته، وأمّا كنت تخافه فقد أمنت منه، ويفتح له باب إلى منزله من الجنّة، ويقال له: انظر إلى مسكنك في الجنّة، وانظر هذا رسول الله وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام رفقاؤك، وهو قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) البحار: ج٦، ص١٧٧ باب ٧ ح٤. وكتابي الحسين بن سعيد أو كتابه النوادر.

(٣) البحار: ج٦، ص١٧٧-١٧٨ باب ٧، ح٥.

عن أبي حمزة الثماليّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما يصنع بأحدنا عند الموت؟

قال: أمّا والله يا أبا حمزة ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله ومكانه منّا إلا أن يبلغ نفسه ههنا - ثمَّ أهوى بيده إلى نحره - ألا أُبشّرك يا أبا حمزة؟

فقلت: بلى جعلت فداك.

فقال: إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام معه، يقعد عند رأسه، فقال له - إذا كان ذلك - رسول الله صلى الله عليه وآله: أما تعرفني؟ أنا رسول الله هلمَّ إلينا، فما أمامك خير لك ممّا خلّفت، أمّا ما كنت تخاف فقد أمنته، وأمّا ما كنت ترجو فقد هجمت عليه[1]، أيّتها الروح اخرجي إلى روح الله ورضوانه؛ ويقول له عليٌّ عليه السلام: مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمَّ قال: يا أبا حمزة؟ ألا أُخبرك بذلك من كتاب الله؟ قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[2] الآية.

عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمدانيّ على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم، فجعل الحارث يتّئد في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام - وكانت له منه منزلة - فقال: كيف تجدك يا حارث؟

فقال: نال الدهر يا أمير المؤمنين منّي، وزادني أوباً غليلاً اختصام أصحابك ببابك.

قال: وفيم خصومتهم؟

قال: فيك وفي الثلاثة من قبلك، فمن مفرط منهم غال، ومقتصد تال، ومن متردّد مرتاب، لا يدري أيقدم أم يحجم؟!

فقال: حسبك يا أخا همدان، ألا إنّ خير شيعتي النمط[3] الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي.

---

(١) أي انتهيت إلى بقتة على غفلة منك.

(٢) البحار: ج٦ ص١٧٨، باب ٧ ح٦.

(٣) النمط: جماعة من الناس أمرهم واحد.

فقال له الحارث: لو كشفت - فداك أبي وأُمّي - الرين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا.

قال: قدك فإنّك امرؤٌ ملبوس عليك، إنّ دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحقّ؛ فاعرف الحقّ تعرف أهله.

يا حارث إنّ الحقّ أحسن الحديث والصادع[١] به مجاهد، وبالحقّ أُخبرك فارعني سمعك، ثمّ خبّر به من كانت له حصانة من أصحابك، ألا إنّي عبد الله، وأخو رسوله، وصدّيقه الأوّل قد صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثمّ إنّي صدّيقه الأوّل في أُمّتكم حقّاً فنحن الأوّلون، ونحن الآخرون، ونحن خاصّته يا حارث وخالصته وأنا صفوه ووصيّه ووليّه، وصاحب نجواه وسرّه، أُوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يفضي كلّ باب إلى ألف عهد، وأُيّدت واتخذت وأُمددت بليلة القدر نفلاً، وإنّ ذلك ليجري لي ولمن تحفّظ من ذرّيّتي ما جرى اللّيل والنهار حتّى يرث الله الأرض ومن عليها؛ وأُبَشّرك يا حارث لتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة.

قال الحارث، وما المقاسمة؟

قال: مقاسمة النار أُقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليّي فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه.

ثمّ أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث فقال: يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي، فقال لي - وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي -: إنّه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وبحجزته - يعني عصمته - من ذي العرش تعالى، وأخذت أنت يا عليُّ بحجزتي، وأخذ ذرّيّتك بحجزتك وأخذ شيعتكم بحجزكم؛ فماذا يصنع الله بنبيّه؟ وما يصنع نبيّه بوصيّه؟ خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت - يقولها ثلاثاً.

فقام الحارث يجرّ رداءه ويقول: ما أُبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني.

---

(١) صدع بالحق: تكلم به جهاراً.

قال جميل بن صالح: وأنشدني أبو هاشم السيّد الحميريّ رحمه الله فيما تضمّنه هذا الخبر:

قول علـيّ لحارث عجب ... كم ثَمَّ أُعجوبة له حملا
يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفه وأعرفه ... بنعته واسمه وما عملا
وأنت عند الصراط تعرفني ... فلا تخف عثرة ولا زللا
أسقيك من بارد على ظمأ ... تخاله في الحلاوة العسلا
أقول للنار حين توقف للعرض ... دعيه لا تقتلي الرجلا
دعيه لا تقربيه إنّ له ... حبلاً بحبل الوصيّ متصلا[1]

عن الحارث الهمدانيّ قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: ما جاء بك؟

فقلت: حبّي لك يا أمير المؤمنين.

فقال: يا حارث أتحبّني؟

قلت: نعم والله يا أمير المؤمنين.

قال: أمّا لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحبّ، ولو رأيتني وأنا أذود[2] الرجال عن الحوض ذود غريبة الإبل لرأيتني حيث تحبُّ، ولو رأيتني وأنا مارٌّ على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لرأيتني حيث تحبّ[3] [4].

---

(١) البحار: ج٦، ص١٧٨-١٧٩، باب ٧ ح٧.

(٢) ذاد الإبل عن الماء: دفعه وطرده.

(٣) أورد الشاعر المضمون في سبيكة النظم والقريض في قوله:

لنحن على الحوض ذواده ... نذود ونسعد وراده
وما فاز من فاز إلا بنا ... وما خاب من حبنا زاده
ومن سرنا نال منا السرور ... ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان ظالمنا حقنا ... فإن القيامة ميعاده

أورده الطبري في ص١٣٦ من بشارة المصطفى بإسناد له عن أحمد بن زياد الهمداني قال: رأيت صبياً صغيراً يكون سباعياً أو ثمانياً بالمدينة ينشد، فقلت: يا فتى لمن هذه الأبيات؟ فقال: لمنشدوها فقلت: من الفتى؟ قال: علوي فاطمي، إيها عنك.

(٤) أمالي الطوسي: ص٣٠-٣١. البحار: ج٦ ص١٨١. باب ٧ ح٩.

عن المرزبانيّ، عن عبد الله بن الحسن، عن محمّد بن رشيد، قال آخر شعر قاله السيّد بن محمّد رحمه الله قبل وفاته بساعة، وذلك أنّه أُغمي عليه واسودّ لونه ثمّ أفاق وقد أبيضّ وجهه وهو يقول:

أُحب الّذي من مات من أهل ودّه تلقّاه بالبشرى لدى الموت يضحك
ومن مات يهوي غيره من عدوّه فليس له إلاّ إلى النار مسلك
أبا حسن! تفديك نفسي وأسرتي ومالي وما أصبحت في الأرض أملك
أبا حسن! إنّي بفضلك عارف وإنّي بحبل من هواك لممسك
وأنت وصيّ المصطفى وابن عمّه وإنّا نعادي مبغضيك ونترك
مواليك ناج، مؤمن، بيّن الهدى وغاليك معروف الضلالة، مشرك
ولاح لحانى في عليّ وحزبه فقلت لحاك الله إنّك أعفك

ومعنى أعفك أحمق(١).

تفسير القمي: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)﴾ قال: إذا حضر المؤمن الوفاة نادى منادٍ من عند الله يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي راضيةً بولاء عليّ مرضيةً بالثواب، فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي؛ فلا يكون له همّة إلاّ اللّحوق بالنداء(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: تمسّكوا بما أمر كم الله به، فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحبّ إلاّ أن يحضره رسول الله صلى الله عليه وآله، وما عند الله خير وأبقى؛ وتأتيه البشارة من الله عزّ وجلّ فتقرّ عينه ويحبّ لقاء الله(٣).

عن بريد بن معاوية العجليّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

فقال: ما من مؤمن يموت ولا كافر فيوضع في قبره حتّى يعرض عمله على

---

(١) أمالي الطوسي: ص٣٠. البحار: ص١٨١-١٨٢. باب ٧، ح٩.
(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص٧٢٥. البحار: ج٦ ص١٨٢-١٨٣. باب ٧ ح١١.
(٣) الخصال: ج٢ ص١٥٧. البحار: ج٦ ص١٨٣. باب ٧ ح١٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليّ عليه السلام فهلمَّ جرّاً إلى آخر من فرض الله طاعته على العباد(١).

عن عبد الحميد بن عواض قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا بلغت نفس أحدكم هذه قيل له: أمّا ما كنت تحزن من همّ الدنيا وحزنها فقد أمنت منه، ويقال له: أمامك رسول الله وعليّ وفاطمة عليهم السلام(٢).

عن عليّ بن عقبة، عن أبيه قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام أنا والمعلّى بن خنيس فقال: يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلاّ هذا الّذي أنتم عليه؛ وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه هذا - وأومأ بيده إلى الوريد - قال: ثمّ اتّكأ وغمز إليّ المعلّى أن سله فقلت: يابن رسول الله إذا بلغت نفسه هذه فأيّ شيء يرى؟ - فردّد عليه بضعة عشر مرّة أيّ شيء يرى؟ - فقال في كلّها: يرى؛ لا يزيد عليها، ثمّ جلس في آخرها فقال: يا عقبة قلت: لبّيك وسعديك.

فقال: أبيت إلاّ أن تعلم؟

فقلت: نعم يابن رسول الله، إنّما ديني مع دمي فإذا ذهب دمي كان ذلك، وكيف بك يا بن رسول الله كلّ ساعة؟ وبكيت، فرقَّ لي فقال: يراهما والله.

قلت: بأبي أنت وأُمّي من هما؟

فقال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام، يا عقبة لن تموت نفس مؤمنةٌ أبداً حتّى تراهما.

قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟

قال: لا بل يمضي أمامه.

فقلت له: يقولان شيئاً جعلت فداك؟

فقال: نعم يدخلان جميعاً على المؤمن فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه، وعليّ عند رجليه، فيكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: يا وليّ الله أبشر أنا رسول

---

(١) بصائر الدرجات: ص١٢٦. البحار: ج٦ ص١٨٣، باب ٧، ح١٣.
(٢) المحاسن: ص١٧٥. البحار: ج٦ ص١٨٤ باب ٧ ح١٧.

الله، إنّي خير لك ممّا تترك من الدنيا؛ ثمّ ينهض رسول الله فيقوم عليه عليّ صلوات الله عليهما حتّى يكبّ عليه فيقول: يا وليّ الله ابشر أنا عليّ بن أبي طالب الّذي كنت تحبّني أمّا لأنفعك، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنّ هذا في كتاب الله عزّ وجلّ.

قلت: أين هذا جعلت فداك من كتاب الله؟

قال: في سورة يونس قول الله تبارك وتعالى ههنا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[1].

عن الخطّاب الكوفيّ، ومصعب الكوفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لسدير: والّذي بعث محمّداً بالنبوّة وعجل روحه إلى الجنّة ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى سروراً أو تبيّن له الندامة والحسرة إلاّ أنَّ يعاين ما قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[2] وأتاه ملك الموت بقبض روحه فينادي روحه فتخرج من جسده، فأمّا المؤمن فما يحسُّ بخروجها، وذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾[3] ثمّ قال: ذلك لمن كان ورعاً مواسياً لإخوانه، وصولاً لهم، وإن كان غير ورع ولا وصول لإخوانه قيل له: ما منعك من الورع والمواساة لإخوانك؟ أنت ممّن انتحل المحبّة بلسانه ولم يصدّق ذلك بفعل وإذا لقى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام لقاهما معرضين، مقطبين في وجهه، غير شافعين له.

قال سدير: من جدع الله أنفه.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فهو ذاك[4].

عن العلاء، عن محمّد قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: اتّقوا الله واستعينوا

---

(١) المحاسن: ص١٧٥-١٧٦. البحار: ج٦. ص١٨٥. باب ٧، ح٢٠.

(٢) سورة ق، الآية: ١٧.

(٣) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٤) المحاسن: ص١٧٧. البحار: ج٦ ص١٨٦-١٨٧، باب ٧، ح٢١.

على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد في طاعة الله، فإنّ أشدّ ما يكون أحدكم اغتباطاً بما هو عليه لو قد صار في حدّ الآخرة وانقطعت الدنيا عنه؛ فإذا كان في ذلك الحدّ عرف أنّه قد استقبل النعيم والكرامة من الله، والبشرى بالجنّة، وأمن ممّن كان يخاف، وأيقن أنَّ الّذي كان عليه هو الحقّ، وأنّ من خالف دينه على باطل هالكٌ[١].

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: من أحبّني وجدني عند مماته بحيث يحبّ، ومن أبغضني وجدني عند مماته بحيث يكره[٢].

عن يونس، عن بعض أصحابنا، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «كل نفس ذائقة الموت ومبشورة» كذا نزل بها على محمّد صلى الله عليه وآله، إنّه ليس أحد من هذه الأُمّة إلاّ يستبشرون، فأمّا المؤمنون فيبشّرون إلى قرّة عين، وأمّا الفجّار فيبشّرون إلى خزي الله إيّاهم[٣].

عن صفوان بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته، يأتيه عن يمينه وعن يساره ليصدّه عمّا هو عليه فيأبى الله له ذلك، وكذلك قال الله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[٤].

زريق، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٥] قال: هو أن يبشّراه بالجنّة عند الموت، يعني محمّداً وعليّاً عليهما السلام[٦].

الفضيل بن يسار، عن الباقرين عليهما السلام قالا: حرام على روح أنَّ تفارق جسدها حتّى ترى محمّداً وعليّاً وحسناً وحسيناً بحيث تقرّ عينها[٧].

(١) المحاسن: ص١٧٨. البحار: ج٦ ص١٨٧ باب ٧، ح٢٢.
(٢) صحيفة الرضا عليه السلام: البحار: ج٦ ص١٨٨ باب ٧، ح٢٥.
(٣) تفسير العياشي، البحار: ج٦ ص١٨٨، باب ٧، ح٢٦.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧. البحار: ج٦ ص١٨٨-١٨٩، باب ٧ ح٣١.
(٥) سورة يونس، الآية: ٦٤.
(٦) البحار: ج٦ ص١٩١ باب ٧ ح٣٦.
(٧) البحار: ج٤ ص١٩١ باب ٧ ح٣٧.

سئل الصادق عليه السلام عن الميّت: تدمع عينه عند الموت.

فقال عليه السلام: ذاك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله فيرى ما يسرّ[(١)].

عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: يحيى بن مساور: أخبرنا أبو خالد الواسطيّ، عن زيد بن عليّ، عن أبيه عليه السلام قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والّذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتّى تأكل من ثمار الجنّة أو من شجرة الزقّوم، وحين ترى ملك الموت تراني وترى عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، فإن كان يحبّنا.

قلت: يا ملك الموت ارفق به إنّه كان يحبّني ويحبّ أهل بيتي، وإن كان يبغضنا.

قلت: ياملك الموت: شدّد عليه إنّه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي[(٢)].

عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا عليّ: إنَّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[(٣)].

يا عليّ: إنّه لا يموت رجل يفتري على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حتّى يؤمن به قبل موته ويقول فيه الحقّ حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وإنّك على مثله لا يموت عدوّك حتّى يراك عند الموت فتكون عليه غيظاً وحزناً حتّى يقرَّ بالحقّ من أمرك ويقول فيك الحقّ، ويقرَّ بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وأمّا وليّك فإنّه يراك عند الموت فتكون له شفيعاً ومبشّراً وقرّة عين[(٤)].

عن محمّد بن عليّ عليه السلام قال: مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال: كيف تجدك؟

قال: لقيت الموت بعدك - يريد ما لقيه من شدّة مرضه - فقال: كيف لقيته؟ قال: شديداً أليماً.

---

(١) البحار: ج٦ ص١٩١ باب ٧ ح٣٩.

(٢) البحار: ج٦ ص ١٩٤ باب ٧ ح٤٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٤) تفسير فرات بن إبراهيم ص٣٤. البحار: ج٦ ص١٩٤ باب ٧ ح٤٤.

قال: ما لقيته إنّما لقيت ما يبدؤك به ويعرّفك بعض حاله؛ إنّما الناس رجلان: مستريح بالموت، ومستراح منه، فجدّد الإيمان بالله وبالولاية تكن مستريحاً، ففعل الرجل ذلك ثمَّ قال: يابن رسول الله هذه ملائكة ربّي بالتحيّات والتحف يسلّمون عليك وهم قيام بين يديك فأذن لهم في الجلوس.

فقال الرضا عليه السلام: اجلسوا ملائكة ربّي، ثمَّ قال للمريض: سلهم أُمروا بالقيام بحضرتي؟

فقال المريض: سألتهم فذكروا أنّه لو حضرك كلّ من خلقه الله من ملائكته لقاموا لك ولم يجلسوا حتّى تأذن لهم، هكذا أمرهم الله عزّ وجلّ، ثمَّ غمّض الرجل عينيه وقال: السلام عليك يابن رسول الله هذا شخصك ماثل لي مع أشخاص محمّد ومن بعده الأئمّة عليهم السلام، وقضى الرجل(١).

عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من أحد يحضره الموت إلاّ وكلّ به إبليس من شياطينه من يأمره(٢) بالكفر ويشكّكه في دينه حتّى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدّر عليه؛ فإذا حضرتم موتاكم فلقّنوهم شهادة أنَّ لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يموت(٣).

عن سالم بن أبي سلمة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حضر رجلاً الموت فقيل: يا رسول الله إنَّ فلاناً قد حضره الموت، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه ناس من أصحابه حتّى أتاه وهو مغمى عليه.

قال: فقال: ياملك الموت كفّ عن الرجل حتّى أسأله، فأفاق الرجل فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما رأيت؟

قال: رأيت بياضاً كثيراً وسواداً كثيراً.

فقال: فأيّهما كان أقرب إليك؟

---

(١) البحار: ج٦ ص١٩٤-١٩٥. باب ٧ ح٤٥.
(٢) في المصدر: من شيطانه أن يأمره الخ. م.
(٣) فروع الكافي: ج١ ص٣٤. البحار: ج٦ ص١٩٥ باب ٧ ح٤٧.

فقال: السواد.

فقال النبيّ ﷺ: قل: اللّهمّ اغفر لي الكثير من معاصيك، واقبل منّي اليسير من طاعتك.

فقال: ثمَّ أُغمي عليه.

فقال: ياملك الموت خفّف عنه ساعةً حتّى أسأله[١]، فأفاق الرجل: فقال: ما رأيت؟

قال: رأيت بياضاً كثيراً وسواداً كثيراً.

قال: فأيّهما كان أقرب إليك؟

فقال، البياض.

فقال رسول الله ﷺ: غفر الله لصاحبكم.

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا حضرتم ميّتاً فقولوا له هذا الكلام ليقوله[٢].

عن سدير الصيرفيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟

قال: لا والله إنّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: ياوليّ الله لا تجزع، فو الّذي بعث محمّداً ﷺ لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر.

قال: ويمثّل له رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذرّيّتهم عليهم السلام فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة رفقاؤك.

قال: فيفتح عينيه فينظر فينادي روحه مناد من قبل ربّ العزّة فيقول: يا أيّتها النفس المطمئنّة إلى محمّد وأهل بيته ارجعي إلى ربّك راضيةً بالولايه، مرضيّةً بالثواب، فادخلي في عبادي - يعني محمّد او أهل بيته - وادخلي جنّتي، فما من شيء أحبّ إليه من استلال روحه واللّحوق بالمنادي[٣].

---

(١) في المصدر: خفف عنه حتى أسأله. م.

(٢) فروع الكافي: ج١ ص٣٥. البحار: ج٦ ص١٩٥-١٩٦. باب ٧ ح٤٨.

(٣) فروع الكافي: ج١ ص٣٥-٣٦. البحار: ج٦ ص١٩٦ باب ٧ ح٤٩.

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شاء الله، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عن يمينه، والآخر عن يساره، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، وأمّا ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه، ثمَّ يفتح له باب إلى الجنّة فيقول: هذا منزلك في الجنّة فإن شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهب وفضّة.

فيقول: لا حاجة في الدنيا، فعند ذلك يبيضُّ لونه، ويرشّح جبينه، وتتقلّص شفتاه، وتنتشر منخراه، وتدمع عينه اليسرى، فأيّ هذه العلامات رأيت فاكتف بها، فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما يعرض عليه وهي في الجسد فيختار الآخرة فيغسّله فيمن يغسّله، ويقلّبه فيمن يقلّبه، فإذا أُدرج في أكفانه ووضع على سريره خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً وتلقّاه أرواح المؤمنين يسلّمون عليه ويبشّرونه بما أعد الله له جلّ ثناؤه من النعيم، فإذا وضع في قبره ردّ إليه الروح إلى وركيه ثمَّ يسئل عمّا يعلم، فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الّذي أراه رسول الله صلى الله عليه وآله، فيدخل عليه من نورها وبردها وطيب ريحها.

قال: قلت: جعلت فداك فأين ضغطة القبر؟

فقال: هيهات ما على المؤمنين منها شيء، والله إنَّ هذه الأرض لتفتخر على هذه فتقول، وطئ على ظهري مؤمن ولم يطأ على ظهرك مؤمن.

وتقول له الأرض: لقد كنت أُحبّك وأنت تمشي على ظهري، فأمّا إذا ولّيتك فستعلم ما أصنع بك، فيفتح له مدّ بصره[١].

عن عباية الأسديّ أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: والله لا يبغضني عبدٌ أبداً يموت على بغضي إلاّ رآني عند موته حيث يكره، ولا يحبّني عبدٌ أبداً فيموت على حبّي إلاّ رآني عند موته حيث يحبّ.

فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم، ورسول الله صلى الله عليه وآله باليمين[٢].

عن ابن أبي يعفور قال: كان خطّاب الجهنّي خليطاً لنا، وكان شديد النصب

(١) فروع الكافي: ج١ ص٣٦. البحار: ج٦ ص١٩٧ باب ٧ ح٥٠.
(٢) فروع الكافي: ج١ ص٣٧. البحار: ج٦ ص١٩٩ باب ٧ ح٥٢.

لآل محمّد ﷺ، وكان يصحب نجدة الحروريّ قال: فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقيّة، فإذا هو مغمى عليه في حدّ الموت، فسمعته يقول: مالي ولك يا عليّ؟ فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: رآه وربِّ الكعبة، رآه وربِّ الكعبة، رآه وربِّ الكعبة[1] [2].

وقال البرسيّ في مشارق الأنوار: روى المفيد بإسناده عن أُم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ إنّ محبّيك يفرحون في ثلاثة مواطن عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وعند المساءلة في القبور وأنت هناك تلقّنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرّفهم.

حضور النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام عند الموت:

اعلم أنَّ حضور النبيّ ﷺ والأئمّة صلوات الله عليهم عند الموت ممّا قد وردّ به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخبار، وأمّا نحو حضورهم وكيفيّته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليهم السلام، وما يقال: من أنّ هذا خلاف الحسّ والعقل:

أمّا الأوّل: فلأنّا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً.

وأمّا الثاني: فلأنّه يمكن أنَّ يتّفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعدّدة. فيمكن الجواب عن الأوّل بوجوه:

الأوّل: أنَّ الله تعالى قادرٌ على أنَّ يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة، كما وردّ في أخبار الخاصّة والعامّة في تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[3] أنّ الله تعالى أخفى شخص النبيّ ﷺ عن أعدائه

---

(١) ذكرت هذه الجملة في المصدر مرتين. م.

(٢) فروع الكافي: ج١ ص٣٧. البحار: ج ص١٩٩-٢٠٠ باب ٧ ح٥٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.

مع أنّ أولياءه كانوا يرونه، وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وقد مرّ فيما نقلنا من تفسير العسكريّ عليه السلام التصريح بهذا الوجه.

الثاني: أنّه يمكن أنَّ يكون حضورهم بجسد مثاليّ لطيف لا يراه غير المحتضر، كحضور ملك الموت وأعوانه، وسيأتي الأخبار في سائر الموتى أنّ أرواحهم في البرزخ تتعلّق بأجساد مثاليّة، وأمّا الحيّ من الأئمّة عليهم السلام فلا يبعد تصرّف روحه لقوّته في جسد مثاليّ أيضاً.

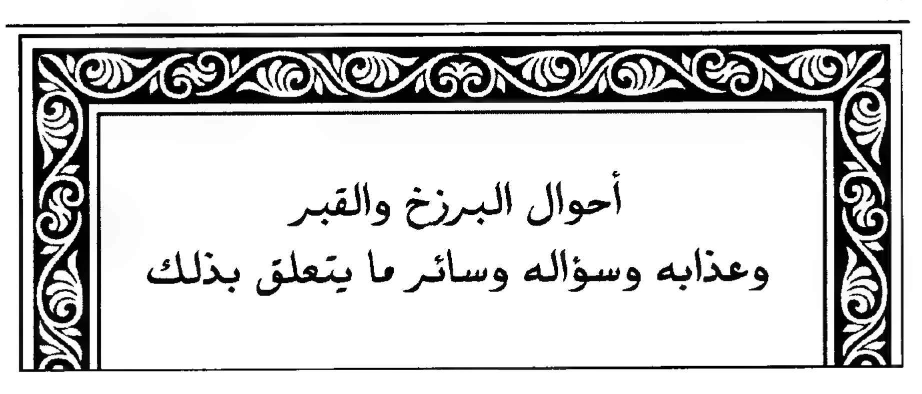
الثالث: أنّه يمكن أنَّ يخلق الله تعالى لكلّ منهم مثالاً بصورته وهذه الأمثلة يكلّمون الموتى ويبشّرونهم من قبلهم عليه السلام كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل.

الرابع: أنّه يمكن أن يرتسم صورهم في الحسّ المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلّم معهم كما في المبرسم.

الخامس: ما ذكره السيّد المرتضى رضي الله عنه وهو أنّ المعنى أنّه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم لأنّ المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنّه من أهل الجنّة وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنّه من أهل النار، فيكون حضورهم وتكلّمهم استعارة تمثيليّة، ولا يخفى أنّ الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار، بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار، وطعن في الآثار. وأمّا الجواب عن الوجه الثاني فبأنّه إنّما يتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتّفاق، ومحض الإمكان لا يكفي في ذلك، مع أنّه إذا قلنا بأنّ حضورهم في الأجساد المثاليّة يمكن أنَّ يكون لهم أجساد مثاليّة كثيرة لمّا جعل الله لهم من القدرة الكاملة الّتي بها امتازوا عن سائر البشر؛ وفي الوجوه الثلاثة الأخيرة على تقدير صحّتها اندفاع هذا الإيراد ظاهر، والأحوط والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها، وعدم التعرّض لخصوصيّاتها وتفاصيلها وإحالة علمها إلى العالم عليه السلام [1].

---

(١) البحار: ج٦ ص٢٠٠-٢٠١، باب ٧، ح٥٦.



أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله وسائر ما يتعلق بذلك

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

قال الطبرسيّ رحمه الله: قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ فيه أقوال:

أحدها - وهو الصحيح -: أنّهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وقتادة، وإليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، واختاره الجبائيّ الرمّاني وجميع المفسّرين.

الثاني: أنّ المشركين كانوا يقولون: أصحاب محمّد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب، ثمّ يموتون فيذهبون؛ فأعلمهم الله أنّه ليس الأمر على ما قالوه وأنّهم سيحيون يوم القيامة ويثابون، عن البلخيّ، ولم يذكر ذلك غيره.

والثالث: معناه: لا تقولوا: هم أموات في الدين بل هم أحياء بالطاعة والهدى، ومثله قوله سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ فجعل الضلال موتاً والهداية حياةً؛ عن الأصمّ.

والرابع: أنّ المراد أنّهم أحياءٌ لمّا نالوا من جميل الذكر والثناء، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: هلك خزّان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة. والمعتمد هو القول الأوّل لأنّ عليه إجماع المفسّرين، ولأنّ الخطّاب للمؤمنين وكانوا يعلمون أنّ الشهداء على الحقّ والهدى وأنّهم ينشرون ويحيون يوم القيامة، فلا يجوز أنّ يقال لهم: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ من حيث إنّهم كانوا يشعرون بذلك ويقرّون به، ولأنّ حمله على

ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر، ولو كانوا أيضاً أحياءاً بما حصل لهم من جميل الثناء لمّا قيل أيضاً: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ لأنّهم كانوا يشعرون بذلك، ووجه تخصيص الشهداء بكونهم أحياءاً - وإن كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون أحياءاً في البرزخ - أنّه على جهة البشارة بذكر حالهم ثمّ البيان لمّا يختصّون به من أنّهم يرزقون كما في الآية الأُخرى؛ فإن قيل: فنحن نرى جثث الشهداء مطروحةً على الأرض لا يتصرَّف ولا يرى فيها شيء من علامات الأحياء! فالجواب - على مذهب من يقول بأنّ الإنسان هو الروح من أصحابنا - أنّ الله تعالى جعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدنيا يتنعّمون فيها دون أجسامهم الّتي في القبور فإنّ النعيم والعذاب إنّما يصل عنده إلى النفس الّتي هي الإنسان المكلّف عنده، دون الجثّة ويؤيّده كثير من الأخبار.

وأمّا على مذهب من قال من أصحابنا إنّ الإنسان هذه الجثّة المشاهدة وأنَّ الروح هو النفس المتردّد في مخارق الحيوان وهو أجزاء الجوّ فيقول: إنّه يلطف أجزاء من الإنسان لا يمكن أن يكون الحيّ حيّاً بأقلّ منها، يوصل إليها النعيم، وإن لم تكن تلك الجملة بكمالها لأنّه لا معتبر بالأطراف وأجزاء السمن في كون الحيّ حيّاً فإنَّ الحيّ لا يخرج بمفارقتها من كونه حيّاً، وربما قيل: بأنّ الجثّة يجوز أنَّ تكون مطروحةً في الصورة ولا يكون ميّتاً فيصل إليها اللّذات، كما أنّ النائم حيّ وتصل إليه اللّذات مع أنّه لا يحسّ ولا يشعر بشيء من ذلك، فيرى في النوم ما يحدثه السرور والالتذاذ، حتّى أنّه يودّ أن يطول نومه ولا ينتبه، وقد جاء في الحديث(١): أنّه يفسح له مدّ بصره ويقال له: نم نومة العروس.

وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أي لا تعلمون أنّهم أحياء، وفي هذه الآية دلالة على صحّة مذهبنا في سؤال القبر وإثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الأخبار، وإنّما حمل البلخيّ الآية على حياة الحشر لإنكاره عذاب القبر. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

وقال الرازيّ في تفسير تلك الآية بعد نقل ما ذكره الطبرسيّ رحمه الله من الأقوال

---

(١) البحار: ج ٦ ص ٢٠٤.

الأربعة واختيار القول الأوّل: وهذا قول أكثر المفسّرين، وهذا دليل على أنّ المطيعين يصل ثوابهم إليهم وهم في القبر؛ فإن قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه؟

قلنا: أمّا عندنا فالبنية ليست شرطاً في الحياة، ولا امتناع في أنّ الله تعالى يعيد الحياة إلى كلّ واحد من تلك الذرّات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلى التركيب والتأليف وأمّا عند المعتزلة فلا يبعد أنَّ يعيد الله الحياة إلى الأجزاء الّتي لا بدّ منها في مائيّة الحياة بغير الأطراف، ويحتمل أنَّ يحييهم إذا لم يشاهدوا. ثمّ قال: وأكثر العلماء على ترجيح هذا القول، ويدلّ عليه وجوه:

أحدها: أنّ الآيات الدالّة على عذاب القبر كثيرةٌ كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾[1] والموتان لا يحصلان إلاّ عند حصول الحياة في القبر.

وقال تعالى: ﴿أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾[2] والفاء للتعقيب.

وقال: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[3] وإذا ثبت عذاب القبر وجب القول بثواب القبر أيضاً لأنّ العذاب حقّ الله تعالى على العبد، والثواب حقّ العبد على الله تعالى، فإسقاط العذاب أحسن من إسقاط الثواب، فحيث ما أسقط العقاب إلى القيامة بل حقّقه في القبر كان ذلك في الثواب أولى.

وثانيها: أنّ المعنى لو كان على ما قيل في سائر الأقوال لم يكن لقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ معنى، لأنّ الخطّاب للمؤمنين وقد كانوا يعلمون أنّهم سيحيون يوم القيامة، وأنّهم ماتوا على هدى ونور.

وثالثها: أنّ قوله: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم﴾ دليل على حصول الحياة في البرزخ مثل المبعث.

ورابعها: قوله ﷺ: القبر روضةٌ من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران

---

(١) سورة المؤمن، الآية: ١١.
(٢) سورة نوح، الآية: ٢٥.
(٣) سورة المؤمن، الآية: ٤٦.

والأخبار في ثواب القبر وعذابه كالمتواترة، وكان ﷺ يقول في آخر صلاته: وأعوذ بك من عذاب القبر.

وخامسها: لو كان المراد بقوله: «إنهم أحياء» أنهم سيحيون فحينئذ لا يبقى لتخصيصهم بهذا فائدة.

وسادسها: أنّ الناس يزورون قبور الشهداء ويعظّمونها وذلك يدلّ من بعض الوجوه على ما ذكرناه. واعلم أنّ في الآية قولاً آخر وهو أنّ ثواب القبر وعذابه للروح لا للقالب، وهذا القول مبنيّ على معرفة الروح، ولنشر إلى حاصل قول هؤلاء، فنقول: إنّهم قالوا: إنّه لا يجوز أن يكون الإنسان عبارة عن هذا الهيكل المخصوص لوجهين: **الأوّل**: أنّ أجزاء هذا الهيكل أبداً في النموّ والذبول والزيادة والنقصان والاستكمال والذوبان[1]، ولا شكّ أنّ الإنسان من حيث هو هو باق من أوّل عمره إلى آخره، والباقي غير ما هو غير باق، فالمشار إليه عند كلّ أحد بقوله: ﴿أَنَا﴾ وجب أن يكون مغايراً لهذا الهيكل.

الثاني: أنّي أكون عالماً بأنّي ﴿أَنَا﴾ حال ما أكون غافلاً عن هذه الأعضاء الظاهرة فما دلّ عليه قولنا: ﴿أَنَا﴾ مغايرٌ لهذه الأعضاء والأبعاض، ثمّ اختلفوا عند ذلك في أنَّ الّذي يشير إليه كلّ أحد بقوله: ﴿أَنَا﴾ أيّ شيء هو؟ والأقوال فيها كثيرة، إلاّ أن أشدّها تحصيلاً وجهان: **أحدهما**: أنّها أجزاء جسمانيّة ساريةٌ في هذا الهيكل سريان النار في الفحم، والدهن في السمسم، وماء الورد في الورد، والقائلون بهذا القول فريقان: **أحدهما**: الّذين اعتقدوا تماثل الأجسام فقالوا: إنّ تلك الأجسام متماثلة لسائر الأجزاء الّتي منها يؤلّف هذا الهيكل، إلاّ أنّ القادر المختار سبحانه يبقي بعض الأجزاء من أوّل العمر إلى آخره فتلك الأجزاء هي الّتي يشير إليها كلّ أحد بأنا، ثمّ إنّ تلك الأجزاء حيّة بحياة يخلقها الله فيها، فإذا أزال الحياة عنها ماتت، وهذا قول أكثر المتكلّمين.

وثانيهما: أنّ الّذين اعتقدوا اختلاف الأجسام زعموا أنّ الأجسام الّتي هي باقيةٌ من أوّل العمر إلى آخره أجسامٌ مخالفةٌ بالماهيّة للأجسام الّتي منها ائتلف

هذا الهيكل وتلك الأجسام حيّة لذاتها، مدركة لذاتها، نورانيّة لذاتها؛ فإذا خالطت هذا البدن وصارت ساريةً في هذا الهيكل سريان النار في الفحم صار هذا الهيكل مستنيراً بنور ذلك الروح، متحرّكاً بتحريكه، ثمّ إن هذا الهيكل أبداً في الذوبان والتحليل إلاّ أنّ تلك الأجزاء باقيةٌ بحالها، وإنّما لا يعرض لها التحليل لأنّها مخالفةٌ بالماهيّة لهذه الأجسام، فإذا فسد هذا القالب انفصلت تلك الأجسام اللّطيفة النورانيّة إلى عالم السماوات والقدس والطهارة إن كانت من جملة السعداء، أو إلى الجحيم وعالم الآفات إن كانت من جملة الأشقياء.

والقول الثاني: إنّ الّذي يشير إليه كلّ أحد بقوله: ﴿أَنَا﴾ موجودٌ ليس بمتحيّز ولا قائم بالمتحيّز، وإنّه ليس داخل العالم ولا خارجاً عنه، ولا يلزم من كونه كذلك أن يكون مثلاً لله تعالى لأنّ الاشتراك في السلوب لا يوجب الاشتراك في الماهيّة، وقالوا: هذه الأرواح بعد مفارقة الأبدان تتألّم وتلتذّ إلى أن يردّها الله تعالى إلى الأبدان يوم القيامة، فهناك يحصل الالتذاذ والتألّم للأبدان، فهذا قولٌ قال به عالم من الناس، قالوا: وإن لم يقم عليه برهان قاهر على القول به ولكن لم يقم دليل على فساده، وأنّه ممّا يزيل الشكوك والشبهات عمّا ورد في كتاب الله من ثواب القبر وعقابه فوجب المصير إليه فهذا هو الإنسان في توجيه هذا القول. (البحار ج ٦ ص ٢٠٤ - ٢٠٧).

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

قال الرازيّ في تفسير آية آل عمران بعد اختيار القول الأوّل فيها أيضاً: يحتمل أنَّ يكون الروح جسماً مخصوصاً سارياً في هذه الجثّة سريان النار في الفحم، ويحتمل أن يكون جوهراً قائماً بنفسه، ليس بجسم ولا حالّ في الجسم، وعلى

كلا المذهبين فإنّه لا يبعد أنّه لمّا مات البدن انفصل ذلك الشئ حيّاً، وإن قلنا أماته الله إلاّ أنّه تعالى يعيد الحياة إليه، وعلى هذا التقدير تزول الشبهات بالكلّيّة عن ثواب القبر كما في هذه الآية، وعن عذابه كما في قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ فثبت أنّه لا امتناع في ذلك، وظاهر الآية دالّة عليه، فوجب المصير إليه، والّذي يؤكّد ما قلناه القرآن والحديث والعقل، أمّا القرآن فآيات:

إحداها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾[1] الآية، ولا شكّ أنّ المرد بقوله: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ بالموت، ثمّ قال: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ «وفاء التعقيب يدلّ على أنّ حصول هذه الحالة يكون عقيب الموت.

وثانيها: قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2] وهذا عبارة عن موت البدن؛ ثمّ قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾[3] فقوله ﴿رُدُّوا﴾ ضمير عنهم، وإنّما هوهو بحياته وذاته المخصوصة، فدلّ على أنّ ذلك باق بعد موت البدن.

وثالثها: قوله: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[4] وفاء التعقيب يدلّ على أنّ قيامة كلّ أحد حاصلة بعد موته، وأمّا قيامته الكبرى فهي حاصلة في الوقت المعلوم عند الله.

وأيضاً روي أنّه ﷺ يوم بدر كان ينادي المقتولين ويقول: هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟

فقيل: يارسول الله إنّهم أموات فكيف تناديهم؟

فقال ﷺ: إنّهم أسمع منكم؛ وأيضاً قال ﷺ: أنبياء الله لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار[5].

---

(١) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.
(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨، ٨٩.
(٥) البحار: ج ٦ ص ٢٠٧.

وأمّا المعقول فمن وجوه:

الأوّل: أنّ وقت النوم يضعف البدن وضعفه لا يقتضي ضعف النفس، بل النفس تقوى عند النوم فتشاهد الأحوال وتطّلع على المغيبات، فهذا يقوي الظنّ في أنّ موت البدن لا يستعقب موت النفس.

الثاني: أنّ كثرة الأفكار سبب لجفاف الدماغ، وجفافه مؤدّ إلى الموت، وهذه الأفكار سبب لاستكمال النفس بالمعارف الإلهيّة، وهو غاية كمال النفس، فما هو سبب لكمال النفس فهو سبب لنقصان البدن، فهذا يقوي الظنّ في أنّ النفس لا تموت بموت البدن.

الثالث: أنّ أحوال النفس على ضدّ أحوال البدن، وذلك لأنّ النفس إنّما تفرح وتبتهج بالمعارف الإلهيّة، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١) وقال ﷺ: «أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني». ولا شكّ أنَّ ذلك الشراب ليس إلاّ عبارة عن المعرفة والمحبّة والاستنارة بأنوار عالم الغيب.

وأيضاً فإنّا نرى أنَّ الإنسان إذا غلب عليه الاستبشار بخدمة سلطان أو الفوز بمنصب أو بالوصول إلى معشوق قد ينسى الطعام والشراب.

وبالجملة فالسعادات النفسانيّة كالمضادّات للسعادات الجسمانيّة، وكلّ ذلك يغلب على الظنّ أنَّ النفس مستقلّة بذاتها ولا تعلّق لها بالبدن ومتى كان كذلك وجب أنَّ لا تموت النفس بموت البدن.

وأمّا قوله تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ فاعلم أنَّ المتكلّمين قالوا: الثواب منفعةٌ خالصةٌ، دائمةٌ، مقرونةٌ بالتعظيم، فقوله: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ إشارة إلى المنفعة، وقوله: ﴿فَرِحِينَ﴾ إشارة إلى الفرح الحاصل بسبب ذلك التعظيم. وأمّا الحكماء فإنّهم قالوا: إذا أشرقت جواهر الأوراح القدسيّة بالأنوار الألهيّة كانت مبتهجةً من وجهين

أحدهما: بكون ذواتها مستنيرةً، مشرنةً، متلألئة بتلك المعارف الإلهيّة.

والثاني: بكونها ناظرةً إلى ينبوع النور ومصدر الرحمة والجلالة.

قالوا: وابتهاجها بهذا القسم الثاني أتمّ من ابتهاجها بالأوّل.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

فقوله: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ إشارة إلى الدرجة الأولى، وقوله: ﴿فَرِحِينَ﴾ إلى الدرجة الثانية، ولذا قال: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يعني فرحهم ليس بالرزق، بل بإيتاء الرزق، لأنَّ المشغول بالرزق مشغول بنفسه، والناظر إلى إيتاء الرزق مشغول بالرازق، ومن طلب الرزق لغيره فهو محجوب. انتهى[1].

وقال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله في تفسير تلك الآية: قول ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أنّهم بحيث لا يملك أحد لهم نفعاً ولا ضرّاً إلاّ ربّهم، وليس المراد في ذلك قرب المسافة لأنّه مستحيل عليه سبحانه، والآخر أنّهم عند ربّهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس.

وروي عن ابن عبّاس وابن مسعود وجابر أنَّ النبيّ ﷺ قال: لمّا أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في حواصل طيور خضر ترد أنهار الجنّة وتأكل من ثمارها.

وروي عنه ﷺ أنّه قال لجعفر بن أبي طالب - وقد استشهد في غزاة موتة -: رأيته له جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنّة.

وأنكر بعضهم حديث الأرواح وقال: إنَّ الروح عرضٌ لا يجوز أن يتنعّم، وهذا لا يجوز، لأنَّ الروح جسم رقيق هوائيّ مأخوذ من الريح، ويدلّ على ذلك أنّه يخرج من البدن ويرد عليه وهي الحسّاسة الفعّالة، دون البدن، وليست من الحياة في شيء لأنَّ ضدّه الحياة الموت، وليس كذلك الروح وهذا قول عليّ بن عيسى. ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من نعيم الجنّة غدوّاً وعشيّاً. وقيل: يرزقون النعيم في قبورهم[2].

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي مسرورين بما أعطاهم الله من ضروب نعمه في الجنّة، وقيل: في قبورهم. وقيل: فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها.

﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أي يسرّون بإخوانهم الّذين فارقوهم

(١) البحار: ج ٦ ص ٢٠٧ - ٢٠٨.
(٢) البحار: ج ٦ ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من الإيمان والجهاد، لعلمهم بأنّهم إذا استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله تعالى إلى مثل ما صاروا إليه، يقولون: إخواننا يقتلون كما قتلنا؛ فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا.

وقيل: إنّه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدّم عليه من إخوانه فيسرّ بذلك ويستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا.

وقيل: معناه: لم يلحقوا بهم في الفضل إلاّ أنَّ لهم فضلاً عظيماً بتصديقهم وإيمانهم.

﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي يستبشرون بأن لا خوف عليهم، وذلك لأنه بدلٌ من قوله: ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ لأنَّ الّذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن، والاستبشار هنا إنّما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاّحقين، ومعناه: لا خوف عليهم فيمن خلّفوه من ذرّيّتهم لأنّ الله تعالى يتوّلاهم.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلّفوا من أموالهم لأنَّ الله قد أجزل لهم ما عوّضهم.

وقيل: معناه: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لأنَّ الله تعالى محّص ذنوبهم بالشهادة؛ ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يعني هؤلاء الّذين قتلوا في سبيل.

﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ الفضل والنعمة عبارتان يعبّر بهما عن معنى واحد. وقيل: النعمة: ما استحقّوه بطاعتهم، والفضل: ما زادهم سبحانه من المضاعفة.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يثبّتهم في كرامته وثوابه بقولهم الثابت الّذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان، لأنّه ثابت بالحجج والأدلّة.

وقيل: معناه: يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتّى لا يزلّوا ولا يضلّوا عن طريق الحقّ، ويثبّتهم بها في الآخرة حتّى لا يزلّوا ولا يضلّوا عن طريق الجنّة.

وقيل: معناه: يثبّتهم بالتمكين في الأرض والنصرة والفتح في الدنيا، وبإسكانهم الجنّة في الآخرة.

وقال أكثر المفسّرين أنَّ المراد بقوله: ﴿فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ في القبر والآية وردت في سؤال القبر، وهو قول ابن عبّاس وابن مسعود، وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

[المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يعني أنَّ هؤلاء الكفّار إذا أشرفوا على الموت سألوا الله تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف، فيقول أحدهم: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ وفي معناه قولان:

أحدهما: أنّهم استغاثوا أوّلاً بالله ثمَّ رجعوا إلى مسألة الملائكة فقال لهم: ارجعوني، أي ردّوني إلى الدنيا.

والآخر: أنّه على عادة العرب في تعظيم المخاطب ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾ أي في تركتي، أو في دنياي، فإنّه ترك الدنيا وصار إلى الآخرة، أو فيما ضيّعت وفرّطت أي في صلاتي وصيامي وطاعاتي؛ ثمَّ قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم: ﴿كَلَّآ﴾ أي لا يرجع إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا﴾ أي مسألة الرجعة ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك، أو كلمة يقولها بلسانه وليس لها حقيقة، مثل قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[1].

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي ومن بين أيديهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ أي حاجز بين الموت والبعث في القيامة من القبور وقيل: حاجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وهم فيه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وقيل: البرزخ: الإمهال إلى يوم القيامة وهو القبر، وكلّ فصل بين شيئين فهو برزخ(١).

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: اختلف في معناه على وجوه:

أحدها: أنَّ الإماتة الأُولى في الدنيا بعد الحياة، والثانية في القبر قبل البعث، والإحياء الأولى في القبر للمسألة، والثانية في الحشر، عن السدّيّ وهو اختيار البلخيّ.

وثانيها: أنَّ الإماتة الأُولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله في الدنيا، ثمَّ أماتهم الموتة الثانية، ثمَّ أحياهم للبعث، فهاتان حياتان ومماتان.

وثالثها: أنّ الحياة الأُولى في الدنيا، والثانية في القبر، ولم يرد الحياة يوم القيامة؛ والموتة الأُولى في الدنيا، والثانية في القبر انتهى(٢).

اختار الرازيّ في تفسيره الوجه الأوّل، ثمَّ ذكر عليه وجوهاً من الاعتراض وأجاب عنها ولا نطيل الكلام بذكرها.

وقال الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه: اشتهر الاحتجاج في الكتب الكلاميّة في إثبات عذاب القبر بقوله تعالى: - حكايةً عن الكفّار - ﴿ربنا أمتنا اثنتين﴾ الآية، وتقريره أنّه سبحانه حكى عنهم على وجه يشعر بتصديق الاعتراف بإماتتين

---

(١) البحار: ج ٦ ص ٢٠٩ - ٢١١.
(٢) البحار: ج ٦ ص ٢٠٩ - ٢١١.

إحيائين، فإحدى الإماتتين في الدنيا، والأُخرى في القبر بعد السؤال، وأحد الإحيائين فيه للسؤال، والآخر في القيامة.

وأمّا الإحياء في الدنيا فإنّما سكتوا لأنّ غرضهم الإحياء الّذي عرفوا فيه قدرة الله سبحانه على البعث، ولهذا قالوا: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ أي بالذنوب الّتي حصلت بسبب إنكار الحشر.

والإحياء في الدنيا لم يكونوا فيه معترفين بذنوبهم.

قال المحقّق الشريف في شرح المواقف: إنّ تفسير هذه الآية على هذا الوجه هو الشائع المستفيض بين المفسّرين؛ ثمّ قال: وأمّا حمل الإماتة الأُولى على خلقهم أمواتاً في أطوار النطفة، وحمل الإماتة الثانية على الإماتة الطارية على الحياة، وحمل الاحيائين على الإحياء في الدنيا والحشر فقد ردّ بأنّ الإماتة إنّما تكون بعد سابقة الحياة، ولا حياة في أطوار النطفة، وبأنّه قول شذّاد من المفسّرين، والمعتمد هو قول الأكثرين. انتهى كلامه[1].

فقد جعل التفسير بالوجه الأوّل مستفيضاً، وبالوجه الثاني شاذّاً، ويخطر بالبال أنّ الأمر بالعكس فإنّ الشائع المستفيض بين المفسّرين هو ما جعله شاذّاً، والشاذّ النادر هو ما جعله مستفيضاً، ولعلّ هذا من سهو قلمه، فإنّ التفاسير المشهورة الّتي عليها المدار في هذه الأعصار هي الكشّاف، ومفاتح الغيب، ومعالم التنزيل، ومجمع البيان، وجوامع الجامع، وتفسير النيشابوريّ، وتفسير البيضاويّ، ولم يختر أحدٌ من هؤلاء تفسير الآية بالوجه الأوّل، بل أكثرهم إنّما اختاروا التفسير الثاني.

وأمّا التفسير الأوّل فبعضهم نقله ثمَّ زيّفه وبعضهم اقتصر على مجرّد نقله من غير ترجيح؛ فلو كان هو الشائع المستفيض كما زعمه السيّد المحقّق لمّا كان الحال على هذا المنوال.

قال في الكشّاف: أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أوّلاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحيائين الإحياء الأُولى، وإحياء البعث.

---

(١) البحار: ج ٦ ص ٢١١ - ٢١٢.

ثمّ قال بعد ذلك: فإن قلت: كيف صحّ أن يسمّى خلقهم أمواتاً إماتةً؟

قلت: كما صحّ أن تقول: سبحان من صغّر جسم البعوضة وكبّر جسم الفيل، وقولك للحفّار: ضيّق فم الركيّة ووسّع أسفلها، وليس ثمّ نقل من كبر إلى صغر، ولا من صغر إلى كبر، ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق، وإنّما أردت الإنشاء على تلك الصفات، والسبب في صحّته أن الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكّن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه عنه كنقله منه، ومن جعل الإماتتين الّتي بعد حياة الدنيا، والّتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءآت وهو خلاف ما في القرآن، إلاّ أن يتمحّل فيجعل إحداها غير معتدّ بها، أو يزعم أنّ الله يحييهم في القبور وتستمرّ بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدّهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

فإن قلت: كيف تسبّب هذا لقوله: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾؟

قلت: قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأنّ من لم يخش العاقبة تخرّق في المعاصي، فلمّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكرّرا عليهم علموا بأنّ الله تعالى قادرٌ على الإعادة قدرته على الإنشاء، فاعترفوا بذنوبهم الّتي اقترفوها من إنكار البعث، وما تبعه من معاصيهم. انتهى كلامه[1].

وقال الشيخ أمين الإسلام في جوامع الجامع: أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أوّلاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم؛ وبالإحيائين الإحياء الأُولى، وإحياء البعث.

وقيل: الإماتتان هما الّتي في الدنيا بعد الحياة، والّتي في القبر قبل البعث، والإحياءان هما الّتي في القبر للمساءلة، والّتي في البعث انتهى. وفي كلام هذين الفاضلين كفاية والله الموفّق.

ثمَّ قال رحمه الله: وعساك تقول: إنّ تفسير الآية على ما هو الشائع المستفيض كما

---

(١) البحار: ج ٦ ص ٢١٢ - ٢١٣.

ذكرته يقتضي سكوت الكفّار عن الإحياء والإماتة الواقعين في القبر، فما السبب في سكوتهم عنهما؟

فنقول: إنَّ الحياة في القبر حياةٌ برزخيّةٌ ناقصةٍ، ليس معها من آثار الحياة سوى الإحساس بالألم أو اللّذّة، حتّى أنّه قد توقّف بعض الأُمّة في عود الروح إلى الميّت، فلذلك لم يعتدّوا بها في جنب الحياتين الأُخريين.

قال في شرح المقاصد: اتّفق أهل الحقّ على أنّه تعالى يعيد إلى الميّت في القبر نوع حياة قدر ما يتألّم ويلتذّ، لكن توقّفوا في أنّه هل يعاد الروح إليه أم لا؟ وما يتوهّم من امتناع الحياة بدون الروح ممنوع، وإنّما ذلك في الحياة الكاملة الّتي تكون معها القدرة والأفعال الاختياريّة. انتهى كلامه. والحقّ أنّ الروح يتعلّق به وإلاّ لما قدر على إجابة الملكين، ولكنّه تعلّقٌ ضعيفٌ، كما يشعر به ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث طويل: فيدخل عليه ملكا القبر: منكر ونكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه، الحديث. وقد يستبعد تعلّق الروح بمن أكلته السباع، أو أُحرق وتفرّقت أجزاؤه يميناً وشمالاً، ولا استبعاد فيه نظراً إلى قدرة الله سبحانه على حفظ أجزائه الأصليّة عن التفرّق، أو جمعها بعده، وتعلّق الروح بها تعلّقاً ما، وقد روي عن أئمّتنا عليهم السلام ما يدلّ على أنّ الأجزاء الأصليّة محفوظةٌ إلى يوم القيامة. انتهى كلامه ضاعف الله إكرامه[1].

عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هم والله شيعتنا، إذا دخلوا الجنّة واستقبلوا الكرامة من الله استبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من المؤمنين في الدنيا ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهو ردّ على من يبطل الثواب والعقاب بعد الموت[2].

تفسير القمي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ فإنّها نزلت في مانع الزكاة قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

قال: البرزخ هو أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، وهو

---

(١) البحار: ج ٦ ص ٢١٣ - ٢١٤.
(٢) تفسير علي إبراهيم، ص١٥٥. البحار: ج ص٢١٤، باب ٨ ح١.

ردّ على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل يوم القيامة، وهو قول الصادق عليه السلام: والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ، فأمّا إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم[١].

عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت الميّت إذا مات لم تجعل معه الجريدة؟

قال: يتجافى عنه العذاب والحساب ما دام العود رطباً.

قال: والعذاب كلّه في يوم واحد، في ساعة واحدة، قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم، وإنّما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما إن شاء الله[٢].

ابن أبي البلاد، عن أبيه، عن بعض أصحابه يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لبعض أصحابه: كيف أنت إذا أتاك فتّانا القبر؟

فقال: يارسول الله ما فتّانا القبر؟

قال: ملكان فظّان غليظان، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يطئان في أشعارهما، ويحفران بأنيابهما، فيسألانك.

قال: وأنا على مثل هذه الحال؟

قال: وأنت على مثل حالك هذه.

قال: إذن أكفيهما[٣].

في حديث الزنديق الّذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل أن قال: أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره؟

قال: يذهب فلا يعود.

قال: فما أنكرت أنَّ يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه إذا انطفأ؟

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم، ص٤٤٧-٤٤٩. البحار: ج ص٢١٤، باب ٨ ح٢.
(٢) فروع الكافي: ج١ ص٤٢. البحار: ج٦، ص ٢١٥، باب ٨ ح٣.
(٣) كتابي الحسين بن سعيد أو كتاب النوادر. البحار: ج٦، ص٢١٥-٢١٦، باب ٨ ح٥.

قال: لم تصب القياس إنّ النار في الأجسام كامنةٌ والأجسام قائمةٌ بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سطعت من بينهما نار تقتبس منها سراج له الضوء، فالنار ثابتةٌ في أجسامها والضوء ذاهب، والروح جسم رقيقٌ قد ألبس قالباً كثيفاً ليس بمنزلة السراج الّذي ذكرت؛ أنّ الّذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف، وركّب فيه ضروباً مختلفةً من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته ويعيده بعد فنائه، قال: فأين الروح؟

قال: في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث.

قال: فمن صلب أين روحه؟

قال: في كفّ الملك الّذي قبضها حتّى يودعها الأرض.

قال: أفيتلاشي الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟

قال: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حسّ ولا محسوس، ثمَّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعمائة سنّة تسبت فيها الخلق، وذلك بين النفختين[(١)].

قال أبو بصير: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا ماتت قام رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها، فرفع يده تلقاء السماء ودمعت عيناه، فقالوا له: يارسول الله إنّا قد رأيناك رفعت رأسك إلى السماء ودمعت عيناك.

فقال: إنّي سألت ربّي أن يهب لي رقيّة من ضمّة القبر[(٢)].

تفسير القمي: وأمّا الردّ على من أنكر الثواب والعقاب فقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[(٣)] فإذا قامت القيامة[(٤)] تبدّل السماوات والأرض.

---

(١) الإحتجاج: ص١٩١-١٩٢. البحار: ج٦ ص٢١٦-٢١٧، باب ٨ ح٨.

(٢) كتابي الحسين بن سعيد أو النوادر، البحار: ج٦ ص٢١٧، باب ٨ ح١٠.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١٠٥ - ١٠٧.

(٤) في المصدر: وأما قوله: «ما دامت السموات والأرض» إنما هو في الدنيا ما دامت السموات والأرض فإذا قامت اهـ. م.

وقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾[1] فأمّا الغدوّ والعشيّ إنّما يكونان في الدنيا في دار المشركين، وأمّا في القيامة فلا يكون غدوٌّ ولا عشيٌّ.

وقوله: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ يعني في جنان الدنيا الّتي ينقل إليها أرواح المؤمنين، فأمّا في جنّات الخلد فلا يكون غدوٌّ ولا عشيٌّ وقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[2].

فقال الصادق عليه السلام: البرزخ: القبر، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، والدليل على ذلك أيضاً قول العالم عليه السلام: والله ما يخاف عليكم إلاّ البرزخ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[3].

وقال الصادق عليه السلام: يستبشرون والله في الجنّة بمن لم يلحق بهم من خلفهم من المؤمنين في الدنيا، ومثله كثير ممّا هو ردّ على من أنكر عذاب القبر[4].

أمالي الصدوق: فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر: يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوامّ؛ والقبر روضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار.

إن العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، قد كنت ممّن أُحبّ أن تمشي على ظهري، فإذا ولّيتك[5] فستعلم كيف صنيعي بك؛ فيتّسع له مدّ البصر.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ - ١٧١.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ص١٨. البحار: ج٦ ص٢١٨، باب ٨ ح١٢.

(٥) إما من ولى فلاناً: دنا منه وقرب، أو من ولى يلي ولاية الشيء: قام به وملك أمره.

وإنّ الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً[(١)]، لقد كنت من أبغض من يمشي على ظهري فإذا ولّيتك فستعلم كيف صنيعي بك، فتضمّه حتّى تلتقي أضلاعه.

وإنّ المعيشة الضنك الّتي حذّر الله منها عدوّه عذاب القبر، إنّه يسلّط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنّيناً[(٢)] فينهشن لحمه، ويكسرن عظمه، يتردّدن عليه كذلك إلى يوم يبعث؛ لو أنّ تنّيناً منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعاً؛ يا عبّاد الله إنّ أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة الّتي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أنّ تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبّ الله واتركوا ما كره الله[(٣)].

عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أُتي رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: إنّ سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلمّا أن حنّط وكفّن وحمل على سريره تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله بلا حذاء ولا رداء، ثمّ كان يأخذ يمنة السرير مرّةً ويسرة السرير مرّة حتّى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لحّده وسوّى اللّبن عليه، وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رطباً، يسدّ به ما بين اللّبن، فلمّا أن فرغ

---

(١) كسكين حية عظيمة.

(٢) قوله عليه السلام: «تسعةً وتسعين تنّيناً» قال الشيخ البهائيّ رحمه الله: قال بعض أصحاب الحال: ولا ينبغي أن يتعجّب من التخصيص بهذا العدد، فلعلّ عدد هذه الحيّات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والريا والحسد والحقد وسائر الأخلاق والملكات الرديّة، فإنّها تنشعب وتتنوّع أنواعاً كثيرةً، وهي بعينها تنقلب حيّات في تلك النشأة. انتهى كلامه. ولبعض أصحاب الحديث في نكتة التخصيص بهذا العدد وجه ظاهريّ إقناعيّ، محصّله أنّه قد وردّ في الحديث أنّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنّة، ومعنى إحصائها الإذعان باتّصافه عزّ وعلا بكلّ منها، وروى الصادق عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ لله مائة رحمة، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنّ والإنس والبهائم، وأخر تسعة وتسعين رحمةً يرحم بها عباده، فتبيّن من الحديث الأوّل أنّه سبحانه بيّن لعباده معالم معرفته بهذه الأسماء التسعة والتسعين، ومن الحديث الثاني أنّ لهم عنده في النشأة الأُخرويّة تسعة وتسعين رحمة، وحيث إنّ الكافر لم يعرف الله سبحانه بشيء من تلك الأسماء جعل له في مقابل كلّ اسم رحمة تنّين ينهشه في قبره. هذا حاصل كلامه وهو كما ترى.

(٣) أمالي الصدوق: ١٨. البحار: ج٦، ص٢١٨-٢١٩. باب ٨ ح١٣.

وحثا التراب عليه وسوّى قبره قال رسول الله ﷺ: إنّي لأعلم أنّه سيبلى ويصل البلى إليه، ولكنّ الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً أحكمه، فلمّا أن سوّى التربة عليه قالت أُمّ سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنّة.

فقال رسول الله ﷺ: يا أُمّ سعد مه، لا تجزمي على ربّك فإنّ سعداً قد أصابته ضمّة.

قال: فرجع رسول الله ﷺ ورجع الناس فقالوا له: يارسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنّك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء.

فقال ﷺ: إنّ الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسّيت بها، قالوا: وكنت تأخذ يمنة السرير مرّةً، ويسرة السرير مرّةً، قال: كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ.

قالوا: أمرت بغسله وصلّيت على جنازته ولحّدته في قبره ثمّ قلت: إنّ سعداً قد أصابته ضمّة!

قال: فقال ﷺ: نعم إنّه كان في خلقه مع أهله سوء[١].

عن إبراهيم بن محمّد، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب.

فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذّب، ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يعذّب؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ياروح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه[٢].

عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ضغطة القبر للمؤمن كفّارةٌ لما كان منه من تضييع النعم[٣].

---

(١) علل الشرائع، أمالي الصدوق: ص١١١. والتفسير المنسوب للإمام العسكري: ص٢٧٢-١٧٣. البحار: ج٦، ص٢٢٠، باب ٨، ح١٤.

(٢) أمالي الصدوق: ص٣٠٦. البحار: ج٦، ص٢٢٠، باب ٨، ح١٥.

(٣) ثواب الأعمال: ص١٩٠. أمالي الصدوق: ٣٢٢. البحار: ج٦، ص٢٢١، باب ٨، ح١٦.

عن صفوان بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أُقعد رجلٌ من الأخيار في قبره، فقيل له: إنّا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله.

فقال: لا أُطيقها، فلمَ يزالوا به حتّى انتهوا إلى جلدة واحدة.

فقالوا: ليس منها بدّ.

قال: فبما تجلدونيها؟

قالوا: نجلدك لأنّك صلّيت يوماً بغير وضوء، ومررت على ضعيف فلَمَ تنصره.

قال: فجلدوه جلدةً من عذاب الله عزّ وجلّ فامتلأ قبره ناراً[1].

عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يلقى صاحب القبر، فقال: إنّ ملكين يقال لهما: منكر ونكير يأتيان صاحب القبر فيسألانه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الّذي خرج فيكم؟

فيقول: من هو؟

فيقولان: الّذي كان يقول: إنّه رسول الله، أحقّ ذلك؟

قال: فإذا كان من أهل الشكّ.

قال: ما أدري؟ قد سمعت الناس يقولون، فلست أدري أحقّ ذلك أم كذب؟ فيضربانه ضربةً يسمعها أهل السماوات وأهل الأرض إلاّ المشركين، وإذا كان متيقّناً فإنّه لا يفزع فيقول: أعن رسول الله تسألاني؟

فيقولان: أتعلم أنّه رسول الله؟

فيقول: أشهد أنّه رسول الله حقّاً، جاء بالهدى ودين الحقّ.

قال: فيرى مقعده من الجنّة ويفسح له عن قبره، ثمّ يقولان له: نم نومةً ليس فيها حلم في أطيب ما يكون النائم[2].

عن سليمان بن مقبل، عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: إذا مات

(١) علل الشرائع: ص١١١. البحار: ج٦، ص٢٢، باب ٨، ح١٨.

(٢) كتاب الحسين بن سعيد أو كتاب النوادر. البحار: ج٦، ص٢٢١-٢٢٢، باب ٨، ح٢٠.

المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أُدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟

فيقول: ربّي الله، ومحمد نبيّي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنّة، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يعني في قبره ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[1] يعني في الآخرة، ثمَّ قال عليه السلام: إذا مات الكافر شيّعه سبعون ألفاً من الزبانية[2] إلى قبره، وإنّه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كلّ شيء إلاّ الثقلان ويقول: لو أنَّ لي كرّة فأكون من المؤمنين.

ويقول: ارجعون لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية، كلاّ إنّها كلمةٌ أنت قائلها، ويناديهم ملك: لوردّ لعاد لمّا نهي عنه، فإذا أُدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة فيقيمانه ثمَّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيتلجلج لسانه[3] ولا يقدّر على الجواب، فيضربانه ضربةً من عذاب الله يذعر لها كلّ شيء، ثمَّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟

فيقول: لا أدري فيقولان له: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت؛ ثمّ يفتحان له باباً إلى النار وينزلان إليه من الحميم من جهنّم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ يعني في القبر ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ يعني في الآخرة[4].

عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ العبد إذا أُدخل قبره أتاه منكر ففزع منه يسأل عن النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول له: ما تقول في هذا الرجل الّذي كان بين أظهركم؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أنّه رسول الله جاء بالحقّ.

فيقال له: ارقد رقدةً لا حلم فيها، ويتنحّى عنه الشيطان، ويفسح له في قبره سبعة أذرع، ويرى مكانه من الجنّة.

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٢) الزبانية عند العرب: الشرط وسموا بها بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها.

(٣) أي يثقل لسانه ويتردد في كلامه.

(٤) أمالي الصدوق: ص١٧٤-١٧٥. البحار: ج٦، ص٢٢٣، باب ٨، ح٢٢.

قال: وإذا كان كافراً قال: ما أدري، فيضرب ضربةً يسمعها كلّ من خلق الله إلاّ الإنسان وسلّط عليه الشيطان، وله عينان من نحاس أو نار كالبرق الخاطف فيقول له: أنا أخوك، ويسلّط عليه الحيّات والعقارب، ويظلم عليه قبره، ثمَّ يضغطه ضغطةً يختلف أضلاعه عليه، ثمَّ قال بأصابعه فشرجها(١).

عن ابن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم؟

قلت: يقولون: في حواصل طيور خضر.

فقال: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من ذلك، إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة الله عزّ وجلّ المقرّبون، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد، وللنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة، والولاية لأهل البيت شهد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والملائكة المقرّبون معهم؛ وإن اعتقل لسانه خصّ الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بعلم ما في قلبه من ذلك فشهد به، وشهد على شهادة النبيّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من الله أفضل السلام، ومن حضر معهم من الملائكة، فإذا قبضه الله إليه صيّر تلك الروح إلى الجنّة في صورة كصورته فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة الّتي كانت في الدنيا(٢).

عن عطاء الخراسانيّ رفعه عن عبد الرحمن بن غنم قال: لمّا أُسري بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مرّ على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله أطفال.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من هذا الشيخ يا جبرئيل؟

قال: هذا أبوك إبراهيم عليه السلام.

قال: فما هؤلاء الأطفال حوله؟

قال: هؤلاء أطفال المؤمنين حوله يغذوهم(٣).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم، والبحار: ج٦، ص٢٢٤، باب ٨، ح٢٥.
(٢) أمالي الطوسي: ٢٦٧-٢٦٨. البحار: ج٦، ص٢٢٩، باب ٨، ح٣٢.
(٣) أمالي الصدوق: ص٢٧٠. البحار: ج٦، ص٢٢٩، باب ٨، ح٣٣.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عليها السلام [١].

عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره؛ والبرّ مطلّ عليه، ويتنحّى الصبر ناحيةً.

قال: فإذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه[٢].

عن بكر بن جناح، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا ماتت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين، جاء عليٌّ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن مالك؟

قال: أُمّي ماتت.

قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: وأُمّي والله، ثمّ بكى، وقال: واأُمّاه ثمّ قال لعليّ عليه السلام: هذا قميصي فكفّنها فيه، وهذا ردائي فكفّنها فيه، فإذا فرغتم فآذنوني؛ فلمّا أُخرجت صلّى الله عليها النبيّ صلى الله عليه وآله صلاةً لم يصل قبلها ولا بعدها على أحد مثلها، ثمّ نزل على قبرها فاضطجع فيه، ثمّ قال لها: يا فاطمة!

قالت: لبّيك يا رسول الله.

فقال: فهل وجدت ما وعد ربّك حقّاً؟

قالت: نعم فجزاك الله خير جزاء، وطالت مناجاته في القبر، فلمّا خرج قيل: يارسول الله لقد صنعت بها شيئاً في تكفينك إيّاها ثيابك، ودخولك في قبرها، وطول مناجاتك، وطول صلاتك، ما رأيناك صنعته بأحد قبلها.

قال: أمّا تكفيني إيّاها فإنّي لمّا قلت لها: يعرض الناس يوم يحشرن من قبورهم فصاحت وقالت واسوأتاه! فلبّستها ثيابي وسألت الله في صلاتي عليها أن لا يبلي أكفانها حتّى تدخل الجنّة فأجابني إلى ذلك؛ وأمّا دخولي في قبرها فإنّي قلت لها يوماً: إنّ المّيت إذا أُدخل قبره وانصرف الناس عنه دخل عليه ملكان: منكر ونكير فيسألانه.

---

(١) البحار: ج٦، ص٢٢٩، باب ٨، ح٣٤.

(٢) ثواب الأعمال: ص١٦٤-١٦٥. البحار: ج٦، ص٢٣٠، باب ٨، ح٣٥.

فقالت: واغوثاه بالله، فما زلت أسأل ربّي في قبرها حتّى فتح لها باب من قبرها إلى الجنّة فصار روضةً من رياض الجنّة[١].

عن جميل بن درّاج قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ المؤمنين إذا أخذوا مضاجعهم أصعد الله بأرواحهم إليه، فمن قضى له عليه الموت جعله في رياض الجنّة كنوز رحمته، ونور عزّته، وإن لم يقدّر عليها الموت بعث بها مع أُمنائه من الملائكة إلى الأبدان الّتي هي فيها[٢].

عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر الأرواح: أرواح المؤمنين، فقال: يلتقون.

قلت: يلتقون؟

قال: نعم ويتساءلون ويتعارفون حتّى إذا رأيته.

قلت: فلان[٣].

عن إبراهيم بن إسحاق الجازيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أين أرواح المؤمنين؟

فقال: أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربّنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا.

قال: قلت: فأين أرواح الكفّار؟

فقال: في حجرات النار، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها، ويقولون: ربّنا لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا[٤].

عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّة صور، فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهاً، وأبهاهنّ هيئةً، وأطيبهنّ ريحاً، وأنظفهنّ صورةً؛ قال: فيقف صورةٌ عن يمينه، وأُخرى عن يساره، وأُخرى بين

---

(١) بصائر الدرجات: ص٨١، الخرائج مرسلاً مثله ص٨، البحار: ج٦، ص٢٣٢، باب ٨ ح ٤٤.
(٢) المحاسن: ص١٧٨. البحار: ص٢٣٤، باب ٨، ح٤٧.
(٣) المحاسن: ص١٧٨، البحار: ج٦، ص٢٣٤، باب ٨، ح٤٨.
(٤) المحاسن: ص١٧٨، البحار: ج٦، ص٢٣٤، باب ٨، ح٤٩.

يديه، وأُخرى خلفه، وأُخرى عند رجله، وتقف الّتي هي أحسنهنّ فوق رأسه، فإن أُتي عن يمينه منعته الّتي عن يمينه، ثمّ كذلك إلى أنَّ يؤتى من الجهات الستّ، قال: فتقول أحسنهنّ صورةً: ومن أنتم جزاكم الله عنّي خيراً؟

فتقول الّتي عن يمين العبد: أنا الصلاة.

وتقول الّتي عن يساره: أنا الزكاة وتقول الّتي بين يديه: أنا الصيام.

وتقول الّتي خلفه: أنا الحجّ والعمرة.

وتقول الّتي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك؛ ثم يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئة.

فتقول: أنا الولاية لآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين[١].

عن زيد الشحّام قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن عذاب القبر، قال: إنَّ أبا جعفر عليه السلام حدّثنا أنَّ رجلاً أتى سلمان الفارسيّ فقال: حدّثني؛ فسكت عنه، ثمّ عاد فسكت، فأدبر الرجل وهو يقول ويتلو هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٢] فقال له: أقبل، إنّا لو وجدنا أميناً لحدّثناه، ولكن أعدّ لمنكر ونكير[٣] إذا أتياك في القبر فسألاك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن شككت أو التويت ضرباك على رأسك بمطرقة معهما تصير منه رماداً.

قال: فقلت: ثمّ مه؟

قال: تعود، ثمّ تعذّب.

قلت: وما منكر ونكير؟

قال: هما قعيدا القبر.

قلت: أملكان يعذّبان الناس في قبورهم؟

---

(١) المحاسن: ص ٢٨٨. البحار: ج٦، ص٢٣٤-٢٣٥، باب ٨ ح٥٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.
(٣) أي هيأ لمساءلتها.

فقال: نعم[١].

عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا وضع الرجل في قبره أتاه ملكان: ملك عن يمينه، وملك عن شماله، وأُقيم الشيطان بين يديه، عيناه من نحاس، فيقال له: كيف تقول في هذا الرجل الّذي خرج بين ظهرانيّكم؟

قال: فيفزع لذلك، فيقول - إن كان مؤمناً -: عن محمّد تسألاني؟

فيقولان له عند ذلك: نم نومةً لا حلم فيها، ويفسح له في قبره سبعة أذرع، ويرى مقعده من الجنّة.

وإن كان كافراً قيل له: ما تقول في هذا الرجل الّذي خرج بين ظهرانّيكم؟

فيقول: ما أدري! ويخلّى بينه وبين الشيطان، ويضرب بمرزبة من حديد يسمع صوته كلّ شئ، وهو قول الله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[٢] [٣].

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ القبر أوّل منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده ليس أقلّ منه[٤].

عن الحسن بن عبد الرحمن، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الأحلام لم تكن في ما مضى في أوّل الخلق، وإنّما حدثت، فقلت: وما العلّة في ذلك؟

فقال: إنّ الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته فقالوا: إن فعلنا ذلك فمالنا؟ ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزّنا عشيرة.

فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار.

فقالوا: وما الجنّة والنار؟ فوصف لهم ذلك.

فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟

فقال: إذا متّم.

---

(١) البحار: ج٦، ص٢٣٥-٢٣٦، باب ٨، ٥٣.

(٢) سورة إبراهيم، الية: ٢٤.

(٣) البحار: ج٦، ص٢٣٧، باب ٨، ح٥٦.

(٤) البحار: ج٦، ص٢٤٢، باب ٨، ح٦٤.

فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عزّوجلّ فيهم الأحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك.

فقال: إنّ الله عز ذكره أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان(١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: حتّى إذا انصرف المشيّع ورجع المتفجّع أُقعد في حفرته نجيّاً لبهتة السؤال وعثرة الامتحان، وأعظم ما هنالك بليّة نزل الحميم، وتصلية الجحيم، وفورات السعير، لا فترة مريحة، ولا دعة مزيحة، ولا قوّة حاجزة، ولا موتة ناجزة، ولا سنّة مسلية بين أطوار الموتات وعذاب الساعات(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: وبادروا الموت في غمراته، وامهدوا له قبل حلوله، وأعدّوا له قبل نزوله، فإنّ الغاية القيامة وكفى بذلك واعظاً لمن عقل، ومعتبراً لمن جهل، وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس، وشدّة الإبلاس، وهول المطّلع، وروعات الفزع، واختلاف الأضلاع، واستكاك الأسماع، وظلمة اللّحد، وخيفة الوعد، وغمّ الضريح(٣)، وردم الصفيح(٤).

عن أحمد بن عليّ بن عيسى الزهريّ رفعه إلى أصبغ بن نباتة قال: توجّهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام لأُسلّم عليه فلمَ ألبث أنْ خرج فقمت قائماً على رجلي

---

(١) البحار: ج٦، ٢٤٣، باب ٨، ح٦٨.

(٢) البحار: ج٦، ٢٤٣-٢٤٤، باب ٨، ح٦٩.

(٣) الأرماس جمع الرمس وهو القبر، والإبلاس: اليأس والانكسار والحزن. وقال الجزريّ، المطلع: مكان الأطلاع من الموضع العالي، ومنه الحديث: لافتديت من هول المطلّع أي الموقف يوم القيامة، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت، فشبّهه بالمطلع الّذي يشرف عليه من موضع عال. واختلاف الأضلاع: كناية عن ضغطة القبر، إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع واختلافها. والضريح: الشقّ في وسط القبر، واللّحد في الجانب. والصفيح: الحجر، والمراد بردمه هنا سدّ القبر به.

(٤) البحار: ج٦، ٢٤٤، باب ٨، ح٧٠، عن نهج البلاغة.

فاستقبلته فضرب بكفّه إلى كفّي فشبّك أصابعه في أصابعي ثمَّ قال لي: يا أصبغ بن نباتة قلت: لبّيك وسعديك يا أميرالمؤمنين.

فقال: إنَّ وليّنا وليّ الله، فإذا مات كان في الرفيق الأعلى، وسقاه الله من نهر أبرد من الثلج، وأحلى من الشهد؛ فقلت: جعلت فداك وإن كان مذنباً؟

قال: نعم ألم تقرأ كتاب الله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١] [٢].

قال في البحار: اعتقادنا في النفوس أنّها هي الأرواح الّتي بها الحياة، وأنّها الخلق الأوّل، لقول النبيّ ﷺ: إنّ أوّل ما أبدع الله سبحانه وتعالى هي النفوس مقدّسة مطهّرة فأنطقها بتوحيده، ثمَّ خلق بعد ذلك سائر خلقه. واعتقادنا فيها أنّها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء، لقول النبيّ ﷺ: ما خلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء، وإنّما تنقلون من دار إلى دار، وإنّها في الأرض غريبة وفي الأبدان مسجونة. واعتقادنا فيها: أنّها إذا فارقت الأبدان فهي باقية، منها منعّمة، ومنها معذّبة، إلى أن يردّها الله عزّوجلّ بقدرته إلى أبدانها.

وقال عيسى بن مريم للحواريّين: بحقّ أقول لكم: إنّه لا يصعد إلى السماء إلاّ ما نزل منها. وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[٣] فما لم يرفع منها إلى الملكوت فهي تهوى في الهاوية، وذلك لأنّ الجنّة درجات، والنار دركات، وقال عزّوجلّ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[٤].

وقال عزّوجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ﴾[٦] إلى آخرها.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.
(٢) تفسير فرات بن إبراهيم: ص١٠٨. البحار: ج٦، ص٢٤٦، باب ٨، ح٧٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.
(٤) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٥) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.
(٦) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩، ١٧٠.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾(١) إلى آخرها.

وقال النبيُّ ﷺ: الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

وقال الصادق عليه السلام: إنّ الله آخا بين الأرواح في الأظلّة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت لورّث الأخ الّذي آخا بينهما في الأظلّة، ولم يورّث الأخ من الولادة.

وقال عليه السلام: إنّ الأرواح لتلتقي في الهواء فتعارف وتسائل، فإذا أقبل روح من الأرض قالوا: دعوه(٢) فقد أفلت من هول عظيم، ثمّ سألوه ما فعل فلان، وما فعل فلان فكلّما قال: قد بقي رجوه أن يلحق بهم، وكلّما قال: قد مات قالوا: هوى هوى.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾(٤) ومثل الدنيا كمثل البحر والملاّح والسفينة.

وقال لقمان لابنه: يابنيّ إنّ الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله، واجعل زادك فيها تقوى الله، واجعل شراعها التوكّل على الله، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك، وأشدّ ساعاته يوم يولد، ويوم يموت، ويوم يبعث. ولقد سلّم الله تعالى على يحيى في هذه الساعات فقال الله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾(٥).

وقد سلّم عيسى على نفسه فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.
(٢) في المصدر: فقالت الأرواح دعوه.
(٣) سورة طه، الآية: ٨١.
(٤) سورة القارعة، الآيات: ٩-١١.
(٥) سورة مريم، الآية: ١٥.
(٦) سورة مريم، الآية: ٣٣.

والاعتقاد في الروح أنّه ليس من جنس البدن، وأنّه خلق آخر لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[١].

واعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام أنّ فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وفي المؤمنين أربعة أرواح: روح الإيمان، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وفي الكافرين والبهائم ثلاثة أرواح: روح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[٢] فإنّه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأئمّة وهو من الملكوت[٣].

عن عبد الله بن سليمان عن الباقر عليه السلام قال: سألته عن زيارة القبور.

قال: إذا كان يوم الجمعة فزرهم، فإنّه من كان منهم في ضيق وسّع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يعلمون بمن أتاهم في كلّ يوم، فإذا طلعت الشمس كانوا سدى.

قلت: فيعلمون بمن أتاهم فيفرحون به؟

قال: نعم ويستوحشون له إذا انصرف عنهم[٤].

عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحبّ ويستر عنه ما يكره، وإنّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحبّ.

قال: ومنهم من يزور كلّ جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله[٥].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من مؤمن ولا كافر إلاّ وهو يأتي

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) العقائد: ص٧٦-٧٧. البحار: ص٢٤٩-٢٥٠، باب ٨، ح٨٧.

(٤) أمالي الطوسي: ص٧١. البحار: ج٨، ص٢٥٦، باب ٨، ح٨٨.

(٥) فروع الكافي: ج١ ص٦٢. البحار: ج٨، ص٢٥٦، باب ٨، ح٨٩.

أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة[١].

عن إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: سألته عن الميّت يزور أهله؟

قال: نعم.

فقلت: في كم يزور؟

قال: في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته.

فقلت: في أيّ صورة يأتيهم؟

قال: في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم، فإن رآهم بخير فرح، وإن رآهم بشرّ وحاجة وحزن اغتمّ[٢].

روى السيّد في سعد السعود من كتاب عبد الواحد بن عبد الله بن يونس الموصليّ قال: أخبرنا محمّد بن عليّ، عن أبي جعفر بن عبد الجبّار، عن إبراهيم بن عبد الحميد قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام في دار أبيه فتحوّل منها بعياله، فقلت له: جعلت فداك أتحوّلت من دار أبيك؟

فقال: إنّي أحببت أنَّ أُوسّع على عيال أبي إنّهم كانوا في ضيق فأحببت أن أُوسّع عليهم حتّى يعلم أنّي وسّعت على عياله.

قلت: جعلت فداك هذا للإمام خاصّة أو للمؤمنين؟

قال: هذا للإمام وللمؤمنين، ما من مؤمن إلاّ وهو يلمُّ[٣] بأهله كلّ جمعة، فإن رأى خيراً حمد الله عزّ وجلّ، وإن رأى غير ذلك استغفر واسترجع.

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا حمل عدوّ الله إلى قبره نادى حملته: ألا تسمعون يا إخوتاه، إنّي أشكوا إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقيّ:

---

(١) فروع الكافي: ج١ ص٦٢. البحار: ج٦، ص٢٥٧، باب ٨، ح٩٠.

(٢) فروع الكافي: ج٢ ص٦٢-٦٣. البحار: ج٦، ص٢٥٧، باب ٨، ح٩١.

(٣) ألم بفلان: آتاه فنزل به.

إنّ عدوّ الله[١] خدعني فأوردني ثمّ لم يصدرني. وأقسم لي إنّه ناصح لي فغشّني وأشكو إليكم دنياً غرّتني حتّى إذا اطمأننت إليها صرعتني، وأشكو إليكم أخلّاء الهوى منوني[٢] ثمّ تبرّؤوا منّي وخذلوني، وأشكو إليكم أولاداً حميت عنهم وآثرتهم على نفسي فأكلوا مالي وأسلموني، وأشكو إليكم مالاً منعت فيه حقّ الله فكان وباله عليّ وكان نفعه لغيري، وأشكو إليكم دارا أنفقت عليها حريبتي وصار سكّانها غيري وأشكو إليكم طول الثوى في قبري ينادي: أنا بيت الدود، أنا بيت الظلمة والوحشة والضيق، يا إخوتاه فاحبسوني ما استطعتم، واحذروا مثل ما لقيت، فإنّي قد بشّرت بالنار والذلّ والصغار وغضب العزيز الجبّار، واحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله[٣] ويا طول عولتاه[٤] فمالي من شفيع يطاع، ولا صديق يرحمني، فلو أنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين[٥].

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما يسأل في قبره من محض الإيمان والكفر محضاً، وأمّا ما سوى ذلك فيلهى عنه[٦].

عن البطائنيّ عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلت من ضغطه القبر أحد؟

قال: فقال: نعوذ بالله منها، ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر! إنّ رقيّة لمّا قتلها عثمان وقت رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس: إنّي ذكرت هذه وما لقيت، فرققت لها واستوهبتها من ضغطة القبر.

قال: فقال: اللّهمَّ هب لي رقيّة من ضغطة القبر فوهبها الله له.

قال: وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد وقد شيّعه سبعون ألف ملك فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثمّ قال: مثل سعد يضمّ؟

(١) أراد الشيطان.
(٢) أي ابتلوني
(٣) أي في طاعة الله.
(٤) العولة والعويل: رفع الصوت بالبكاء وفي المصدر: عويلاه خ ل.
(٥) فروع الكافي: ج١، ص٦٣-٦٤. البحار: ج٦، ص٢٥٨-٢٥٩، باب ٨، ح٩٤.
(٦) فروع الكافي: ج١ ص٦٤. البحار: ج٦، ص٢٦٠، باب ٨، ح٩٨.

قال: قلت: جعلت فداك إنّا نحدَّث أنّه كان يستخفّ بالبول.

فقال: معاذ الله إنّما كان من زعارة في خلقه على أهله.

قال: فقالت أمّ سعد: هنيئاً لك يا سعد.

قال: فقال لها رسول الله ﷺ: يا أُمّ سعد لا تحتمي على الله(١).

عن بشير الدهّان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يجيء الملكان: منكر ونكير إلى الميّت حين يدفن، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يخطّان الأرض بأنيابهما، ويطآن في شعورهما، فيسألان الميّت: من ربّك وما دينك؟

قال: فإذا كان مؤمناً.

قال: الله ربّي، وديني الإسلام.

فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الّذي خرج بين ظهرانيّكم؟

فيقول: أعن محمّد رسول الله تسألاني؟

فيقولان له: تشهد أنّه رسول الله ﷺ؟ فيقول: أشهد أنّه رسول الله، فيقولان له: ثم نومة لا حلم فيها؛ ويفسح له في قبره تسعة أذرع، ويفتح له باب إلى الجنّة ويرى مقعده فيها، وإذا كان الرجل كافراً دخلا عليه وأُقيم الشيطان بين يديه، عيناه من نحاس، فيقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الّذي قد خرج من بين ظهرانيّكم، فيقول: لا أدري، فيخلّيان بينه وبين الشيطان فيسلّط عليه في قبره تسعة وتسعين تنّيناً، ولو أن تنّيناً واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شجراً أبداً، ويفتح له باب إلى النار ويرى مقعده فيها(٢).

عن عمرو بن الأشعث أنّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: يسأل الرجل في قبره فإذا أثبت فسح له في قبره سبعة أذرع وفتح له باب إلى الجنّة، وقيل له: نم نومة العروس قرير العين(٣).

---

(١) فروع الكافي: ج١ ص٦٤. البحار: ج٦، ص٢٦١، باب ٨، ح١٠٢.
(٢) فروع الكافي: ج١ ص٦٤. البحار: ج٦، ص٢٦١، باب ٨، ح١٠٣.
(٣) فروع الكافي: ج١ ص٦٥. البحار: ج٦، ص٢٦٢، باب ٨، ح١٠٥.

عن أحمد الخراسانيّ، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا وضع الميّت في قبره مثّل له شخص فقال له: ياهذا كنّا ثلاثة، كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلّفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك، أما إنّي كنت أهون الثلاثة عليك[1].

عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من قبر إلاّ وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات: أنا بيت التراب، أنا بيت البلى، أنا بيت الدود.

قال: فإذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً وأهلاً، أما والله لقد كنت أُحبّك وأنت تمشي على ظهري فيكف إذا دخلت بطني؟! فسترى ذلك قال: فيفسح له مدّ البصر ويفتح له باب يرى مقعده من الجنّة.

قال: ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً أحسن منه فيقول: يا عبد الله ما رأيت شيئاً قط أحسن منك.

فيقول: أنا رأيك الحسن الّذي كنت عليه وعملك الصالح الّذي كنت تعمله.

قال: ثمّ تؤخذ روحه فتوضع في الجنّة حيث رأى منزله، ثمّ يقال له: نم قرير العين، فلا تزال نفحة من الجنّة تصيب جسد، يجد لذّتها وطيبها حتّى يبعث.

قال: وإذا دخل الكافر قالت: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أمّا والله لقد كنت أُبغضك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني؟ سترى ذلك؛ فتضمّ عليه فتجعله رميماً ويعاد كما كان، ويفتح له باب إلى النار فيرى مقعده من النار؛ ثمّ قال: ثمّ إنّه يخرج منه رجل أقبح من رأى قطّ.

قال: فيقول: يا عبد الله من أنت؟ ما رأيت شيئاً أقبح منك!

قال: فيقول: أنا عملك السيّئ الّذي كنت تعمله، ورأيك الخبيث.

قال: ثمّ تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار، ثمّ لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها وحرّها إلى يوم البعث، ويسلّط على روحه تسعة وتسعون تنّيناً تنهشه ليس فيها تنّين تنفخ على ظهر الأرض فتنبت شيئاً[2].

---

(١) فروع الكافي: ج١ ص٦٦. البحار: ج٦، ص٢٦٥، باب ٨، ح١١٠.

(٢) فروع الكافي: ج١ ص٦٦. البحار: ج٦، ص٢٦٦-٢٦٧، باب ٨، ح١١٤.

عن عمرو بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي سمعتك وأنت تقول: كلّ شيعتنا في الجنّة على ما كان فيهم، قال: صدّقتك، كلّهم والله في الجنّة.

قال: قلت: جعلت فداك إنّ الذنوب كثيرة كبائر.

فقال: أمّا في القيامة فكلّكم في الجنّة بشفاعة النبيّ المطاع أو وصيّ النبيّ، ولكنّي والله أتخوّف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟

قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة(١).

عن أبي ولاّد الحنّاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش.

فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير(٢)، لكن في أبدان كأبدانهم(٣).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنّة تعارف وتسائل، فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول: دعوها فإنّها قد أفلتت من هول عظيم، ثمّ يسألونها: ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم، تركته حيّا ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك قالوا: قد هوى هوى(٤) (٥).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أرواح الكفّار في نار جهنّم يعرضون عليها يقولون: ربّنا لا تقم لنا الساعة، ولا تنجز لنا ما وعدتنا، ولا تلحق آخرنا بأوّلنا(٦).

---

(١) فروع الكافي: ج١ ص٦٦. البحار: ج٦، ص٢٦٧، باب ٨، ح١١٦.

(٢) حوصلة بتخفيف اللام وتشديدها من الطير بمنزلة المعدة للإنسان.

(٣) فروع الكافي: ج١ ص٦٧. البحار: ج٦، ص٢٦٨، باب ٨، ح١١٩.

(٤) هوى يهوي هويا: سقط من علو إلى أسفل، أي سقط إلى دركات الجحيم، إذ لو كان من السعداء لكان يلحق بنا.

(٥) فروع الكافي: ج١٦ ص٦٧. البحار: ج٦، ص٢٦٩، باب ٨، ح١٢١.

(٦) فروع الكافي: ج١ ص٦٧. البحار: ج٦، ص٢٧٠، باب ٨، ح١٢٧.

دعوات الراوندي: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ليس بيننا وبين الجنّة أو النار إلاّ الموت[1].

فذلكة: اعلم أنّ الّذي ظهر من الآيات الكثيرة والأخبار المستفيضته والبراهين القاطعة هو أنّ النفس باقية بعد الموت، إمّا معذّبة إن كان ممّن محض الكفر، أو منعّمة إن كان ممّن محض الإيمان، إو يلهى عنه إن كان من المستضعفين، ويردُّ إليه الحياة في القبر إمّا كاملاً إو إلى بعض بدنه كما مرّ في بعض الأخبار، ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الأعمال، ويثاب ويعاقب بحسب ذلك، وتضغط أجساد بعضهم، وإنّما السؤال والضغطة في الأجساد الأصليّة، وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين كمن لقّن كما سيأتي، أو مات في ليلة الجمعة أو يومها أو غير ذلك ممّا مرّ وسيأتي في تضاعيف أخبار هذا الكتاب، ثمّ تتعلّق الروح بالأجساد المثاليّة اللّطيفة الشبيهة بأجسام الجنّ والملائكة، المضاهية في الصورة للأبدان الأصليّة فينعّم ويعذّب فيها، ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصليّة لسبق تعلّقه بها، وبذلك يستقيم جميع ما وردّ في ثواب القبر وعذابه واتّساع القبر وضيقه، وحركة الروح وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله، ورؤية الأئمّة عليهم السلام بأشكالهم، ومشاهدة أعدائهم معذّبين، وسائر ما ورد في أمثال ذلك ممّا مرّ وسيأتي، فالمراد بالقبر في أكثر الأخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ، وهذا يتمّ على تجسّم الروح وتجرّده، وإن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسّم الروح أيضاً بدون الأجساد المثاليّة، لكن مع ورود الأجساد المثاليّة في الأخبار المعتبرة المؤيّدة بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها، وليس هذا من التناسخ الباطل في شئ، إذ التناسخ لم يتمّ دليل عقليّ على امتناعة إذ أكثرها عليلة مدخولة ولو تمّت لا تجري أكثرها فيما نحن فيه كما لا يخفى على من تدبّر فيها، والعمدة في نفيه[2] ضرورة الدين وإجماع المسلمين، وظاهر أنّ هذا غير داخل فيما انعقد الإجماع والضرورة على نفيه،

---

(١) البحار: ج ٦ ص ٢٧٠، ح ١٢٨.

(٢) العمدة في نفى التناسخ لزوم رجوع الشئ بعد الفعلية إلى القوة وهو من الممتنعات بالضرورة لكنها لا تجرى إلا في البدن العنصرى دون المثالى الذى هو من شؤون النفس ومراتبها ولوازم وجودها. ط.

كيف وقد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد قدّس الله روحه وغيره من علمائنا المتكلّمين والمحدّثين؟ بل لا يبعد القول بتعلّق الروح بالأجساد المثاليّة عند النوم أيضاً كما يشهد به ما يرى في المنام، وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها كما مرّ، بل يمكن أنّ يكون للنفوس القويّة العالية أجساد مثاليّة كثيرة كأئمّتنا صلوات الله عليهم حتّى لا نحتاج إلى بعض التأويلات والتوجيهات في حضورهم عند كلّ ميّت.

ثمّ اعلم أنّ عذاب البرزخ وثوابه ممّا اتّفقت عليه الأُمّة سلفاً وخلفاً، وقال به أكثر أهل الملل ولم ينكره من المسلمين إلاّ شرذمة قليلة لا عبرة بهم، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً، والأحاديث الواردة فيه من طرق العامّة والخاصّة متواترة المضمون، وكذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من الملّيين والفلاسفة، ولم ينكره إلاّ فرقة قليلة كالقائلين بأنّ النفس هي المزاج وأمثاله ممّن لا يعبأ بهم ولا بكلامهم، وقد عرفت ما يدلّ عليه من الأخبار الجليّة وقد أُقيمت عليه البراهين العقليّة، ولنذكر بعض كلمات علماء الفريقين في المقامين.

قال نصير الملّة والدين قدّس الله روحه في التجريد: عذاب القبر واقع لإمكانه وتواتر السمع بوقوعه.

وقال العلاّمة الحلّي نوّر الله ضريحه في شرحه: نقل عن ضرار أنّه أنكر عذاب القبر، والإجماع على خلافه.

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في أجوبة المسائل السرويّة - حيث سئل: ما قوله أدام الله تأييده في عذاب القبر وكيفيّته؟ ومتى يكون؟ وهل تردّ الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا؟ وهل يكون العذاب في القبر أو يكون بين النفختين؟

الجواب: الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل.

وقد وردّ عن أئمّة الهدى عليهم السلام أنّهم قالوا: ليس يعذّب في القبر كلّ ميّت، وإنّما يعذّب من جملتهم من محض الكفر محضاً، ولا ينعّم كلّ ماض لسبيله، وإنّما ينعّم منهم من محض الإيمان محضاً، فأمّا ما سوى هذين الصنفين فإنّه يلهى

عنهم، وكذلك روي أنّه لا يسأل في قبره إلاّ هذان الصنفان خاصّة، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه.

فأمّا عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمنين فيه فإنّ الخبر أيضاً قد ورد بأنّ الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنّة من جنّاته ينعّمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الّذي بلي في التراب وتمزّق ثمّ أعاده إليه وحشره إلى الموقف، وأمر به إلى جنّة الخلد، فلا يزال منعّماً ببقاء الله عزّوجلّ غير أنّ جسده الّذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا، بل تعدل طباعه، وتحسن صورته، فلا يهرم مع تعديل الطباع، ولا يمسّه نصب في الجنّة ولا لغوب؛ والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محلّ عذاب يعاقب به، ونار يعذّب بها حتّى الساعة، ثمّ أُنشئ جسده الّذي فارقه في القبر ويعاد إليه، ثمّ يعذّب به في الآخرة عذاب الأبد، ويركّب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه، وقد قال الله عزّوجلّ اسمه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ وقال في قصة الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فدلّ على أنّ العذاب والثواب يكونان قبل يوم القيامة وبعدها، والخبر وارد بأنّه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا، والروح ههنا عبارة عن الفعّال الجوهر البسيط، وليس بعبارة عن الحياة الّتي يصحّ معها العلم والقدرة لأنَّ هذه الحياة عرض لا يبقى ولا يصحّ الإعادة فيه فهذا ما عوّل عليه بالنقل وجاء به الخبر على ما بيّنّاه.

ثمَّ سئل رحمه الله: ما قوله أدام الله تمكينه في معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ أهم أحياء في الحقيقة على ما تقتضيه الآية أم الآية مجاز؟ وأنَّ أجسادهم الآن في قبورهم أم في الجنّة؟ فإنّ المعتزلة من أصحاب أبي هاشم يقولون: إنَّ الله تعالى ينزع من جسد كلّ واحد منهم أجزاءاً قدر ما يتعلّق به الروح، وأنّه تعالى يرزقهم على ما نطقت به الآية، وما سوى هذا من أجزاء أبدانهم فهي في قبورهم كأجساد سائر الموتى.

الجواب: هذا المحكيّ عن أصحاب أبي هاشم لأنَّ المحفوظ عنه الإنسان المخاطب المأمور المنهيّ هو البنية الّتي لا تصحّ الحياة إلاّ بها وما سوى ذلك من

الجسد ليس بإنسان ولا يتوجّه إليه أمر ولا نهي ولا تكليف، وإن كان القوم يزعمون أنَّ تلك البنية لا تفارق ما جاورها من الجسد فيعذّب أو ينعّم فهو مقال يستمرّ على أنّ البنية الّتي ذكروها هو المكلّف المأمور المنهيّ، وباقي جسده في القبر، إلاّ أنّهم لم يذكروا كيف يعذّب من عذّب ويثاب من أُثيب؟ أفي دار غير الدنيا أم فيها؟ وهل يحيى بعد الموت أو تفارق الجملة في الدنيا فلا يلحقه موت؟ ثمَّ لم يحك عنهم في أيّ محلّ يعذّبون ويثابون؟ وفيما قالوه من ذلك فليس به أثر ولا يدلّ عليه العقل، وإنّما هو يخرج منهم على الظنّ والحساب، ومن بني مذهبه على الظنّ في مثل هذا الباب كان بمقالته مفترياً؛ ثمَّ الّذي يفسد قولهم من بعد مادلّ على أنّ الإنسان المأمور المنهيّ هو الجوهر البسيط، وأنَّ الأجزاء المؤلّفة لا يصحّ أنَّ تكون فعّالة، ودلائل ذلك يطول بإثباتها الكتاب، وفيما أومأنا إليه منها كفاية فيما تعلّق به السؤال وبالله التوفيق.

وسئل عنه قدّس الله روحه في المسائل العكبريّة عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، هل يكون الرزق لغير جسم؟ وما صورة هذه الحياة؟ فإنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئاً، فما الفرق حينئذ في الحياة بين المؤمن والكافر؟

فأجاب رحمه الله: بأنّ الرزق لا يكون عندنا إلاّ للحيوان، والحيوان عندنا ليسوا بأجسام بل ذوات أُخرجوا في هذه الدار إلى الأجساد، وتعذّر عليهم كثير من الأفعال إلاّ بها، فإن أُغنوا عنها بعد الوفات جاز أن يرزقوا مع عدمها رزقاً يحصل لهم به اللّذات، وإن افتقروا إليها كان الرزق لهم حينئذ بحسبه في الدنيا على السواء.

فأمّا قوله: ما صورة هذه الحياة؟ فالحياة لا صورة لها لأنّها عرض من الأعراض وهي تقوم بالذات الفعّالة دون الأجساد الّتي تقوم بها حياة النموّ دون الحياة الّتي هي شرط في العلم والقدرة ونحوهما من الأعراض.

وقوله: إنّا مجمعون على أنَّ الجواهر لا تبلى شيئاً فليس ذلك كما ظنّ، ولو كان كما توهّم لم يمتنع أنَّ توجد الحياة لبعض الجواهر وترفع عن بعض، كما توجد حياة النموّ لبعض الأجساد وترفع من بعض بالاتّفاق، ولو قلنا: إنَّ الحياة

بعد النقلة من هذه الدار تعمّ أهل الكفر والإيمان لم يفسد ذلك علينا أصلاً في الدين، فكانت الحياة لأهل الإيمان شرطاً في وصول اللّذّات إليهم، والحياة لأهل الكفر شرطاً في وصول الآلام إليهم بالعقاب انتهى[١].

وقال شارح المقاصد: اتّفق الإسلاميّون على حقيقة سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفّار وبعض العصاة فيه، ونسب خلافه إلى بعض المعتزلة.

قال بعض المتأخّرين منهم: حكي إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو، وإنّما نسب إلى المعتزلة - وهم برآء منه - لمخالطة ضرار إيّاهم، وتبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحقّ ونحوه.

قال في المواقف: وقال المحقّق الدوّانيّ في شرح العقائد العضديّة: عذاب القبر للمؤمن والفاسق والكافر حقّ لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ الآية، وقوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ ولقوله ﷺ: إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن النار، فيقال: هذا مقعدك حتّى نبعثك يوم القيامة.

وقوله ﷺ: استنزهوا من البول فإنّ عامّة عذاب القبر منه.

وقوله ﷺ: القبر إمّا روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران.

ونقل العلاّمة التفتازانيّ عن السيّد أبي الشجاع: أنّ الصبيان يسألون وكذا الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: إنّ الأنبياء لا يسألون لأنّ السؤال على ما ورد في الحديث عن ربّه وعن دينه وعن نبيّه، ولا يعقل السؤال عن النبيّ ﷺ من نفس النبيّ، وأنت خبير بأنّه لا يدلّ على عدم السؤال مطلقاً بل عدم السؤال عن نبيّه فقط، وذلك أيضاً في الّذي لا يكون على ملّة نبيّ آخر.

واختلف الناس في عذاب القبر فأنكره قوم بالكلّيّة وأثبته آخرون، ثمّ اختلف هؤلاء فمنهم من أثبت التعذيب وأنكر الإحياء وهو خلاف العقل، وبعضهم لم

(١) البحار: ج ٦، ص ٢٧٠ - ٢٧٤.

يثبت العذاب بالفعل بل قال: تجتمع الآلام في جسده فإذا حشر أحسّ بها دفعة، وهذا إنكار لعذاب القبر حقيقة.

ومنهم من قال بإحيائه لكن من غير إعادة الروح.

ومنهم من قال بالاحياء وإعادة الروح ولا يلزم أن يرى أثر الحياة فيه حتّى أنّ المأكول في بطن الحيوانات يحيى ويسأل وينعّم ويعذّب ولا ينبغي أن ينكر لأنّ من أخفى النار في الشجر الأخضر قادر على إخفاء العذاب والنعيم[1].

قال الإمام الغزّاليّ في الإحياء:

اعلم أنّ لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا:

أحدها هو الأظهر والأصحّ: أن تصدّق بأنّ الحيّة مثلاً موجودة تلدغ الميّت ولكنّا لا نشاهد ذلك، فإنّ ذلك العين لا يصلح لمشاهدة تلك الأُمور الملكوتيّة، وكلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، أما ترى أنّ الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل عليه السلام، وما كانوا يشاهدونه، ويؤمنون أنّه صلى الله عليه وآله يشاهده؟ فإن كنت لا تؤمن بهذا، فتصحيح الإيمان بالملائكة والوحي عليك أوجب، وإن آمنت به وجوّزت أنّ يشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله ما لا تشاهده الأُمّة فيكف لا تجوّز هذا في الميّت؟.

المقام الثاني: أن تتذكّر أمر النائم فإنّه يرى في نومه حيّة تلدغه وهو يتألّم بذلك حتّى يرى في نومه يصيح ويعرق جبينه، وقد ينزعج من مكانه، كلّ ذلك يدرك من نفسه ويتأذّى به كما يتأذّى اليقظان، وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى في حواليه حيّة، والحيّة موجودة في حقّه، والعذاب حاصل، ولكنّه في حقّك غير مشاهد، وإن كان العذاب ألم اللّدغ فلا فرق بين حيّة تتخيّل أو تشاهد.

المقام الثالث: أنّ الحيّة بنفسها لا تؤلم بل الّذي يلقاك منها هو السمّ ثمّ السمّ ليس هو الألم، بل عذابك في الأثر الّذي يحصل فيك من السمّ، فلو حصل مثل ذلك من غير سمّ فكان ذلك العذاب قد توفّر، وقد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلاّ بأن يضاف إلى السبب الّذي يفضي إليه في العادة، والصفات

---

(١) البحار: ج ٦، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

المهلكات تنقلب موذيات ومولمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيّات من غير وجود الحيّات.

فإن قلت: ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة؟ فاعلم أنَّ من الناس من لم يثبت إلاّ الثالث، وإنّما الحقّ الّذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أنَّ كلّ ذلك في حيّز الإمكان، وأنّ من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتّساع قدرة الله وعجائب تدبيره منكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ولم يألفه، وذلك جهل وقصور، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكن، والتصديق بها واجبٌ، وربّ عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة؛ هذا هو الحقّ فصدّق به.

ثمّ قال: وسؤال منكر ونكير حقّ لقوله ﷺ: إذا أُقبر الميّت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر، وللآخر: نكير، يقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً فيقول: هو عبدالله ورسوله، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، فيقولان: قد كنّا نعلم أنّك تقول هذا، ثمّ يفسح في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً، ثمّ ينوّر له فيه، ثمّ يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟

فيقولان: نم كنومة العروس الّذي لا يوقظه إلاّ أحبّ أهله، حتّى يبعثه الله من مضجعة ذلك؛ وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري!

فيقولان: قد كنّا نعلم أنّك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيه معذّباً حتّى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

وأنكر الجبائيّ وابنه والبلخيّ تسمية الملكين منكراً ونكيراً، وقالوا: إنّما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير إنّما هو تقريع الكافر، وهو خلاف ظاهر الحديث.

والأحاديث الصحيحة الدالّة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين أكثر من أنَّ تحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حدّ التواتر وإن كان كلّ منها خبر الآحاد، واتّفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف، وأنكره مطلقاً ضرار بن عمرو وأكثر متأخّري المعتزلة، وبعض الروافض متمسّكين بأنّ الميّت جماد فلا يعذّب، وما سبق حجّة عليهم، ومن تأمّل عجائب الملك والملكوت وغرائب صنعه تعالى

لم يستنكف عن قبول أمثال هذا، فإنّ للنفس نشآت، وفي كلّ نشأة تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة، فكما أنّها تشاهد في المنام أُموراً لم تكن تشاهد في اليقظة فكذا تشاهد في حال الانخلاع عن البدن أُموراً لم تكن تشاهد في الحياة، وإلى هذا يشير من قال: الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا. انتهى كلامه.

ولا يخفى على أحد أنّ ما نسبه هو وغيره إلى الشيعة في هذا الباب فرية بلا مرية، ولا يوجد من ذلك في كتبهم عين ولا أثر، وقد سمعت بعض كلماتهم في ذلك، ولعلّه رأى ذلك في بعض كتب الملاحدة من الاسماعيليّة وغيرهم الملصقين بهذه الفرقة المحقّة فنسب ذلك إليهم مجملاً، وهذا تدليس قبيح ولا سيّما من الفضلاء.

ثمّ اعلم أنّه روى العامّة في كتبهم عن أبي أمامة الباهليّ أنّ النبيّ ﷺ قال: إذا مات أحدكم وسوّيتم عليه التراب فليقم أحدكم عند قبره ثمّ ليقل: يافلان بن فلانة فإنّه يسمع ولا يجيب، ثمّ ليقل: يافلان بن فلانة - الثانية - فيستوي قاعداً، ثمّ ليقل: يا فلان بن فلانة؛ فإنّه يقول: أرشدنا رحمك الله، فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبياً، وبالقرآن إماماً؛ فإنّ منكراً ونكيراً يتأخّر كلّ واحد منهما فيقول: انطلق فما يقعدنا عند هذا وقد لقّن حجّته؟ فقال: يارسول الله، فإن لم يعرف أُمّه؟ قال: فلينسبه إلى حوّاء.

وقال الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه: قد يتوهّم أنّ القول بتعلّق الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصريّة بأشباح أُخر كما دلّت عليه الأحاديث قول بالتناسخ، وهذا توهّم سخيف لأنّ التناسخ الّذي أطبق المسلّمون على بطلانه هو تعلّق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام أُخر في هذا العالم، إمّا عنصريّة كما يزعم بعضهم ويقسّمه إلى النسخ والمسخ والفسخ والرسخ، أو فلكيّة ابتداءاً أو بعد تردّدها في الأبدان العنصريّة على اختلاف آرائهم الواهية المفصّلة في محلّها، وأمّا القول بتعلّقها في عالم آخر بأبدان مثاليّة مدّة البرزخ إلى أنّ تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأوّليّة بإذن مبدعها إمّا بجمع إجزائها المتشتّتة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أوّل مرّة فليس من التناسخ في شئ، وإن سمّيته

تناسخاً فلا مشاحّة في التسمية إذا اختلف المسمّى، وليس إنكارنا على التناسخيّة وحكمنا بتكفيرهم بمجرّد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر، فإنّ المعاد الجسمانيّ كذلك عند كثير من أهل الإسلام، بل بقولهم بقدم النفوس وتردّدها في أجسام هذا العالم وإنكارهم المعاد الجسمانيّ في النشأة الأُخرويّة.

قال الفخر الرازيّ في نهاية العقول: إنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلى الأبدان لا في هذا العالم، والتناسخيّة يقولون بقدمها وردّها إليها في هذا العالم، وينكرون الآخرة والجنّة والنار، وإنّما كفروا من أجل هذا الإنكار انتهى كلامه ملخّصاً. فقد ظهر البون البعيد بين القولين؛ انتهى كلامه زاد الله في إكرامه.

ثمّ اعلم أنّ مقتضى قواعد العدليّة وظواهر النصوص الماضية والآتية أنّه إنّما يسأل في القبر المكلّفون الكاملون لا الأطفال والمجانين والمستضعفون، وأمّا الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وإن كان المفهوم من فحوى عدم سؤال من لقّن وأمثالهم وما مرّ أنّه يسأل وهو مضغوط على بعض محتملاته وغيره ممّا يدلّ على رفعة شأنهم عدم السؤال عنهم، لكن لمّا لم نر فيه نصّاً صريحاً فالأولى عدم التعرّض له نفياً وإثباتاً، ولذا لم يتعرّض له علماؤنا رضوان الله عليهم.

قال صاحب المحجّة البيضاء في مذهب آل العباء: اختلف أهل السنّة في أنّ الأنبياء عليهم السلام هل يسألون في القبر أم لا؟ وكذا في الأطفال.

فقيل: الأصحّ أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يسألون.

وقال الصفّار: ليس في هذا نصّ ولا خبر ولا دليل فانتفي ذلك عنهم، وما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم من الاستعاذة عن عذاب القبر فذلك للمبالغة في إظهار الافتقار إلى الله تعالى.

وقيل: هو تحكّم محض لجواز أن يقال: آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه فكما جاز أنّ يسأل المؤمن عمّا آمن به فيقال: من ربّك وما دينك؟ فكذا الرسول يسأل عمّا آمن به؛ فعلم أنّ حمل الاستعاذة على المبالغة تحكّم بغير دليل، ولأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صاحب عهدة عظيمة لأنّه إنّما بعث لبيان الشرائع وصرف القلوب إلى الله تعالى فلم لا يجوز أن يسأل عمّا كان في عهدته؟ حتّى قيل: وسؤالهما الأنبياء

بهذه العبارة: على ماذا تركتم أُمّتكم؟ والحقّ أنّ الأئمّة كالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين في هذه الأُمور كلّها، ولم أر في كتب الإماميّة هذه المسألة لا نفياً ولا إثباتاً، والّذي يطمئنّ إليه قلبي أنّهم مع الأئمّة سلام الله عليهم مستثنون من هذه الأحكام. انتهى[1].

وقال الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد: اعتقادنا في المسألة في القبر أنّها حقّ لا بدّ منها، فمن أجاب بالصواب فإذا بروح وريحان في قبره وبجنّة نعيم في الآخرة ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره وتصليه جحيم في الآخرة.

وأكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول.

وأشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجّام، ويكون ذلك كفّارة لما بقي عليه من الذنوب الّتي تكفّرها الهموم والغموم والأمراض وشدّة النزف عند الموت، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كفّن فاطمة بنت أسد في قميصه بعدما فرغت النساء من غسلها، وحمل جنازتها على عاتقه حتّى أوردها قبرها، ثمّ وضعها ودخل القبر واضطجع فيه ثمّ قام فأخذها على يديه ووضعها في قبرها، ثمّ انكبّ عليها يناجيها طويلاً ويقول لها: ابنك ابنك، ثمّ خرج وسوّى عليها التراب، ثمّ انكبّ على قبرها فسمعوه وهو يقول: اللّهم إنّي أودعتها إيّاك، ثمّ انصرف، فقال له المسلمون: يارسول الله إنّا رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل اليوم فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب إنّها كانت يكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها وولدها، وإنّي ذكرت القيامة وأن الناس يحشرون عراة فقالت: واسوأتاه! فضمنت لها أنَّ يبعثها الله تعالى كاسية، وذكرت ضغطة القبر فقالت: واضعفاه! فضمنت لها أنَّ يكفيها الله تعالى ذلك فكفّنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك وانكببت عليها فلقّنتها ما تسأل عنه، وإنّما سئلت عن ربّها فقالت: الله، وسئلت عن نبيّها فأجابت، وسئلت عن وليّها وإمامها فأُرتج عليها، فقلت لها: ابنك ابنك.

وقال الشيخ المفيد نوّر الله ضريحه في شرح هذا الكلام: جاءت الأخبار

---

(١) البحار: ج ٦، ص ٢٧٥ - ٢٧٩.

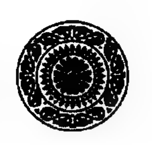
الصحيحة عن النبيّ ﷺ: أنّ الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة، فمنها أنّ ملكين لله تعالى يقال لهما: ناكر ونكير ينزلان على الميّت فيسألانه عن ربّه ونبيّه ودينه وإمامه فإن أجاب بالحقّ سلّموه إلى ملائكة النعيم، وإن أُرتج عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب وقيل في بعض الأخبار: إنَّ اسمي الملكين اللّذين ينزلان على المؤمن مبشر وبشير وقيل: إنّه إنّما سمّي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنّه ينكر الحقّ، وينكر ما يأتيانه به ويكرهه؛ وسمّي ملكا المؤمن مبشراً وبشيراً لأنّهما يبشّرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم، وإنّ هذين الاسمين ليسا بلقب لهما، وإنّهما عبارة عن فعلهما، وهذه أُمور تتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها والله أعلم بحقيقة الأمر فيها؛ وقد قلنا فيما سلف: إنّما ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، ومن سوى هذين فيلهى عنه، وبيّنّا أنّ الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه.

وليس ينزل الملكان إلاّ على حيّ ولا يسألان إلاّ من يفهم المسألة ويعرف معناها، وهذا يدلّ على أنّ الله تعالى يحيي العبد بعد موته للمسألة، ويديم حياته بنعيم إن كان يستحقّه، أو بعذاب إن كان يستحقّه[1] - نعوذ بالله من سخطه ونسأله التوفيق لمّا يرضيه برحمته - والغرض من نزول الملكين ومسألتهما العبد أنّ الله يؤكّل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم وملائكة العذاب، وليس للملائكة طريق إلى ما يستحقّه العبد إلاّ بإعلام الله تعالى ذلك لهم، فالملكان اللّذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم، والآخر من ملائكة العذاب، فإذا هبطا لما وكّلا به استفهما حال العبد بالمسألة فإن أجاب بما يستحقّ به النعيم قام بذلك ملك النعيم وعرج عنه ملك العذاب، وإن ظهرت فيه علامة استحقاقه العذاب وكلّ به ملك العذاب وعرج عنه ملك النعيم؛ وقد قيل: إنّ الملائكة الموكّلين بالنعيم والعقاب

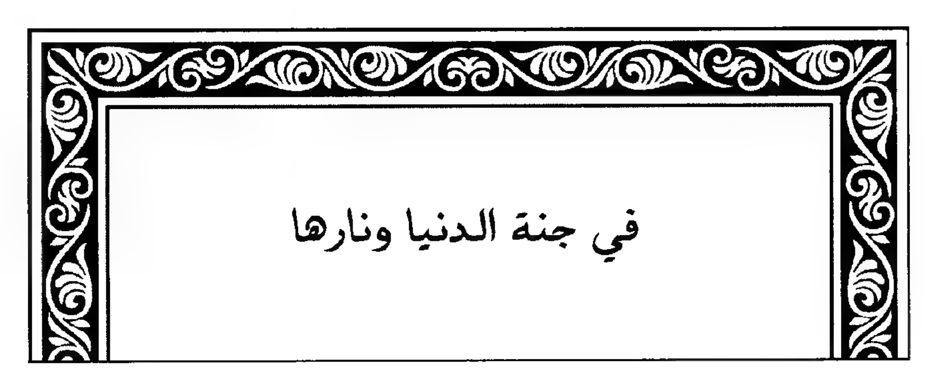
(١) لعل المراد أن الإنسان لا يبطل بعد الموت ولا ينعدم بالكلية بل له نوع من الحياة غير الحياة الحسية التي يفقدها بالموت، قال ﷺ: وإنما تنتقلون من دار إلى دار الحديث. وأما الروايات الدالة على إدخال الروح فيه إلى حقويه في القبر فهى تمثيل للمسألة كما أن الروايات الدالة على قولهما له: نم نومة العروس وإنا متهما له وغير ذلك تمثيل لمكثه في القبر في انتظار البعث. ط.

غير الملكين الموكّلين بالمسألة، وإنّما يعرف ملائكة النعيم وملائكة العقاب ما يستحقّه العبد من جهة ملكي المسألة، فإذا سائلا العبد وظهر منه ما يستحقّ به الجزاء تولّى منه ذلك ملائكة الجزاء، وعرج ملكا المسألة إلى مكانهما من السماء، وهذا كلّه جائز ولسنا نقطع بأحد دون صاحبه، إذ الأخبار فيه متكافئة، والعادة لنا في معنى ما ذكرناه التوقّف والتجويز.

وإنّما وكّل الله تعالى ملائكة المسألة وملائكة العذاب والنعيم بالخلق تعبّداً لهم بذلك، كما وكلّ الكتبة من الملائكة عليهم السلام بحفظ أعمال الخلق وكتبها ونسخها ورفعها تعبّداً لهم بذلك، وكما تعبّد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم وطائفة منهم بإهلاك الأمم، وطائفة بحمل العرش، وطائفة بالطواف حول البيت المعمور، وطائفة بالتسبيح، وطائفة بالاستغفار للمؤمنين، وطائفة بتنعيم أهل الجنّة، وطائفة بتعذيب أهل النار والتعبّد لهم بذلك ليثيبهم عليها، ولم يتعبّد الله الملائكة بذلك عبثاً كما لم يتعبّد البشر والجنّ بما تعبّدهم به لعباً بل تعبّد الكلّ للجزاء، وما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه تعالى والتزامهم شكر النعمة عليهم، وقد كان الله تعالى قادراً على أن يفعل العذاب بمستحقّه من غير واسطة وينعّم المطيع من غير واسطة، لكنّه علّق ذلك على الوسائط لمّا ذكرناه وبيّنّا وجه الحكمة فيه ووصفناه، وطريق مسألة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا بالوفات هو السمع، وطريق العلم بردّ الحياة إليهم عند المسألة هو العقل، إذ لا تصحّ مسألة الأموات واستخبار الجمادات، وإنّما يحسن الكلام للحي العاقل لما يكلّم به، وتقريره وإلزامه بما يقدر عليه، مع أنّه قد جاء في الخبر: أنّ كلّ مسأل تردّ اليه الحياة عند مساءلتهم ليفهم ما يقال له؛ فالخبر بذلك أكّد ما في العقل، ولو لم يرد بذلك خبر لكفى حجّة العقل فيه على ما بيّنّاه. انتهى كلامه رحمه الله [1].



(١) البحار: ج ٦، ص ٢٧٩ - ٢٨٢.



في جنة الدنيا ونارها

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم: ٦١]

تفسير: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ أي جنّات إقامة.

﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي وعدها إيّاهم وهي غائبة عنهم، أو وهم غائبون عنها، أو وعدهم بإيمانهم بالغيب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ الّذي هو الجنّة ﴿مَأۡتِيّٗا﴾ يأتيها أهلها الموعود لهم.

وقيل: المفعول بمعنى الفاعل أي آتيا.

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ أي فضول كلام ﴿إِلَّا سَلَٰمٗا﴾ أي ولكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة، أو إلاّ تسليم الملائكة عليهم، أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع.

﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: قال المفسّرون: ليس في الجنّة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشيّ، والمراد: أنّهم يؤتون رزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداة والعشيّ وقيل: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به وكانت تكره الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى أنّ لهم في الجنّة رزقهم بكرة وعشيّاً على قدر ذلك الوقت، وليس ثمّ ليل وإنّما هو ضوء ونور. وقيل: إنّهم يعرفون مقدار اللّيل بإرخاء الحجب وفتح الأبواب انتهى.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ

ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨-٥٩]

قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ قيل: هذا في جنّة الدنيا كقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

وقال الطبرسيّ في قصّة مؤمن آل يس عند قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾.

عن ابن مسعود قال: إنّ قومه لمّا سمعوا ذلك القول منه وطؤه بأرجلهم حتّى مات فأدخله الله الجنّة وهو حيّ فيها يرزق وهو قوله: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَۖ﴾ وقيل: رجموه حتّى قتلوه.

وقيل: إنّ القوم لمّا أرادوا أنَّ يقتلوه رفعه الله إليه فهو في الجنّة ولا يموت إلاّ بنفاء الدنيا وهلاك الجنّة عن الحسن ومجاهد، وقالا: إنّ الجنّة الّتي دخلها يجوز هلاكها.

وقيل: إنّهم قتلوه إلاّ أنّ الله سبحانه أحياه وأدخله الجنّة فلمّا دخلها قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ الآية.

وفي هذا دلالة على نعيم القبر لأنّه إنّما قال ذلك وقومه أحياء، وإذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإنّ الخلاف فيهما واحد.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]

وقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾: أي أحاط ونزل بهم.

﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي مكروهه وما يسوء منه، وسوء العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار، وذلك قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ﴾ أي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحاً ومساءاً فيعذّبون.

وعن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة من الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال: هذا مقعدك حتّى يبعثك الله يوم القيامة؛ أورده البخاريّ ومسلم في الصحيحين[١]. وقال أبو عبدالله عليه السلام: ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأنّ نار القيامة لا تكون غدوّاً وعشيّاً، ثمّ قال: إن كانوا إنّما يعذّبون غدوّاً وعشيّاً ففيما بين ذلك هم من السعداء ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٢].

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾

[نوح: ٢٥]

وقال البيضاويّ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ أي من أجل خطيئاتهم، و ﴿مَآ﴾ مزيدة للتأكيد والتفخيم ﴿أُغْرِقُواْ﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾، المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال، أو لأنّ المسبّب كالمتعقّب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع[٣].

عن الحسين بن بشّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن جنّة آدم فقال: جنّة من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً[٤].

تفسير القمي: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة، والدليل على ذلك قوله: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فالبكرة والعشيّ لا تكونان في

---

(١) البحار: ج ٦، ص ٢٨٤.
(٢) البحار: ج ٦، ص ٢٨٤.
(٣) البحار: ج ٦ ص ٢٨٢ - ٢٨٤.
(٤) البحار: ج٦، ص٢٨٤، باب ٩، ح٢.

الآخرة في جنان الخلد، وإنّما يكون الغدوّ والعشيّ في جنان الدنيا الّتي تنقل إليها أرواح المؤمنين، وتطلع فيها الشمس والقمر[١].

تفسير القمي: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[٢] قال: ذلك في الدنيا قبل القيامة وذلك أنّ في القيامة لا يكون غدوّاً ولا عشيّاً، لأنّ الغدوّ والعشاء إنّما يكون في الشمس والقمر وليس في جنان الخلد ونيرانها شمس ولا قمر.

قال: وقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: مايقول الناس فيها؟

فقال: يقولون: إنّها في نار الخلد وهم لا يعذّبون فيما بين ذلك.

فقال عليه السلام: فهم من السعداء.

فقيل له: جعلت فداك فكيف هذا؟

فقال: إنّما هذا في الدنيا فأمّا في نار الخلد فهو قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٣].

عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه صلوات الله عليهم قال: كان فيما سأل ملك الروم الحسن بن عليّ عليه السلام أن سأله عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا؟

قال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في ليلة الجمعة، وهو عرش الله الأدنى منها يبسط الله الأرض وإليها يطويها وإليه المحشر ومنها استوى ربّنا إلى السماء والملائكة؛ ثمّ سأل عن أرواح الكفّار أين تجتمع؟

قال: تجتمع في وادي حضرموت وراء مدينة اليمن[٤].

عن القدّاح، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص٤١٢. البحار: ج٦، ص٤١٢، باب ٩، ح٤.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٦.
(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ص٥٨٦، البحار: ج٦، ص٢٨٥-٢٨٦، باب ٩، ح٩.
(٤) تفسير علي بن إبراهيم ص٥٩٨. البحار: ج٦، ص٢٨٦-٢٨٧، باب ٩، ح٨.

الله عليه: شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو الّذي بحضرموت يرده هام الكفّار(١).

عن ضريس الكناسيّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام أنَّ الناس يذكرون أنَّ فراتنا يخرج من الجنّة، فكيف هو وهو يقبل من المغرب وتصبّ فيه العيون والأودية؟

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام - وأنا أسمع -: إنّ لله جنّة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذه يخرج منها، وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساء، فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعّم فيها وتتلاقى وتتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض تطير ذاهبةً وجائيةً وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء وتتعارف.

قال: وإنّ لله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفّار، ويأكلون من زقّومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له: برهوت أشدّ حرّاً من نيران الدنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة.

قال: قلت: أصلحك الله ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين المذنبين الّذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم؟

فقال: أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان منهم له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنّه يخدّ له خدّاً إلى الجنّة الّتي خلقها الله في المغرب فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيامة، فيلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيّئاته، فإمّا إلى الجنّة، إو إلى نار، فهؤلاء موقوفون لأمر الله.

قال: وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الّذين لم يبلغوا الحلم، فأمّا النصّاب من أهل القبلة فإنّهم يخدّ لهم خدٌّ إلى النار الّتي خلقها الله في المشرق فيدخل عليهم منها اللّهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثمَّ مصيرهم إلى الحميم ثمَّ في النار يسجرون ثمَّ قيل لهم: أين ما

---

(١) فروع الكافي: ج١، ص٧٦. البحار: ج٦، ص٢٨٩، باب ٩، ح١٢.

كنتم تدعون من دون الله؟ أين إمامكم الّذي اتّخذتموه دون الإمام الّذي جعله الله للناس إماماً[١].

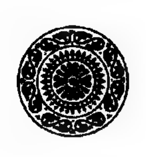
عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء أعرابيّ إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: من أين جئت ياأعرابيّ.

قال: من الأحقاف أحقاف عاد.

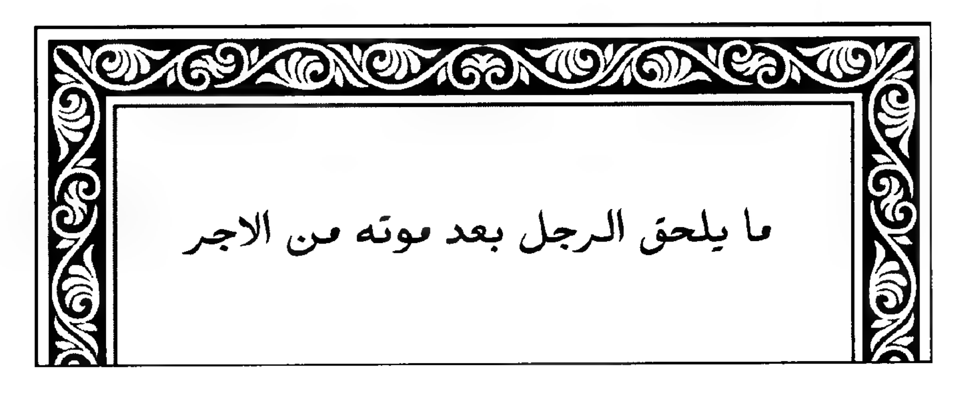
قال: رأيت وادياً مظلماً فيه الهام والبوم لا يبصر قعره قال: وتدري ما ذاك الوادي؟

قال: لا والله ما أدري.

قال: ذاك برهوت فيه نسمة[٢] كلّ كافر[٣].



(١) فروع الكافي: ج١، ص٦٨، البحار: ج٦، ص٢٨٩-٢٩، باب ٩، ح١٤.
(٢) النسمة: الروح.
(٣) بصائر الدرجات: ص١٤٨، البحار: ج٦، ص٢٩٢، باب ٩، ح١٧.

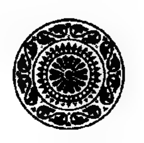


ما يلحق الرجل بعد موته من الاجر

عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجرى بعد موته إلى يوم القيامة، صدقة موقوفة لا تورث، أو سنّة هدى سّنها وكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره؛ أو ولد صالح يستغفر له[١].

عن أبي كهمش، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ستّ خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ فيه، وقليب[٢] يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنّة حسنة يؤخذ بها بعده[٣].

عن عبد الخالق بن عبد ربّه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: خير ما يخلفه الرجل بعده ثلاثة: ولد بارّ يستغفر له، وسنّة خير يقتدى به فيها، وصدقة تجري من بعده[٤].



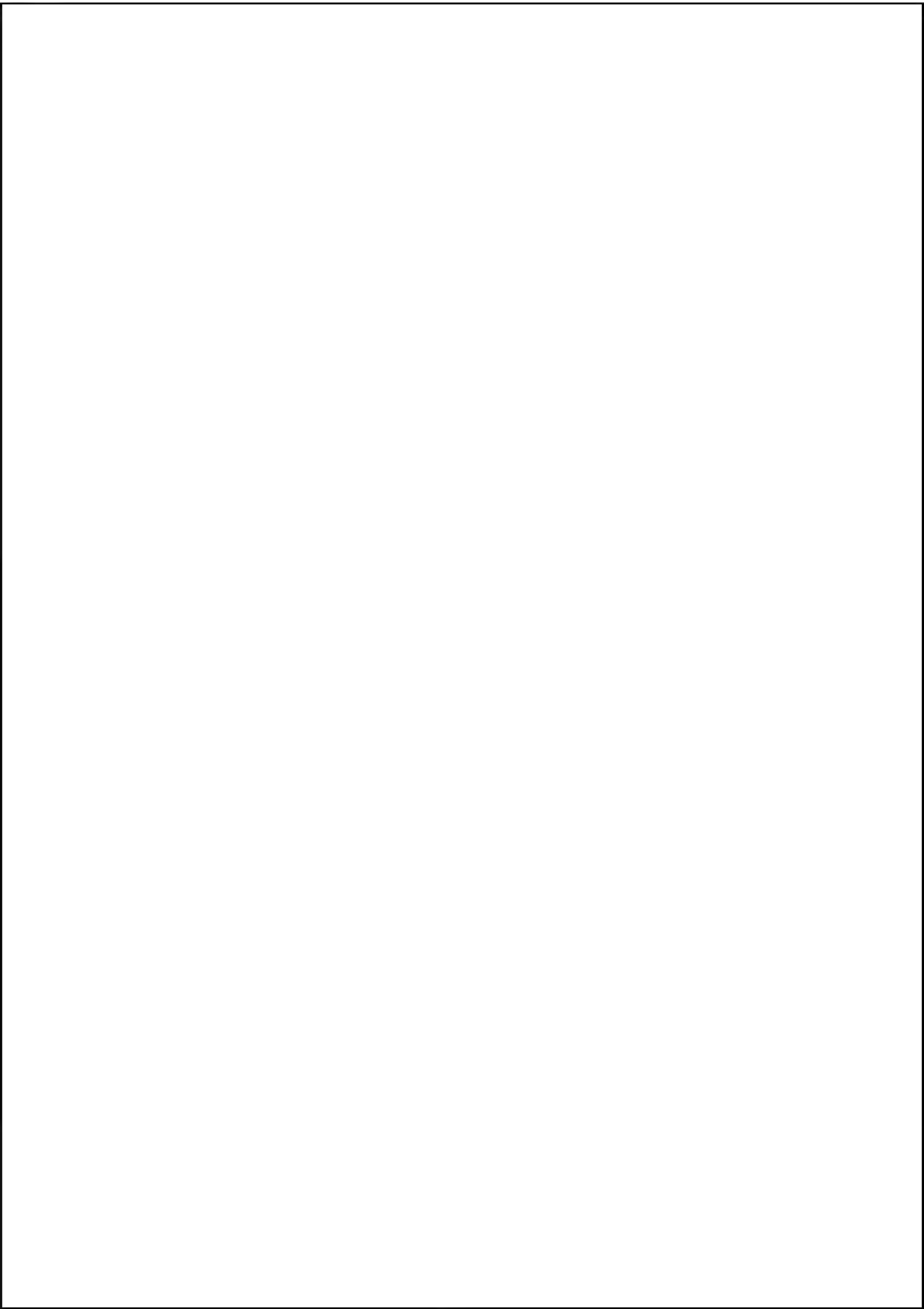
---

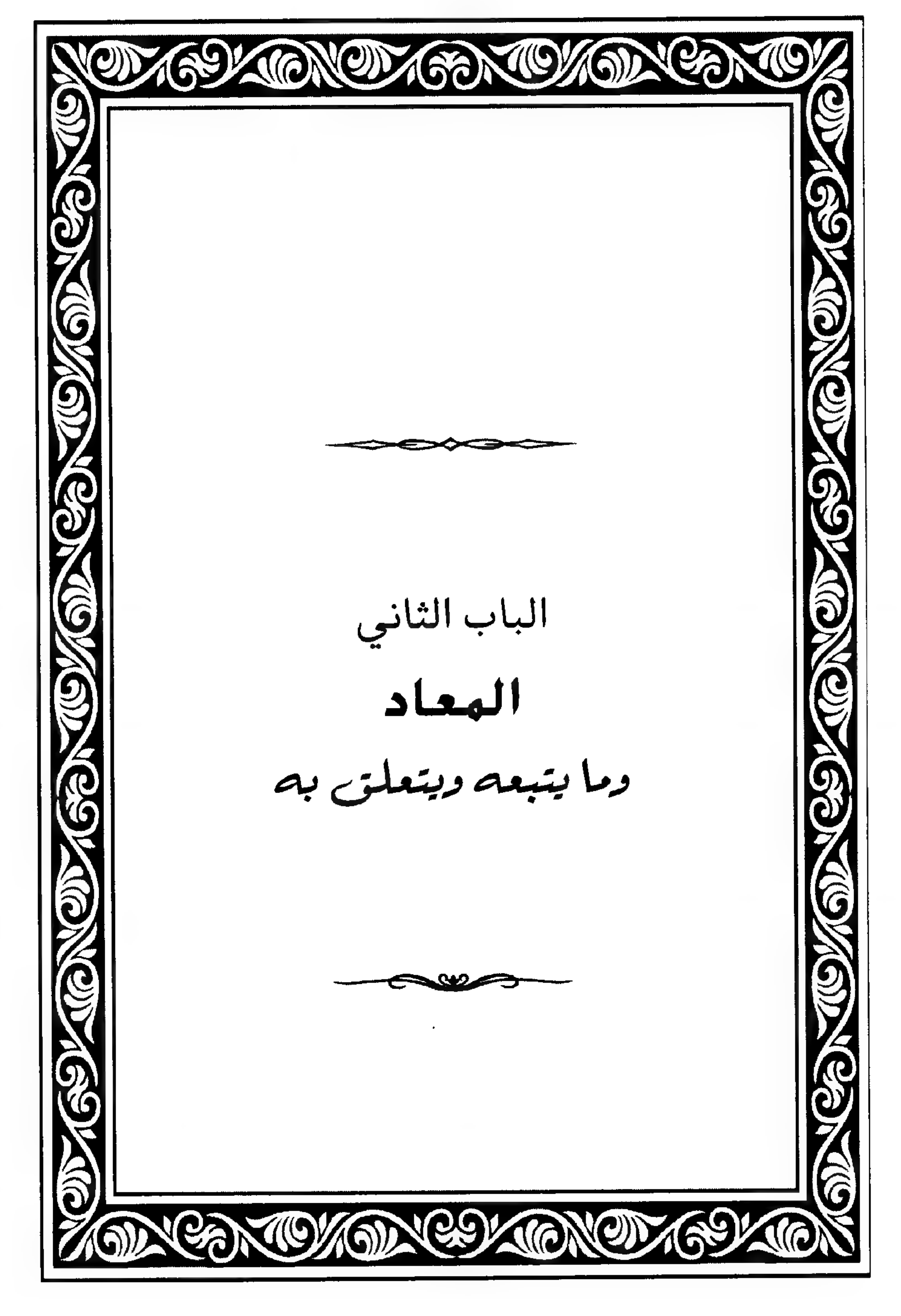
(١) الخصال: ج١، ص٧٣، البحار: ج٦، ص٢٩٣، باب ١٠، ح١.

(٢) القليب: البئر.

(٣) الخصال: ج١، ص١٥٧، البحار: ج٦، ص٢٩٤، باب ١٠، ح٢.

(٤) أمالي الطوسي، والبحار: ج٦، ص٢٩٤، باب ١٠، ح٣.

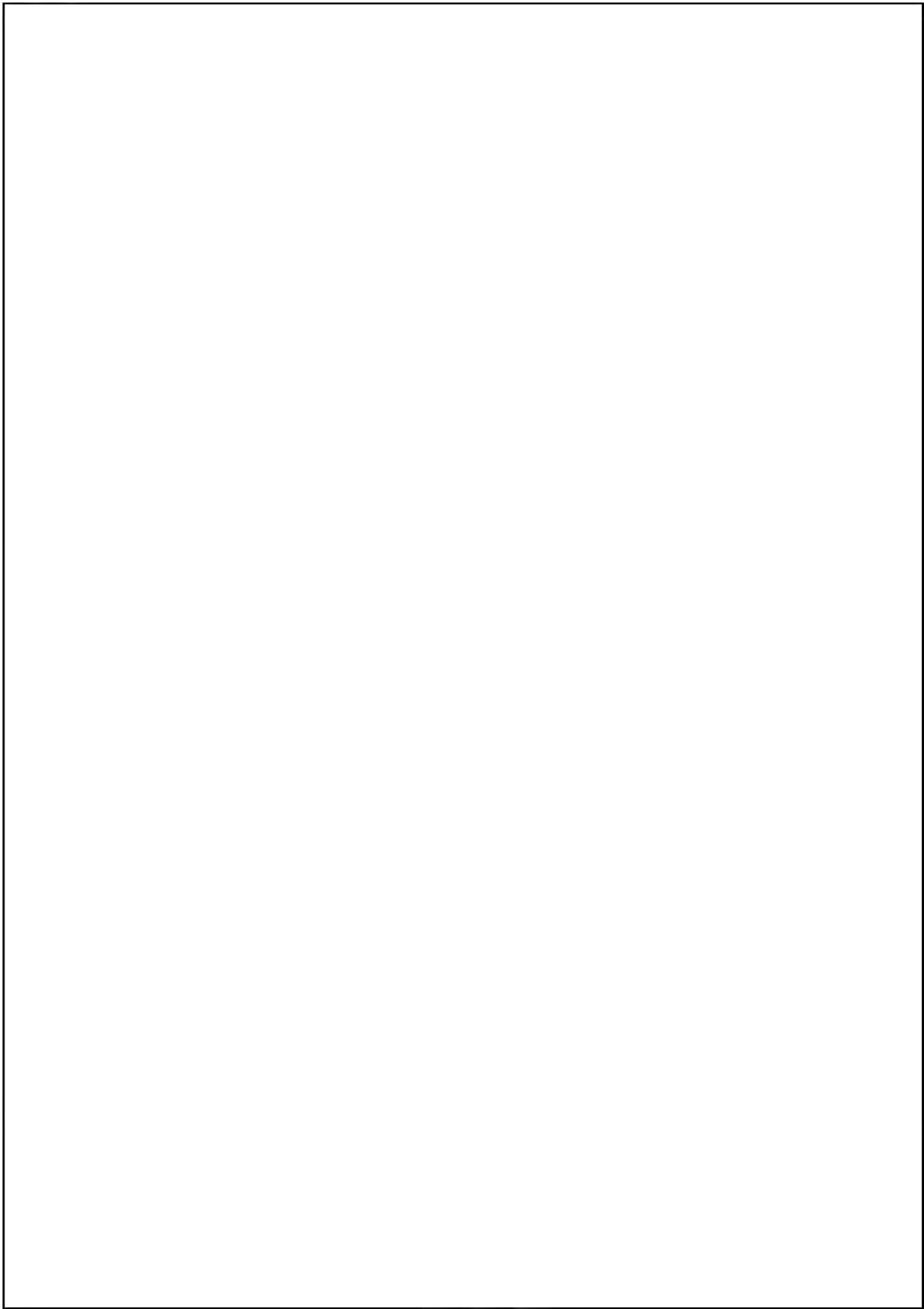


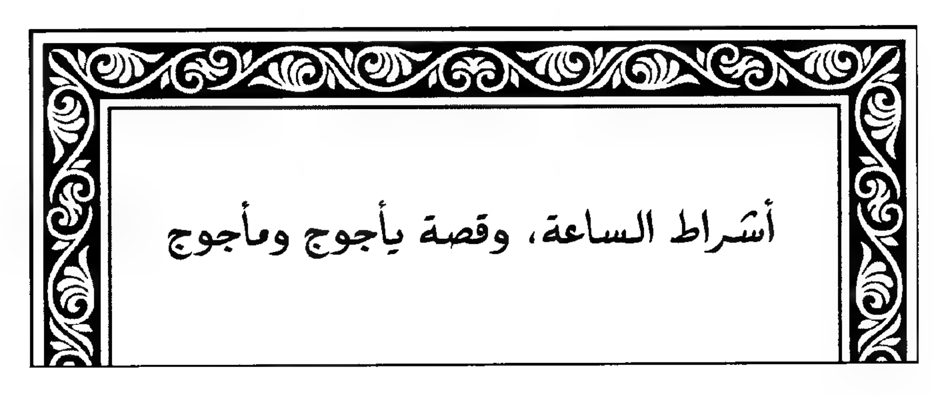


الباب الثاني

المعاد

وما يتبعه ويتعلق به





أشراط الساعة، وقصة يأجوج ومأجوج

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي ما ينتظر هؤلاء الكفّار ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم؛ وقيل: لإنزال العذاب والخسف بهم؛ وقيل: لعذاب القبر.

﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ أي أمر ربّك بالعذاب فحذف المضاف، أو يأتي ربّك بجلائل آياته فيكون حذف الجارّ فوصل الفصل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه لقيام الدليل في العقل عليه؛ أو المعنى: أو يأتي إهلاك ربّك إيّاهم بعذاب عاجل أو آجل بالقيامة كما يقال: قد أتاهم فلان أي قد أوقع بهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ﴾ وذلك نحو خروج الدابّة أو طلوع الشمس من مغربها.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: بادروا بالأعمال ستّاً: طلوع الشمس من مغربها، والدابّة، والدجّال، والدخان، وخريصة أحدكم - أي موته - وأمر العامّة يعني القيامة.

﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الّذي يضطرّهم إلى المعرفة ويزول التكليف عندها.

﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ لأنّه ينسدّ باب التوبة بظهور آيات القيامة.

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ عطف على قوله: آمنت، وفيه أقوال:

أحدها: أنّه إنّما قال ذلك على جهة التغليب لأنّ أكثر من ينتفع بإيمانه حينئذ من كسب في إيمانه خيراً.

وثانيها: أنّه لا ينفع أحداً فعل الإيمان ولا فعل خير في تلك الحال لأنّه حال زوال التكليف، فالمعنى أنّه لا ينفعه إيمانه حينئذ وإن كسب في إيمانه خيراً.

وثالثها: أنّه للإبهام في أحد الأمرين، والمعني: أنّه لا ينفع في ذلك اليوم إيمان نفس إذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم أو ضمّت إلى إيمانها أعمال الخير، فإنّها إذا آمنت قبل نفعها إيمانها، وكذلك إذا ضمّت إلى الإيمان طاعة نفعتها أيضاً وهذا أقوى.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٣-٩٤]

وقال رحمه الله في قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فسادهم أنّهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابّهم.

وقيل: كانوا يخرجون أيّام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلاّ أكلوه، ولا يابساً إلاّ احتملوه، عن الكلبيّ.

وقيل: إنّهم أرادوا سيفسدون في المستقبل عند خروجهم، وورد في الخبر عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج.

قال: يأجوج أُمّة، ومأجوج أُمّة، كلّ أُمّة أربعمائة أُمّة لا يموت الرجل منهم حتّى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلّ قد حمل السلاح.

قلت: يارسول الله صفهم لنا.

قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز[1].

---

(١) بالفتح ثم السكون.

قلت: يا رسول الله وما الأرز؟

قال: شجر بالشام طويل، وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الّذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أُذنيه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلاّ أكلوه، من مات منهم أكلوه، مقدّمتهم بالشام، وساقتهم[١] بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبريّة[٢].

قال وهب ومقاتل: إنّهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك وقال السدّيّ: الترك سريّة من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السدّ فبقيت خارجة.

وقال قتادة: إنّ ذا القرنين بني السدَّ على أحد وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة دون السدّ فهم الترك.

وقال كعب: هم نادرة من ولد آدم، وذلك أنَّ آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متّصلون بنا من جهة الأب دون الأُمّ وهذا بعيد[٣].

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي يعلوه ويصعدوه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ أي لم يستطيعوا أنَّ ينقبوا أسفله لكثافة وصلابته، فنفى بذلك كلّ عيب يكون في السدّ.

وقيل: إنّ هذا السدّ وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخّرهما البحر المحيط.

وقيل: إنّه وراء دربند وخزران من ناحية أرمينيّة وآذربيجان. وقيل: إنّ مقدار ارتفاع السدّ مائتا ذراع، وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً.

قال ذوالقرنين: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ أي هذا السدّ نعمة من الله لعباده أنعم بها عليهم في دفع شرّ يأجوج ومأجوج عنهم.

---

(١) في نسخة: مؤخرتهم.

(٢) الحديث عامي. وكذا ما يأتى بعد ذلك ضمن التفسير.

(٣) بل يشبه الأساطير. والأعاجيب التى حكيت فيهم، لم ترد في الكتاب العزيز ولا في أثر صحيح.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني إذا جاء وقت أشراط الساعة ووقت خروجهم الّذي قدّره الله تعالى ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أي جعل السدَّ مستوياً مع الأرض مدكوكاً أو ذا دكّ، وإنّما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجّال عن ابن مسعود؛ وجاء في الحديث: أنّهم يدأبون في حفره نهارهم حتّى إذا أمسوا وكادوا لا يبصرون شعاع الشمس قالوا: نرجع غداً ونفتحه ولايستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتّى إذا جاء وعد الله قالوا: غدا نخرج ونفتح إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيئة حين تركوه بالأمس فيخرقونه فيخرجون على الناس فينشفون المياه، وتتحصّن الناس في حصونهم منهم؛ فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفاً(١) في أقفائهم فتدخل في آذانهم فيهلكون بها.

فقال النبيّ ﷺ: والّذي نفس محمّد بيده إنّ دوابّ الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً(٢).

وفي تفسير الكلبيّ: إنّ الخضر واليسع يجتمعان كلّ ليلة على ذلك السدّ يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي وتركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السدّ يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ويكون حالهم كحال الماء الّذي يتموّج باضطراب أمواجه.

وقيل: إنّه أراد سائر الخلق الجنّ والإنس أي تركنا الناس يوم خروج يأجوج ومأجوج يختلط بعضهم ببعض لأنّ ذلك علَم للساعة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ

---

(١) النغفة: دود يكون في انوف الابل والغنم.

(٢) أي تمتلئ ضرعها لبنا. وفى مجمع البيان المطبوع: وتسكر من لحومهم سكرا. ولعله مصحف.

كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾

[الأنبياء: ٩٦-٩٧]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي فتحت جهتهم، والمعنى انفرج سدّهم بسقوط أو هدم أوكسر وذلك من أشراط الساعة ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ أي من كلّ نشز[1] من الأرض يسرعون، يعني أنّهم يتفرّقون في الأرض فلا ترى أكمة[2] إلاّ وقوم منهم يهبطون منها مسرعين يقولون: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ أي الموعود الصدق وهو قيام الساعة، فإذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا أي لا تكاد تطرف من شدّة ذلك اليوم وهوله، يقولون ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي اشتغلنا بأُمور الدنيا، وغفلنا من هذا اليوم فلم نتفكّر فيه، بل كنّا ظالمين بأن عصينا الله تعالى وعبدنا غيره.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي وجب العذاب والوعيد عليهم.

وقيل: معناه: إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا أحد بسببهم.

وقيل: إذا غضب الله عليهم.

وقيل: إذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة فسمّي المقول قولاً.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأنّه مؤمن، والكافر بأنّه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبه، وهو علَم من أعلام الساعة.

---

(١) النشز: المكان المرتفع.

(٢) أكمة: التل.

وقيل: لا يبقى مؤمن إلاّ مسحته، ولا يبقى منافق إلاّ حطمته، تخرج ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى، عن ابن عمر؛ وروى محمّد بن كعب قال: سئل عليّ عليه السلام عن الدابّة فقال: أمّا والله مالها ذنب وإنّ لها للحية؛ وفي هذا إشارة إلى أنّها من الإنس.

وروى ابن عبّاس أنّها دابّة من دوابّ الأرض لها زغب(١) وريش ولها أربع قوائم.

وعن حذيفة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: دابّة الأرض طولها ستّون ذراعاً، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب، فتسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه: كافر، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتّى يقال: يامؤمن، وياكافر.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه تكون للدابّة ثلاث خرجات من الدهر: فتخرج خروجاً بأقصى المدينة فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكّة، ثمّ تمكث زماناً طويلاً، ثمّ تخرج خرجة أُخرى قريباً من مكّة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكّة، ثمّ صار الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمةً وأكرمها على الله عزّ وجلّ يعني المسجد الحرام لم ترعهم إلاّ وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها، وتثبت لها عصابة عرفوا أنّهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرّت بهم فجلت عن وجوههم حتّى تركتها كأنّها الكواكب الدرّيّة، ثمّ ولّت في الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، حتّى أنّ الرجل يقوم فيتعوّذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يافلان الآن تصلّي؟ فيقبل عليها بوجه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم، ويشتركون في الأموال، يعرف المؤمن من الكافر فيقال للمؤمن: يامؤمن، وللكافر: ياكافر. وروي عن وهب أنّه

---

(١) الزغب: أول ما يبدو من الشعر او الريش.

قال: وجهها وجه رجل، وسائر خلقها خلق الطير. ومثل هذا لا يعرف إلاّ من النبوّات الإلهيّة.

وقوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي تكلّمهم بما يسوؤهم؛ وهو أنّهم يصيرون إلى النار بلسان يفهمونه.

وقيل: تحدّثهم بأنَّ هذا مؤمن وهذا كافر؛ وقيل: تكلّمهم بأن تقول لهم: بأنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وهو الظاهر؛ وقيل: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ معناه بكلامها وخروجها.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾

[الزخرف: ٦١]

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعني أنّ نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة يعلم به قربها ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي بالساعة لا تكذّبوا بها ولا تشكّوا فيها.

وقال ابن جريح: أخبرني أبوالزبير أنّه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا نزل[١] عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلّ بنا فيقول: لا؟ إنّ بعضكم على بعض أُمراء تكرمة من الله لهذه الأُمّة. أورده مسلم في الصحيح.

وفي حديث آخر: كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم؟ وقيل: إنَّ الهاء يعود إلى القرآن ومعناه: إنَّ القرآن لدلالته على قيام الساعة والبعث يعلم به.

وقيل: معناه: إنَّ القرآن لدليل الساعة، لأنّه آخر الكتب أُنزل على آخر الأنبياء.

---

(١) ليست جملة: (كيف أنتم إذا) في المجمع والصحيح المطبوعين، والموجود في الأول هكذا: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: ينزل عيسى إهـ. وفي الثاني هكذا: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى إه. راجع مجمع البيان ج ٨ ص ٥٤ وصحيح المسلم ج ١ ص ٩٥.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٠-١٥]

وقال في قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: وذلك أنَّ رسول الله ﷺ دعا على قومه لمّا كذّبوه[١] فأجدبت الأرض فأصابت قريشاً المجاعة وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان.

وقيل: إنَّ الدخان آية من أشراط الساعة تدخل في مسامع الكفّار والمنافقين وهو لم يأت بعد، وإنّه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل أسماعهم، حتّى أنَّ رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ[٢] ويصيب كلّ مؤمن منه مثل الزكمة وتكون الأرض كلّها كبيت أُوقد فيه ليس فيه خصاص[٣] ويمكث ذلك أربعين يوماً عن ابن عبّاس وابن عمر والحسن والجبائيّ.

﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ يعني أنَّ الدخان يعمّ جميع الناس، وعلى القول الأوّل المراد بالناس أهل مكّة، فقالوا: ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون بمحمّد ﷺ والقرآن.

قال سبحانه: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي من أين لهم التذكّر والاتّعاظ، وقد جاءهم رسول مبين أي وحالهم أنّهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والدلالة.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي أعرضوا عنه ولم يقبلوا قوله وقالوا: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ ثمَّ قال سبحانه: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ أي الجوع والدخان ﴿قَلِيلًا﴾ أي زماناً يسيراً إلى يوم بدر.

---

(١) في المجمع هنا جملة وهي: فقال: اللهم سنين كسني يوسف.

(٢) أي المشوي من قولهم: حنذ اللحم: إذا شواه وأنضجه بين حجرين، فاللحم حنيذ. ويمكن أن يكون من حنذ الفرس أي أجراه ليعرق، فالفرس محنوذ وحنيذ.

(٣) الخصاص بفتح الخاء: الفرجة والخلة.

﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ في كفركم وتكذيبكم، أو عائدون إلى العذاب الأكبر وهو عذاب جهنّم، والقليل مدّة بين العذابين.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ أي واذكر ذلك اليوم يعني يوم بدر على القول الأوّل وعلى القول الآخر يوم القيامة، والبطش: هو الأخذ بشدّة ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ منهم ذلك اليوم.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٨]

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾: أي فليس ينتظرون إلاّ القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أي فجاءة ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي علاماتها.

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ أي فمن أين لهم الذكرى والاتّعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة؟.

وقال الرازيّ في تفسيره: إنَّ موضع السدّين في ناحية الشمال، وقيل: جبلان بين أرمينيّة وبين آذربيجان، وقيل: هذا المكان في مقطع عرض الترك.

وحكى محمّد بن جرير الطبريّ في تاريخه: أنّ صاحب آذربيجان أيّام فتحها وجّه إنساناً من ناحية الخزر فشاهده ووصف أنّه بنيان رفيع وراء خندق عميق وثيق متّسع.

وذكر ابن خرداد في كتاب المسالك والممالك: أنَّ الواثق بالله رأى في المنام كأنّه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم إليه ليعاينوه فخرجوا من باب الأبواب حتّى وصلوا إليه وشاهدوه، فوصفوا أنّه بناء من اللّبن من حديد مشدود بالنحاس المذاب، وعليه باب مقفّل، ثم إنَّ ذلك الإنسان لمّا حاول الرجوع أخرجهم الدليل إلى البقاع المحاذية لسمرقند.

قال أبو الريحان: مقتضى هذا أنّ موضعه في الربع الشماليّ في الغربيّ من المعمورة والله أعلم بحقيقة الحال. ثمّ قال: عند الخروج من وراء السدّ يموجون

مزدحمين في البلاد يأتون البحر فيشربون ماءه، ويأكلون دوابّه، ثمّ يأكلون الشجر، ويأكلون لحوم الناس، ولا يقدرون أنّ يأتوا مكّة والمدينة وبيت المقدس، ثمّ يبعث الله عليهم حيوانات فتدخل آذانهم فيموتون.

قال في النهاية: فيه تخرج الدابّة وعصا موسى وخاتم سليمان فتجلى وجه المؤمن بالعصا وتخطم وجه أنف الكافر بالخاتم أي تسمه بها، من خطمت البعير: إذا كريته خطماً من الأنف إلى أحد خدّيه، وتسمّى تلك السمة الخطام، ومنه حديث حذيفة: تأتي الدابّة المؤمن فتسلّم عليه، وتأتي الكافر فتخطمه[١].

عن حذيفة ابن أسيد[٢] قال: اطّلع علينا رسول الله ﷺ من غرفة له - ونحن نتذاكر الساعة.

فقال: لا تقوم الساعة حتّى تكون عشر آيات: الدجّال، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، ودابّة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب؛ ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تنزل معهم إذا نزلوا، وتقبل معهم إذا أقبلوا[٣].

عن حذيفة بن أسيد الغفّاريّ قال: كنّا جلوساً في المدينة في ظلّ حائط، قال: وكان رسول الله ﷺ في غرفة فاطّلع علينا فقال: فيم أنتم؟

فقلنا: نتحدّث.

قال: عمَّ ذا؟

قلنا: عن الساعة.

فقال: إنّكم لا ترون الساعة حتّى تروا قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، ودابّة الأرض وثلاثة خسوف تكون في الأرض: خسف

---

(١) البحار: ج ٦، ص ٢٩٦ - ٣٠٢.

(٢) وزان أمير هو حذيفة بن أسيد أبو سريحة - بمهملتين مفتوحة الأولى - صحابي من أصحاب الشجرة، مات سنة ٤٢ قاله ابن حجر في التقريب ص ٩٨.

(٣) البحار: ج٦، ص٣٠٣، باب ١، ح١.

بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب؛ وخروج عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وتكون في آخر الزمان نار تخرج من اليمن من قعر الأرض لا تدع خلفها أحداً تسوق الناس إلى المحشر كلّما قاموا قامت لهم تسوقهم إلى المحشر(١).

عن محمّد بن الحنفيّة، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا عملت أُمتي خمسة عشر خصلة حلّ بها البلاء.

قيل: يا رسول الله وما هي؟

قال: إذا كانت المغانم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته، وعق أُمّه، وبرّ صديقه، وجفا أباه، وكان زعيم القوم أرذلهم، والقوم أكرمه مخافة شرّه، وارتفعت الأصوات في المساجد، ولبسوا الحرير، واتّخذوا القينات، وضربوا بالمعازف(٢) ولعن آخر هذه الأُمّة أوّلها فليرتقب عند ذلك ثلاثة: الريح الحمراء، أو الخسف، أو المسخ(٣).

تفسير علي بن إبراهيم: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ فإنّه حدّثني أبي، عن سليمان بن مسلم الخشّاب، عن عبد الله بن جريح المكّيّ، عن عطاء بن أبي رياح، عن عبد الله بن عبّاس قال: حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة الوداع فأخذ باب الكعبة ثمّ أقبل علينا بوجهه.

فقال: ألا أُخبركم بأشراط الساعة؟ - وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رضي الله عنه - فقال: بلى يارسول الله.

فقال: إنّ من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، واتّباع الشهوات، والميل مع الأهواء وتعظيم المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن وجوفه كما يذوب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره.

---

(١) الخصال: ج٢ ص٦٠، ٦١، البحار: ج٦، ص ٣٠٤، باب ١، ح٣.

(٢) القينات جمع القينة وهي المغنية، وكثيراً ما تطلق على المغنية من الإماء، قال في النهاية: نهى عن بيع القينات أي الإماء المغنيات. وقال: المعازف هي الدفوف وغيرها مما يضرب. قلت: تشمل الطنبور والعود والقيثارة وغيرها من آلات الطرب.

(٣) الخصال: ج٢، ص٩١. البحار: ج٦، ص٣٠٤-٣٠٥، باب ١، ح٤.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: إن عندها أُمراء جورة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأُمناء خونة.

فقال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: إنّ عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وائتمن الخائن ويخون الأمين، ويصدّق الكاذب، ويكذّب الصادق.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: فعندها إمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب طرفاً، والزكاة مغرماً، والفيئ مغنماً، ويجفو الرجل والديه، ويبرّ صديقه، ويطلع الكوكب المذنّب.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: أي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظاً، ويغيظ الكرام غيظاً، ويحتقر الرجل المعسر، فعندها يقارب الأسواق إذا قال هذا: لم أبع شيئاً وقال هذا: لم أربح شيئاً فلا ترى إلاّ ذامّاً لله.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: فعندها يليهم أقوام إن تكلّموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم ليستأثروا بفيئهم، وليطؤنّ حرمتهم، وليسفكنّ دماءهم، ولتملأنّ قلوبهم رعباً، فلا تراهم إلاّ وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: إنّ عندها يؤتى بشيء من المشرق وشيء من المغرب يلوّن أُمّتي[١] فالويل لضعفاء أُمّتي منهم، والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً، ولا يوقّرون كبيراً ولا يتجاوزون عن مسيء، أخبارهم خناء، جثّتهم جثّة الآدميّين وقلوبهم قلوب الشياطين.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: وعندها تكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان[٢] كما يغار على الجارية في بيت أهلها، ويشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، ويركبن ذوات الفروج السروج فعليهنّ من أُمّتي لعنة الله.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

فقال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: إنّ عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس[٣]، ويحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

وعندها تحلى ذكور أُمّتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج، ويتّخذون جلود النمور صفافاً.

قال سلمان: وإنَّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: وعندها يظهر الربا، ويتعاملون بالغيبة والرشاء، ويوضع الدين، وترفع الدنيا.

---

(١) أي تختلف أخلاقهم، فلا ترى فيهم الخلق الإسلامية.

(٢) أغار عليهم: هجم وأوقع بهم.

(٣) بيع كعنب: معابد النصارى، مفردها بيعة بالكسر. وكنائس: معابد اليهود والنصارى مفردها كنيسة.

قال سلمان: وإنَّ هذا لكائن يارسول الله؟

فقال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: وعندها يكثر الطلاق، فلا يقام لله حدّ، ولن يضرّ الله شيئاً.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: وعندها تظهر القينات والمعازف، ويليهم أشرار أُمّتي.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال ﷺ: أي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: وعندها تحجُّ أغنياء أُمّتي للنزهة، وتحجّ أوساطها للتجارة، وتحجّ فقراؤهم للرياء والسمعة، فعندها يكون أقوام يتعلّمون القرآن لغير الله، ويتّخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقّهون لغير الله، ويكثر أولاد الزنا، ويتغنّون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا[١].

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: ذاك إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المآثم، وسلّط الأشرار على الأخيار، ويفشو الكذب، وتظهر اللّجاجة، ويفشو الحاجة، ويتباهون في اللّباس ويُمطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكوبة والمعازف، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتّى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من الأمة ويظهر قرّاؤهم وعبّادهم فيما بينهم التلاوم، فأُولئك يدعون في ملكوت السماوات: الأرجاس والأنجاس.

قال سلمان: وإنَّ هذا لكائن يارسول الله؟

فقال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

---

(١) أي يتساقطون بها. وأكثر استعماله في الشر.

يا سلمان: فعندها لا يخشى الغنيّ إلاّ الفقر حتّى أنَّ السائل ليسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في يده شيئاً.

قال سلمان: وإنَّ هذا لكائن يارسول الله؟

قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: عندها يتكلّم الرويبضة؛ فقال: وما الرويبضة يارسول الله فداك أبي وأُمّي؟

قال ﷺ: يتكلّم في أمر العامّة من لم يكن يتكلّم، فلمَ يلبثوا إلاّ قليلاً حتّى تخور الأرض خورة، فلا يظنّ كلّ قوم إلاّ أنّها خارت في ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله ثمَّ ينكتون في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها - قال: ذهب وفضّة - ثمَّ أومأ بيده إلى الأساطين.

فقال: مثل هذا، فيومئذٍ لا ينفع ذهبٌ ولا فضّةٌ، فهذا معنى قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[١].

عن أبي رافع، عن حذيفة بن اليمان، عن النبيّ ﷺ عن أهل يأجوج ومأجوج.

قال: إنَّ القوم لينقرون بمعاولهم دائبين، فإذا كان اللّيل قالوا: غداً نفرغ فيصبحون وهو أقوى من الأمس حتّى يسلم. منهم رجلٌ حين يريد الله أنَّ يبلغ أمره فيقول المؤمن: غداً نفتحه إن شاء الله فيصبحون ثمَّ يغدون عليه فيفتحه الله، فو الّذي نفسي بيده ليمرّنَّ الرجل منهم على شاطئ الوادي الّذي بكوفان وقد شربوه حتّى نزحوه فيقول: والله لقد رأيت هذا الوادي مرّة وإنَّ الماء ليجري في أرضه.

قيل: يارسول الله ومتى هذا؟

قال: حين لا يبقى من الدنيا إلاّ مثل صبابة الاناء[٢].

عن الصادق عليه السلام قال: قال عيسى عليه السلام لجبرئيل: متى قيام الساعة؟ فانتفض جبرئيل انتفاضة أُغمي عليه منها فلمّا أفاق قال: ياروح الله ما المسؤول أعلم بها من السائل، وله من في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة[٣].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص٦٢٧-٦٢٩. البحار: ج٦، ص٣٠٥-٣٠٩، باب ١، ح٦.

(٢) أمالي الطوسي، والبحار: ج٦، ص٣١١، باب ١، ح٨.

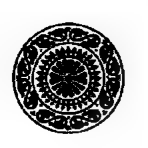
(٣) قصص الأنبياء والبحار: ج٦، ص٣١٢، باب ١، ح١١.

عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الناس يوشكون أنّ ينقطع بهم العمل ويسدّ عليهم باب التوبة، فلا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً[١].

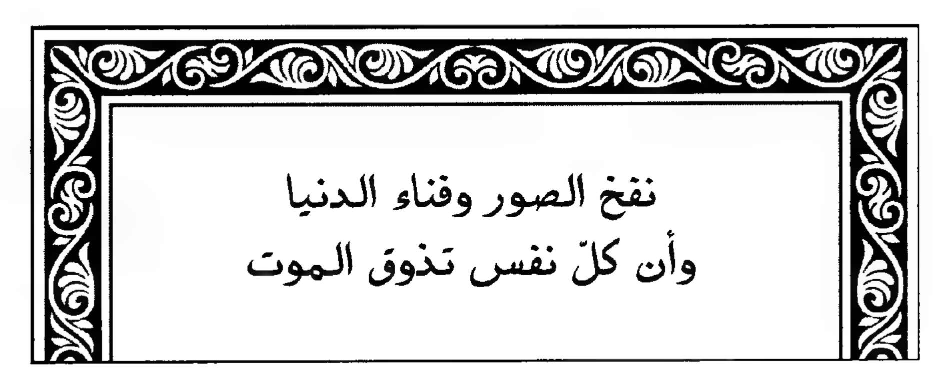
عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من أشراط الساعة أنّ يفشو الفالج وموت الفجأة[٢].

دعوات الراوندي: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أُمّتي كما ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق[٣].

نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه سيأتي عليكم زمان يكفئ فيه الإسلام كما يكفئ الإسلام بما فيه[٤].



(١) تفسير العياشي، والبحار: ج٦، ص٣١٢، باب ١، ح١٢.
(٢) فروع الكافي: ج١، ص٧٢. البحار: ج٦، ص٣١٢، باب ١، ح١٥.
(٣) البحار: ج٦، ص٣١٦، باب ١، ح٣١.
(٤) البحار: ج٦، ص٣١٦، باب ١، ح٣٢.



نفخ الصور وفناء الدنيا وأن كلّ نفس تذوق الموت

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: اختلف في الصور فقيل: هو قرن ينفخ فيه.

وقيل: هو جمع صورة فإنّ الله يصوّر الخلق في القبور كما صوّرهم في أرحام الأُمّهات، ثمّ ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم في أرحام أُمّهاتهم.

وقيل: إنّه ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات:

النفخة الأُولى: نفخة الفزع.

والثانية: نفخة الصعق الّتي يصعق من في السماوات والأرض بها فيموتون.

والثالثة: نفخة القيام لربّ العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم.

﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ أي حشرنا الخلق كلّهم يوم القيامة في صعيد واحد.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَإِين مِّتَّ﴾: أي على ما يتوقّعونه وينتظرونه.

﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ أي إنّهم يخلدون بعدك يعني مشركي مكّة حين قالوا: نتربّص بمحمّد ريب المنون.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾
[المؤمنون: ١٠١]

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: قيل: إنّ المراد به نفخة الصعق عن ابن عبّاس.

وقيل: نفخة البعث عن ابن مسعود؛ والصور جمع صورة عن الحسن.

وقيل: قرن ينفخ فيه إسرافيل بالصوت العظيم الهائل على ما وصفه الله تعالى علامةً لوقت إعادة الخلق عن أكثر المفسّرين.

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي لا يتواصلون بالأنساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضاً، أي لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه.

وقيل: معناه: لا يتفاخرون بالأنساب؛ والمعنى: أنّه لا يفضل بعضهم بعضاً يومئذ بنسب، وإنّما يتفاضلون بأعمالهم؛ وقال النبيّ ﷺ: كلّ حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلاّ حسبي ونسبي.

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي ولا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وخبره كما كانوا يسألون في الدنيا لشغل كلّ واحد بنفسه.

وقيل: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه ذنبه، ولا تنافي بينها وبين قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ لأنّ للقيامة أحوالاً ومواطن:

فمنها: حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسألة.

ومنها: حال يلتفتون فيها فيتساءلون، وهذا معنى قول ابن عبّاس لمّا سئل عن الآيتين فقال: هذه تارات يوم القيامة.

وقيل: إنّما يتساءلون بعد دخول الجنّة.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

[النمل: ٨٧-٨٨]

وفي قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي ماتوا لشدّة الخوف والفزع كما قال: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وقيل: هي ثلاث نفخات كما مرّ.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ من الملائكة الّذين يثبّت الله قلوبهم وهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

وقيل: هم الشهداء فإنّهم لا يفزعون في ذلك اليوم، روي ذلك في خبر مرفوع ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأحياء الّذين ماتوا ثمّ أحيوا.

﴿أَتَوْهُ﴾ أي يأتونه في المحشر ﴿دَٰخِرِينَ﴾ أي أذلاّء صاغرين.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي واقفة مكانها لا تسير ولا تتحرّك في مرأى العين.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ أي تسير سيراً حثيثاً سير السحاب، والمعنى: أنّك لا ترى سيرها لبعد أطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه، وذلك إذا أُزيلت الجبال عن أماكنها للتلاشي.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ أي صنع الله ذلك صنعاً.

﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ أي خلق كلّ شيء على وجه الإتقان.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٤٨-٥٤]

وفي قوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي ما ينتظرون.

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يريد النفخة الأُولى يعني أنّ القيامة تأتيهم بغتةً.

﴿تَأْخُذُهُمْ﴾ الصيحة ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يختصمون في أُمورهم، ويتبايعون في الأسواق؛ وفي الحديث: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتّى تقوم، والرجل يرفع أُكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتّى تقوم، والرجل يليط حوضه[1] ليسقي ماشيته فما يسقيها حتّى تقوم؛ وقيل: وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب أم لا؟

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ يعني أنّ الساعة إذا أخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء.

﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق، وهذا إخبار عمّا يلقونه في النفخة الأُولى عند قيام الساعة.

ثمّ أخبر سبحانه عن النفخة الثانية فقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي إلى الموضع الّذي يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك.

﴿يَنسِلُونَ﴾ أي يخرجون سراعاً فلمّا رأوا أهوال القيامة.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ أي من حشرنا من منامنا الّذي كنّا فيه نياماً؟

ثمّ يقولون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ فيما أخبرونا عن هذا المقام؛ وهذا البعث.

---

(١) أي: مدّرة لئلا ينشف الماء.

قال قتادة: أوّل الآية للكافرين وآخرها للمسلمين.

قيل: إنّهم لمّا عاينوا أهوال القيامة عدّوا أحوالهم في قبورهم بالإضافة إلى تلك رقاداً.

قال قتادة: هي النومة بين النفختين لا يفتر عذاب القبر إلاّ فيما بينهما فيرقدون.

ثمّ أخبر سبحانه عن سرعة بعثهم فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي لم تكن المدّة إلاّ مدّة صيحة واحدة.

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي فإذا الأوّلون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي لا ينقص من له حقّ شيئاً من حقّه من الثواب أو غير ذلك، ولا يفعل به ما لا يستحقّه من العذاب، بل الأمور جارية على مقتضى العدل وذلك قوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]

وفي قوله: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ أي لا يكون لتلك الصيحة إفاقة بالرجوع إلى الدنيا.

وقيل: معناه: ما لها مثنوية أي صرف وردّ.

وقيل: مالها من فتور كما يفتر المريض.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ

بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: ٦٧-٧٠]

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي ما عظّموا الله حقّ عظمته ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ القبضة في اللّغة: ما قبضت عليه بجميع كفّك؛ أخبر الله سبحانه عن كمال قدرته فذكر أنَّ الأرض كلّها مع عظمها في مقدوره كالشئ الّذي يقبض عليه القابض بكفّه فيكون في قبضته، وهذا تفهيم لنا على عادة التخاطب فيما بيننا لأنّا نقول: هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرّف فيه وإن لم يقبض عليه.

وكذا قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ أي يطويها بقدرته كما يطوي أحد منّا الشئ المقدور له طيّه بيمينه، وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك، كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ وقيل: معناه إنّها محفوظات مصونات بقوتّه، واليمين: القوّة.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي عمّا يضيفونه إليه من الشبيه والمثل.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل، ووجه الحكمة في ذلك أنّها علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف فشبّه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول.

﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي يموت من شدّة تلك الصيحة الّتى تخرج من الصور جميع من في السموات والأرض، يقال: صعق فلان: إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: هم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وهو المرويّ، وقيل: هم الشهداء.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ يعني نفخة البعث وهي النفخة الثانية.

قال قتادة في حديث رفعه: إنّ ما بين النفختين أربعين سنة، وقيل: إنّ الله تعالى يفني الأجسام كلّها بعد الصعق وموت الخلق ثمّ يعيدها.

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ إخبار عن سرعة إيجادهم لأنّه سبحانه إذا نفخ الثانية أعادهم عقيب ذلك، فيقومون من قبورهم أحياءً.

﴿يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي أضاءت الأرض بعدل ربّها يوم القيامة لأنّ نور الأرض بالعدل؛ وقيل: بنور يخلقه الله عزّ وجلّ يضيء به الأرض يوم القيامة من غير شمس ولا قمر.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي كتب الأعمال الّتي كتبتها الملائكة على بني آدم توضع في أيديهم ليقرؤوا منها أعمالهم.

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ هم الّذين يشهدون للأنبياء على الأمم بأنّهم قد بلّغوا، وأنّ الأمم قد كذّبوا؛ وقيل: هم الّذين استشهدوا في سبيل الله، وقيل: هم عدول الآخرة يشهدون على الأمم بما شاهدوا؛ وقيل: هم الحفظة من الملائكة؛ وقيل: هم جميع الشهداء من الجوارح والمكان والزمان.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٠-٢٢]

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الّذي خوّف الله به عباده.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي تجيء كلّ نفس من المكلّفين في يوم الوعيد.

و﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾من الملائكة يسوقها أي يحثّها على السير إلى الحساب.

﴿وَشَهِيدٌ﴾ من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها وشاهد بما كتبه لها وعليها، فلا يجدوا إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلاً؛ وقيل: السائق من الملائكة، والشهيد الجوارح تشهد عليه.

﴿لَقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ﴾ أي يقال له: لقد كنت في سهو ونسيان من هذا اليوم في الدنيا.

﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الّذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك حتّى ظهر لك الأمر.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ أي فعينك اليوم حادّة النظر لا يدخل عليها شكٌّ ولا شبهة؛ وقيل: معناه: فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ، ولا يراد به بصر العين كما يقال: فلان بصير بالنجوم والفقه.

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ (٤١) يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ (٤٣) يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ (٤٤)﴾ [ق: ٤١-٤٤]

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ أي اصغ إلى النداء وتوقّعه يعني صيحة يوم القيامة والبعث والنشور، ينادي به المنادي وهي النفخة الثانية ويجوز أن يكون المراد: واستمع ذكر حالهم يوم ينادي المناديّ.

وقيل: إنّه ينادي مناد من صخرة بيت المقدس: أيّتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللّحوم المتمزّقة قومي لفصل القضاء وما أعدّ الله لك من الجزاء.

وقيل: إنّ المنادي إسرافيل عليه السلام يقول: يامعشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل؛ وإنّما قال: ﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ لأنّه يسمعه الخلائق كلّهم على حدّ واحد فلا يخفى على أحد قريب ولا بعيد فكأنّهم نودوا من مكان يقرب منهم.

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ الصيحة المرّة الواحدة من الصوت الشديد، وهذه الصيحة هي النفخة الثانية.

وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي بالبعث، وقيل: يعني إنّها كائنة حقّاً.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ من القبور إلى أرض الموقف؛ وقيل: هو اسم من أسماء القيامة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ أخبر سبحانه عن نفسه أنّه هو الّذي يحيي الخلق بعد أن كانوا جماداً أمواتاً، ثمَّ يمتيهم بعد أنَّ كانوا أحياءاً، ثمَّ يحييهم يوم القيامة، وهو قوله: ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ أي تتشقّق ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ وتتصدّع فيخرجون منها ﴿سِرَاعًا﴾ يسرعون إلى الداعي بلا تأخير.

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾ الحشر: الجمع بالسوق من كلّ جهة ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي سهل علينا غير شاقّ مع تباعد ديارهم وقبورهم.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾

[الرحمٰن: ٢٦-٢٧]

وفي قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي كلّ من على الأرض من حيوان فهو هالك يفنون، ويخرجون من الوجود إلى العدم.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي ويبقى ربّك الظاهر بالأدلّة ظهور الإنسان بوجهه.

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ أي ذو العظمة والكبرياء واستحقاق الحمد والمدح.

﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ يكرم أنبياءه وأولياءه بألطافه.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ **[المدثر: ٨-١٠]**

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ معناه: إذا نفخ في الصور هي كهيئة البوق.

وقيل: إنّ ذلك في النفخة الأُولى وهو أوّل الشدّة الهائلة العامّة.

وقيل: النفخة الثانية، وعندها يحيي الله الخلق وتقوم القيامة، وهي صيحة الساعة.

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي شديد على الكافرين لنعم الله، الجاحدين لآياته.

﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ غير هيّن، وهو بمعنى قوله: عسير، إلاّ أنّه أعاده بلفظ آخر للتأكيد، وقيل: معناه: عسير في نفسه غير عسير على المؤمنين لمّا يرون من حسن العاقبة[١].

عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق، ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك.

ثمّ أمات أهل السماء الدنيا ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا وأضعاف ذلك.

ثمّ أمات أهل السماء الثانية ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك.

ثمّ أمات أهل السماء الثالثة ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك، في كلّ سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك.

ثمّ أمات ميكائيل ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك.

ثمّ أمات جبرئيل ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك وأضعاف ذلك.

ثمّ أمات إسرافيل ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك.

ثمّ أمات ملك الموت ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك؛ ثمّ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيردّ على نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أين الجبّارون؟ أين الّذين ادّعوا معي إلهاً؟ اين المتكبّرون؟ ونحوهما، ثمّ يبعث الخلق. قال عبيد بن زرارة: فقلت: إنّ هذا الأمر كلّه كائن؟ طوّلت ذلك!

فقال: أرأيت ما كان هل علمت به؟

فقلت: لا.

قال: فكذلك هذا[٢].

(١) البحار: ج ٦، ص ٣١٨ - ٣٢٣.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص٥٨٤، ٥٨٥. البحار: ج٦، ص٣٢٦ - ٣٢٧، باب ٢، ح٣.

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾[١].

قال: تنشقّ الأرض بأهلها؛ والرادفة: الصيحة؛ والزجرة: النفخة الثانية في الصور[٢].

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[٣] قال: يشيب الولدان من الفزع حيث يسمعون الصيحة[٤].

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يقول الله عزّ وجلّ لملك الموت: ياملك الموت وعزّتي وجلالي وارتفاعي وعلّوي لأُذيقنّك طعم الموت كما أذقت عبادي[٥].

بالأسانيد الثلاثة عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

قلت: يا ربّ أيموت الخلائق ويبقى الأنبياء؟

فنزلت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٦].

عن يحيى بن أبي العلاء الرازيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية. الخبر[٧].

عن أبي المغرا قال: حدَّثني يعقوب الأحمر قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نعزّيه بإسماعيل، فترحّم عليه ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ نعى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله نفسه فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ثم أنشأ يحدّث فقال: إنّه يموت أهل الأرض حتّى لا يبقى أحد، ثمّ يموت أهل السماء حتّى لا يبقى أحد إلاّ ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل.

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٦، ٧.
(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص٧١٠. البحار: ج٦، ص٣٢٨، باب ٢، ح٥.
(٣) سورة المزمل، الآية: ١٧.
(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ص٧٠٢. البحار: ج٦، ص٣٢٨، باب ٢، ح٦.
(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص٢٠٠. البحار: ج٦، ص٣٢٨، باب ٢، ح٧.
(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص٢٠٠. البحار: ج٦، ص٣٢٨، باب ٢، ح٨.
(٧) البحار: ج٦، البحار: ص٣٢٨، باب ٢، ح١٠.

قال: فيجئ ملك الموت حتّى يقوم بين يدي الله عزّوجلّ فيقال له: من بقي؟ - وهو أعلم - فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل؛ فيقال: قل لجبرئيل وميكائيل: فليموتا فيقول الملائكة عند ذلك: يا ربّ رسولاك وأميناك.

فيقول: إنّي قد قضيت على كلّ نفس فيها الروح الموت؛ ثمّ يجئ ملك الموت حتّى يقف بين يدي الله عزّوجلّ فيقال له: من بقي؟ - وهو أعلم - فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت وحملة العرش.

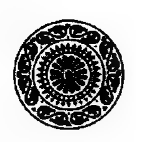
فيقول: قل لحملة العرش: فليموتوا، قال: ثمّ يجئ كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه، فيقال له: من بقي؟

فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت.

فيقال له: مت ياملك الموت فيموت، ثمّ يأخذ الأرض بيمينه والسماوات بيمينه، ويقول: أين الّذين كانوا يدعون معي شريكاً؟ أين الّذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر[١]؟.

عن هشام بن الحكم في خبر الزنديق الّذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل إلى أنّ قال: أيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟

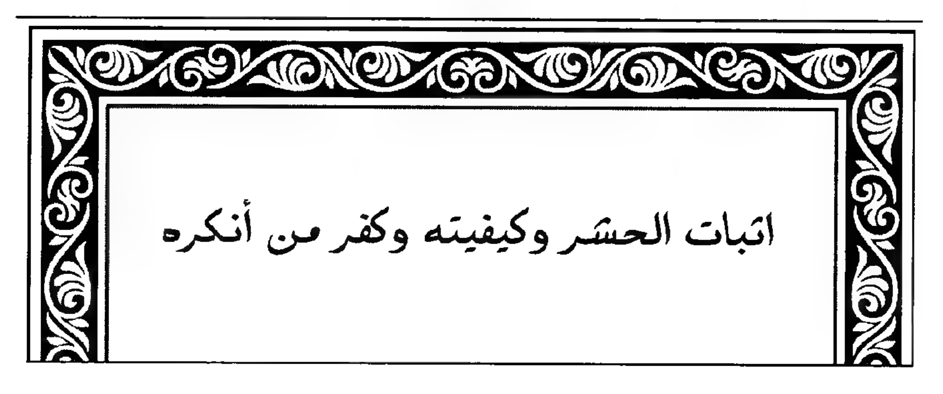
قال: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حسّ ولا محسوس، ثمّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين[٢] [٣].



(١) فروع الكافي: ج١، ص٧١. البحار: ج٦، ص٣٢٩، باب ٢، ح١٣.

(٢) هذا الخبر يدلّ على فناء الأشياء وانعدامها بعد نفخ الصور، وعلى أنّ الزمان أمر موهوم وإلاّ فلا يمكن تقديره بأربعمائة سنة بعد فناء الأفلاك ويمكن أنّ يكون المراد ما سوى الأفلاك، أو ما سوى فلك واحد يتقدّر به الأزمان.

(٣) الاحتجاج: ص١٩٢، البحار: ج٦، ص٣٣٠، باب ٣، ح١٥.



اثبات الحشر وكيفيته وكفر من أنكره

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ أي ليس فيه موضع ريب وشك لوضوحه.

﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥]

وقال: ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾ أي وفّرت كلّ نفس جزاء ما كسبت من ثواب وعقاب، أو أعطيت ما كسبت أي اجتلبت بعملها من الثواب والعقاب.

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي لا ينقصون عمّا استحقّوه من الثواب ولايزدادون على ما استحقّوه من العقاب.

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٥-١٦]

وقال في قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ﴾: أي يثيبه لا محالة لئلاّ يتوهّم أنّه ليس إلاّ صرف العذاب عنه فقط؛ أو المعنى: لا يصرف العذاب عن أحد إلاّ برحمة الله،

كما روي أنّ النبيّ ﷺ قال: والّذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: ولا أنا إلاّ أنّ يتغمّدني الله برحمة منه وفضل - ووضع يده على فوق رأسه وطوّل بها صوته - رواه الحسن في تفسيره.

﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ﴾ أي الظفر بالبغية ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ الظاهر البيّن.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١]

وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ﴾: أي عظ وخوّف ﴿بِهِۦ﴾ أي بالقرآن، وقيل: بالله ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من شدّة الأهوال؛ وقيل: معناه يعلمون؛ وقيل: يخافون أنّ يحشروا علماً بأنّه سيكون عن الفرّاء، قال: ولذلك فسّره المفسّرون بيعلمون، وإنّما خص الّذين يخافون الحشر لأنّ الحجّة عليهم أوجب لاعترافهم بالمعاد، وقال الصادق عليه السلام: أنذر بالقرآن من يرجون الوصول إلى ربّهم برغبتهم فيما عنده، فإنّ القرآن شافع مشفع.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾

[الأنعام: ٦٢]

وقال في قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي إلى الموضع الّذي لا يملك الحكم فيه إلاّ هو.

﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ أي أمره كلّه حقّ لا يشوبه باطل، وجدّ لا يجاوره هزل، فيكون مصدراً وصف به؛ وقيل: الحقّ بمعنى المحقّ، وقيل: الثابت الباقي الذي لا فناء له؛ وقيل: معناه: ذو الحقّ يريد أنّ أفعاله وأقواله حقّ.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]

وقال: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ معناه: لكي يؤمنوا بجزاء ربّهم فسمّي الجزاء لقاء الله تفخيماً لشأنه مع ما فيه من الإيجاز والاختصار؛ وقيل: معنى اللّقاء الرجوع إلى ملكه وسلطانه يوم لا يملك أحد سواه شيئاً.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]

وقال في قوله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾: أي في الأرض تعيشون.

﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ عند البعث يوم القيامة، قال الجبائيّ: في الآية دلالة على أنّ الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض الّتي حيوا فيها بعد موتهم، وأنّه يفنيها بعد أنّ يخرج العباد منها في يوم الحشر، فإذا أراد إفناءها زجرهم منها زجرة فيصيرون إلى أرض أُخرى يقال لها: الساهرة. ويفني هذه كما قال: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]

وقال في قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي ليس بعثكم بأشدّ من ابتدائكم، أو كما بدأكم لا تملكون شيئاً كذلك تبعثون يوم القيمة، ويروى عن النبيّ ﷺ أنّه قال: تحشرون يوم القيامة عراة حفاة عزلاً.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ وقيل: معناه: تبعثون على ما متّم عليه: المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره عن ابن عبّاس وجابر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]

وقال في قوله تعالى: ﴿نَشْرًا﴾ بقراءة النون أي منتشرة في الأرض أو محيية للأرض، وبقراءة الباء أي مبشّرة بالغيث، ورحمته هي المطر.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ أي حملت؛ قيل: ورفعت ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالماء ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أي إلى بلد، وموت البلد: بعفي مزارعه ودروس مشاربه.

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ أي بالبلد أو بالسحاب ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي بهذا الماء أو بالبلد.

﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي كما أخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بأن نحييها بعد موتها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي لكي تتذكّروا وتتفكّروا وتعتبروا بأنّ من قدر على إنشاء الأشجار والثمار في البلد الّذي لا ماء فيه ولا زرع بريح يرسلها فإنّه يقدّر على إحياء الأموات بأن يعيدها إلى ما كانت عليه، ويخلق فيها الحياة والقدرة.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤]

وقال في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: فكيف تصرفون عن الحقّ.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٥-٤٦]

وقال في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: أي يجمعهم من كلّ مكان إلى الموقف.

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ معناه أنّهم استقلّوا أيام الدنيا، فأنّ المكث في الدنيا وإن طال كان بمنزلة ساعة في جنب الآخرة، وقيل: استقلّوا أيّام مقامهم في الدنيا لقلّه انتفاعهم بأعمارهم فيها فكأنّهم لم يلبثوا إلاّ ساعة لقلّة فائدتها؛ وقيل: استقلّوا مدّة لبثهم في القبور.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي يعرف بعضهم بعضاً ما كانوا عليه من الخطاء والكفر قال الكلبيّ: يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثمَّ تنقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب. ويتبرّأ بعضهم من بعض.

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أي العقوبة في الدنيا، قالوا: ومنها وقعة بدر.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي أو نميتنّك قبل أنّ ينزل ذلك بهم وينزل ذلك بهم بعد موتك.

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي إلى حكمنا مصيرهم في الآخرة، فلا يفوتوننا.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٨-٤٩]

وقال في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: أي البعث وقيام الساعة، وقيل: العذاب.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾

[يونس: ٥٣]

وفي قوله تعالى: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: أي ما جئت به من القرآن والشريعة أو ما تعدنا من البعث والقيامة والعذاب، قالوا ذلك على وجه الاستفهام أو الاستهزاء.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]

وفي قوله: ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ﴾ أي أعلم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧]

وفي قوله: ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ أي ليس هذا القول إلا تمويهاً ظاهراً لا حقيقة له.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٧]

وفي قوله: ﴿غَٰشِيَةٌ﴾ أي عقوبة تغشاهم وتعمّهم، والبغتة: الفجأة، قال ابن عبّاس: تهجم الصيحة بالناس وهم في أسواقهم.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد: ٥]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمّد من قول هؤلاء الكفار في إنكارهم البعث مع إقرارهم بابتداء الخلق فقد وضعت التعجّب موضعه لأنّ هذا قول عجب.

﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي فقولهم عجب.

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي أنبعث ونعاد بعد ما صرنا ترابا؟ هذا ممّا لا يمكن! وهذا منهم نهاية في الأعجوبة فأنّ الماء إذا حصل في الرحم استحال علقة ثمّ مضغة ثمّ لحماً، وإذا مات ودفن استحال تراباً، فإذا جاز أنّ يتعلّق الإنشاء بالاستحالة الأولى فلم لا يجوز تعلّقه بالاستحالة الثانية؟ وسمّى الله الاعادة خلقاً جديداً، واختلف المتكلّمون فيما يصحّ عليه الإعادة فقال بعضهم: كلّ ما يكون مقدوراً للقديم سبحانه خاصّة ويصحّ عليه البقاء تصحّ عليه الإعادة، ولا تصحّ الإعادة على ما يقدّر على جنسه غيره تعالى[1] وهذا قول الجبائيّ.

وقال آخرون: كلّ ما كان مقدوراً له وهو ممّا يبقى تصحّ عليه الإعادة وهو قول أبي هاشم ومن تابعه، فعلى هذا تصحّ إعادة أجزاء الحياة؛ ثمّ اختلفوا فيما تجب إعادته من الحيّ فقال البلخيّ: يعاد جميع أجزاء الشخص.

وقال أبو هاشم: تعاد الأجزاء الّتي بها يتميّز الحيّ من غيره ويعاد التأليف، ثمّ رجع وقال: تعاد الحياد مع البنية؛ وقال القاضي أبو الحسن: تعاد البنية.

وما عدا ذلك يجوز فيه التبدّل، وهذا هو الأصحّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المنكرون للبعث ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ أي حجدوا قدرة الله على البعث.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ في الآخرة؛ وقيل: أراد به أغلال الكفر.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]

---

(١) لعل المراد بما يقدر على جنسه غيره تعالى الإعراض مطلقاً، فإن العبد قادر على الحركات والأفعال وكذا على بعض الأعراض الآخر توليداً، ولذا فرغ على قول أبي هاشم صحة إعادة أجزاء الحياة كالهيئات والتأليفات فإنها من الأعراض التي يقدر على جنسها البشر. منه عفى عنه.

وفي قوله تعالى: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ يعني يوم القيامة، والمراد بالبيع إعطاء البدل ليتخلّص به من النار ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ أي مصادقة.

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١]

وفي قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ معناه: قرب أمر الله بعقاب هؤلاء المشركين المقيمين على الكفر والتكذيب، أو المراد بأمر الله أحكامه وفرائضه أو هو القيامة عن الجبائيّ وابن عبّاس، فيكون أتى بمعنى يأتي.

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ خطاب للمشركين المكذبين بيوم القيامة وبعذاب الله، المستهزئين به وكانوا يستعجلونه.

وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي لقبض أرواحهم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[النحل: ٣٣]

﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي القيامة أو العذاب.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]

وفي قوله تعالى: ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ أي يصير صلاها ويحترق بنارها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوماً ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعداً من رحمة الله.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا (٥٠) أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا (٥١) يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا (٥٢)﴾ [الإسراء: ٤٩-٥٠]

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ أي غباراً، وقيل: تراباً ﴿قُلۡ﴾ يا محمّد لهم.

﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ أي اجهدوا في أن لا تعادوا وكونوا إن استطعتم حجارة في القوّة أو حديداً في الشدة.

﴿أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ أي خلقاً هو أعظم من ذلك عندكم أصعب فأنّكم لا تفوتون الله وسيحييكم بعد الموت وينشركم؛ وقيل: يعني بما يكبر في صدوركم الموت أي لو كنتم الموت لأحياكم الله؛ وقيل: يعني به السماوات والأرض والجبال.

﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾ أي يحرّكونها تحريك المستهزئ المستخفّ المستبطئ لمّا تنذرهم به.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ﴾ أي متى يكون البعث؟

﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ لأنّ ما هو آت قريب.

﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ﴾ أي من قبوركم إلى الموقف على ألسنة الملائكة وذلك عند النفخة الثانية فيقول: أيّها العظام النخرة والجلود البالية عودي كما كنت.

﴿فَتَسۡتَجِيبُونَ﴾ مضطرّين ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ أى حامدين لله على نعمه وأنتم موحّدون، وقيل: أي تستجيبون معترفين بأنّ الحمد لله على نعمه لا تنكرونه لأنّ المعارف هناك ضروريّة؛

قال سعيد بن جبير: يخرجون من قبورهم يقولون: سبحانك وبحمدك، ولا ينفعهم في ذلك اليوم لأنّهم حمدوا حين لم ينفعهم الحمد.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي تظنّون أنّكم لم تلبثوا في الدنيا إلاّ قليلاً لسرعة انقلاب الدنيا إلى الآخرة.

وقال الحسن وقتادة: استقصروا مدّة لبثهم في الدينا لما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة؛ ومن المفسّرين من يذهب إلى أنَّ هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنّهم الّذين يستجيبون الله بحمده ويحمدونه على إحسانه إليهم ويستقلّون مدّة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم منعّمين غير معذّبين وأيّام السرور والرخاء قصار.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٧-٩٩]

وقال في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. أي يسحبون على وجوههم إلى النار مبالغة في إهانتهم.

وروى أنس أنَّ رجلاً قال: يا نبيّ الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟

قال: إنَّ الّذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أنّ يحشره على وجهه يوم القيامة.

﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ قيل: المعنى: عمياً عمّا يسرّهم، بكماً عن التكلّم بما ينفعهم، صمّاً عمّا يمتّعهم عن ابن عبّاس؛ وقيل: يحشرون على هذه الصفة، قال مقاتل: ذلك حين يقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ وقيل: يحشرون كذلك ثمّ يجعلون يبصرون ويسمعون وينطقون عن الحسن ﴿مَّأْوَىٰهُمْ﴾ أي مستقرّهم.

﴿جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ أي كلّما سكن التهابها زدناهم اشتعالاً.

قوله تعالى: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ قال: لأنَّ القادر على الشيء قادر على أمثاله إذا كان له مثل أو أمثال في الجنس، وإذا كان قادراً على خلق أمثالهم كان قادراً على إعادتهم، إذ الإعادة أهون من الإنشاء في الشاهد؛ وقيل: أراد: قادر على أن يخلقهم ثانياً، وأراد بمثلهم إيّاهم، وذلك أنَّ مثل الشيء مساو له في حالته فجاز أنّ يعبّر به عن الشيء نفسه، يقال: مثلك لا يفعل كذا بمعنى أنت لا تفعله، ونحوه: ليس كمثله شيء.

أقول: قال الرازيّ في تفسير هذه الآية: في قوله: ﴿مِثْلَهُمْ﴾ قولان:

الأوّل: المعنى: قادر على أن يخلقهم ثانياً، فعبّر عن خلقهم ثانياً بلفظ المثل كما يقوله المتكلّمون إنَّ الإعادة مثل الابتداء.

والثاني: أنَّ المراد أنّه قادر على أنّ يخلق عبيداً آخرين يوحّدونه ويقرّون بكمال حكمته وقدرته، ويتركون ذكر هذه الشبهات الفاسدة، فهو كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وقوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ قال الواحديّ: والقول هو الأوّل لأنّه أشبه بما قبله.

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي وجعل لإعادتهم وقتاً لا شكّ فيه أنّه كائن لا محالة؛ وقيل: معناه: وضرب لهم مدة ليتفكّروا ويعلموا فيها أنَّ من قدر على الابتداء قدر على الإعادة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾

[الكهف: ٢١]

وقال في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أي كما أمتنا أصحاب الكهف وبعثناهم أطلعنا عليهم أهل المدينة.

﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب.

﴿حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ لأنّ من قدر أنَّ ينيم جماعة تلك المدَّة المديدة أحياءاً ثمَّ يوقظهم قدر أيضاً على أنّ يميتهم ثمَّ يحييهم بعد ذلك.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾: أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إيّاه وإبطال ملكه.

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي يأتي في الآخرة وحيداً بلا مال ولا ولد ولا عدّة ولا عدد.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٨-٤٠]

وفي قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي القيامة.

فقال سبحانه: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ أي لو علموا الوقت الّذي لا يدفعون - فيه عذاب النار.

﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ يعني أنّ النار تحيط بهم من جميع جوانبهم.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف أي لعلموا صدق ما وعدوا به ولما استعجلوا.

وفي قوله: ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي فتحيّرهم فلا يقدرون على دفعها ولا يؤخّرون إلى وقت آخر ولا يمهلون لتوبة أو لمعذرة.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]

وفي قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي في حال الخلوة والغيبة عن الناس؛ وقيل: في سرائرهم من غير رياء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥-٧]

وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ الريب: أقبح الشكّ، أي إن كنتم في شكّ من النشور فإنّا خلقنا أصلكم وهو آدم من تراب، فمن قدر على أنّ يصيّر التراب بشراً سوياً حيّاً في الابتداء قدر أن يحيي العظام ويعيد الأموات.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي ثمَّ خلقنا نسله من نطفة.

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهى القطعة من الدم الجامد.

﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ أي شبه قطعة من اللّحم ممضوغة.

﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي تامّة الخلق وغير تامّة، وقيل: مصوَّرة وغير مصوَّرة، وهو ما كان سقطاً لا تخطيط فيه ولا تصوير.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أي لندلّكم على مقدورنا بتصريفكم في ضروب الخلق، أو على أنَّ من قدر على الابتداء قدر على الإعادة.

﴿وَنُقِرُّ﴾ أي نبقي ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ إلى وقت تمامه؛ والأشدّ حال اجتماع العقل والقوّة.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ أي يقبض روحه قبل بلوغ الأشدّ.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي أسوء العمر وأخبثه عند أهله وهي حال الخرف.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ أي لكيلا يستفيد علماً وينسى ما كان به عالماً.

ثم ذكر سبحانه دلالة أخرى على البعث فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يعني هالكة أو يابسة دراسة من أثر النبات.

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ وهو المطر.

﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي تحركت بالنبات، والاهتزاز: شدة الحركة في الجهات ﴿وَرَبَتْ﴾ أي زادت وأضعفت نباتها ﴿وَأَنۢبَتَتْ﴾ يعني الأرض.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي من كلّ صنّف ﴿بَهِيجٍ﴾ أي مونق للعين حسن الصورة واللون ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي ذلك الّذي سبق ذكره من تصريف الخلق على هذه الأحوال وإخراج النبات بسبب أنَّ الله ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي لتعلموا أنَّ الله تحقّ له العبادة دون غيره؛ وقيل: هو الّذي يستحقّ صفات التعظيم.

﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لأنَّ من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]

وفي قوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يبيّن المحقّ من المبطل بما يضطرّ إلى العلم بصحّة الصحيح فيبيضُّ وجه المحقّ ويسودُّ وجه المبطل.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

[الحج: ٥٥-٥٧]

وفي قوله: ﴿فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي في شكّ من القرآن.

وفي قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ قيل. إنّه عذاب يوم بدر وسمّاه عقيماً لأنّه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. أو لأنّه لم يكن للكفار فيه خير فهو كالريح العقيم الّتي لا تأتي بخير؛ وقيل: المراد به يوم القيامة؛ والمعنى: حتّى تأتيهم علامات الساعة أو عذاب يوم القيامة؛ وسمّاه عقيماً لأنّه لا ليلة له.

﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٨١-٩٠]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي وما هذا إلا أكاذيب الاوّلين، فقد سطروا ما لا حقيقة له.

ثمّ احتجّ تعالى على هؤلاء المنكرين للبعث بأنّه مع أقراركم أنّه تعالى خالق السماوات والأرض وما فيهما وأنّ بيده ملكوت كلّ شيء لا يتّجه منكم إنكار البعث استبعاداً له مع كونه أهون وأيسر ممّا ذكر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤]

وفي قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي أعمالهم الّتي أمرناهم بها فهم يتحيّرون بالذهاب عنها، أو بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح ليجتنبوا المشتهى.

﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ عن هذا المعنى؛ أو حرّمناهم التوفيق عقوبةً لهم على كفرهم، وزيّنت أعمالهم في أعينهم.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النمل: ٦٥-٦٨]

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي متى يحشرون يوم القيامة.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ أي تتابع منهم العلم وتلاحق حتّى كمل علمهم في الآخرة بما أخبروا به في الدنيا فهو على لفظ الماضي والمراد به الاستقبال.

وقيل: إنّ هذا على وجه الاستفهام فحذف الألف، والمراد به النفي أي لم يبلغ علمهم بالآخرة.

وقيل: أي أدرك هذا العلم جميع العقلاء لو نظروا وتفكروا لأنّ العقل يقتضي أنّ الاهمال قبيح فلابدّ من تكليف، والتكليف يقتضي الجزاء، وإذا لم يكن ذلك في الدُّنيا فلا بدّ من دار الجزاء.

وقيل: إنّ الآية أخبار عن ثلاث طوائف:

١ - طائفة أقرّت بالبعث.

٢ - وطائفة شكت فيه.

٣ - طائفة نفته، كما قال: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾.

وقوله: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ أي عن معرفتها، وهو جمع عمى وهو الأعمى القلب لتركه التدبّر والنظر.

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]

وفي قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي من كان يأمل لقاء ثواب الله، أو من يخاف عقاب الله.

﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ﴾ أي الوقت الّذي وقته الله للثواب والعقاب جاء لا محالة.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

وفي قوله: ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ﴾ أي الحياة على الحقيقة لأنّها الدائمة الباقية الّتي لا زوال لها ولا موت فيها، وتقديره: لهي دار الحيوان أو ذات الحيوان لأنّه مصدر.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأٓخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧]

وفي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي يعلمون منافع الدنيا ومضارّها، وهم جهّال بالآخرة، وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن قوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فقال: منه الزجر والنجوم.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨]

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ أي في حال الخلوة لأنّ في تلك الحال يتمكّن الإنسان من نفسه ويحضره ذهنه، أو في خلق الله أنفسهم، والمعنى: أولم يتفكّروا فيعلموا ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي لإقامة الحقّ، ومعناه للدلالة على الصانع والتعريض للثواب.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي لوقت معلوم توفّى فيه كلّ نفس ما كسبت.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي من القبر.

عن ابن عبّاس يأمر الله عزّ وجلّ إسرافيل عليه السلام فينفخ في الصور بعد ما يصور الصور في القبور فيخرج الخلائق كلّهم من قبورهم.

﴿إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ من الأرض أحياءاً؛ وقيل: إنّه سبحانه جعل النفخة دعاءاً لأنّ إسرافيل يقول: أجيبوا داعي الله فيدعو بأمر الله سبحانه.

وقيل: معناه: أخرجكم من قبوركم بعد أن كنتم أمواتاً فيها، فعبّر عن ذلك بالدعاء، إذ هو بمنزلة كن فيكون في سرعة تأتي ذلك وامتناع التعذّر.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]

وقال في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أقوال:

أحدها: أنَّ معناه: وهو هيّن عليه كقوله: الله أكبر أي كبير.

الثاني: أنّه إنّما قال: ﴿أَهْوَنُ﴾ لما تقرّر في العقول أنّ إعادة الشيء أهون من ابتدائه، وهم كانوا مقرّين بالابتداء فكأنّه قال لهم: كيف تقرّون بما هو أصعب عندكم وتنكرون ما هو أهون عندكم؟

الثالث: أنّ الهاء في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود إلى الخلق أي والإعادة على المخلوق أهون من النشأة الأولى لأنّه أنّما يقال له في الإعادة: كن فيكون، وفي النشأة الأولى كان نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة وهكذا، فهذا على المخلوق أصعب، والإنشاء يكون أهون عليه، ومثله يروى عن ابن عبّاس؛ وأما ما يروى عن مجاهد أنّه قال: الإنشاء أهون عليه من الابتداء فقول مرغوب عنه لأنّه تعالى لا يكون شيء أهون عليه من شيء.

وقال شارح المقاصد: فإنَّ قيل: ما معنى كون الإعادة أهون على الله تعالى وقدرته قديمة لا تتفاوت المقدورات بالنسبة إليها؟

قلنا: كون الفعل أهون تارة يكون من جهة الفاعل بزيادة شرائط الفاعليّة، وتارة من جهة القابل بزيادة استعداد القبول، وهذا هو المراد ههنا، وأما من جهة قدرة الفاعل فالكلّ على السواء(١).

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي لا يردّ يوم القيامة أحد من الله.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي يتفرّقون فيه ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١١ - ١٩.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٥-١٦]

وفي قوله: ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ معناه أنّ فعلة الإنسان من خير أو شر إنّ كانت مقدار حبّة خردل في الوزن.

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ أي في حجرة عظيمة، لأنّ الحبّة فيها أخفى وأبعد من الاستخراج.

﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ أي يحضرها الله يوم القيامة ويجازي عليها أي يأتي بجزاء ما وازنها من خير أو شرّ.

وقيل: معناه: يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء، كذلك قليل العمل من خير أو شرّ يعلمه الله فيجازي عليه.

وروى العيّاشي عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتّقوا المحقّرات من الذنوب فإنّ لها طالباً، لا يقولنّ أحدكم أذنب وأستغفر الله تعالى؛ إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمستقرّها.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

[لقمان: ٢٨]

وفي قوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة في قدرته، فإنّه لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق ولا إعادتهم بعد إفنائهم.

قال مقاتل: إنّ كفّار قريش قالوا: إنّ الله خلقنا أطواراً: نطفةً، علقة مضغةً، لحماً، فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة؟ فنزلت الآية.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]

وفي قوله: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي غبنا في الأرض فصرنا تراباً، وكلّ شيء غلب عليه غيره حتّى يغيب فيه فقد ضلّ؛ وقيل: معنى ضللنا: هلكنا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ [سبا: ٣-٥]

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي والّذي عملوا بجهدهم وجدّهم في إبطال حججنا مقدّرين إعجاز ربّهم وظانّين أنّهم يفوتونه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ أي سيّئ العذاب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ

أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: ٧-٩]

وفي قوله: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون محمّداً ﷺ ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي فرّقتم كلّ تفريق وقطعتم كلّ تقطيع، وأكلتكم الأرض والسباع والطيور. والجديد: المستأنف المعاد.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي هل كذب على الله متعمّداً.

﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي جنون فهو يتكلّم بما لا يعلم، ثمّ ردّ سبحانه عليهم قولهم فقال: بل ليس الأمر على ما قالوا.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي هؤلاء الّذين لا يصدّقون بالبعث والجزاء ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ في الآخرة ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ من الحقّ في الدنيا.

ثمّ وعظهم سبحانه ليعتبروا فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ أي أفلم ينظر هؤلاء الكفّار.

﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كيف أحاطت بهم فلا يقدرون على الخروج منها؛ أو المعنى: أفلم يتفكّروا فيها فيستدلّوا بذلك على قدرة الله تعالى.

ثمّ ذكر سبحانه قدرته على إهلاكهم فقال: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خسفنا بقارون ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ أي قطعة من السماء تغطّيهم وتهلكهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي إنّ فيما يرون من السماء والأرض لدلالة على قدرة الله على البعث وعلى مايشاء من الخسف بهم.

﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أناب إلى الله ورجع إلى طاعته.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [سبأ: ٢٦-٣٠]

وفي قوله: ﴿يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا﴾ أي يحكم بالحقّ.

وفي قوله: ﴿مِّيعَادُ يَوۡمٖ﴾ أي يوم القيامة؛ وقيل: يوم وفاتهم.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢]

وفي قوله تعالى: ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ أي ما يكون له أثر؛ أو أعمالهم الّتي صارت سنّة بعدهم يقتدى فيها بهم حسنة كانت أم قبيحة؛ وقيل: أي نكتب خطأهم إلى المساجد.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]

وفي قوله: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا﴾ إن نافية، ولمّا بمعنى إلاّ.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٧٨-٨١]

وفي قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ أي جعل لكم من الشجر الرطب المطفئ للنار ناراً محرقة، يعني بذلك المرخ والعفار وهما شجرتان تتّخذ الأعراب زنودها منهما، فبيّن سبحانه أنّ من قدر على أن يجعل في الشجر الّذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع مضادّة النار للرطوبة حتّى إذا احتاج الإنسان حكّ بعضه ببعض فيخرج منه النار وينقدح قدر أيضاً على الإعادة، وتقول العرب: في كلّ شجر نار واستمجد المرخ والعفار[1].

وقال الكلبيّ: كلّ شجر تنقدح منه النار إلاّ العناب.

وقال في سبب نزول الآيات: قيل: إنّ أُبيّ بن خلف أو العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتّت وقال: يا محمّد أتزعم أنّ الله يبعث هذا؟

فقال: نعم، فنزلت.

والمروي عن الصادق عليه السلام أنه كان أُبيّ بن خلف[2].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٧٧-٨٢]

وقال الرازيّ في تفسير هذه الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو أتمّ نعمه فأنّ سائر النعم بعد وجوده.

(١) في القاموس: استمجد المرخ والعفار، استكثر أمن النار.

(٢) البحار: ج ٧، ص ٩٩ - ٢٢.

وقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ إشاره إلى وجه الدلالة وذلك لأنّ خلقه لو كان من أشياء مختلفة الصور كان يمكن أنّ يقال: العظم خلق من جنس صلب واللّحم من جنس رخو، وكذلك الحال في كلّ عضو، ولمّا كان خلقه من نطفة متشابهة الأجزاء وهو مختلف الصور دلّ على الاختيار والقدرة، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾.

وقوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه لطيفة غريبة وهي أنّه تعالى قال: اختلاف صور أعضائه مع تشابه أجزاء ما خلق منه آية ظاهرة، ومع هذا فهنالك ما هو أظهر وهو نطقه وفهمه، وذلك لأنّ النطفة جسم، فهب أنّ جاهلاً يقول: إنّه استحال وتكون جسماً آخر، لكنّ القوّة الناطقة والقوّة الفاهمة من أين تقتضيها النطفة؟ فإبداع النطق والفهم أعجب وأغرب من إبداع الخلق والجسم، وهو إلى إدراك القدرة والاختيار منه أقرب.

فقوله: ﴿خَصِيمٌ﴾ أي ناطق، وإنّما ذكر الخصيم مكان الناطق لأنّه أعلى أحوال الناطق فإنّ الناطق مع نفسه لا يبيّن كلامه مثل ما يبيّنه وهو يتكلّم مع غيره، والمتكلّم مع غيره إذا لم يكن خصيماً لا يبيّن ولا يجتهد مثل ما يجتهد إذا كان كلامه مع خصمه.

وقوله: ﴿مُّبِينٌ﴾ إشارة إلى قوّة عقله واختيار الإبانة، فإنّ العاقل عند الإفهام أعلى درجة منه عند عدمه، لأنّ المبيّن بان عنده الشيء ثمّ أبانه، فأن العاقل عند الافهام أعلى درجة منه عند عدمه، لأنّ المبين بان عنده الشيء ثمّ أبانه.

فقوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: إشارة إلى أدنى ما كان عليه.

قوله: ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ إشارة إلى أعلى ما حصل عليه.

ثمّ قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ إشارة إلى بيان الحشر، وفي هذه الآيات إلى آخر السورة غرائب وعجائب نذكرها بقدر الإمكان إنّ شاء الله تعالى، فنقول:

المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلاً ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد وادّعى الضرورة وهم الأكثرون، ويدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم في كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد كما قال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ إلى غير ذلك فكذا ههنا قال: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ على طريق الاستبعاد، فبدأ أوّلاً بإبطال استبعادهم بقوله: ﴿وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥ﴾ أي أنسى أنّا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الأجزاء، ثمّ جعلنا لهم من النواصي إلى الأقدام أعضاءاً مختلفة الصور والقوام، وما اكتفينا بذلك حتّى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الأجرام، وهو النطق والعقل اللّذين بهما استحقّوا الإكرام، فإنّ كانوا يقنعون بمجرّد الاستبعاد فهلاّ يستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محل كانا فيه؟ ثمَّ إنّ استبعادهم كان من جهة ما في المعاد من التفتّت والتفرّق حيث قالوا: من يحيي العظام وهي رميم؟ اختاروا العظم للذكر لأنّه أبعد عن الحياة للعدم الاحساس فيه، ووصفوه بما يقوّي جانب الاستبعاد من البلى والتفتّت، والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في المعيد من العلم والقدرة فقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أي جعل قدرتنا كقدرتهم ﴿وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥ﴾ العجيب وبدأه الغريب. ومنهم من ذكر شبهة وإن كان آخرها يعود إلى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين:

أحدهما: أنّه بعد العدم لم يبق شيء فكيف يصحّ على العدم الحكم بالوجود؟ وأجاب عن هذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ يعني كما خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً كذلك يعيده وإن لم يكن شيئاً مذكوراً.

وثانيهما: أنّ من تفرّق أجزاؤه في مشارق الأرض ومغاربها وصار بعضه في أبدان السباع وبعضه في جدران الرباع كيف يجمع؟

وأبعد من هذا هو أنّ إنساناً إذا أكل إنساناً وصار أجزاء المأكول في أجزاء الآكل فإنّ أعيد فأجزاء المأكول إمّا أنّ تعاد إلى بدن الآكل فلا يبقى للمأكول أجزاء يخلق منها أعضاء، وإمّا أنّ يعاد إلى بدن المأكول منه فلا يبقى للآكل أجزاء، فقال تعالى في إبطال هذه الشبهة: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ ووجهه أنّ في الآكل أجزاء أصليّة وأجزاء فضليّة، وفي المأكول كذلك، فإذا أكل إنسان إنساناً صار الأصليّ من أجزاء المأكول فضليّاً من أجزاء الآكل، والأجزاء الأصليّة للآكل هي ما كان له قبل الأكل، والله بكلّ شيء عليم يعلم الأصليّ من الفضليّ، فيجمع الأجزاء الأصليّة للآكل وينفخ فيها روحه، ويجمع الأجزاء الأصليّة

للمأكول وينفخ فيها روحه، وكذلك يجمع الأجزاء المتفرّقة في البقاع المتبدّدة في الأصقاع بحكمته الشاملة وقدرتها الكاملة؛ ثمّ إنّه تعالى عاد إلى تقرير ما تقدّم من دفع استبعادهم وإبطال إنكارهم وعنادهم فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ ووجهه هو أنّ الإنسان مشتمل على جسم يحسّ به وحياة سارية فيه وهو الحرارة جارية فيه فأنّ استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فإنّ النار في الشجر الأخضر الّذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب، وأنتم تحضرون حيث منه توقدون؛ وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السماوات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه، فإنّ الله خلق السموات والأرض، فبان لطف قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾.

وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ وقد ذكر النار في الشجر على ذكر الخلق الأكبر، لأنّ استبعادهم كان بالصريح واقعاً على الإحياء حيث قالوا: من يحيي العظام؟ ولم يقولوا: من يجمعها ويؤلّفها؟ والنار في الشجر منّاسب الحياة.

وقوله: ﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾ إشارة إلى أنّه في القدرة كامل.

وقوله: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ إشارة إلى أنّه بعلمه شامل، ثمّ أكّد بيانه بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ هذا إظهار فساد تمثيلهم وتشبيههم وضرب مثلهم حيث ضربوا لله مثلاً وقالوا: لا يقدّر أحد على مثل هذا قياساً للغائب على الشاهد.

فقال في الشاهد: الخلق يكون بالآلات البدنيّة والانتقالات المكانيّة فلا تقع إلا في الازمنة الممتدة والله يخلق بكن فيكون انتهى[1].

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٢ - ٢٤.

هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ١٦-٢١]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾: أي صاغرون أشدّ الصغار، ثمّ ذكر إنّ بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ أي إنّما قصة البعث ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أي صيحة واحدة من إسرافيل يعني نفخة البعث؛ والزجرة: الصرفة عن الشيء بالمخافة، فكأنّهم زجروا عن الحال الّتي هم فيها إلى المحشر.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ إلى البعث الّذي كذبوا به؛ وقيل: فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من العذاب. ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي ويقولون معترفين بالعصيان: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ من العذاب، وهو كلمة يقولها القائل عند الوقوع في الهلكة.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي يوم الحساب أو يوم الجزاء ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق، والحكم وتمييز الحقّ من الباطل، وهذا كلام بعضهم لبعض؛ وقيل: بل هو كلام الملائكة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]

وفي قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً﴾ أي غبراء دارسة متهشّمة أي كان حالها حال الخاضع المتواضع؛ وقيل: ميتة يابسة لا نبات فيها.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠]

وفي قوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾: أي لست على يقين من البعث فإنّ كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربي.

﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ﴾ الحالة ﴿لَلْحُسْنَىٰ﴾ أو المنزلة الحسنى وهي الجنّة سيعطيني في الآخرة مثل ما أعطاني في الدنيا.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: أي يدخلهم المرية والشكّ ﴿فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ فيخاصمون في مجيئها على وجه الإنكار لها.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الجاثية: ٢٤-٢٦]

وفي قوله: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: قال فيه أقوال:

أحدها: أنّ تقديره: نحيا ونموت فقدّم وأخّر.

والثاني. أنّ معناه نموت وتحيا أولادنا.

والثالث: يموت بعضنا ويحيا بعضنا.

وقال البيضاويّ: أي نكون أمواتاً نطفاً وما قبلها ونحيا بعد ذلك؛ ويحتمل أنّهم أرادوا به التناسخ فإنّه عقيدة أكثر عبدة الأوثان ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي مرور الزمان.

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾: وإنّما لم يجبهم الله تعالى إلى ذلك لأنّهم قالوا ذلك متعنّتين مقترحين لا طالبين الرشد.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٦]

وفي قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾: أي إذا قامت القيامة صارت آلهتهم الّتي عبدوها أعداءاً لهم.

﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ يعني أنّ الأوثان ينطقهم الله حتّى يجحدوا أنّ يكونوا دعوا إلى عبادتها ويكفروا بعبادة الكفّار لهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝١٦ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ۝١٨ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٩﴾ [الأحقاف: ١٦-١٩]

وفي قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾: أي مضت الأمم وماتوا قبلي فما أخرجوا ولا أعيدوا.

وقيل: معناه: خلت القرون على هذا المذهب ينكرون البعث.

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي يستضرخان الله ويطلبان منه الغوث ليلطف له بما يؤمن عنده، ويقولان له: ويلك آمن بالقيامة وبما يقوله محمّد صلى الله عليه وآله. «إن وعد الله

بالبعث والنشور والثواب والعقاب» حقّ فيقول في جوابهما (ما هذا) القرآن وما تدعونني إليه ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي كلمة العذاب (في أمم) أي مع أمم مضوا على مثل حالهم واعتقادهم (ولكل) من المؤمنين والكافرين.

﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أي على مراتبهم ومقادير أعمالهم، فدرجات الأبرار في علّيين، ودرجات الفجّار دركات في سجّين.

وقيل: معناه؛ لكلّ مطيع درجات ثواب وإن تفاضلوا في مقاديرها.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]

وفي قوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: أي العذاب لأنّه كائن واقع بهم عن قريب.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي من العذاب في الآخرة.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنّه ساعة من النهار، لأنّ ما مضى كأن لم يكن وإن كان طويلاً.

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا

﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق: ٢-١١]

وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك الرد الّذي يقولون.

﴿رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ أي ردّ بعيد عن الأوهام، وإعادة بعيدة عن الكون، والمعنى: أنّه لا يكون ذلك لأنّه غير ممكن.

ثمَّ قال سبحانه: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ﴾ أي ما تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم، وتبليه من عظامهم فلا يتعذر علينا ردهم.

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ أي حافظ لعدتهم وأسمائهم وهو اللّوح المحفوظ لا يشذ عنه شيء.

وقيل: ﴿حَفِيظُۢ﴾ أي محفوظ عن البلى والدروس وهو كتاب الحفظة الّذين يكتبون أعمالهم.

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ والحقّ هو القرآن، وقيل: هو الرسول.

﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ أي مختلط، فمرّة قالوا: مجنون وتارة قالوا: ساحر، وتارة قالوا: شاعر، فتحيروا في أمره لجهلهم بحاله.

قوله: ﴿مِن فُرُوجٖ﴾ أي شقوق وفتوق: وقيل: معناه: ليس فيها تفاوت واختلاف.

قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ أي من كلّ صنف حسن المنظر. وقوله: ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ أي حبّ البرّ والشعير وكلّ ما يحصد.

﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ أي طويلات عاليات ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ أي نضد بعضه على بعض.

وفي قوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ أي أفعجزنا حين خلقناهم أوّلاً ولم يكونوا شيئاً، فكيف نعجز عن بعثهم وإعادتهم؟

﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ أي بل هم في ضلال وشكّ من إعادة الخلق جديداً.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ١-١٤]

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾: يعني الرياح تذر والتراب أو غيره، أو النساء الولودات فإنهنّ يذرين الأولاد، أو الأسباب الّتي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ فالسحب الحاملة للأمطار، أو الرياح الحاملة للسحاب، أو النساء الحوامل وأسباب ذلك.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ فالسفن الجارية في البحر سهلاً، أو الرياح الجارية في مهابّها، أو الكواكب الّتي تجري في منازلّها، ويسراً صفة مصدر محذوف أي جرياً ذا يسر

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ فالملائكة الّتي تقسّم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها، أوما يعمّهم وغيرها من أسباب القسمة، أو الرياح تقسّم الأمطار بتصريف السحاب.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ جواب للقسم كأنّه استدلّ باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود، و«ما» موصولة أو مصدريّة، والدين: الجزاء؛ والواقع: الحاصل.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ذات الطرائق، والمراد إمّا الطرائق المحسوسة الّتي هي مسير الكواكب، أو المعقولة الّتي يسلكها النظّار ويتوصّل بها إلى المعارف أو النجوم، فإنّ لها طرائق، أو أنّها تزيّنها كما يزين الموشي طرائق الوشي.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ في الرسول وهو قولهم تارة: إنّه شاعر، وتارة إنّه ساحر، وتارة إنّه مجنون؛ أو في القران، أو القيامة أو أمر الديانة.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ يصرف عن الرسول أو الإيمان أو القرآن صرف إذ لا صرف أشدّ منه، فكأنّه لا صرف بالنسبة إليه، أو يصرف من صرف في علم الله وقضائه؛ ويجوز أنّ يكون الضمير للقول على معنى يصدر إفك من إفك عن القول المختلف وبسببه.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ الكذّابون من أصحاب القول المختلف وأصله الدعاء بالقتل أجري مجرى اللّعن.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عمّا أمروا به.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي فيقولون: متى يوم الجزاء؟ أي وقوعه ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات: ٥٩]

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا﴾ أي للّذين ظلموا رسول الله ﷺ بالتكذيب نصيباً من العذاب.

﴿مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ مثل نصيب نظرائهم من الأمم السابقة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء، فإنَّ الذنوب هو الدلو العظيم المملوء.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ جواب لقولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي من القيامة أو يوم بدر.

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الطور: ١-١٢]

وقال في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾: يريد طور سينين، أو ما طار من أوج الإيجاد

إلى حضيض الموادّ، أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾ مكتوب والمراد به القرآن، أو ما كتبه الله تعالى في اللّوح المحفوظ، أو ألواح موسى عليه السلام، أو في قلوب أوليائه من المعارف والحكم، أو ما تكتبه الحفظة.

﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ الرقّ: الجلد الّذي يكتب فيه، استعير لمّا كتب فيه الكتّاب.

﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ يعني الكعبة، وعمارتها بالحجّاج والمجاورين؛ أو الضراح وهو في السماء الرابعة، وعمرانه بكثرة غاشيته من الملائكة؛ أو قلب المؤمن، وعمارته بالمعرفة والإخلاص.

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ يعني السماء ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ أي المملوء وهو المحيط أو الموقد، روي أنّ الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار ناراً يسجر بها جهنّم، أو المختلط.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾ لنازل ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾ يدفعه، ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك أنّها أمور تدلّ على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اختياره وضبط أعمال العباد للمجازاة.

﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا﴾ أي تضطرب، والمور تردد في المجيء والذهاب؛ وقيل: تحرّك في تموّج.

﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾ أي تسير عن وجه الأرض فتصير هباءاً.

﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أي إذا وقع ذلك فويل لهم ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ﴾ أي في الخوض في الباطل.

﴿وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾ [النجم: ٤٠-٤١]

وفي قوله: ﴿ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾: أي يجزى العبد سعيه بالجزاء الأوفر، فنصب بنزع الخافض؛ ويجوز أنّ يكون مصدرا وأن يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله[1].

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٤ - ٢٨.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾: أي وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر، والمعنى: إذا أردنا قيام الساعة أعدنا الخلق وجميع الحيوانات في قدر لمح البصر في السرعة.

وقيل: معناه: وما أمرنا إذا أردنا أن نكون شيئاً إلا مرّة واحدة لم نحتج فيه إلى ثانية، إنّما نقول له: كن فيكون ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ في سرعته من غير إبطاء ولا تأخير.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣١]

وفي قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: أي سنقصد لحسابكم أيّها الجنُّ والإنس.

عن الزجّاج، قال: والفراغ في اللّغة على ضربين:

أحدهما: القصد للشيء.

والآخر: الفراغ من شغل، والله لا يشغله شأن عن شأن.

وقيل: معناه: سنعمل عمل من يفرغ للعمل فيجوده من غير تضجيع فيه.

وقيل: سنفرغ لكم من الوعيد بتقضّي أيّامكم المتوعّد فيها فشبّه ذلك بمن فرغ من شيء وأخذ في آخر.

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾

[الواقعة: ٤٧-٥٠]

وقال البيضاويّ: ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي إلى ما وقّت به الدنيا وحدّ من يوم معيّن عند الله معلوم له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣]

وفي قوله: ﴿قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾: يعني عامة الكفار أو اليهود.

﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ لكفرهم بها أو لعلمهم بأنّه لاحظّ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيّد بالآيات.

﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ أن يبعثوا، أو يثابوا، أو ينالهم خير منهم؛ وعلى الأوّل وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنّ الكفر آيسهم.

وقال الطبرسيُّ رحمه الله: أي كما يئس الكفّار الّذين ماتوا وصاروا في القبور من أنّ يكون لهم في الآخرة حظّ.

وقيل: يريد بالكفار ههنا الّذين يدفنون الموتى أي كما يئس الّذين دفنوا الموتى منهم.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١-٦]

وقال في قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: قيل: إنّ» لا «زائدة ومعناه أُقسم؛ وقيل: إنّ «لا» ردّ على الّذين أنكروا البعث والنشور فكأنّه قال: لا كما تظنّون، ثمّ ابتدأ القسم.

وقيل: أي لا أقسم بيوم القيامة لظهورها بالدلائل العقليّة والسمعيّة، أو لا أقسم بها فإنّكم لا تقرّون بها.

وقال البيضاويّ: إدخال لاء النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم.

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ أي بالنفس المتّقية الّتي تلوم النفوس المقصّره في التقوى يوم القيامة على تقصيرهنّ؛ أو الّتي تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت في الطاعة، أو النفس المطمئنّة اللائمة للنفس الأمّارة؛ أو بالجنس، لمّا روي

أنّه ﷺ قال: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلاّ وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيراً كيف لم أزد، وإن عملت شرّاً قالت: ليتني كنت قصّرت؛ أو نفس آدم فإنّها لم تزل تتلوّم على ما خرجت به من الجنّة.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني الجنس، وإسناد الفعل إليه لأنّ فيهم من يحسب، أو الّذي نزل فيه وهو عديّ بن ربيعة، سأل رسول الله ﷺ عن أمر القيامة فأخبره به.

فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدّقك أو يجمع الله هذه العظام!

﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بعد تفرّقها ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها.

﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ نجمع سلامياته ونضمّ بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام، أو على أنّ نسوّي بنانه الّذي هو أطرافه فكيف بغيرها.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متى يكون؟ استبعاداً واستهزاءاً.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]

وفي قوله تعالى: ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: أي مهملاً لا يكلّف ولا يجازى.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]

وفي قوله: ﴿كَانَ شَرُّهُۥ﴾: أي شدائده ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ فاشياً منتشراً غاية الانتشار، من استطار الحريق والفجر.

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾

[المرسلات: ١-٧]

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال: أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهنّ الله بأوامره متتابعة، فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره، ونشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرّقن بين الحقّ والباطل، فألقين إلى الأنبياء ذكراً عذراً للمحقّين ونذراً للمبطلين؛ أو بآيات القرآن المرسلة بكلّ عرف إلى محمّد ﷺ، فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب، وفرّقن بين الحقّ والباطل فألقين ذكر الحقّ فيما بين العالمين، أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحقّ ونشرن أثر ذلك في جميع الأجزاء ففرّقن بين الحقّ بذاته والباطل بنفسه، فيرون كلّ شيء هالكاً إلا وجهه فألقين ذكراً بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلاّ ذكر الله؛ أو برياح عذاب أرسلن فعصفن، ورياح رحمة نشرن السحاب في الجوّ ففرّقن، فألقين ذكراً أي تسبّبن له فإنّ العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى ويذكر كمال قدرته، وعرفاً إمّا نقيض النكر وانتصابه على العلّة أي أرسلن للإحسان والمعروف، أو بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ مصدران لعذر إذا محا الإساءة، وأنذر: إذا خوّف؛ أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الإنذار، أو بمعنى العاذر والمنذر، ونصبهما على الأوّلين بالعلّيّة أي عذراً للمحقّين ونذراً للمبطلين، أو البدليّة من ذكراً على أنّ المراد به الوحي، أو ما يعمّ التوحيد والشرك والإيمان والكفر؛ وعلى الثالث بالحالية.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ جواب القسم، ومعناه: إنّ الّذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبا: ١-٥]

وفي قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾: أصله عمّا فحذف الألف، ومعنى هذا

الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه، كأنّه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه، والضمير لاهل مكّة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم، أو يسألون الرسول ﷺ والمؤمنين عنه استهزاءاً.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ بيان للشأن المفخم أو صلة يتساءلون، وعمّ متعلّق بمضمر مفسّر به.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ بجزم النفي والشكّ فيه، أو بالإقرار والإنكار.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع عن التساؤل ووعيد عليه.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تكرير للمبالغة، و﴿ثُمَّ﴾ للإشعار بأنّ الوعيد الثاني أشدّ، وقيل: الأوّل عند النزع والثاني في القيامة، أو الأوّل للبعث والثاني للجزاء.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾

[النازعات: ١-١٤]

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾: هذه صفات ملائكة الموت فإنّهم ينزعون أرواح الكفّار من أبدانهم غرقاً أي إغراقاً في النزع، فإنّهم ينزعونها من أقاصي الأبدان أو نفوساً غرقة في الأجساد، وينشطون أي يخرجون أرواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر: إذا أخرجها، ويسبحون في إخراجها سبح الغوّاص الّذي يخرج الشيء من أعماق البحر، فيسبقون بأرواح الكفّار إلى النار، وبأرواح المؤمنين إلى الجنّة، فيدبّرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيّؤوها لإدراك ما أُعدَّ لها من الآلام واللّذّات؛ أو الأوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في

مضيّها أي يسرعون فيه فيسبقون إلى ما أمروا به فيدبّرون أمره؛ أو صفات النجوم فإنّها تنزع من المشرق إلى المغرب غرقاً في النزاع بأن تقطع الفلك حتّى تنحطّ في أقصى المغرب، وتنشط من برج إلى برج أي تخرج، من نشط الثور: إذا خرج من بلد إلى بلد، ويسبحون في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه أسرع حركة فتدبّر أمراً نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات، ولمّا كانت حركتها من المشرق إلى المغرب قسريّة وحركاتها من برج إلى برج ملائمة سمّي الأولى نزعاً والثانية نشطاً، أو صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فإنّها تنزع عن الأبدان غرقاً أي نزعاً شديداً من إغراق النازع في القوس فتنشط إلى عالم الملكوت. وتسبح فيها فتسبق إلى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوّتها من المدبّرات، أو حال سلوكها فإنّها تنزع عن الشهوات وتنشط إلى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق إلى الكمالات حتّى تصير من المكملات، أو صفات أنفس الغزاة أو أيديهم تنزع القسيّ بإغراق السهام، وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البرّ والبحر فيسبقون إلى حرب العدوّ فيدبرون أمرها، أو صفات خيلهم فإنّها تنزع في أعنّتها نزعاً تغرق فيه الأعنّة لطول أعناقها وتخرج من دار الإسلام إلى دار الكفر، وتسبح في جريها فتسبق إلى العدوّ فتدبّر أمر الظفر، أقسم الله بها على قيام الساعة، وإنّما حذف لدلالة ما بعده عليه.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ وهو منصوب به، والمراد بالراجفة الأجرام الساكنة الّتي تشتدّ حركتها حينئذ كالأرض والجبال، لقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أو الواقعة الّتي ترجف الأجرام عندها وهي النفخة الأولى.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ التابعة وهي السماء والكواكب تنشقّ وتنتثر، أو النفخة الثانية، والجملة في موقع الحال.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة لقلوب، والخبر: ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ أي أبصار أصحابها ذليلة من الخوف، ولذلك أضافها إلى القلوب.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ في الحالة الأولى يعنون الحياة بعد الموت، من قولهم: رجع فلان في حافرته أي طريقه الّتي جاء فيها فحفرها أي أثّر فيها بمشيه

على النسبة كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أئذا كنا عظاما ناخرة أي بالية أو نخرة وهي أبلغ.

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ذات خسران أو خاسر أصحابها، والمعنى أنّها أنّ صحّت فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ متعلق بمحذوف أي لا يستصعبوها فما هي إلاّ صيحة واحدة يعني النفخة الثانية.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ فأذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتاً في بطنها، والساهرة الأرض البيضاء المستوية؛ وقيل: اسم جهنّم.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾

[الطارق: ٨-١٠]

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: أي تتعرّف وتميّز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ من منعة في نفسه يمتنع بها ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يمنعه.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٧-٨]

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أي فأيّ شيء يكذّبك يا محمّد؟ دلالة أو نطقاً ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل، وقيل: «ما» بمعنى «من» وقيل: الخطاب للإنسان على الالتفات، والمعنى: فما الّذي يحملك على هذا التكذيب؟

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ تحقيق لما سبق، والمعنى: أليس الّذي فعل ذلك من الخلق والردّ بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً؟ ومن كان كذلك كان قادراً على الإعادة والجزاء؛ وقال: الرجعى مصدر كالبشرى.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩-١١]

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ أي بعث ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ من الموتى ﴿وَحُصِّلَ﴾ جمع محصّلاً في الصحف، أو ميّز ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ من خير أو شرّ، وتخصيصه لأنّه الأصل ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ عالم بما أعلنوا وما أسرّوا فيجازيهم.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١]

وفي قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾: استفهام معناه التعجّب ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء أو الإسلام.

عن جميل، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إذا أراد الله عزّ وجلّ أنّ يبعث الخلق أمطر السماء أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللّحوم[1].

عن محمّد بن إسحاق بن بشّار، عن سعيد بن مينا، عن غير واحد من أصحابه أنّ نفرا من قريش اعترضوا الرسول صلى الله عليه وآله منهم: عتبة بن ربيعة، وأميّة بن خلف، والوليد بن المغيرة، والعاص بن سعيد فقالوا: يا محمّد هلمَّ فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر فإن يكن الّذي نحن عليه الحقّ فقد أخذت بحظّك منه، وإن يكن الّذي أنت عليه الحقّ فقد أخذنا بحظّنا منه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣﴾ إلى آخر السورة، ثمّ مشى أُبيّ بن خلف بعظم رميم ففتّه في يده ثمّ نفخه وقال: أتزعم أنّ ربّك يحيي هذا بعد ما ترى؟! فأنزل الله تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ إلى آخر السورة[2].

---

(١) أمالي الصدوق: ص١٠٧. البحار: ج٧، ص٣٣، باب ٣، ح١.
(٢) البحار: ج٧، ص٣٣-٣٤، باب ٣، ح٢.

عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ إبراهيم عليه السلام نظر إلى جيفة على ساحل البحر تأكلها سباع البرّ وسباع البحر ثمّ يثب السباع بعضها علي بعض فيأكل بعضها بعضاً، فتعجّب إبراهيم فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

فقال الله له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأخذ إبراهيم صلوات الله عليه الطاووس والديك والحمام والغراب.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي قطّعهنّ ثمّ اخلط لحماتهنّ وفرّقها على كلّ عشرة جبال ثمّ خذ منّاقيرهنّ وادعهنّ يأتينك سعياً، ففعل إبراهيم ذلك وفرّقهنّ على عشرة جبال ثمّ دعاهن فقال: أجيبيني بإذن الله تعالى فكانت يجتمع ويتألّف لحم كلّ واحد وعظمه إلى رأسه وطارت إلى إبراهيم، فعند ذلك قال إبراهيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١) (٢).

---

(١) قال المجلسي في البحار: يظهر من هذا الخبر وغيره من الأخبار أنّ إبراهيم عليه السلام أراد بهذا السؤال أنّ يظهر للناس جواب شبهة تمسّك بها الملاحدة المنكرون للمعاد حيث قالوا: لو أكل إنسان إنساناً وصار غذاءاً له جزءاً من بدنه فالأجزاء المأكولة إمّا أنّ تعاد في بدن الآكل أو في بدن المأكول، وأيّاماً كان لا يكون أحدهما بعينه معاد بتمامه، على أنّه لا أولويّة لجعلها جزءاً من احدهما دون الآخر، ولا سبيل إلى جعلها جزءاً من كلّ منهما، وأيضاً إذا كان الآكل كافراً والمأكول مؤمناً يلزم تنعيم الأجزاء العاصية، أو تعذيب الأجزاء المطيعة. وأجيب بأنّا نعني بالحشر إعادة الأجزاء الأصليّة الباقية من أوّل العمر إلى آخره لا الحاصلة بالتغذية، فالمعاد من كلّ من الآكل والمأكول الأجزاء الأصليّة الحاصلة في أوّل الفطرة من غير لزوم فساد؛ ثمّ أوردوا على ذلك بأنّه يجوز أنّ تصير تلك الأجزاء الأصليّة في المأكول الفضليّة في الآكل نطفة وأجزاءاً أصليّة لبدن آخر ويعود المحذور. وأجيب بأنّه لعلّ الله يحفظها من أن تصير جزءاً لبدن آخر فضلاً عن أنّ تصير جزءاً أصليّاً، وتلك الأخبار تدل على أنّ ما في الآية الكريمة أشارة إلى هذا الكلام أي أنّه تعالى يحفظ أجزاء المأكول في بدن الآكل، ويعود في الحشر إلى بدن المأكول، كما أخرج تلك الأجزاء المختلطة والأعضاء الممتزجة من تلك الطيور وميّز بينها، ثمّ قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ قيل: هو مأخوذ من صاره يصوره: إذا أماله، ففي الكلام تقدير أي أملهنّ وضمّهنّ إليك وقطّعهنّ ثمّ اجعل؛ وقال ابن عبّاس وابن جبير والحسن ومجاهد: صرهنّ إليك معناه: قطّعهنّ، يقال: صار الشيء يصوره صوراً: إذا قطعه، وظاهر قوله عليه السلام: فقطّعهنّ أنّه تفسير لقوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ ويحتمل أنّ يكون بياناً لحاصل المعنى فلا ينافي الأوّل.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص٨١. البحار: ج٧، ص٣٦، باب ٣، ح٤.

عن هشام بن الحكم أنّه قال الزنديق للصادق عليه السلام: أنّي للروح بالبعث والبدن قد بلي والأعضاء قد تفرّقت؟ فعضو في بلدة تأكلها سباعها، وعضو بأخرى تمزّقه هوامّها، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط!

قال: إنَّ الذي أنشأه من غير شيء وصورّه على غير مثال كان سبق إليه قادر أنّ يعيده كما بدأه.

قال: أوضح لي ذلك.

قال: إنَّ الروح مقيمة في مكانها: روح المحسنين في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً منه خلق، وما تقذف به السباع والهوامّ من أجوافها فما أكلته ومزّقته كلّ ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإنّ تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب فإذا كان حين البعث مطرت الأرض فتربو الأرض ثمَّ تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد من اللّبن إذا مخض[1]، فيجتمع تراب كلّ قالب فينقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً الخبر[2].

عن حفص بن غياث قال: شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[3] ما ذنب الغير؟

قال: ويحك هي هي وهي غيرها.

فقال: فمثّل لي ذلك شيئاً من أمر الدُّنيا.

قال: نعم، أرأيت لو أنّ رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثمَّ ردّها في ملبنها[4] فهي هي وهي غيرها[5].

(١) مخض اللبن: استخرج زبده. مخض الشيء: حركه شديداً.

(٢) الإحتجاج: ص١٩٢. البحار: ج٧، ص٣٧-٣٨، باب ٣، ح٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٤) الملبن: قالب اللبن.

(٥) الإحتجاج: ص١٩٤. البحار: ج٧، ص٣٨، باب ٣، ح٦.

عن حفص بن غياث قال: كنت عند سيّد الجعافرة جعفر بن محمّد عليه السلام لمّا أقدمه المنصور فأتاه ابن أبي العوجاء وكان ملحداً فقال له، ما تقول في هذه الآية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ هب هذه الجلود عصت فعذّبت فما ذنب الغير؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: ويحك هي هي وهي غيرها.

قال: أعقلني هذا القول.

فقال له: أرأيت لو أنّ رجلاً عمد إلى لبنة فكسرها ثمَّ صبّ عليها الماء وجبلها ثمّ ردّها إلى هيئتها الأولى ألم تكن هي هي وهي غيرها؟

فقال: بلى أمتع الله بك[١].

عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل: ياجبرئيل أرني كيف يبعث الله تبارك وتعالى العباد يوم القيامة؟

قال: نعم فخرج إلى مقبرة بني ساعدة فأتى قبرا فقال له: اخرج بإذن الله فخرج رجل ينفض رأسه من التراب وهو يقول: والهفاه - واللّهف: هو الثبور[٢]- ثمّ قال: ادخل فدخل، ثمّ قصد به إلى قبر آخر فقال: اخرج بإذن الله فخرج شابّ ينفض رأسه من التراب وهو يقول: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأشهد أنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور، ثمَّ قال هكذا يبعثون يوم القيامة يا محمّد[٣].

عن أبي أيّوب قال: حدّثني أبو بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: لمّا رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات، ثمّ رأى آخر فدعا عليه فمات، حتّى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا، فأوحى الله يا إبراهيم دعوتك مجابةٌ فلا تدعو على عبادي فإنّي لو شئت لم أخلقهم، إنّي خلقت خلقي على ثلاثة أصناف:

---

(١) أمالي الطوسي: ص٢٠. البحار: ج٧، ص٣٩، باب ٣، ح٧.

(٢) والثبور: الهلاك.

(٣) قرب الإسناد: ص٢٨. البحار: ج٧، ص٤٠، باب ٣، ح١٠.

١ - عبداً يعبدني لا يشرك بي شيئاً فاثيبه.

٢ - وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني.

٣ - وعبداً يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني.

ثمّ التفت فرأى جيفة على ساحل البحر بعضها في الماء وبعضها في البرّ تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء ثمّ ترجع، فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء سباع البرّ فتأكل منها فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فعند ذلك تعجب إبراهيم عليه السلام ممّا رأى، وقال: يا ربّ أرني كيف تحيي الموتى؟ هذه امم يأكل بعضها بعضاً، قال: أولم تؤمن؟

قال: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي - يعني حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها.

قال: خذ أربعة من الطير فقطّعهنّ وأخلطهنّ كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع الّتي أكل بعضها بعضاً فخلط ثمَّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءًا ثمَّ ادعهنّ يأتينك سعياً، فلمّا دعاهنّ أجبنه وكانت الجبال عشرة.

قال: وكانت الطيور: الديك والحمامة والطاووس والغراب[(١)].

عن جابر، عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال: كان فيما وعظ به لقمان عليه السلام ابنه أنّ قال: يا بني إنّ تك في شكّ من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شكّ من البعث فارفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك، فإنّك إذا فكرت في هذا علمت أنّ نفسك بيد غيرك، وإنّما النوم بمنزلة الموت، وإنّما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت[(٢)].

عن الثمالي، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: عجبت للمتكبر الفخور كان أمس نطفة وهو غداً جيفة! والعجب كل العجب لمن شكّ في الله وهو يرى الخلق! والعجب كل العجب لمن أنكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة! والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى الأولى! والعجب كل العجب لعامر دار الفناء ويترك دار البقاء[(٣)].

---

(١) علل الشرائع: ص١٩٥. البحار: ج٧، ص٤١، باب ٣، ح١٢.

(٢) البحار: ج٧، ص٤١، باب ٣، ح١٣.

(٣) المحاسن: ص٢٤٢، البحار: ج٧، ص٤٢، باب ٣، ح١٤.

عن عمّار بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن الميّت يبلى جسده؟ قال: نعم حتّى لا يبقى لحم ولا عظم إلاّ طينته الّتي خلق منها، فإنّها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتّى يخلق منها كما خلق أوّل مرّة[1] [2].

قال علي بن إبراهيم في تفسيره: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ قال: نزع الروح ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾.

قال: الكفّار ينشطون في الدنيا ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾.

قال: المؤمنون الّذين يسبّحون الله.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ يعني أرواح المؤمنين سبق أرواحهم إلى الجنّة بمثل الدنيا، وأرواح الكافرين إلى النار بمثل ذلك.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾[3]: قال: تنشق الأرض بأهلها، والرادفة: الصيحة، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي خائفة، ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾.

قال: قالت قريش: أنرجع بعد الموت إذا كنّا عظاما نخرة؟ أي بالية، ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

قال: قالوا هذا على حد الاستهزاء فقال الله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾.

قال: الزجرة: النفخة الثانية في الصور، والساهرة: موضع بالشام عند بيت المقدس.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ يقول: أي في خلق جديد، وأمّا قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ الساهرة:

---

(١) مستديرة أي بهيئة الاستدارة، أو متبدلة متغيّرة في أحوال مختلفة ككونها رميماً وتراباً وغير ذلك فهي محفوظة في كلّ الأحوال، وهذا يؤيّد ما ذكره المتكلّمون من أنّ تشخص الإنسان إنّما هو بالأجزاء الأصليّة ولا مدخل لسائر الأجزاء والعوارض فيه.

(٢) فروع الكافي: ج١، ص٦٩. البحار: ج٧، ص٤٣، باب ٣، ح٢١.

(٣) سورة النازعات، الآيات: ٦-٧.

الأرض كانوا في القبور فلمّا سمعوا الزجرة خرجوا من قبورهم فاستووا على الأرض[١].

وقال النبيّ ﷺ: يا بني عبد المطّلب أنّ الرائد[٢] لا يكذب أهله، والّذي بعثني بالحقّ لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلاّ جنّة أو نار، وخلق جميع الخلق وبعثهم على الله عَزَّوَجَلَّ كخلق نفس واحدة وبعثها؛ قال الله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[٣] [٤].

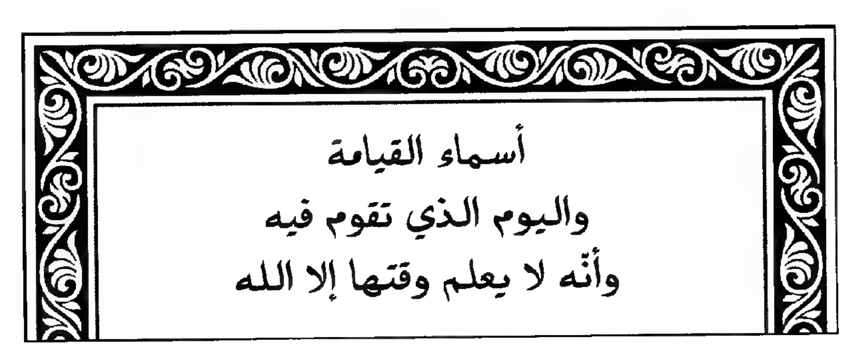


(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص٧١٠. البحار: ج٣، ص٤٦، باب ٣، ح٢٨.

(٢) الرائد: هو الذي يرسله القوم لطلب الماء والكلأ لهم.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٤) البحار: ج٣، ص٤٧، باب ٣، ح٣١.



أسماء القيامة
واليوم الذي تقوم فيه
وأنه لا يعلم وقتها إلا الله

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي الساعة الّتي يموت فيها الخلق؛ أو القيامة، وهو قول أكثر المفسّرين، أو وقت فناء الخلق.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ أي متى وقوعها وكونها؟ وقيل: منتهاها عن ابن عبّاس، وقيل: قيامها.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ أي إنّما وقت قيامها ومجيئها عند الله تعالى لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وإنّما لم يخبر سبحانه بوقته ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك أدعى لهم إلى الطاعة وأزجر من المعصية

﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا يظهرها ولا يكشف عن علمها إلاّ هو، ولا يعلم أحد سواه متى تكون قبل كونها؛ وقيل: معناه: لا يأتي بها إلاّ هو

﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجوه:

أحدها: ثقل علمها على أهل السماوات والأرض، لأنّ من خفي عليه علم شيء كان ثقيلاً عليه.

وثانيها: أنّ معناه: عظمت على أهل السماوات والأرض صفتها، لما يكون فيها من انتشار النجوم وتسيير الجبال وغير ذلك(١).

وثالثها: ثقل وقوعها على أهل السماوات والأرض، لعظمها وشدّتها(٢).

ورابعها: أنّ المراد نفس السماوات والأرض لا تطيق حملها لشدّتها أي لو كانت أحياءً لثقلت عليها تلك الأحوال

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي فجأة، لتكون أعظم وأهول

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي يسألونك عنها كأنّك حفيّ بها أي عالم بها، قد أكثرت المسألة عنها، وأصله من أحفيت في السؤال عن الشيء حتّى علمته.

وقيل: تقديره: يسألونك عنها كأنّك حفيّ بهم أي بارٌّ بهم، فرح بسؤالهم.

وقيل: معناه: كأنك معنيٌّ بالسؤال عنها فسألت عنها حتّى علمتها.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ وإنّما أعاد هذا القول لأنّه وصله بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقيل: أراد بالأوّل علم وقت قيامها، وبالثاني علم كيفيّتها وتفصيل ما فيها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٥]

وفي قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي يشهده الخلائق كلّهم من الجنّ والإنس وأهل السماء وأهل الأرض.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ هو أجل قد أعدّه الله لعلمه بأنّ صلاح الخلق

---

(١) في المجمع المطبوع: عن انتشار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال.

(٢) في المجمع المطبوع: لعظمها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة.

في إدامة التكليف عليهم إلى ذلك الوقت، فيه إشارة إلى قربه فإنّ ما يدخل تحت العدّ فان قد نفد.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧]

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي أمر قيام الساعة في سرعته وسهولته.

﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ إلاّ كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها.

﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ﴾ أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الّتي يبتدء فيه، فإنّه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن، و«أو» للتخيير أو بمعنى بل.

وقيل: معناه أنّ قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الّذي يقولون فيه: هو كلمح البصر أو أقرب، مبالغة في استقرابه.

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٢-٣٣]

وفي قوله: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾: أي يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة، أو يتصايحون بالويل والثبور، أو يتنادى أصحاب الجنّة وأصحاب النار كما حكي في الأعراف.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ عن الموقف ﴿مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين عنه إلى النار؛ وقيل: فارّين عنها ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ﴾ يعصمكم من عذابه.

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٧-٥٨]

وفي قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾[1]: دنت الساعة الموصوفة بالدنوّ في نحو قوله اقتربت الساعة: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلاّ الله لكنّه لا يكشفها، أو الآن بتأخيرها إلاّ الله، أو ليس لها كاشفة لوقتها إلاّ الله، إذ لا يطّلع عليه سواه، أو ليس لها من غير الله كشف على أنها مصدر كالعافية.

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]

وفي قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: روي أنّ الكفّار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشقّ القمر؛ وقيل: سينشقّ القمر يوم القيامة، ويؤيّد الأوّل أنّه قرىء: وقد انشقّ القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]

وفي قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾: أي لأجل ما فيه من الحساب والجزاء، والجمع جمع الملائكة والثقلين.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يغبن فيه بعضهم بعضاً لنزول السعداء منّازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس، مستعار من تغابن التجّار.

---

(١) سيت الأزفة لقربها مأخوذة من الأزف وهو ضيق الوقت.

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ١-٤]

وفي قوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ أي الساعة أو الحالة الّتي تحقّ وقوعها، أو الّتي تحق فيها الأمور أي تعرف حقيقتها، أو تقع فيها حواقّ الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازيّ، وهي مبتدء خبرها: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ وأصله: ما هي؟ أي أيّ شيء هي؟ على التعظيم لشأنها والتهويل لها، فوضع الظاهر موضع المضمر ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ أي أيّ شيء أعلمك ما هي؟ أي إنّك لا تعلم كنهها فإنّها أعظم من أنّ يبلغها دراية أحد، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾[1] بالحالة الّتي تقرع الناس بالإفزاع والأجرام بالانفطار والانتشار، وإنّما وضعت موضع ضمير الحاقّة زيادة في وصف شدّتها.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥]

وفي قوله: ﴿إِنْ أَدْرِىٓ﴾: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ غاية تطول مدّتها.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤]

وفي قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾: الداهية الّتي تطمّ أي تعلو على سائر الدواهي، «الكبرى» الّتي هي أكبر الطامات وهي القيامة، أو النفخة الثانية، أو الساعة الّتي يساق فيها أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النار إلى النار.

---

(١) القارعة: الداهية. النكبة المهلكة. القيامة، لعلها سميت بها لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٢-٤٦]

وفي قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: متى إرساؤها؟ أي إقامتها وإثباتها، أو منتهاها ومستقرّها، من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي إليه وتستقرّ فيه.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ في أيّ شيء أنت من أنّ تذكّر وقتها لهم؟ أي ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء، فإنّ ذكرها لهم لا يزيدهم إلاّ غيّاً، ووقتها ممّا استأثره الله بعلمه؛ وقيل: ﴿فِيمَ﴾ إنكار لسؤالهم ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ مستأنف، أي أنت ذكر من ذكرها وعلامة من أشراطها، فإنّ إرساله خاتماً للأنبياء أمارة من أماراتها.

وقيل: إنّه متّصل بسؤالهم والجواب: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي منتهى علمها.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ إنّما بعثت لإنذار من يخاف هولها، وهو لا يناسب تعيين الوقت.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ أي في الدنيا، أو في القبور ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي عشيّة يوم أو ضحاه.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٢-٣]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: أقوال:

أحدها: أنّ الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، عن ابن عبّاس، وأبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام، وروي ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّ الجمعة تشهد على كلّ عامل بما عمل فيه.

وثانيها: أنّ الشاهد يوم النحر، والمشهود يوم عرفة.

وثالثها: أنّ الشاهد محمّد صلى الله عليه وآله، والمشهود يوم القيامة، وهو المرويُّ عن الحسن بن عليّ عليهما السلام.

ورابعها: أنّ الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم الجمعة.

وخامسها: أنّ الشاهد الملك، والمشهود يوم القيامة.

وقيل: الشاهد الّذين يشهدون على الناس، والمشهود هم الّذين يشهد عليهم.

وقيل: الشاهد هذه الأمّة، والمشهود سائر الأُمم.

وقيل: الشاهد أعضاء بني آدم، والمشهود هم[1].

عن أبي لبابة بن عبد المنذر قال: قال رسول الله ﷺ: ما من ملك مقرّب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا برّ ولا بحر إلاّ وهنَّ يشفقن من يوم الجمعة أنّ تقوم فيه الساعة الخبر[2].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: تقوم الساعة يوم الجمعة بين الصلاتين: صلاة الظهر والعصر[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة، وتقوم القيامة يوم الجمعة الخبر[4].

في خبر يزيد بن سلام أنّه سأل النبيّ ﷺ عن يوم الجمعة لم سمّي بها؟

قال: هو يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، ويوم شاهد ومشهود الخبر[5].

عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

يوم التلاق: يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض.

ويوم التناد: يوم ينادي أهل النار أهل الجنّة: أنّ أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٥٥ – ٥٨.

(٢) البحار: ج٧، ص٥٩، باب ٤، ح١.

(٣) البحار: ج٧، ص٥٩، باب ٤، ح٢.

(٤) الخصال: ص٣٢. البحار: ج٧، ص٥٩، باب ٤، ح٣.

(٥) علل الشرائع: ص١٦١. البحار: ج٧، ص٥٩، باب ٤، ح٤.

ويوم التغابن: يوم يغبن أهل الجنّة أهل النار.

ويوم الحسرة: يوم يؤتى بالموت فيذبح(١).

عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال في باب مواعظه عليه السلام حيث قال: اعلم يابن آدم أنّ من وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين، ذلك يوم ينفخ في الصور وتبعثر فيه القبور(٢)، وذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، وذلك يوم لا تقال فيه عثرة، ولا تؤخذ من أحد فدية، ولا تقبل من أحد معذرة، ولا لأحد فيه مستقبل توبة، ليس إلاّ الجزاء بالحسنات، والجزاء بالسيّئات، فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من خير وجده، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من شرّ وجده. الخبر(٣).

روي أنّ قيام القائم عليه السلام يكون في يوم الجمعة، وتقوم القيامة في يوم الجمعة، يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾(٤).

عن عبد الله بن سنان، عن الصادق عليه السلام قال: قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه: متى قيام الساعة؟

فانتفض جبرئيل انتفاضة أغمي عليه منها، فلمّا أفاق قال: يا روح الله ما المسؤول أعلم بها من السائل، وله من في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة(٥).



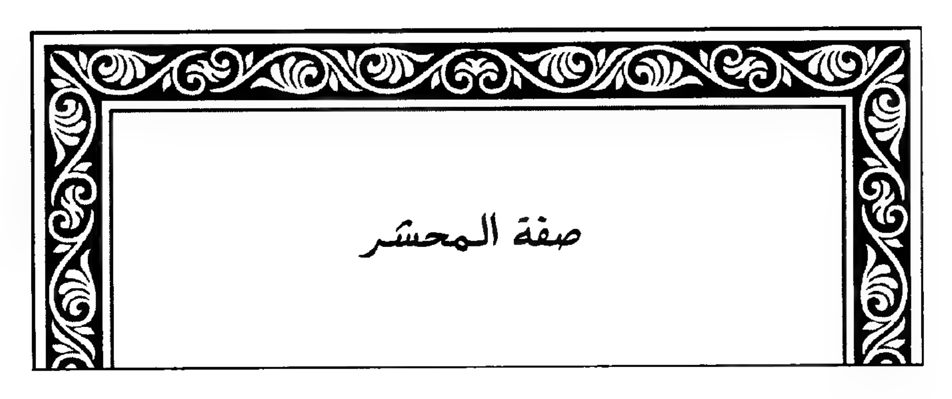
(١) معاني الأخبار: ص٥٠. البحار: ج٧، ص٥٩، باب ٤، ح٥.

(٢) بعثر: أثير تراب القبور وقلبت فأخرج موتاها، والبعثرة تتضمن معنى بعث وأثير ولذا يقال: إنه مركب منهما.

(٣) روضة الكافي: ص٧٣-٧٤. البحار: ج٧، ص٦٠-٦١، باب ٤، ح١٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ص١١٣. البحار: ج٧، ص٦١، باب ٤، ح١٢.

(٥) البحار: ج٧، ص٦١-٦٢، باب ٤، ح١٤.



صفة المحشر

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]

قال الطبرسيّ رحمه الله قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾: أي هل ينتظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله إلاّ أنّ يأتيهم أمر الله وما توعّدهم به على معصيته في ستر من السحاب؟

وقيل: قطع من السحاب، وهذا كما يقال: قتل الأمير فلاناً وضربه وأعطاه، وإن لم يتولّ شيئاً من ذلك بنفسه بل فعل بأمره.

وقيل: معناه: ما ينظرون إلاّ أنّ يأتيهم جلائل آيات الله غير أنّه ذكر نفسه تفخيماً للآيات، كما يقال: دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده، وإنّما ذكر الغمام ليكون أهول، فإنّ الأهوال تشبه بظلل الغمام.

وقال الزجّاج: معناه: يأيتهم الله بما وعدهم من الحساب والعذاب كما قال: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ والملائكة أي يأتيهم الملائكة.

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ أي فرغ من الأمر وهو المحاسبة وإنزال أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أي إليه تردّ الأمور في سؤاله عنها ومجازاته عليها.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾: اختلف في كيفيّة وجود العمل محضراً فقيل: تجد صحائف الحسنات والسيّئات.

وقيل: ترى جزاء عملها من الثواب والعقاب، فأمّا أعمالهم فهي أعراض قد بطلت لا يجوز عليها الإعادة فتستحيل أنّ ترى محضرة.

وفي قوله: ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾: أي غاية بعيدة أي تودّ أنّها لم تكن فعلتها.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]

وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: معناه أنّه يأتي به حاملاً على ظهره، كما روي في حديث طويل: ألا لايغلّن أحد بعيراً فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء[١]، ألا لا يغلّنّ أحد فرساً فيأتي يوم القيامة به على ظهره له حمحمة[٢] فيقول: يا محمّد يا محمّد، فأقول: قد بلغت قد بلّغت قد بلّغت، فلا أملك لك من الله شيئاً.

وقال البلخيّ: يجوز أنّ يكون ما تضمّنه الخبر على وجه المثل كأنّ الله إذا فضحه يوم القيامة جرى ذلك مجرى أنّ يكون حاملاً له وله صوت، والأولى أنّ يكون معناه: ومن يغلل يوافى بما غلّ يوم القيامة، فيكون حمل غلوله على عنقه أمارة يعرف بها وذلك حكم الله في كلّ من وافى يوم القيامة بمعصية لم يتب منها وأراد الله سبحانه أنّ يعامله بالعدل أظهر عليه من معصيته علامة تليق بمعصيته

---

(١) رغا البعير: صوت وضج، ورغا الصبي: بكى أشد البكاء.

(٢) حمحم البرذون أو الفرس: ردد صوته في طلب علف، أو إذا رأى من يأنس به.

ليعلمه أهل القيامة بها، ويعلموا سبب استحقاقه العقوبة، وكذا كلّ من وافى القيامة بطاعة فإنّه سبحانه يظهر من طاعته علامة يعرف بها.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾: قيل: هذا من كلام الله تعالى إمّا عند الموت أو البعث؛ وقيل: من كلام الملائكة يؤدّونه عن الله تعالى إلى الّذين يقبضون أرواحهم.

﴿فُرَادَىٰ﴾ أي وحداناً لا مال لهم ولا خول(١) ولا ولد ولا حشم؛ وقيل: واحداً واحداً على حدة؛ وقيل: كلّ واحد منهم منفرد من شريكه في الغي.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي في بطون أمّهاتكم فلا ناصر لكم ولا معين.

وقيل: معناه ما روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: يحشرون حفاة عراتاً غرلاً(٢) والغرل: هم الغلف.

وروي أنّ عائشة قالت لرسول الله ﷺ حين سمعت ذلك: واسوأتاه! أينظر بعضهم إلى سوأة بعض من الرجال والنساء؟

فقال عليه السلام: لكلّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ويشغل بعضهم عن بعض.

وقال الزجّاج: معناه: كما بدأناكم أوّل مرة أي يكون بعثكم كخلقكم.

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أي ملّكناكم في الدنيا ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي خلف ظهوركم في الدنيا.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ﴾ أي ليس معكم من كنتم تزعمون أنّهم يشفعون لكم عند الله يوم القيامة وهي الأصنام.

---

(١) الخول جمع خولى: العبيد والاماء وغيرهم من الحاشية.
(٢) الغرل: جمع الاغرل وهو الاغلف.

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ معناه: زعمتهم أنّهم شركاؤنا فيكم وشفعاؤكم، وهذا عامّ في كلّ من عبد غير الله تعالى أو اعتمد غيره يرجو خيره ويخاف ضيره في مخالفة الله تعالى.

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي وصلكم وجمعكم، ومن قرأ بالنصب فمعناه: لقد تقطّع الأمر بينكم أو تقطع وصلكم بينكم[1].

﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي ضاع وتلاشى، ولا تدرون أين ذهب من جعلتم شفعاءكم من آلهتكم ولم تنفعكم عبادتها؛ وقيل: ما تزعمون من عدم البعث والجزاء.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى

---

(١) قال الشريف الرضي في مجازات القرآن ص ٣٧: على قراءة من قراءة برفع النون «من بينكم» وهذه استعارة لأنه لا وصال هناك على الحقيقة فتوصف بالتقطع، وإنما المراد: لقد زال ما كان بينكم من شبكة المودة وعلاقة الألفة التى تشبه لاستحكامها بالحبال المحصدة والقرائن المؤكدة.

ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٥٠]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: أي إنّما يؤخّر مجازاتهم إلى يوم القيامة وهو اليوم الّذي يكون فيه الأبصار شاخصة عن مواضعها، لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف؛ وقيل: تشخص أبصارهم إلى إجابة الداعي حين يدعوهم.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين؛ وقيل: يريد دائمي النظر إلى ما يرون لا يطرفون.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ أي رافعي رؤوسهم إلى السماء حتّى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدّة رفع الرأس، وذلك من هول يوم القيامة. وقال مورّخ[١]: معناه: ناكسي رؤوسهم بلغة قريش.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي لا ترجع إليهم أعينهم ولا يطبقونها ولا يغمضونها، وإنّما هو نظر دائم.

﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[٢] أي قلوبهم خالية من كلّ شيء فزعاً وخوفاً.

---

(١) كذا في نسخة المصنف، والصحيح: «مورج» وهو مورج بن عمرو أبو فيد السدوسي صاحب العربية، من أصحاب الخليل بن أحمد، كان بخراسان وقدم بغداد مع المأمون، له كتاب في غريب القرآن، قال الفيروزآبادي في وجه تسميته بذلك: لتأريجه الحرب بين بكر وتغلب. قلت: ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد. «ج١٣ ص٢٥٨».

(٢) في المجازات ص٩٨: هذه استعارة، والمراد بها صفة قلوبهم بالخلو من عزائم الصبر والجلد، لعظيم الاشفاق والوجل، ومن عادة العرب أن يسموا الجبان يراعة جوفاء، أي ليس بين جوانحه قلب، وعلى ذلك قول جرير يهجو قوماً ويصفهم بالجبن: قل لخفيف القصبات الجوفان جيئوا بمثل عامر والعلهان. وإنما وصف الجبان بأنه لا قلب له لأن القلب محل الشجاعة، وإذا نفى المحل فأولى أن ينتفى الحال فيه، وهذا على المبالغة في صفة الجبن، ويسمون الشيء إذا كان خالياً: هواء، أي ليس فيه ما يشغله إلا الهواء، وعلى هذا قول الله سبحانه: «وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً» أى خالياً من التجلد وعاطلاً من التصبر: وقيل أيضاً في ذلك أن أفئدتهم منحرفة لا تعي شيئاً للرعب الذى دخلها والهول الذى استولى عليها فهي كالهواء الرقيق في الانحراف وبطلان الضبط والإمتساك.

وقيل: خالية من كلّ سرور وطمع في الخير لشدّة ما يرون من الأهوال كالهواء الّذي بين السماء والأرض.

وقيل: زائلة عن مواضعها، قد ارتفعت إلى حلوقهم لا تخرج ولا تعود إلى أماكنها، بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة، المتردّد في الهواء؛ وقيل: خالية عن عقولهم.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أي دم على إنذارك.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وهو يوم القيامة أو عذاب الاستيصال في الدنيا؛ وقيل: هو يوم المعاينة عند الموت، والأوّل أظهر.

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ﴾ بارتكاب المعاصي ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ أي ردّنا إلى الدنيا واجعل ذلك مدّة قريبة نجب دعوتك فيها.

﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ أي نتبع رسلك فيما يدعوننا إليه فيقول الله مخاطباً لهم: أو تقول الملائكة بأمره: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم﴾ أي حلفتم من قبل في الدنيا؟

﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ أي ليس لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة، أو من الراحة إلى العذاب وفي هذا دلالة على أنّ أهل الآخرة غير مكلّفين، خلافاً لمّا يقوله النجّار وجماعة لأنّهم لو كانو مكلّفين لمّا كان لقولهم: أخّرنا إلى أجل قريب وجه، ولكان ينبغي لهم أنّ يؤمنوا فيتخلّصوا من العقاب إذا كانوا مكلّفين.

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ هذا توبيخ لهم وتعنيف أي وسكنتم ديار من كذّب الرسل قبلكم فأهلكهم الله فعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ وبيّنّا لكم الأشباه وأخبرناكم بأحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بها فلم تعتبروا.

وقيل: الأمثال ما ذكر في القران ممّا يدل على أنّه تعالى قادر على الاعادة كما أنّه قادر على الانشاء.

وقيل: هي الأمثال المنبّهة على الطاعة، الزاجرة عن المعصية.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾ أي بالأنبياء قبلك؛ وقيل: عنّي بهم كفّار قريش الّذين دبّروا في أمر النبيّ ﷺ، ومكروا بالمؤمنين ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي جزاء مكرهم.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ أي أنّ مكرهم وإن بلغ كلّ مبلغ فلا يزيل دين الله.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ أي ما وعدهم به من النصر والظفر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي ممتنع بقدرته من أن ينال باهتضام ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ قيل: فيه قولان:

أحدهما: أنّ المعنى: تبدّل صورة الأرض وهيئتها عن ابن عبّاس، فقد روي عنه أنّه قال: تبدل آكامها وآجامها وجبالها وأشجارها والأرض على حالتها وتبقى أرضاً بيضاء كالفضّة لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة، وتبدّل السماوات فيذهب بشمسها وقمرها ونجومها، وكان ينشد:

فما الناس بالناس الّذين عهدتهم ولا الدار بالدار الّتي كنت أعرف

ويعضده ما رواه أبو هريرة عن النبيّ ﷺ قال: يبدّل الله الأرض غير الأرض والسماوات فيبسطها ويمدّها مدّ الأديم العكاظيّ ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدّلة في مثل مواضعهم من الأولى: ما كان في بطنها كان في بطنها، وما كان على ظهرها على ظهرها.

والآخر: أنّ المعنى: تبدل الأرض وتنشأ أرض غيرها والسماوات كذلك تبدّل بغيرها وتفنى هذه، عن الجبائيّ وجماعة من المفسّرين، وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام بالإسناد عن زرارة ومحمّد بن مسلم وحمران بن أعين، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: تبدّل الأرض خبزة نقيّة يأكل الناس منها. حتّى يفرغ من الحساب قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ وهو قول سعيد بن جبير ومحمّد بن كعب(١).

(١) البحار: ج ٧، ص ٦٧ - ٧٢.

وروى سهل بن سعيد الساعديّ[١]، عن النبيّ ﷺ قال: تحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء[٢] كقرصة النقيّ ليس فيها معلم لأحد[٣].

وروي عن ابن مسعود أنّه قال: تبدل الأرض بنار فتصير الأرض كلّها ناراً يوم القيامة، والجنّة من ورائها ترى كواعبها[٤] وأكوابها[٥] ويلجم الناس العرق ولم يبلغوا الحساب بعد.

وقال كعب: تصير السماوات جناناً وتصير مكان البحر النار وتبدّل الأرض غيرها.

وروي عن أبي أيّوب الأنصاريّ قال: أتى رسول الله ﷺ حبر من اليهود فقال: أرأيت إذ يقول الله في كتابه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ فأين الخلق عند ذلك؟

فقال: أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه.

وقيل: تبدّل الأرض لقوم بأرض الجنّة، ولقوم بأرض النّار.

وقال الحسن: يحشرون على الأرض الساهرة وهي أرض غير هذه وهي أرض الآخرة، وفيها تكون جهنّم، وتقدير الكلام: وتبدّل السماوات غير السماوات، إلا أنّه حذف لدلالة الظاهر عليه.

---

(١) كذا في نسخة المصنف، والصحيح: «سعد» وهو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الحارث بن ساعدة بن كعب بن خزرج الساعدى الأنصاري، يكنى أبا العباس، له ولأبيه صحبة مشهورة، كان يوم وفاة النبى ﷺ ابن خمس عشرة سنة، وعمّر حتى أدرك الحجاج وامتحن معه، واختلف في وقت وفاته فقيل: توفي سنة ٨٨، وقيل: ٩١، وقد بلغ مائة سنة، ويقال: إنه آخر من بقي بالمدينة من أصحاب رسول ﷺ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب النبي ﷺ وعلي عليه السلام، وترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن حجر في التقريب.

(٢) في النهاية: العفرة: بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفر الأرض وهو وجهها، ومنه الحديث: يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء.

(٣) المعلم: ما جعل علامة للطرق والحدود مثل اعلام الحرم.

(٤) كواعب: فتيات تكعبت ثديهن، أي نتأت وبرزت، مفردها كاعب أي ناهد، وهي الجارية التى تفلك ثديها واستدار.

(٥) جمع كوب وهو كوز لا عروة ولا خرطوم له.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ أي يظهرون من قبورهم للمحاسبة لا يسترهم شيء، وجعل ذلك بروزاً لله تعالى لأنّ حسابهم معه وإن كانت الأشياء كلّها بارزة له ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ الّذي لا شبيه له ولا نظير.

﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ المالك الّذي لا يضام يقهر عباده بالموت الزوام.

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكفّار ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة.

﴿مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي مجموعين في الأغلال، قربت أيديهم بها إلى أعناقهم؛ وقيل: يقرن بعضهم إلى بعض.

وقيل: مشدودين في قرن أي حبل من الأصفاد والقيود.

وقيل: يقرن كلّ كافر مع شيطان كان يضلّه في غلّ من حديد.

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي قميصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾[1] وهو ما يطلى به الإبل شيء أسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم، ثمّ يرسل النار فيهم ليكون أسرع إليهم وأبلغ في الاشتعال وأشد في العذاب، وقرأ زيد عن يعقوب «من قطر آن» على كلمتين منوّنتين، وهو قراءة أبي هريرة وابن عبّاس وسعيد بن جبير والكلبيّ وقتادة وعيسى الهمدانيّ والربيع.

قال ابن جنّي: القطر: الصفر والنحاس، والآن: الّذي بلغ غاية الحرّ، وجوز الجبائيّ على القراءتين أنّ يسربلوا بسربالين: أحدهما من القطران، والآخر من القطر الآنيّ.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي تصيب وجوههم النار لا قطران عليها.

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١]

وفي قوله ﷻ: ﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾: أي تخاصمه الملائكة عن نفسها...

(١) سيال دهني يتخذ من بعض الأشجار كالصنوبر والأرز.

وتحتجّ بما ليس فيه حجّة، فيقول: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ويقول أتباعهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ويحتمل أنّ يكون المراد أنّها تحتجّ عن نفسها بما تقدر به إزالة العقاب عنها.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾: معناه: وإنّا مخرّبون الأرض بعد عمارتها، وجاعلون ما عليها مستوياً من الأرض يابساً لا نبات عليه؛ وقيل: بلاقع.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١٠٥-١١٢]

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: أي ويسألك منكروا البعث عند ذكر القيامة عن الجبال ما حالها؟ فقل: يا محمد.

﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ أي يجعلها ربّي بمنزلة الرمل يرسل عليها الرياح فتذريها كتذرية الطعام من القشور والتراب فلا يبقى على وجه الأرض منها شيء؛ وقيل: يصيّرها كالهباء.

وقيل: إنّ رجلاً من ثقيف سأل النبيّ ﷺ: كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها؟

فقال: إنّ الله يسوقها بأن يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها.

﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفتها ﴿قَاعًا﴾ أي أرضاً ملساً؛ وقيل: منكشفة ﴿صَفْصَفًا﴾ أي أرضاً مستوية ليس للجبل فيها أثر.

وقيل: القاع والصفصف بمعنى واحد وهو المستوي من الأرض الذي لا نبات فيه، عن ابن عبّاس ومجاهد.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ أي ليس فيها مرتفع ولا منخفض.

قال الحسن: العوج: ما انخفض من الأرض، والأمت ما ارتفع من الروابيّ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ أي يوم القيامة يتبّعون صوت داعي الله الّذي ينفخ في الصور.

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي لدعاء الداعي، ولا يعدل عن أحد، بل يحشرهم جميعاً؛ وقيل: معناه لا عوج لهم عن دعائه ولا يعدلون عن ندائه، بل يتبّعونه سراعاً.

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي خضعت الأصوات بالسكوت لعظمة الرحمن.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وهو صوت الأقدام أي لا تسمع من صوت أقدامهم إلاّ صوتاً خفياً كما يسمع من وطء الإبل؛ وقيل: الهمس: إخفاء الكلام.

وقيل: معناه أنّ الأصوات العالية بالأمر والنهي في الدنيا تنخفض وتذلّ أصحابها فلا تسمع منها إلاّ الهمس.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة أحد في غيره إلاّ شفاعة من أذن الله له في أن يشفع ورضي قوله فيها: من الأنبياء والأولياء والصالحين والصدّيقين والشّهداء.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ والضمير راجع إلى الّذين يتبعون الداعي أي يعلم سبحانه منهم جميع أقوالهم وأفعالهم قبل أن يخلقهم وبعد أن خلقهم وما كان في حياتهم وبعد مماتهم، لا يخفى عليه شيء من أمورهم تقدّم أو تأخّر؛ وقيل: يعلم ما بين أيديهم من أحوال الآخرة وما خلفهم من أحوال الدنيا.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ أي لا يحيطون هم بالله علماً، أي بمقدرواته ومعلوماته، أو بكنه عظمته في ذاته وأفعاله.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أي خضعت وذلّت خضوع الأسير في يد من قهره، والمراد أرباب الوجوه؛ وقيل: المراد بالوجوه الرؤساء والقادة والملوك.

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ عن ثواب الله ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي شركاً.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي شيئاً من الطاعات وهو مؤمن مصدّق بما يجب التصديق به.

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بأن يزاد في سيّئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بأن ينقص من حسناته، والهضم: النقص.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

وفي قوله عزّوجلّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾(١): المراد بالطيّ ههنا هو الطيّ المعروف فإنّ الله سبحانه يطوي السماء بقدرته؛ وقيل: إنّ طيَّ السماء ذهابها.

﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ السجلّ: صحيفة فيها الكتب، عن ابن عبّاس وغيره.

وقيل: إنّ السجلّ ملك يكتب أعمال العباد، عن أبي عمرو والسدّيّ.

وقيل: هو ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه، عن عطاء.

وقيل: هو اسم كاتب كان للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) قال السيد الرضي رحمه الله في المجازات: ص ١٤٧: هذه استعارة، والمراد بها على أحد القولين إبطال السماء ونقض بنيتها واعدام جملتها من قولهم: طوى الدهر آل فلان إذا أهلكهم وعفى آثارهم، وعلى القول الآخر يكون الطي ههنا على حقيقته فيكون المعنى: أن عرض السماء يطوى حتى يجمع بعد انتشاره ويتقارب بعد تباعد أقطاره فيصير كالسجل المطوي، وهو ما يكتب فيه من جلد أو قرطاس أو ثوب أو ما يجري مجرى ذلك، والكتاب ههنا مصدر كقولهم: كتب كتاباً وكتابة وكتباً، فيكون المعنى: يوم نطوي السماء كطي السجل ليكتب فيه، فكانه قال: كطي السجل للكتابة، لأن الاغلب في هذه الأشياء التى اومأنا إليها أن تطوى قبل أن تقع الكتابة فيها، لأن الطي أبلغ في التمكن منها.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أي حفاة عراتاً غرلا؛ وقيل: معناه: نهلك كلّ شيء كما كان أوّل مرّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]

وفي قوله تعالى سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾: أي عذابه.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾(١) أي زلزلة الأرض يوم القيامة، والمعنى أنّها تقارن قيام الساعة وتكون معها.

وقيل: إنّ هذه الزلزلة قبل قيام الساعة وإنّما أضافها إليها لأنّها من أشراطها.

﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي أمر هائل لا يطاق؛ وقيل: إنَّ معناه أنّ شدّة يوم القيامة أمر صعب ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ أي الزلزلة أو الساعة.

﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أي تشغل عن ولدها وتنساه. وقيل: تسلو عن ولدها(٢).

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ أي تضع الحبالى ما في بطونهنّ وفي هذا دلالة على أنّ الزلزلة في الدّنيا.

قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام؛ ومن قال: المراد به القيامة قال: إنّه تهويل لأمر القيامة وشدائدها، أي لو كان ثمّ مرضعة لذهلت، أو حامل لوضعت.

---

(١) قال الرضى قدس الله روحه: المراد بزلزلة الساعة رجفان القلوب من خوفها، واضطراب الأقدام من روعة موقعها، ويشهد بذلك قوله سبحانه من بعد: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ يريد تعالى من شدة الخوف والوجل والذهول والوهل.

(٢) سلى عنه: نسيه. طابت نفسه عنه وذهل عن ذكره وهجره.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من شدّة الفزع ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب. ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فمن شدّته يصيبهم ما يصيبهم.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]

وفي قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾: أراد يوم القيامة تتقلّب فيه أحوال القلوب والأبصار وتنتقل من حال إلى حال، فتلفحها النار[(١)]، ثمّ تنضجها ثمّ تحرقها.

وقيل: تتقلّب فيه القلوب والأبصار بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك، وتتقلّب الأبصار يمنة ويسرة من أين تؤتى كتبهم، ومن أين يؤخذ بهم، أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال؟

وقيل: تتقلب القلوب ببلوغها الحناجر، والأبصار بالعمى بعد البصر.

وقيل: معناه: تنتقل القلوب من الشكّ إلى اليقين والإيمان، والأبصار عمّا كانت تراه غيّاً فتراه رشداً، فمن كان شاكّاً في دنياه أبصر في آخرته، ومن كان عالماً ازداد بصيرة وعلماً.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٥-٥٧]

---

(١) لفح النار أو السموم بحرها فلاناً: أصابت وجهه وأحرقته.

وفي قوله تعالى: ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: أي يحلف المشركون.

﴿مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ واحدة، عن الكلبيّ ومقاتل؛ وقيل: يحلفون ما مكثوا في الدنيا غير ساعة لاستقلالهم مدّة الدنيا.

وقيل: يحلفون ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر غير ساعة، عن الجبائيّ، ومتى قيل: كيف يحلفون كاذبين مع أنّ معارفهم في الآخرة ضرورية؟

قيل: فيه أقوال:

أحدها: أنّهم حلفوا على الظنّ ولم يعلموا لبثهم في القبور فكأنهم قالوا: ما لبثنا غير ساعة في ظنوننا.

وثانيها: أنّهم استقلّوا الدنيا لما عاينوا من أمر الآخرة فكأنّهم قالوا: ما الدنيا في الآخرة إلاّ ساعة.

وثالثها: أنّ ذلك يجوز أنّ يقع منهم قبل إكمال عقولهم.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ في دار الدنيا أي يكذبون؛ وقيل: يصرفون صرفهم جهلهم عن الحقّ في الدارين، ومن استدلّ بهذه الآية على نفي عذاب القبر فقد أبعد لمّا بيّنّا أنّه يجوز أنّ يريدوا أنّهم لم يلبثوا بعد عذاب الله إلاّ ساعة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ﴾ أي مكثتم ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ معناه أنّ لبثكم ثابت في كتاب الله أثبته الله فيه وهو قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وهذا كما يقال: إنّ كلّ ما يكون فهو في اللّوح المحفوظ أي هو مثبت فيه، والمراد: لقد لبثتم في قبوركم إلى يوم البعث.

وقيل: إنّ الّذين أوتوا العلم والإيمان هم الملائكة؛ وقيل: هم الأنبياء؛ وقيل: المؤمنون.

وقيل: إنّ هذا على التقديم وتقديره: وقال الّذين أوتوا العلم في كتاب الله وهم الّذين يعلمون كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث فهذا يوم البعث الّذي كنتم تنكرونه في الدنيا، ولكنّكم كنتم لا تعلمون وقوعه في الدنيا، فلا ينفعكم العلم به الآن، ويدلّ على هذا المعنى قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ فلا يمكنون من الاعتذار، ولو اعتذروا لم يقبل عذرهم.

﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ أي لا يطلب منهم الاعتاب والرجوع إلى الحقّ.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: ١٥-٢٠]

وفي قوله: سبحانه ﴿لِيُنذِرَ﴾: أي النبيّ بما أُوحي إليه.

﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يلتقي في ذلك اليوم أهل السماء وأهل الأرض.

وقيل: يلتقي فيه الأوّلون والآخرون والخصم والمخصوم والظالم والمظلوم؛ وقيل: يلتقي الخلق والخالق يعني أنّه يحكم بينهم؛ وقيل: يلتقي المرء وعمله، والكلّ مراد.

﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ من قبورهم؛ وقيل: يبرز بعضهم لبعض فلا يخفى على أحد حال غيره لأنّه ينكشف له ما يكون مستوراً.

﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ أي من أعمالهم وأحوالهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله في ذلك اليوم.

﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ فيقرّ المؤمنون والكافرون بأنه ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ وقيل: إنّه سبحانه هو القائل لذلك وهو المجيب لنفسه، ويكون في الإخبار بذلك مصلحة للمكلّفين.

قال محمّد بن كعب القرظيّ: يقول الله تعالى ذلك بين النفختين حين يفني الخلائق كلّها ثمّ يجيب نفسه لأنّه بقي وحده، والأوّل أصحّ لأنّه بيّن أنّه يقول ذلك يوم التلاق يوم يبرز العباد من قبورهم، وإنّما خص ذلك اليوم بأن له الملك فيه لأنّه قد ملك العباد بعض الأمور في الدنيا، ولا يملك أحد شيئاً ذلك اليوم.

فإن قيل: أليس يملك الأنبياء والمؤمنون في الآخرة الملك العظيم؟ فالجواب أنّ أحداً لا يستحقّ إطلاق الصفة بالملك إلاّ الله تعالى، لأنّه يملك جميع الأمور من غير تمليك مملّك؛ وقيل: إنّ المراد به يوم القيامة قبل تمليك أهل الجنّة ما يملكهم.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وفي الحديث: إنّ الله تعالى يقول: أنا الملك، أنا الديّان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنّة أنّ يدخل الجنّة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتّى أقصّه منه، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ أي لا ظلم لأحد على أحد، ولا ينقص من ثواب أحد ولا يزاد في عقاب أحد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لا يشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ أي الدانية، وهو يوم القيامة لأنّ كلّ ما هو آت دان قريب، وقيل: يوم دنوّ المجازاة.

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أنّها تزول عن مواضعها من الخوف حتّى تصير إلى الحنجرة.

﴿كَٰظِمِينَ﴾ أي مغمومين مكروبين ممتلين غمّاً، قد أطبقوا أفواههم على ما في قلوبهم من شدّة الخوف.

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ يريد: ما للمشركين والمنافقين من قريب ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فيهم فتقبل شفاعته.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحلّ النظر إليه.

﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ ويعلم ما تضمره الصدور.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ أي يفصل بين الخلائق بالحقّ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ لأنّها جماد.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر: ٦-٨]

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي منكر غير معتاد ولا معروف بل أمر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاماً، واختلف في الداعي فقيل: هو إسرافيل يدعو النّاس إلى الحشر قائماً على صخرة بيت المقدس؛ وقيل: بل الداعي يدعوهم إلى النار، و﴿يَوْمَ﴾ ظرف ليخرجون، ويجوز أنّ يكون التقدير: في هذا اليوم يقول الكافرون.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب، وإنّما وصف الأبصار بالخشوع لأنّ ذلّة الذليل وعزّة العزيز تتبيّن في نظره وتظهر في عينه.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي من القبور.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ والمعنى: أنّهم يخرجون فزعين يدخل بعضهم في بعض ويختلط بعضهم ببعض، لا جهة لاحد منهم فيقصدها، كما أنّ الجراد لا جهة لها فتكون أبداً متفرقة في كلّ جهة.

وقيل: إنّما شبّههم بالجراد في كثرتهم، وفي هذه الآية دلالة على أنّ البعث إنّما يكون لهذه البنية لأنّها الكائنة في الأجداث، خلافاً لمن زعم أنّ البعث يكون للأرواح.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ أي مقبلين إلى صوت الداعي؛ وقيل: مسرعين إلى إجابة الداعي؛ وقيل: ناظرين قبل الداعي، قائلين: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي صعب شديد.

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٣-٤٢]

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾: أي تخرجوا هاربين من الموت، يقال نفذ الشيء من الشيء: إذا خلص منه، كالسهم ينفذ من الرمية.

﴿مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي جوانبهما ونواحيهما.

﴿فَٱنفُذُواْۚ﴾ أي فأخرجوا ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ أي حيث توجّهتم فثمّ ملكي ولا تخرجون من سلطاني فأنا آخذكم بالموت.

وقيل: لا تنفذون إلاّ بقدرة من الله وقوّة يعطيكموها بأن يخلق لكم مكاناً آخر سوى السماوات والأرض ويجعل لكم قوّة تخرجون بها إليه.

وقيل: المعنى: إن استطعتم أنّ تعلموا ما في السماوات والأرض فاعلموا أنّه لا يمكنكم ذلك ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ أي لا تعلمون إلاّ بحجّة وبيان.

وقيل: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ معناه: حيث ما نظرتم شاهدتم حجّة الله وسلطانه الّذي يدل على توحيده.

﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ﴾ هو اللّهب الأخضر المنقطع من النار ﴿وَنُحَاسٞ﴾ هو الصفر المذاب للعذاب؛ وقيل: النحاس: الدخان؛ وقيل: المهل، والمعنى: لا تنفذون ولو جاز أن تنفذوا وقدرتم عليه لأرسل عليكم العذاب من النار المحرقة؛ وقيل: معناه: إنّه يقال لهم ذلك يوم القيامة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ أي على من أشرك منكما، وقد جاء في الخبر: يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار، ثمّ ينادون: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ إلى قوله: ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾.

وروى مسعدة بن صدقة، عن كليب قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فأنشأ يحدّثنا فقال: إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد وذلك إنّه يوحي إلى السماء الدنيا: أنّ اهبطي بمن فيك، فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجنّ والإنس والملائكة، ثمّ يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرّتين، فلا يزالون كذلك حتّى يهبط أهل سبع سماوات فيصير الجنّ والإنس في سبع سرادقات من الملائكة، ثمّ ينادي منّاد: يا معشر الجنّ والإنس.

﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ الآية فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبع أطواق من الملائكة.

وقوله: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ أي فلا تقدران على دفع ذلك عنكما وعن غيركما.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعني يوم القيامة إذا انصدعت السماء وانفكّ بعضها من بعض.

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي فصارت حمراء كلون الفرس الورد وهو الأبيض الّذي يضرب إلى الحمرة أو الصفرة، فيكون في الشتاء أحمر وفي الربيع أصفر وفي اشتداد البرد أغبر، سبحانه خالقها والمصرّف لها كيف يشاء، والوردة واحدة الورد فشبّه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بذلك.

وقيل: أراد به وردة النبات وهي حمراء وقد تختلف ألوانها ولكنّ الأغلب في ألوانها الحمرة لتصير السماء كالوردة في الاحمرار، ثمّ تجري كالدهان، وهو جمع الدهن عند انقضاء الأمر وتناهي المدّة.

قال الحسن: هي كالدهان الّتي تصب بعضها بألوان مختلفة.

قال الفرّاء: شبّه تلون السماء بتلوّن الوردة من الخيل، وشبّه الوردة في اختلافه بالدهن واختلاف ألوانه؛ وقيل: الدهان: الأديم[1] الأحمر؛ وقيل: هو عكر الزيت[2] يتلوّن ألواناً

(١) الأديم: الجلد.

(٢) عكر: ضد الصافي، وهو دردى الزيت.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ أي لا يسأل المجرم عن جرمه في ذلك الموطن لما يلحقه من الذهول الّذي تحار له العقول، وإن وقعت المسألة في غير ذلك الوقت بدلالة قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾.

وقيل: المعنى: لا يسألان سؤال الاستفهام ليعرف ذلك بالمسألة من جهته لأنّ الله تعالى قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد، وإنّما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ للمحاسبة.

وقيل: إنّ أهل الجنّة حسان الوجوه وأهل النار سود الوجوه فلا يسألون من أيّ الحزبين هم ولكن يسألون سؤال تقريع.

وروي عن الرضا عليه السلام أنّه قال. فيومئذ لا يسأل منكم عن ذنبه إنس ولا جانّ والمعنى أنّ من اعتقد الحقّ ثمّ أذنب ولم يتب في الدنيا عذّب عليه في البرزخ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون؛ وقيل: بأمارات الخزي.

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ فتأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغلّ، ثمّ يسحبون إلى النار ويقذفون فيها.

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١-١٢]

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: أي إذا قامت القيامة، سمّيت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدّة، أو لشدّة وقعتها.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[1] أي ليس لمجيئها وظهورها كذب؛ وقيل: أي ليس لوقعتها قضيّة كاذبة أي ثبت وقوعها بالسمع والعقل.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي تخفض ناساً وترفع آخرين؛ وقيل: تخفض أقواماً إلى النار وترفع أقواماً إلى الجنّة.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي حركت حركة شديدة، وزلزلت زلزالاً شديداً؛ وقيل: معناه: رجّت بما فيها كما يرجّ الغربال بما فيه، فتخرج من في بطنها من الموتى.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي فتّت فتّاً؛ وقيل: أي كسرت كسراً، وقيل: قلعت من أصلها؛ وقيل: سيّرت من وجه الأرض تسييراً، وقيل: بسطت بسطاً كالرمل والتراب؛ وقيل: جعلت كثيباً مهيلاً بعد أن كانت شامخة طويلة.

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ أي غباراً متفرقاً كالّذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل من الكوّة[2].

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ يعني اليمين وهم الّذين يعطون كتبهم بأيمانهم؛ وقيل: الّذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة؛ وقيل: هم أصحاب اليمن والبركة.

﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ أي أيّ شيء هم؟ كما يقال: هم ما هم!.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ هم الّذين يعطون كتبهم بشمالهم، أو يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار؛ وقيل: هم المشائم على أنفسهم.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ أي والسابقون إلى اتّباع الأنبياء الّذين صاروا أئمّة الهدى

---

(١) قال السيد الرضى في المجازات «ص ٢٣٩»: وهذه استعارة، والمراد أنها إذا وقعت لم ترجع عن وقوعها ولم تعدل عن طريقها، كما يقال: قد صدق فلان الحملة ولم يكذب، أي ولم يرجع على عقبيه ويقف عن وجهة عزمه جبناً وضعفاً ووجلاً وخوفاً، وتلخيص المعنى: ليس لوقعتها كذب ولا خلف اهـ.

(٢) بفتح الكاف وضمها وفتح الواو المشددة: الخرق في الحائط.

هم السابقون إلى جزيل الثواب عند الله؛ وقيل: السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمته، فالسابقون الثاني خبر الأوّل؛ ويحتمل أنّ يكون تأكيداً للأوّل، والخبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ١٣-٣٧]

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: وهي النفخة الأولى وقيل: الثانية ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي رفعت من أماكنها.

﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي كسرتا كسرة واحدة لا تثنى حتّى يستوي ما عليها من شيء مثل الأديم الممدود.

وقيل: ضرب بعضها ببعض حتّى تفتّتت الجبال، ونسفتها الرياح، وبقيت

الأرض شيئاً واحداً لا جبل فيها ولا رابية[١] بل تكون قطعة مستوية، وإنّما قال: «دكتا» لأنّه جعل الأرض جملة واحدة، والجبال جملة واحدة.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي انفرج بعضها من بعض.

﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أي شديدة الضعف بانتقاض أبنيتها؛ وقيل: هو أنّ السماء تنشقُّ بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف في الوهن والضعف.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ أي على أطرافها ونواحيها، والملك اسم يقع على الواحد والجمع، والسماء مكان الملائكة فإذا وهت صارت في نواحيها.

وقيل: إنّ الملائكة يومئذ على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به في أهل النار وأهل الجنّة.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ يعني فوق الخلائق، يومئذ ثمانية من الملائكة.

وروي عن النبيّ ﷺ: أنّهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيّدهم بأربعة أخرى فيكونون ثمانية.

وقيل: ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلاّ الله تعالى عن ابن عبّاس.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ يعني يوم القيامة تعرضون معاشر المكلّفين.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي نفس خافية أو فعلة خافية؛ وقيل: الخافية مصدر أي خافية أحد.

وروي في الخبر عن ابن مسعود وقتادة أنّ الخلق يعرضون ثلاث عرضات: ثنتان فيهما معاذير وجدال، والثالثة تطير الصحف من الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله، وليس يعرض الله الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه، ولكن ليظهر ذلك لخلقه.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ لأهل القيامة: «هاؤم» أي تعالوا.

﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ إنّما يقوله سروراً بهم لعلمه بأنّه ليس فيه إلاّ الطاعات فلا يستحيي أن ينظر فيه غيره ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾ أي علمت وأيقنت في الدنيا.

(١) الرابية: ما ارتفع من الأرض.

﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ والهاء لنظم رؤوس الآي وهي هاء الاستراحة، والمعنى: أنّي كنت مستيقناً في دار الدنيا بأنّي القي حسابي يوم القيامة.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي حالة من العيش ذات رضى بمعنى مرضيّة.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي رفيعة القدر والمكان، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي ثمارها قريبة ممّن يتناولها، قال البراء بن عازب: يتناول الرجل من الثمرة وهو نائم.

وروي عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنّة أحد إلاّ بجواز بسم الله الرحمن الرّحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنّة عالية قطوفها دانية.

وقيل: معناه: لا يردّ أيديهم عن ثمرها بعد ولا شوك، يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ أي قدّمتم من أعمالكم الصالحة.

﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي الماضية في الدنيا.

ويعني بقوله: ﴿هَنِيئًا﴾ أنّه ليس فيه ما يؤذي فلا يحتاج فيه إلى إخراج فضل بغايط أو بول.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ أي صحيفة أعماله ﴿بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ لما يرى فيه من قبائح أعماله ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ أي ولم أدر أيّ شيء حسابي.

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ الهاء في ليتها كناية عن الحال الّتي هم فيها؛ وقيل: كناية عن الموتة الأولى، والقاضية: القاطعة للحياة أي ليت الموتة الأولى لم نحي بعدها، أو تمنى يومئذ الموت ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ أي ما دفع عنّي مالي من عذاب الله شيئاً.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أي ضلّ عنّي ما كنت أعتقده حجّة، أو هلك عنّي تسلّطي وأمري ونهيي في دار الدنيا على ما كنت مسلّطاً عليه.

ثمّ أخبر سبحانه أنّه يقول للملائكة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ أي أوثقوه بالغلّ، وهو أنّ تشدّ إحدى يديه أو رجليه إلى عنقه بجامعة[١].

---

(١) الجامعة: الغل.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي ثمّ أدخلوه النّار العظيمة وألزموه إيّاها.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾ أي طولها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ أي اجعلوه فيها لأنّه يؤخذ عنقه فيها ثمّ يجر بها؛ قال الضحّاك: إنّما تدخل في فيه وتخرج من دبره، فعلى هذا يكون المعنى: ثمَّ اسلكوا السلسلة فيه فقلّب.

وقال نوف البكاليّ[١]: كلّ ذرّاع سبعون باعاً، الباع: أبعد ممّا بينك وبين مكّة - وكان في رحبة الكوفة.

وقال الحسن: الله أعلم بأيّ ذرّاع هو.

وقال سويد بن نجيح: إنّ جميع أهل النار كانوا في تلك السلسلة ولو أنّ حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرّها ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ أي لم يكن يوحّد الله ولا يصدّق به.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي كان يمنع الزكاة والحقوق الواجبة.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي صديق ينفعه.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ وهو صديد[٢] أهل النار وما يجري منهم؛ وقيل: إن أهل النار طبقات فمنهم: من طعامه غسلين، ومنهم من طعامه الزقّوم[٣]، ومنهم من طعامه الضريع لأنّه قال في موضع آخر.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾[٤] وقيل: يجوز أنّ يكون الضريع هو الغسلين.

﴿لَا يَأْكُلُهُ﴾ أي هذا الغسلين ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ وهم الجائزون عن طريق الحقّ

---

(١) قال ابن الأثير في اللباب «ج١ ص١٣٧»: البكالي: بكسر الباء الموحدة وفتح الكاف المخففة وفي آخرها اللام، هذه النسبة إلى بني بكال وهو بطن من حمير ينسب إليه أبو زيد نوف بن فضالة البكالي.

(٢) الصديد: القيح والدم. وهو ما يسيل من جوف أهل جهنم.

(٣) الزقوم: شجرة في جهنم منها طعام أهل النار، نبات بالبادية له زهر كزهر الياسمين، كل طعام يقتل.

(٤) الضريع: قيل: هو نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخبثه، وقيل: نبات أحمى منتن الريح يرمى به البحر، فكيفما كان فإشارة إلى شيء منكر، وروى عن رسول الله ﷺ أن الضريع: شيء يكون في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وانتن من الجيفة وأشد حراً من النار.

عامدين، والفرق بين الخاطئ والمخطئ أنَّ المخطئ قد يكون من غير تعمّد، والخاطئ: المذنب المتعمّد الجائر عن الصراط المستقيم.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ٨-١٨]

وفي قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾: أي كدرديّ الزيت، وقيل: كعكر القطران؛ وقيل: مثل الفضة إذا أذيبت؛ وقيل: مثل الصفر المذاب.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي كالصوف المصبوغ؛ وقيل: كالصوف المنفوش؛ وقيل: كالصوف الأحمر، بمعنى أنّها تلين بعد الشدّة وتتفرّق بعد الاجتماع؛ وقال الحسن: إنّها أوّلًا تصير كثيباً مهيلاً، ثمّ تصير عهناً منفوشاً، ثمّ هباءاً منثوراً.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ لشغل كلّ إنسان بنفسه عن غيره؛ وقيل: لا يسأله أنّ يتحمل من أوزاره ليأسه من ذلك في الآخرة.

وقيل: معناه أنّه لا يحتاج إلى سؤاله لأنّه يكون لكلّ علامة يعرف بها، فعلامة الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون، وعلامة المؤمنين نضارة اللّون وبياض الوجوه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي تعرف الكفّار بعضهم بعضاً ساعة، ثمّ لا يتعارفون ويفرّ بعضهم من بعض.

وقيل: يعرفهم المؤمنون فيشمتون بهم ويسرّون بعذابهم.

وقيل: يعرف أتباع الضلالة رؤساءهم.

وقيل: إنّ الضمير يعود إلى الملائكة أي يعرفهم الملائكة، ويجعلون بصراء بهم فيسوقون فريقاً إلى الجنّة وفريقاً إلى النار.

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي يتمنّى العاصي ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ أي يتمنّى سلامته من العذاب النازل به بإسلام كلّ كريم عليه من أولاده الّذين هم أعزّ الناس عليه.

﴿وَصَـٰحِبَتِهِۦ﴾ أي زوجته الّتي كانت سكنا له، وربما آثرها على أبويه ﴿وَأَخِيهِ﴾ الذي كان ناصراً له ومعيناً.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي وعشيرته التي تؤويه في الشدائد وتضمه، ويأوي إليها في النسب.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي بجميع الخلائق ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الفداء

﴿كَلَّآ﴾ لا ينجيه ذلك ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ يعني أنّ نار جهنّم لظى أو القصّة لظى.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ وسمّيت لظى لأنّها تتلظّى أي تشتعل وتتلهّب على أهلها؛ وقيل: لظى اسم من أسماء جهنّم، وقيل: هي الدركة الثانية منها، وهي ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ تنزع الأطراف فلا تترك لحماً ولا جلداً إلاّ أحرقته وقيل: تنزع الجلد وأمّ الرأس؛ وقيل: تنزع الجلد واللّحم عن العظم.

وقال الكلبيّ: يعني تأكل الدماغ كلّه ثمّ يعود كما كان.

وقال أبو صالح: الشوى: لحم الساق.

وقال سعيد بن جبير: العصب والعقب.

وقال أبو العالية: محاسن الوجه.

﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني النار تدعو إلى نفسها من أدبر عن الإيمان وتولّى عن طاعة الله وطاعة رسوله أي لا يفوتها كافر، فكأنّها تدعوه فيجيئها كرهاً.

وقيل: إنّ الله تعالى ينطق النار حتّى تدعوهم إليها؛ وقيل: معناه: تدعو زبانية النار؛ وقيل: تدعو أي تعذّب، رواه المبرّد عن الخليل قال: يقال: دعاك الله أي عذّبك.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٢-٤٤]

وفي قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾: أي كأنهم يسعون فيسرعون إلى علم نصب لهم؛ وقيل: كأنّهم إلى أوثانهم يسعون للتقرّب إليها ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي تغشاهم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]

وفي قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾: أي تتحرّك باضطراب شديد.

﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي رملاً سائلاً متناثراً عن ابن عبّاس، وقيل: المهيل: الّذي إذا وطأته القدم زلّ من تحتها، وإذا أخذت أسفله انهار أعلاه، والمعنى أنّ الجبال تنقلع من أصولها فتصير بعد صلابتها كالرمل السائل.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧-١٨]

وفي قوله: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾: هو جمع أشيب، وهذا وصف لذلك اليوم وشدّته، كما يقال: هذا أمر يشيب منه الوليد وتشيب منه النواصي: إذا كان عظيماً شديداً، والمعنى: بأيّ شيء تتحصنّون من عذاب ذلك اليوم إنّ كفرتم؟ وكيف تدفعون عنكم ذلك؟

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ الهاء يعود إلى اليوم، والمعنى: أنَّ السماء تنفطر وتنشقّ في ذلك اليوم من هوله؛ وقيل: بسبب ذلك اليوم وهوله وشدّته.

﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ أي كائناً لا خلف فيه ولا تبديل.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ٦-١٥]

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي شخص البصر عند معاينة ملك الموت فلا يطرف من شدّة الفزع؛ وقيل: إذا فرع وتحيّر لمّا يرى من أهوال القيامة وأحوالها.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أي ذهب نوره وضوؤه.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتّى يراهما كلّ أحد بغير نور وضياء؛ وقيل في طلوعهما من المغرب كالبعيرين القرينين.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المكذّب بالقيامة ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ أين الفرار، ويجوز أن يكون معناه: أين موضع الفرار.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي لا مهرب ولا ملجأ لهم يلجؤون إليه، والوزر: ما يتحصّن به من جبل أو غيره.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي المنتهى أي ينتهي الخلق يومئذ إلى حكمه وأمره، فلا حكم ولا أمر لاحد غيره؛ وقيل: المستقرّ: المكان الّذي يستقرّ فيه المؤمن والكافر، وذلك إلى الله لا إلى العباد؛ وقيل المستقرّ: المصير والمرجع.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي يخبر الإنسان يوم القيامة بأوّل عمله وآخره فيجازى به؛ وقيل: معناه: بما قدّم من العمل في حياته، وما سنّه فعُمل به بعد موته من خير أو شرّ.

وقيل: بما قدّم من المعاصي وأخر من الطاعات؛ وقيل: بما أخذ وترك؛ وقيل: بما قدّم من طاعة الله وأخر من حقّ الله وضيّعه، وقيل: بما قدّم من ماله لنفسه، وما خلّفه لورثته بعده.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ أي أنّ جوارحه تشهد عليه بما عمل؛ قال القتيبيّ:

أقام جوارحه مقام نفسه ولذلك أنّث[١]؛ وقيل: معناه أنّ الإنسان بصير بنفسه وعمله.

وروى العيّاشيّ بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يصنع أحدكم أنّ يظهر حسناً ويسرّ سيّئاً أليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنّه ليس كذلك؟ والله سبحانه يقول: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾ إنّ السريرة إذا صلحت قويت العلانية.

﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ أي ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك؛ وقيل: معناه: ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب؛ قال الزجّاج: معناه: ولو أدلى بكلّ حجّة عنده[٢]، وجاء في التفسير: المعاذير: الستور، واحدها معذار؛ وقال المبرّد: هي لغة طائيّة، والمعنى على هذا القول: وإن أسبل الستور ليخفى ما يعمل، فإنّ نفسه شاهد عليه.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٧]

وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: أي يؤثرون اللّذّات والمنافع العاجلة في دار الدنيا.

﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ﴾ أي ويتركون أمامهم ﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ أي عسيراً شديداً، والمعنى: أنّهم لا يؤمنون به ولا يعملون له؛ وقيل: معنى ﴿وَرَآئِهِم﴾: خلف ظهورهم.

---

(١) وقال الكسائي: المعنى: بل على نفس الإنسان بصيرة، فجاء على التقديم والتأخير، أي عليه من الملائكة رقيب يرقبه وحافظ يحفظ عمله. وقال أبو عبيدة: جاءت هذه الهاء في بصيرة والموصوف بها مذكر كما جاءت في علامة ونسابة وراوية وطاغية، والمراد بها المبالغة في المعنى الذي وقع الوصف به. ووجه المبالغة في صفة الملك المحصى لأعمال المكلف بأنه بصيرة أن ذلك الملك يتجاوز علم الظواهر إلى علم السرائر بما جعل الله له على ذلك من الأدلة وأعطاه من أسباب المعرفة. قاله الرضى في تلخيص البيان ص ٢٦٧.

(٢) أدلى بحجته أي أحضرها واحتج بها.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٨-١٥]

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: أي محيت آثارها وأذهب نورها[١].

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ أي شقّت وصدعت فصار فيها فروج.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي قلعت من مكانها؛ وقيل: أي أذهبت بسرعة حتّى لا يبقى لها أثر في الأرض.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي جمعت لوقتها، وهو يوم القيامة لتشهد على الأمم، وهو قوله: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي أخّرت وضرب لهم الأجل لجمعهم تعجّب العباد من ذلك اليوم، وقيل: ﴿أُقِّتَتْ﴾ معناه: عرفت وقت الحساب والجزاء لأنّهم في الدنيا لا يعرفون متى تكون الساعة؟ وقيل: عرفت ثوابها في ذلك اليوم.

وقال الصادق عليه السلام: ﴿أُقِّتَتْ﴾ أي بعثت في أوقات مختلفة، ثمّ بيّن سبحانه ذلك اليوم فقال: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أي يوم يفصل الرحمن بين الخلائق، ثمَّ عظّم ذلك اليوم فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ ثمَّ أخبر سبحانه عن حال من كذب به، فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٧]

وفي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾: فيه قولان:

أحدهما: أنّهم لا ينطقون بنطق ينتفعون به فكأنّهم لم ينطقوا.

---

(١) قال الرضي قدس سره في التلخيص «ص ٢٧٠»: والمراد بطمس النجوم - والله أعلم - محو آثارها وإذهاب أنوارها، وإزالتها عن الجهات التي يستدل بها ويهتدى بسمتها فصارت كالكتاب المطموس الذي اشكلت سطوره واستعجمت حروفه. والطمس في المكتوبات حقيقة، وفي غيرها استعارة.

والثاني: أنّ في القيامة مواقف ففي بعضها يختصمون ويتكلّمون، وفي بعضها يختتم على أفواههم فلا يتكلّمون.

وعن قتادة قال: جاء رجل إلى عكرمة فقال: أرأيت قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٩]

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾؟ قال: إنّها مواقف، فأمّا موقف منها فتكلّموا واختصموا، ثمَّ ختم على أفواههم فتكلّمت أيديهم وأرجلهم فحينئذٍ لا ينطقون.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾

[النبأ: ١٧-٢٠]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾: أي لما وعد الله من الجزاء والحساب والثواب والعقاب.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي جماعة جماعة إلى أنّ تتكاملوا في القيامة؛ وقيل: زمراً زمراً من كلّ مكان للحساب، وكلّ فريق يأتي مع شكله؛ وقيل: إنّ كلَّ أُمّة تأتي مع نبيّها.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ أي شقّت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي ذات أبواب؛ وقيل: صار فيها طرق ولم يكن كذلك من قبل.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ أي أزيلت عن أماكنها وذهب بها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي كالسراب يظنّ أنّها جبال وليست إيّاها.

وفي الحديث عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله ﷺ في منزل أبي أيّوب الأنصاريّ فقال معاذ: يا رسول الله أرأيت

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ الآيات؟

فقال: يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر ثمّ أرسل عينيه ثمّ قال: تحشر عشرة أصناف من أُمّتي أشتاتاً قد ميّزهم الله تعالى من المسلمين وبدّل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكّسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثمّ يسحبون عليها، وبعضهم عميٌ يتردّدون، وبعضهم بكمٌ لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذّرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلّبون على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فأمّا الّذين على صورة القردة: فالقتّات من الناس.

وأمّا الّذين على صورة الخنازير: فأهل السحت.

وأمّا المنكّسون على رؤوسهم: فآكلة الربا.

والعمي: الجائرون في الحكم.

والصمّ البكم: المعجبون بأعمالهم.

والّذين يمضغون بألسنتهم: فالعلماء والقضاة الّذين خالفت أعمالهم أقوالهم.

والمقطّعة أيديهم وأرجلهم: الّذين يؤذون الجيران.

والمصلّبون على جذوع من نار: فالسعاة بالناس إلى السلطان.

والذين هم أشدّ نتناً من الجيف: فالّذين يتمتّعون بالشهوات واللّذّات ويمنعون حقّ الله في أموالهم.

والّذين يلبسون الجباب: فإهل التجبّر والخيلاء.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ

عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٣٧-٤٠]

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: أي لا يملكون أن يسألوا إلاّ فيما أذن لهم فيه، قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أنّ يكلّموا الربّ إلاّ بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ اختلف في الروح فقيل: خلق الله على صورة بني آدم وليسوا بناس ولا بملائكة يقومون صفّاً والملائكة صفّاً.

وقيل: ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفّاً، وقامت الملائكة كلّهم صفّاً واحداً فيكون عظم خلقه مثل صفّهم عن ابن عبّاس.

وقيل: إنّها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أنّ ترد الأرواح إلى الأجساد عن ابن عبّاس أيضاً؛ وقيل: إنه جبرئيل عليه السلام.

وقال وهب: إنّ جبرئيل واقف بين يدي الله عزّ وجلّ ترعد فرائصه، يخلق الله عزّ وجلّ من كلّ رعدة منه مائة ألف ملك، فالملائكة صفوف بين يدي الله عزّ وجلّ منكّسوا رؤوسهم؛ فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا إله إلا الله.

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي لا إله إلاّ الله، وعن الصادق عليه السلام: أنّه ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل؛ وقيل: إنّ الروح بنو آدم.

وقوله: ﴿صَفًّا﴾: معناه مصطفّين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وهم المؤمنون والملائكة «وقال» في الدنيا ﴿صَوَابًا﴾ أي شهد بالتوحيد وقال: لا إله إلاّ الله؛ وقيل: إنّ الكلام ههنا الشفاعة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الّذي لا شكّ فيه يعني القيامة.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ أي مرجعاً بالطاعة.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني العذاب في الآخرة.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي ينتظر جزاء ما قدّمه من طاعة ومعصية؛

وقيل: معناه: إنّ كلّ أحد ينظر إلى عمله في ذلك اليوم من خير وشرّ مثبتاً عليه في صحيفته فيرجو ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سوء عمله.

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾ في ذلك اليوم ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ أي يتمنّى أنّ لو كان تراباً لا يعود ولا يحاسب ليتخلّص من عقاب ذلك اليوم.

وقال عبد الله بن عمر: إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم وحشر الدوابّ والبهائم والوحوش ثمّ يجعل القصاص بين الدوابّ حتّى يقتصّ للشاة الجمّاء[1] من الشاة القرناء الّتي نطحتها.

وقال مجاهد: يقاد يوم القيامة للمنطوحة من الناطحة.

وقال المقاتل: إنّ الله يجمع الوحوش والهوامّ والطير وكلّ شيء غير الثقلين فيقول: من ربّكم؟ فيقولون: الرحمن الرحيم، فيقول لهم الربّ بعدما يقضي بينهم حتّى يقتصّ للجمّاء من القرناء: إنّا خلقناكم وسخّرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين أيّام حياتكم فارجعوا إلى الّذي كنتم، كونوا تراباً؛ فتكون تراباً؛ فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنّى فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا على صورة خنزير، رزقي كرزقه وكنت اليوم أي في الآخرة ترابا؛ وقيل: إنّ المراد بالكافر هنا إبليس عاب آدم بأن خلق من تراب وافتخر بالنار فيوم القيامة إذا رأى كرامة آدم وولده المؤمنين قال: يا ليتني كنت تراباً.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤-٣٦]

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: هي القيامة لأنها تطمّ على كلّ داهية هائلة أي تعلو وتغلب، وقال الحسن: هي النفخة الثانية؛ وقيل: هي الغاشية الغليظة المجلّلة الّتي تدفق الشيء بالغلظ.

وقيل: إنّ ذلك حين يساق أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النار إلى النار.

(١) جمع الأجم: الكبش لا قرن له.

﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ أي تجيء الطامّة في يوم يتذكّر الإنسان ما عمله من خير أو شرّ.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ﴾ أي أظهرت النار ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ فيراها الخلق مكشوفاً عنها الغطاء ويبصرونها مشاهدة.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ (٣٧) وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ (٣٨) ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ (٣٩) وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ (٤٠) تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٣-٤٢]

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: يعني صيحة القيامة عن ابن عبّاس، سمّيت بذلك لأنّها تصخُّ الآذان أي تبالغ في إسماعها حتّى تكاد تصمّها؛ وقيل: لأنّها يصخّ لها الخلق أي يستمع.

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥)﴾ أي زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ أي لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لعظم ما هو فيه وشغله بنفسه، وإن كان في الدنيا يعتني بشأنهم.

وقيل: يفرّ منهم حذرا من مطالبتهم إيّاه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم.

وقيل: لعلمه بأنّهم لا يشفعون له ولا يغنون عنه شيئاً، ويجوز أنّ يكون مؤمناً وأقرباؤه من أهل النار فيعاديهم ولا يلتفت إليهم؛ أو يفرّ منهم لئلاّ يرى ما نزل بهم من الهوان.

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ أي لكلّ إنسان منهم أمر عظيم يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ﴾ أي مشرقة مضيئة ﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾ من سرورها وفرحها بما أُعدّ لها من الثواب؛ وأراد بالوجوه أصحابها و﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾ أي

سواد وكآبة للهمّ ﴿تَرْهَقُهَا﴾ أي تعلوها وتغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ أي سواد وكسوف عند معاينة النار؛ وقيل: الغبرة: ما انحطّت من السماء إلى الأرض، والقترة: ما ارتفعت من الأرض إلى السماء.

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١-١٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: أي إذا ذهب ضوؤها فاظلمت واضمحلّت؛ وقيل: ألقيت ورمي بها؛ وقيل: جمع ضوؤها ولفّت كما تلفّ العمامة، والمعنى أنّ الشمس تكوّر بأن تجمع نورها حتّى تصير كالكارة الملقاة ويذهب ضوؤها ويحدث الله تعالى للعباد ضياءاً غيرها.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي تساقطت وتناثرت، يقال: انكدر الطائر من الهواء: إذا انقضّ؛ وقيل: تغيّرت من الكدورة، والأوّل أولى لقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ إلاّ أنّ يقال: يذهب ضوؤها ثمّ تتناثر.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض فصارت هباءاً منبثّاً وسراباً.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ وهي النوق الحوامل أتت عليها عشرة أشهر، وبعد الوضع تسمّى عشاراً أيضاً وهي أنفس مال عند العرب.

﴿عُطِّلَتْ﴾ أي تركت هملاً بلا راع؛ وقيل: العشار: السحاب يعطّل فلا يمطر.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي جمعت حتّى يقتصّ بعضها من بعض فيقتصّ للجمّاء من القرناء ويحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل إليها ما تستحقّه من الأعواض

على الآلام الّتي نالتها في الدنيا وينتصف لبعضها من بعض، فإذا وصل إليها ما استحقّته من الأعواض فمن قال: إنّ العوض دائم قال: تبقى منعّمة إلى الأبد، ومن قال: باستحقاقها العوض منقطعاً فقال بعضهم: يديمه الله لها تفضّلاً لئلاّ يدخل على المعوّض غم بانقطاعه، وقال بعضهم: إذا فعل الله بها ما استحقّته من الأعواض جعلها تراباً.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي أُرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتّى امتلات.

وقيل: إنّ المعنى: فجّر بعضها في بعض فصارت البحور كلّها بحراً واحداً ويرتفع البرزخ.

وقيل: أي أوقدت فصارت ناراً تضطرم عن ابن عبّاس؛ وقيل: يسبت وذهبت ماؤها فلم يبق فيها قطرة.

وقيل: ملئت من القيح والصديد الّذي يسيل من أبدان أهل النار في النار وأراد بحار جهنّم لأنّ بحور الدنيا قد فنيت عن الجبائيّ.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي قرن كلّ واحد منها إلى شكله وضمّ إليها من أهل النار وأهل الجنّة وقيل: أي ردّت الأرواح إلى الاجساد.

وقيل: يقرن الغاوي بمن أغواه من إنسان أو شيطان، وقيل: أي قرنت نفوس الصالحين بالحور العين، ونفوس الكافرين بالشياطين.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ يعني الجارية المدفونة حيّاً، وكانت المرأة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فإن ولد بنتاً رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته.

﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ أي يقال لها: بأيّ ذنب قتلت؟ ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنّها تقول: قتلت بغير ذنب؛ وقيل: إنّ معنى سئلت: طولب قاتلها بالحجّة في قتلها، فكأنّه قيل: سئل قاتلها بأيّ ذنب قتلت هذه؟ ونظير قوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي مسؤولاً عنه.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ يعني صحف الأعمال الّتي كتبت الملائكة فيها أعمال أهلها من خير وشرّ تنشر ليقرأها أصحابها، ولتظهر الأعمال فيجازوا بحسبها.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ أي أُزيلت عن موضعها كالجلد يزال عن الجزور ثمّ يطويها الله؛ وقيل: معناه: قلعت كما يقلع السقف وقيل: كشفت عمّن فيها، ومعنى الكشط: رفعك شيئاً عن شيء قد غطّاه كما يكشط الجلد عن السنام.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ أوقدت وأُضرمت حتّى از دادت شدّة على شدّة، وقيل: سعرها غضب الله وخطايا بني آدم.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ أي قربت من أهلها بدخول؛ وقيل: قربت بما فيها من النعيم فيزداد المؤمن سروراً ويزداد أهل النار حسرة.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ أي إذا كانت هذه الأشياء الّتي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كلّ نفس ما وجدت حاضراً من عمله، كما قالوا: أحمدته: وجدته محموداً.

وقيل: علمت ما أحضرته من خير وشرّ، وإحضار الأعمال مجاز لأنّها لا تبقى.

والمعنى: أنّه لا يشذّ عنها شيء فكان كلّها حاضرة؛ وقيل: إنّ المراد صحائف الاعمال.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١-١٩]

وفي قوله سبحانه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾: أي انشقّت وتقطّعت.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ أي تساقطت وتهافتت، قال ابن عبّاس: سقطت سوداً لا ضوء لها.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ أي فتح بعضها في بعض: عذبها في ملحها وملحها في عذبها فصارت بحراً واحداً وقيل: معناه: ذهب ماؤها.

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ أي قلبت ترابها وبعثت الموتى الّتي فيها؛ وقيل: معناه: بحثت عن الموتى فأُخرجوا منها؛ يريد عند البعث، عن ابن عبّاس.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ عن ابن مسعود قال: ما قدّمت من خير أو شرّ وما أخّرت من سنّة حسنة استنّ بها بعده فله أجر من أتبعه من غير أن ينقص من أُجورهم شيء، أو سنّة سيّئة عمل بها بعده فعليه وزر من عمل بها من غير أنّ ينقص من أوزارهم شيء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ أي أيّ شيء غرّك بخالقك وخدعك وسوّل لك الباطل حتّى عصيته وخالفته؟

وروي أنّ النبيّ ﷺ لمّا تلا هذه الآية قال: غرّه جهله.

وقيل للفضيل بن عيّاض: لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه.

فقال: ما غرّك بربك الكريم ماذا كنت تقول؟

قال: أقول: غرّني ستورك المرخاة.

وقال يحيى بن معاذ: لو أقامني الله بين يديه فقال: ما غرّك بي؟

قلت: غرّني بك برّك بي سالفاً وآنفاً وعن بعضهم قال: غرّني حملك، وعن أبي بكر الورّاق: غرّني كرم الكريم. وإنّما قال سبحانه: ﴿ٱلۡكَرِيمُ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته لأنّه كان لقّنه الإجابة حتّى يقول: غرّني كرم الكريم.

وقال عبد الله بن مسعود: ما منكم من أحد إلاّ سيخلو الله به يوم القيامة فيقول: يابن آدم ما غرّك بي؟ يابن آدم ماذا عملت فيما عملت؟ يا بن آدم ماذا أجبت المرسلين؟

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ من نطفة ولم تك شيئاً ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ إنساناً تسمع وتبصر ﴿فَعَدَلَكَ﴾ أي جعلك معتدلاً.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ أي في أيّ شبه من أب أو أُمّ أو خال أو عمّ.

وروي عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لرجل: ما ولد لك؟ قال: يا رسول الله وما عسى أنّ يولد لي إمّا غلاماً وإمّا جارية.

قال: فمن يشبه؟

قال: يشبه امه أو أباه.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقل هكذا، إنّ النطفة إذا استقرّت في الرحم أحضرها الله كلّ نسب بينها وبين آدم، أمّا قرأت هذه الآية: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟ أي فيما بينك وبين آدم.

وقيل: في أيّ صورة ما شاء من صور الخلق ركّبك، إنّ شاء في صورة إنسان، وإن شاء في صورة حمّار، وإن شاء في صورة قرد.

وقال الصادق عليه السلام: لوشاء ركّبك على غير هذه الصور.

وقيل: في أيّ صورة شاء من ذكر أو أُنثى، جسيم أو نحيف، حسن أو ذميم، وطويل أو قصير.

﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر على ما تزعمون أنّه لا بعث ولا حساب.

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ أي الجزاء أو بالدين الّذي جاء به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ﴾ من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملونه.

﴿كِرَامًا﴾ على ربّهم ﴿كَـٰتِبِينَ﴾ يكتبون أعمال بني آدم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من خير وشر.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ وهو الجنّة، والأبرار أولياء الله المطيعون في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ وهو العظيم من النار.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي يلزمونها بكونهم فيها.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ أي لا يكونون غائبين عنها بل يكونون مؤبّدين فيها، وقد دلّ الدليل على أنَّ اهل الكبيرة من المسلمين لا يخلدون في النار فالمراد بالفجّار الكفّار.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ قاله تعظيماً لشدّته، ثمّ كرّر تأكيداً لذلك؛ وقيل: أراد: وما أدريك ما في يوم الدين من النعيم لأهل الجنّة؟ ثمَّ ما أدرك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار؟

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أي لا يملك أحد الدفاع عن غيره ممّن يستحقّ العقاب.

﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ وحده، أي الحكم له في الجزاء والثواب والعفو والانتقام.

وروى عمر بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ الأمر يومئذ واليوم[1] كلّه لله، يا جابر إذا كان يوم القيامة بادت الحكّام فلم يبق حاكم إلاّ الله.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: ١-١٦]

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾: أي تصدّعت وانفرجت، وانشقاقها من علامات القيامة، وذكر ذلك في مواضع من القرآن.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ أي سمعت وأطاعت في الانشقاق، وهذا توسّع أي كأنّها سمعت وانقادت لتدبير الله.

---

(١) الظاهر: الحكم.

﴿وَحُقَّتْ﴾ أي وحقّ لها أنّ تأذن بالانقياد لأمر ربّها الّذي خلقها وتطيع له.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي بسطت باندكاك جبالها وآكامها حتّى تصير كالصحيفة الملساء؛ وقيل: إنّها تمدّ مدّ الأديم العكاظيّ وتزاد في سعتها عن ابن عبّاس؛ وقيل: سويّت فلا بناء ولا جبل إلاّ دخل فيها.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى والكنوز ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ أي خلت فلم يبق في بطنها شيء؛ وقيل: معناه: ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ ممّا على ظهرها من جبالها وبحارها.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ليس هذا بتكرار لأنّ الأوّل في صفة السماء، والثاني في صفة الأرض، وهذا كلّه من أشراط الساعة وجلائل الأمور الّتي تكون فيها، والتقدير: إذا كانت هذه الأشياء رأى الإنسان ما قدّم من خير وشرّ، ويدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي ساع إليه في عملك، وهو خطاب لجميع المكلّفين يقول الله سبحانه لهم ولكلّ واحد منهم: يا أيها الإنسان إنك عامل عملا في مشقة لتحمله إلى الله وتوصله إليه.

﴿ فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي ملاق جزاءه؛ وقيل أي ملاق ربّك.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ﴾ الذى ثبتت فيه أعماله.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي لا يناقش في الحساب ولا يواقف على ما عمل من الحسنات وماله عليه من الثواب وما حطّ عنه من الأوزار، إمّا بالتوبة، أو العفو؛ وقيل: الحساب اليسير: التجاوز عن السيّئات والإثابة على الحسنات، ومن نوقش الحساب عذّب. في خبر مرفوع.

وفي رواية أُخرى: يعرف عمله ثمّ يتجاوز عنه. وفي حديث آخر. ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنّة برحمته، قالوا: وما هي يا رسول الله؟

قال: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمّن ظلمك.

﴿وَيَنقَلِبُ﴾ بعد الفراغ من الحساب.

﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ بما أُوتي من الخير والكرامة، والمراد بالأهل الحور العين، وقيل: أزواجه وأولاده وعشائره وقد سبقوه إلى الجنّة.

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ لأنّ يمينه مغلولة إلى عنقه، وتكون يده اليسرى خلف ظهره.

وقيل: تخلع يده اليسرى خلف ظهره، والوجه في ذلك أن يكون إعطاء الكتاب باليمين أمارة للملائكة والمؤمنين لكون صاحبه من أهل الجنّة، ولطفاً للخلق في الإخبار به، وكناية عن قبول أعماله، وإعطاؤه على الوجه الآخر أمارة لهم على أنّ صاحبه من أهل النّار، وعلامته لمناقشة الحساب وسوء المآب.

﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾ أي هلاكاً، إذا قرأ كتابه وهو أنّ يقول: واثبوراه واهلاكاه.

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ أي يدخل النار ويعذّب بها.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾ في الدنيا ناعماً لا يهمّه أمر الآخرة ولا يتحمّل مشقّة العبادة، فأبدله الله بسروره غمّا باقياً لا ينقطع؛ وقيل: كان مسروراً بمعاصي الله لا يندم عليها ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي ظنّ في دار التكليف أنّه لن يرجع إلى الحياة في الآخرة فارتكب المأثم «بلى» ليحورنّ وليبعثنّ.

﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ من يوم خلقه إلى أنّ يبعثه.

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾

[الزلزلة: ١-٨]

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾: أي إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً لقيام الساعة، زلزالها الّذي كتب عليها، ويمكن أنّ يكون إنّما أضافها إلى الأرض لأنّها تعمّ جميع الأرض.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي موتاها المدفونة فيها، أو كنوزها ومعادنها فتلقاها على ظهرها ليراها أهل الموقف وتكون الفائدة في ذلك أن يتحسّر العصاة إذا نظروا أليها لأنّهم عصوا الله فيها ثمّ تركوها لا تغني عنهم شيئاً، وأيضاً فإنّه تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي ويقول الإنسان متعجّباً: ما للأرض تتزلزل؛ وقيل: إنّ المراد بالإنسان الكافر لأنّ المومن معترف بها لا يسأل عنها.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي تخبر بما عمل عليها، وجاء في الحديث أنّ النبيّ ﷺ قال: أتدرون ما أخبارها؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: أخبارها أن تشهد على كلّ عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذا أخبارها؛ وعلى هذا فيجوز أنّ يكون الله تعالى يحدث الكلام فيها وإنّما نسبه إليها توسّعاً ومجازاً، ويجوز أنّ يقلّبها حيواناً يقدّر على النطق، ويجوز أنّ يظهر فيها ما يقوم مقام الكلام فعبّر عنه بالكلام كما يقال: عيناك تشهدان بسهرك.

وقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ معناه أنّ الأرض يحدّث فتقول: إنّ ربّك يا محمّد أوحى لها أي ألهمها وعرّفها بأن تحدّث أخبارها.

وقيل: بأن تلقي الكنوز والأموات على ظهرها يقال: أوحى له وإليه أي ألقى إليه من جهة تخفى، قال الفرّاء: تحدّث أخبارها بوحي الله وإذنه لها، وقال ابن عبّاس: أذن لها بأن تخبر بما عمل عليها.

وروى الواحديّ بإسناده مرفوعاً إلى ربيعة الحرشيّ[1] قال: قال رسول ﷺ: حافظوا على الوضوء وخير أعمالكم الصلاة وتحفّظوا من الأرض فإنّها أُمّكم، وليس فيها أحد يعمل خيراً أو شراً إلاّ وهي مخبرة به.

---

(١) الصحيح الجرشي بالجيم المضمومة والراء المفتوحة، وهو ربيعة بن عمرو، ويقال: ابن الحارث الدمشقي، وهو ربيعة بن الغاز - بمعجمة وزاي - أبو الغاز الجرشي، مختلف في صحبته، قتل يوم مرج راهط سنة ٦٤ وكان فقيهاً وثقه الدارقطني وغيره. قاله ابن حجر في التقريب ص١٥٦.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض متفرّقين، أهل الإيمان على حدة وأهل كلّ دين على حدة.

﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم، والمعنى: أنّهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنّة والنار.

وقيل: معنى الرؤية ههنا المعرفة بالأعمال عند تلك الحال، وهي رؤية القلب، ويجوز أنّ يكون التأويل على رؤية العين بمعنى ليروا صحائف أعمالهم فيقرؤون ما فيها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ أي ومن يعمل وزن ذرّة من الخير ير ثوابه وجزاءه ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ أي ير ما يستحقّ عليه من العقاب.

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ١-٥]

وفي قوله عزّوجلّ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: اسم من أسماء القيامة لأنّها تقرع القلوب بالفزع، وتقرع أعداء الله بالعذاب.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ هذا تعظيم لشأنها وتهويل لأمرها، ومعناه: وأيّ شيء القارعة؟ ثمّ عجّب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ يقول: إنّك يا محمّد لا تعلم حقيقة أمرها وكنه وصفها على التفصيل؛ ثمّ بيّن سبحانه أنّها متى تكون فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ شبّه الناس عند البعث بما يتهافت في النار.

قال قتادة: هذا هو الطائر الّذي يتساقط في النار والسراج.

وقال أبو عبيدة: هو طير يتفرّش ليس بذباب ولا بعوض لأنّهم أذا بعثوا ماج بعضهم في بعض، فالفراش إذا سار لم يتجّه لجهة واحدة فدّل ذلك على أنّهم

يقرعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة، وهذا مثل قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ وهو الصوف المصبوغ المندوف، والمعنى: أنّ الجبال تزول عن أما كنها وتصير خفيفة السير[١].

عن يعقوب بن شعيب بن ميثم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نار تخرج من قعر عدن تضيء لها أعناق الإبل تبصر من أرض الشام تسوق الناس إلى المحشر[٢].

عن شريح القاضي، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة طويلة قال: اسمع يا ذا الغفلة والتصريف من ذي الوعظ والتعريف، جعل يوم الحشر يوم العرض والسؤال والحباء والنكال، يوم تقلّب إليه أعمال الأنام، وتحصى فيه جميع الآثام، يوم تذوب من النفوس أحداق عيونها، وتضع الحوامل ما في بطونها، وتفرّق من كلّ نفس وجيبها، ويحار في تلك الأهوال عقل لبيبها، إذ نكرت الأرض بعد حسن عمارتها، وتبدّلت بالخلف بعد أنيق زهرتها، أخرجت من معادن الغيب أثقالها، ونفضت إلى الله أحمالها، يوم لا ينفع الحذر إذ عاينوا الهول الشديد فاستكانوا، وعرف المجرمون بسيماهم فاستبانوا، فانشقّت القبور بعد طول انطباقها، واستسلمت النفوس إلى الله بأسبابها، كشف عن الآخرة غطاؤها، فظهر للخلق أنباؤها، فدكّت الأرض دكّاً دكّاً، ومدّت لأمر يراد بها مدًّا مدًّا، واشتدّ المبادرون إلى الله شدًّا شدًّا، وتزاحفت الخلائق إلى المحشر زحفاً زحفاً[٣] وردّ المجرمون على الأعقاب ردًّا ردًّا، وجدّ الأمر ويحك يا إنسان جدًّا جدًّا، وقربوا للحساب فرداً فرداً، وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً، يسألهم عمّا عملوا حرفاً حرفاً، وجيء بهم عراة الأبدان، خشّعاً أبصارهم، أمامهم الحساب،

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٧٢ - ٩٨.

(٢) كتابي سعيد بن الحسين أو النوادر. البحار: ج ٧، ص ٩٨، باب ٤، ح ١.

(٣) زحف دب على مقعدته أو على ركبتيه قليلاً قليلاً؛ زحف إليه: مشى، يقال: زحف العسكر إلى العدو: إذا مشوا إليهم في ثقل لكثرتهم. تزاحف القوم: زحف بعضهم إلى بعض وتدانوا.

ومن ورائهم جهنّم يسمعون زفيرها ويرون سعيرها، فلم يجدوا ناصراً ولا وليّاً يجيرهم من الذلّ، فهم يعدون سراعاً إلى مواقف الحشر يساقون سوقاً، فالسماوات مطوّيات بيمينه كطيّ السجلّ للكتب، والعباد على الصراط وجلت قلوبهم يظنّون أنّهم لا يسلّمون، ولا يؤذن لهم فيتكلّمون، ولا يقبل منهم فيعتذورن، قد ختم على أفواههم، واستنطقت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يا لها من ساعة ما أشجى مواقعها من القلوب حين ميّز بين الفريقين: فريق في الجنّة، وفريق في السعير، من مثل هذا فليهرب الهاربون، إذا كانت الدار الآخرة لها فليعمل العاملون[1].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجّون إلى ربّهم ويقولون: يا ربّ اكشف عنّا هذه الظلمة.

قال: فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم وقد أضاء أرض القيامة.

فيقول أهل الجمع: هؤلاء أنبياء الله، فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء.

فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بملائكة.

فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء، فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بشهداء، فيقولون: من هم؟

فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع سلوهم من أنتم.

فيقول أهل الجمع: من أنتم؟

فيقولون: نحن العلويّون، نحن ذرّية محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله نحن أولاد عليّ وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنّون؛ فيجيئهم النداء من عند الله عزّ وجلّ: اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون[2].

---

(١) أمالي الطوسي: ص ٥٥-٥٦. البحار: ج ٧، ص ٩٨-٩٩، باب ٤، ح ٢.

(٢) أمالي الصدوق: ص ١٧٠-١٧١. البحار: ج ٧، ص ١٠٠، باب ٤، ح ٤.

عن أبي الربيع قال: سأل نافع مولى عمر أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ أيّ أرض تبدّل؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: بخبزة بيضاء يأكلون منها حتّى يفرغ الله من حساب الخلائق، فقال نافع: إنّهم عن الاكل لمشغولون.

فقال أبو جعفر عليه السلام: أهم حينئذ أشغل أم وهم في النار؟

فقال نافع: وهم في النارز.

قال: فقد قال الله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ ما شغلهم أليم عذاب النار عن أنّ دعوا بالطعام، فاطعموا الزقّوم، ودعوا بالشراب فسقوا الحميم، فقال: صدقت يابن رسول الله الخبر(١).

قال علي بن إبراهيم في تفسيره قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾(٢).

قال: يبعث الله ناراً تزيل بين الكفّار والمؤمنين(٣).

عن أبي الورد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد فهم حفاة عراة فيوقفون في المحشر حتّى يعرقوا عرقاً شديداً فتشتدُّ أنفاسهم فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً وهو قول الله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾(٤).

قال: ثمّ ينادي منّاد من تلقاء العرش: أين النبيّ الأمّيّ؟

فيقول الناس: قد أسمعت فسمّ باسمه.

فينادي: أين نبيّ الرحمة محمّد بن عبد الله الأمي صلى الله عليه وآله؟

فيتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله أمام الناس كلّهم حتّى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة إلى صنعاء فيقف عليه، ثمّ ينادي بصاحبكم فيتقدّم أمام الناس فيقف معه، ثمّ

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ١١٨، البحار: ج ٧ ص ١٠٠-١٠١، باب ٤، ح ٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٨.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٢٨٧. البحار: ج ٧، ص ١٠١، باب ٤، ح ٦.

(٤) سورة طه، الآية: ١٠٨.

يؤذن للناس فيمرّون فبيّن وارد الحوض يومئذ وبين مصروف عنه، فإذ رأى رسول الله ﷺ من يصرف عنه من محبّينا يبكي فيقول: يا ربّ شيعة عليّ.

قال: فيبعث الله إليه ملكاً فيقول: ما يبكيك يا محمّد؟

فيقول: أبكي لأناس من شيعة عليّ أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار ومنعوا ورود الحوض.

قال: فيقول له الملك: إنّ الله يقول: قد وهبتهم لك يا محمّد وصفحت لهم عن ذنوبهم، وألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون به، وجعلناهم في زمرتك فأوردهم حوضك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فكم من باك يومئذ وباكية ينادون: يا محمّداه إذا رأوا ذلك، ولا يبقى أحد يومئذ يتولاّنا ويحبّنا ويتبرّء من عدوّنا ويبغضهم إلاّ كانوا في حزبنا ومعنا ويرد حوضنا[1].

قال علي بن إبراهيم في تفسيره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ قال: مخاطبة الناس عامّة ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي تبقى وتتحيّر وتتغافل ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾.

قال: امرأة تموت حاملة تضع حملها يوم القيامة ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾[2] قال: من الخوف والفزع متحيّرين[3].

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ فإنّ القوم كانوا في القبور فلمّا قاموا حسبوا أنّهم كانوا نياماً قالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟

قال الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[4].

في كتاب كتبه أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى أهل مصر مع محمّد بن أبي

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٤٢. البحار: ج ٧، ص ١٠١-١٠٢، باب ٤، ح ٩.
(٢) سورة الحج، الآيات: ١-٣.
(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٤٣٥. البحار: ج ٧ ص ١٠٣، باب ٤، ح ١١.
(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٥٥٢. البحار: ج ٧، ص ١٠٣، باب ٤، ح ١٣.

بكر: يا عباد الله إنّ بعد البعث ما هو أشدّ من القبر، يوم يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين، وتذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، يوم عبوس قمطرير، يوم كان شره مستطيراً، إنّ فزع ذلك اليوم ليرهّب الملائكة الّذين لا ذنب لهم وترعد منه السبع الشداد، والجبال الأوتاد، والأرض المهاد، وتنشقّ السماء فهي يومئذ واهية، وتتغيّر فكأنّها وردة كالدهان، وتكون الجبال سراباً مهيلاً بعد ما كانت صمّاً صلاباً، وينفخ في الصور فيفزع من في السماوات والأرض إلاّ من شاء الله، فكيف من عصى بالسمع والبصر واللّسان واليد والرجل والفرج والبطن إنّ لم يغفر الله له ويرحمه من ذلك اليوم؟ لأنّه يصير إلى غيره إلى نار قعرها بعيد، وحرّها شديد، وشرابها صديد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، لا يغيّر عذابها ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع لأهلها دعوة الخبر(١).

عن ياسر الخادم قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن:

١ - يوم يولد ويخرج من بطن أُمه فيرى الدنيا.

٢ - ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها.

٣ - ويوم يبعث فيرى /أحكاماً لم يرها في دار الدنيا.

وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾.

وقد سلّم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾(٢).

عن الزهريّ قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: أشدّ ساعات ابن ادم ثلاث ساعات:

---

(١) أمالي الطوسي: ص ١٨، البحار: ج ٧، ص ١٠٣-١٠٤، باب ٤، ح ١٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ١٤٢، الخصال: ج ١، ص ٥٣. البحار: ج ٧، ص ١٠٤، باب ٤، ح ١٨.

١ - الساعة الّتي يعاين فيها ملك الموت.

٢ - والساعة الّتي يقوم فيها من قبره.

٣ - والساعة الّتي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار.

ثمّ قال: إنّ نجوت يابن آدم عند الموت فأنت أنت وإلاّ هلكت، وإن نجوت يابن آدم حين توضع في قبرك فأنت أنت وإلاّ هلكت، وإن نجوت حين يحمل الناس على الصراط فأنت أنت وإلاّ هلكت، وإن نجوت حين يقوم الناس لربّ العالمين فأنت أنت وإلا هلكت؛ ثمّ تلا: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

قال: هو القبر وإنّ لهم فيه لمعيشة ضنكاً، والله إنّ القبر لروضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار.

ثمّ أقبل على رجل من جلسائه فقال له: قد علم ساكن السماء ساكن الجنّة من ساكن النار فأيّ الرجلين أنت؟ وأيّ الدارين دارك[1]؟.

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل فكان فيما سأله أنّ قال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ من هم؟

فقال: عليه السلام: قابيل يفرّ من هابيل، والّذي يفرّ من أمّه موسى، والّذي يفرّ من أبيه إبراهيم، والّذي يفرّ من صاحبته لوط، والّذي يفرّ من ابنه نوح يفرّ من ابنه كنعان.

قال الصدوق رحمه الله إنّما يفرُّ موسى من أمّه[2] خشية أنّ يكون قصرّ فيما وجب عليه من حقّها، وإبراهيم إنّما يفرّ من الأب المربّي المشرك لا من الأب الوالد وهو تارخ[3].

---

(١) الخصال: ج ١، ص ٥٥. البحار: ج ٧، ص ١٠٤-١٠٥، باب ٤، ح ١٩.

(٢) يتحمل أيضاً أن يكون المراد بالأمّ المرأة مشركة كانت تربّية في بيوت فرعون.

(٣) الخصال: ج ١، ص ١٥٤. البحار: ج ٧، ص ١٠٥، باب ٤، ح ٢٠.

عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ قال: حجَّ هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متّكئاً على يد سالم مولاه، ومحمّد بن عليّ بن الحسين عليه‌السلام جالس في المسجد، فقال له سالم: يا أمير المؤمنين هذا محمّد بن عليّ بن الحسين.

فقال له هشام: المفتون به أهل العراق؟

قال: نعم.

قال: اذهب إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ماالّذي يأكل الناس ويشربون إلى أنّ يفصل بينهم يوم القيامة؟

فقال أبو جعفر عليه‌السلام: يحشر الناس على مثل قرصة البرّ النقيّ فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون حتّى يفرغ من الحساب.

قال: فرأى هشام أنّه قد ظفر به فقال: الله أكبر، اذهب إليه فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟

فقال له أبو جعفر عليه‌السلام: هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن أنّ قالوا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فسكت هشام لا يرجع كلاماً[1].

عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه‌السلام: إنّ علي بن أبي طالب عليه‌السلام قال: لا تنشقُّ الأرض عن أحد يوم القيامة إلاّ وملكان آخذان بضبعه يقولان: أجب ربّ العزة[2].

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧﴾ قال: تنشقّ الأرض بأهلها.

والرادفة: الصيحة ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي خائفة أبصارها خاشعة ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾.

قال: الزجرة: النفخة الثانية في الصور.

والساهرة: موضع بالشام عند بيت المقدس.

---

(١) الإحتجاج: ص ١٧٦، البحار: ج ٧، ص ١٠٥-١٠٦، باب ٤، ح ٢١.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢٤٧-٢٤٨. البحار: ج ٧، ص ١٠٦، باب ٤، ح ٢٢.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ يقول: أي في خلق جديد.

وأما قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ فالساهرة: الأرض، كانوا في القبور فلمّا سمعوا الزجرة خرجوا من قبورهم فاستووا على الأرض[1].

قال علي بن إبراهيم في تفسيره: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: تصير سوداء مظلمة ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾.

قال: يذهب ضوؤها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾.

قال: تسير كما قال: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

قال: الإبل يتعطّل إذا مات الخلق فلا يكون من يحلبها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

قال: تحوّل البحار الّتي هي حول الدنيا كلّها نيراناً ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.

قال: من الحور العين.

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.

قال: أمّا أهل الجنّة فزوّجوا الخيرات الحسان، وأمّا أهل النار فمع كلّ إنسان منهم شيطان يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشياطين فهم قرناؤهم.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ قال: كانت العرب يقتلون البنات للغيرة، إذا كان يوم القيامة سئلت الموؤدة بأيّ ذنب قتلت وقطعت ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

قال: صحف الأعمال ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قال: ابطلت[2].

روى هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: أخبرني عن الناس يحشرون يوم القيامة عراة؟

قال: بل يحشرون في أكفانهم.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٧١٠. البحار: ج ٧، ص ١٠٧، باب ٤، ح ٢٨.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٧١٣-٧١٤. البحار: ج ٧، ص ١٠٧-١٠٨، باب ٤ ح ٢٩.

قال: أنّى لهم بالأكفان وقد بليت؟

قال: إنّ الّذي أحيا أبدانهم جدّد أكفانهم.

قال: من مات بلا كفن؟

قال: يستر الله عورته بما شاء من عنده، قال: فيعرضون صفوفاً؟

قال: نعم هم يومئذٍ عشرون ومائة صفّ في عرض الأرض الخبر[1].

عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال: تبدّل خبزة نقيّ يأكل الناس منها حتّى يفرغ الناس من الحساب، فقال له قائل: إنّهم لفي شغل يومئذ عن الأكل والشرب.

قال: إنّ الله خلق ابن آدم أجوف، فلا بدّ له من الطعام والشراب، أهم أشدّ شغلاً يومئذ أم من في النار؟ فقد استغاثوا والله يقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ[2] يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾[3].

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأل الأبرش الكلبيّ عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال: تبدّل خبزة نقيّ يأكل الناس منها حتّى يفرغ من الحساب.

فقال الأبرش: إنّ الناس يومئذ لفي شغل عن الأكل.

فقال أبو جعفر عليه السلام: وهم في النار لا يشغلون عن أكل الضريع وشرب الحميم وهم في العذاب، فكيف يشغلون عنه في الحساب[4]؟

لمّا عاد رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك إلى المدنية قدم إليه عمرو بن معدي كرب فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر.

قال: يا محمّد وما الفزع الأكبر؟ فإنّي لا أفزع فقال: ياعمرو إنّه ليس كما تظنّ

---

(١) الاحتجاج، ص ١٩٢، البحار: ج ٧، ص ١٠٩، باب ٧/ ح ٣٥.

(٢) أي مثل المذاب من المعادن، والمصهور من الجواهر، أو مثل دردي الزيت، قال علي بن إبراهيم في تفسيره: المهل الذي يبقى في أصل الزيت المغلي.

(٣) المحاسن: ص ٣٩٧، البحار: ج ٧، ص ١٠٩، باب ٤، ح ٣٦.

(٤) المحاسن: ص ٣٩٧، البحار: ج ٧، ص ١٠٩، باب ٤، ح ٣٧.

وتحسب، إنَّ الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميّت إلاّ نشر ولا حي إلاّ مات إلاّ ما شاء الله، ثمّ يصاح بهم صيحة أخرى فينشر من مات ويصفّون جميعاً، وتنشقّ السماء، وتهدّ الأرض، وتخرّ الجبال هدًّا، وترمي النّار بمثل الجبال شرراً فلا يبقى ذو روح إلاّ انخلع قلبه وذكر دينه وشغل بنفسه إلاّ ما شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟

قال: ألاّ إنّي أسمع أمراً عظيماً؛ فآمن بالله ورسوله، وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلى قومهم[1].

إنَّ فاطمة صلوات الله عليها قالت لأبيها: يا أبت أخبرني كيف يكون الناس يوم القيامة؟

قال: يا فاطمة يشغلون فلا ينظر أحد إلى أحد، ولا والد إلى الولد ولا ولد إلى أمه،

قالت: هل يكون عليهم أكفان إذا خرجوا من القبور؟

قال: يا فاطمة تبلى الأكفان وتبقى الأبدان، تستر عورة المؤمن، وتبدى عورة الكافرين.

قالت: يا أبت ما يستر المؤمنين؟

قال: نور يتلألأ لايبصرون أجسادهم من النور.

قالت: يا أبت فأين ألقاك يوم القيامة؟

قال: انظري عند الميزان وأنا أنادي: ربّ أرجح من شهد أن لا إله إلّا الله، وانظري عند الدواوين إذا نشرت الصحف وأنا أنادي: ربّ حاسب أمّتي حساباً يسيراً.

وانظري عند مقام شفاعتي على جسر جهنّم كلّ إنسان يشتغل بنفسه وأنا مشتغل بأمّتي أنادي: يا ربّ سلّم أمّتي، والنبيّون عليهم السلام حولي ينادون ربّ سلّم أمّة محمّد صلى الله عليه وآله.

(١) الإرشاد والبحار: ج ٧، ص ١١٠، باب ٥، ح ٣٨.

وقال عليه السلام: إنّ الله يحاسب كلّ خلق إلاّ من أشرك بالله فإنّه لا يحاسب ويؤمر به إلى النار[١].

عن حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لربّ العالمين مثل السهم في القرب ليس له من الأرض إلا موضع قدمه كالسهم في الكنانة، لا يقدّر أنّ يزول ههنا ولا ههنا[٢].

عن عبد الملك ابن هارون، عن أبي عبد الله، عن آبائه صلوات الله عليهم قال: كان فيما سأل ملك الروم الحسن بن عليّ عليه السلام أنّ سأله عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا؟

قال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في ليلة الجمعة وهو عرش الله الأدنى، منها يبسط الله الأرض وإليها يطويها، وإليها المحشر، ومنها استوى ربّنا إلى السماء والملائكة، ثمّ سأله عن أرواح الكفّار أين تجتمع؟

قال: تجتمع في وادي حضر موت وراء مدينة اليمن، ثمّ يبعث الله ناراً من المشرق وناراً من المغرب ويتبعهما بريحين شديدتين، فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس، فيحشر أهل الجنّة عن يمين الصخرة، ويزلف المتّقين، ويصير جهنّم عن يسار الصخرة في تخوم الأرضين السابعة، وفيها الفلق والسجّين، فيعرف الخلائق من عند الصخرة، فمن وجبت له الجنّة دخلها، ومن وجبت له النار دخلها، وذلك قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[٣].

عن عمرو بن شيبة، عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال: سمعته يقول - ابتداءاً منه -: إنّ الله إذا بدا له أن يبين خلقه ويجمعهم لما لابدّ منه، أمر مناديا فنادى فاجتمع الإنس والجنّ في أسرع من طرفة العين، ثمّ أذن السماء الدنيا فنزل وكان من وراء الناس، وأذن السماء الثانية فنزل وهي ضعف الّتي تليها، فإذا رآها أهل السماء الدنيا قالوا: جاء ربّنا، فيقال: لا وهو آت، حتّى ينزل كلّ سماء، يكون

---

(١) جامع الأخبار: ص ٢١٧. والبحار: ج ٧، ص ١١٠-١١١، باب ٥، ح ٤١.
(٢) روضة الكافي: ص ١٤٣. البحار: ج ٧، ص ١١١، باب ٥، ح ٤٣.
(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٥٩٨-٥٩٩، البحار: ج ٧، ص ١١٦. باب ٥، ح ٥٢.

كلّ واحدة من وراء الأخرى وهي ضعف الّتي تليها، ثمَّ ينزل الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور، ثمّ يأمر الله منّاديا ينادي: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾.

قال: وبكى حتّى إذا سكت قلت: جعلني الله فداك يا أبا جعفر وأين رسول الله وأمير المؤمنين وشيعته؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: رسول الله وعليٌّ وشيعته على كثبان من المسك الأذفر، على منّابر من نور، يحزن الناس ولا يحزنون، ويفزع الناس ولا يفزعون، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[1] فالحسنة والله ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[2].

عن الحسن بن سعيد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾[3].

قال: حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجّداً، وتدمج[4] أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود[5].

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ الرحم معلّقة بالعرش ينادي يوم القيامة: اللّهم صل من وصلني، واقطع من قطعني.

فقلت: أهي رحم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: بل رحم رسول الله صلى الله عليه وآله منها، وقال: إنّ الرحم تأتي يوم القيامة مثل كبّة المدار - وهو المغزل - فمن أتاها واصلاً لها انتشرت له نوراً حتّى يدخله الجنّة، ومن أتاها قاطعاً لها انقبضت عنه حتّى يقذف به في النار[6].

(١) سورة النمل، الآية: ٨٩.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٢٣٤. البحار: ج ٧، ص ١١٧، باب ٥، ح ٥٤.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٤) أي تستقيم وتستحكم.

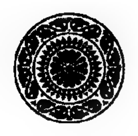
(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام، والبحار: ج ٧، ص ١٢٠، باب ٥، ح ٥٩.

(٦) كتابي الحسين بن سعيد أو النوادر. البحار: ج ٧، ص ١٢١، باب ٥، ح ٦١.

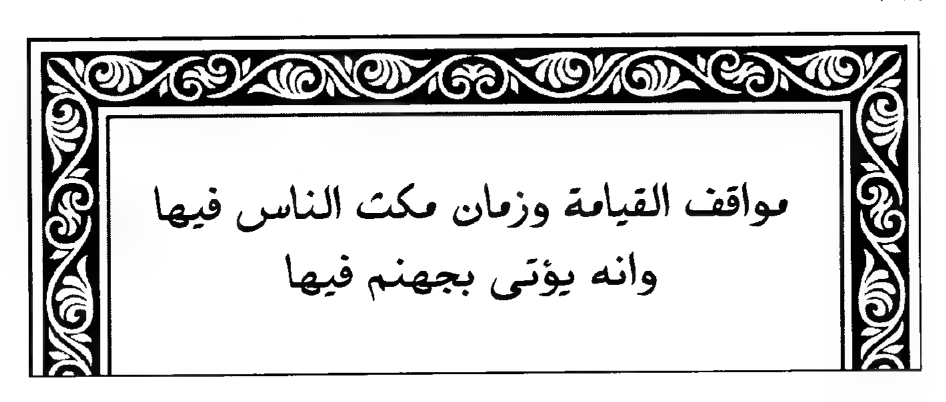
عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يحشر الناس يوم القيامة متلازمين، فينادي مناد: أيّها الناس إنّ الله قد عفا فاعفوا.

قال: فيعفو قوم ويبقى قوم متلازمين.

قال: فترفع لهم قصور بيض، فيقال: هذا لمن عفا، فيتعافى الناس[١].



(١) أمالي الطوسي: ص ٦٠. البحار: ج ٧، ص ١٢١، باب ٥، ح ٦٢.



مواقف القيامة وزمان مكث الناس فيها وانه يؤتى بجهنم فيها

﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا﴾ [الكهف: ١٠٠]

قال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ﴾: أي أظهرناها وأبرزناها لهم حتّى شاهدوها، ورأوا ألوان عذابها قبل دخولها.

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: فيه وجوه:

أحدها: أنّ يوماً من أيّام الآخرة يكون كألف سنة من أيّام الدنيا عن ابن عبّاس وغيره، وفي رواية أخرى عنه أنّ يوماً من الأيام الّتي خلق الله فيها السماوات والأرض كألف سنة، ويدلّ عليه ما روي أنّ الفقراء يدخلون الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام.

وثانيها: أنّ يوماً عند ربّك وألف سنّة في قدرته واحد.

وثالثها: أنّ يوماً واحداً كألف سنّة في مقدار العذاب لشدّته، كما يقال في المثل: أيام السرور قصار، وأيّام الهموم طوال.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]

وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي يدبّر الأمور كلّها ويقدّرها على حسب إرادته فيما بين السماء والأرض، وينزله مع الملك إلى الأرض.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي يصعد الملك إلى المكان الّذي أمره الله تعالى أنّ يصعد إليه.

﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي يوم يكون مقداره لو سار غير الملك ألف سنة ممّا يعدّه البشر: خمسمائة عام نزول، وخمسمائة عام صعود، والحاصل أنّه ينزل الملك بالتدبير أو الوحي، ويصعد إلى السماء، فيقطع في يوم واحد من أيّام الدنيا مسافة ألف سنّة ممّا تعدّونه أنتم، لأنّ ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم.

وقيل: معناه أنّه يدبّر الله سبحانه ويقضي أمر كلّ شيء لألف سنة في يوم واحد، ثمّ يلقيه إلى ملائكته، فإذا مضى الألف سنة قضى لألف سنّة أخرى، ثمّ كذلك أبداً.

وقيل: معناه: يدبّر أمر الدنيا فينزل القضاء والتدبير من السماء إلى الأرض مدّة أيّام الدنيا، ثمّ يرجع الأمر ويعود التدبير إليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها، حتّى ينقطع أمر الأمراء وحكم الحكّام، وينفرد الله بالتدبير في يوم كان مقداره ألف سنّة وهو يوم القيامة، فالمدّة المذكورة مدّة يوم القيامة إلى أنّ يستقرّ الخلق في الدارين.

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾

[المعارج: ١-٧]

فأمّا قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[١] فإنّ المقامات في يوم القيامة مختلفة.

وقيل: إنّ المراد بالأوّل أنّ مسافة الصعود والنزول إلى سماء الدنيا في يوم واحد للملك مقدار مسيرة ألف سنة لغير الملك من بني آدم، وإلى السماء السابعة مقدار خمسين ألف سنة.

وقيل: إنّ الألف سنة للنزول والعروج، والخمسين ألف سنة لمدّة القيامة.

وفي قوله سبحانه: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ الآية: اختلف في معناه فقيل: تعرج الملائكة إلى الموضع الّذي يأمرهم الله به في يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة، وذلك من أسفل الأرضين إلى فوق السماوات السبع.

وقوله: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هو لما بين السماء والأرض في الصعود والنزول.

وقيل: إنّه يعني يوم القيامة، وأنّه يفعل فيه من الأمور ويقضي فيه الأحكام بين العباد ما لو فعل في الدنيا لكان مقدار خمسين ألف سنة.

وروى أبو سعيد الخدريّ قال: قيل: يا رسول الله ما أطول هذا اليوم؟

فقال: والّذي نفس محمّد بيده أنّه ليخفّف على المؤمن، حتّى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: لا ينتصف ذلك اليوم حتّى يقيل أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النار في النار.

وقيل: معناه أنّ أوّل نزول الملائكة في الدنيا بأمره ونهيه وقضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء وهو يوم القيامة هذه المدّة، فيكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة، لا يدري كم مضى وكم بقي، وإنّما يعلمها الله عزّ وجلّ.

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمّد على تكذيبهم إيّاك ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ لا جزع فيه ولا شكوى.

---

(١) في المجمع المطبوع: فأما قوله: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فإنه أراد سبحانه: على الكافر جعل الله ذلك اليوم مقدار خمسين ألف سنة، فإن المقامات اهـ.

(٢) البحار: ج ٧، ص ١٢٢ - ١٢٣.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ أخبر سبحانه أنّه يعلم مجيء يوم القيامة وحلول العقاب بالكفار قريباً، ويظنّه الكفّار بعيداً، لأنّهم لا يعتقدون صحّته، وكلّ ما هو آت فهو قريبٌ دان.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢١-٢٦]

وفي قوله سبحانه: ﴿كَلَّآ﴾: زجر، تقديره: لا تفعلوا هكذا، ثمّ خوفهم فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي كسر كلّ شيء على ظهرها من جبل أو بناء أو شجر، حتّى زلزلت فلم يبق عليها شيء، يفعل ذلك مرّة بعد مرّة؛

وقيل: ﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي مدّت يوم القيامة مدّ الأديم عن ابن عبّاس.

وقيل: دقّت جبالها وأنشازها حتّى استوت عن ابن قتيبة، والمعنى: استوت في انفراشها، فذهب دورها وقصورها وسائر أبنيتها حتّى تصير كالصحراء الملساء.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي أمر ربك وقضاؤه ومحاسبته.

وقيل: جاء أمره الّذي لا أمر معه، بخلاف حال الدنيا.

وقيل: جاء جلائل آياته، فجعل مجيئها مجيئه تفخيماً لأمرها.

وقال بعض المحقّقين: المعنى: وجاء ظهور ربّك، لضرورة المعرفة به، لأنّ ظهور المعرفة بالشيء يقوم مقام ظهوره ورؤيته، ولمّا صارت المعارف بالله في ذلك اليوم ضروريّة صار ذلك كظهوره وتجلّيه للخلق.

فقيل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي زالت الشبهة وارتفع الشكّ، كما ترتفع عند مجيء الشيء الّذي كان يشكّ فيه، جلّ وتقدّس عن المجيء والذهاب.

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ أي وتجيء الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ يريد صفوف الملائكة وأهل كلّ سماء صفّ على حدة عن عطاء.

وقال الضحّاك: أهل كلّ سماء إذا زلزلوا يوم القيامة كانوا صفًّا محيطين بالأرض وبمن فيها، فيكونون سبع صفوف.

وقيل: معناه: مصطفّين كصفوف الناس في الصلاة: يأتي الصفّ الأوّل، ثمّ الثاني، ثمَّ الثالث، ثمّ على هذا الترتيب، لأنّ ذلك أشبه بحال الاستواء من التشويش، فالتعديل والتقويم أولى في الأمور.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ أي وأحضرت في ذلك اليوم جهنّم ليعاقب بها المستحقّون لها، ويرى أهل الموقف هولها وعظم منظرها[1].

وروي مرفوعاً عن أبي سعيد الخدريّ قال: لمّا نزلت هذه الآية تغيّر لون رسول الله ﷺ، وعرف في وجهه، حتّى اشتدّ على أصحابه ما رأوا من حاله، وانطلق بعضهم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا عليّ لقد حدث أمر قد رأيناه في نبيّ الله، فجاء عليّ عليه السلام فاحتضنه من خلفه، وقبّل بين عاتقيه، ثمّ قال: يا نبيّ الله بأبي أنت وأمّي ما الّذي حدث اليوم؟

قال: جاء جبرئيل فأقرأني: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ فقال: قلت: كيف يجاء بها؟

قال: يجيء بها سبعون ألف ملك، يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثمّ أتعرض لجهنّم فتقول: مالي ولك يا محمد؟ فقد حرّم الله لحمك عليّ، فلا يبقى أحد إلاّ قال: نفسي نفسي، وإنّ محمداً يقول: أُمّتي أُمّتي.

ثمّ قال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوماً يجاء بجهنّم ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي يتّعظ ويتوب الكافر.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي ومن أين له التوبة؟ عن الزجّاج؛ وقيل: معناه: يتذكّر الإنسان ما قصّر وفرّط إذ قد علم يقيناً ما توعّد به، وكيف ينفعه التذكّر؟ أثبت له التذكّر ثمّ نفاه بمعنى أنّه لا ينتفع به، فكأنّه لم يكن، وكان ينبغي له أن يتذكّر في وقت ينفعه ذلك فيه.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٢٣ - ١٢٤.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ أي يتمنّى أنّ يكون قد كان عمل الطاعات والحسنات لحياته بعد موته، أو للحياة الّتي تدوم له.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي لا يعذّب عذاب الله أحد من الخلق.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي وثاق الله أحد من الخلق، فالمعنى: لا يعذّب أحد في الدنيا مثل عذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق أحد في الدنيا مثل وثاق الله الكافر يومئذٍ[١].

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أنّ يفرغوا، والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة[٢].

عن المفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾[٣] سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: أخبرني الروح الأمين أنّ الله - لا إله غيره - إذا جمع الأوّلين والآخرين أُتي بجهنّم تقاد بألف زمام، أخذ بكلّ زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدّة وتغيظ وزفير، وإنّها لتزفر الزفرة، فلولا أنّ الله عزّ وجلّ : أخّرهم إلى الحساب لأهلكت الجمع، ثمّ يخرج منها عنق يحيط بالخلائق: البرّ منهم والفاجر.

فما خلق الله عزّ وجلّ عبداً من عباده ملكاً ولا نبيّاً إلا نادى: ربّ! نفسي نفسي، وأنت يا نبيّ الله تنادي أُمّتي أُمتي، ثمّ يوضع عليها صراط أدقّ من حدّ السيف عليه ثلاث قناطر، أمّا واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأما الأخرى فعليها الصلاة، وأمّا الأخرى فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلّفون الممّر عليه فتحبسهم الرحم والأمانة فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين عزّ وجلّ : وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ والناس على

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٢٥.

(٢) البحار: ج ٧، ص ١٢٣، باب ٦.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢١.

الصراط فمتعلّق، وقدم تزلّ، وقدم تستمسك، والملائكة حولهم ينادون: ياحليم اغفر، واصفح، وعد بفضلك وسلّم سلّم، والناس يتهافتون فيها كالفراش، وإذا نجا ناج برحمة الله عزّوجلّ نظر إليها فقال: الحمد لله الّذي نجّاني منك بعد أياس بمنّه وفضله، إنّ ربّنا لغفور شكور[١].

عن داود بن سليمان، عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن أميرالمومنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هل تدرون ما تفسير هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[٢]؟

قال: إذا كان يوم القيامة تقاد جهنّم بسبعين ألف زمام، بيد سبعين ألف ملك، فتشرد شردة لولا أنّ الله تعالى حبسها لأحرقت السماوات والأرض[٣].

المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفّار، عن القاشانيّ، عن المنقريّ، عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام: ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أنّ تحاسبوا، فإنَّ في القيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مثل ألف سنة ممّا تعدُّون، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٤] [٥].

عن شريك، يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة في لمّة من نسائها، فيقال لها: ادخلي الجنّة.

فتقول: لا أدخل حتّى أعلم ما صنع بولدي من بعدي.

فيقال لها: انظري في قلب القيامة، فتنظر إلى الحسين صلوات الله عليه قائماً ليس عليه رأس، فتصرخ صرخة، فأصرخ لصراخها، وتصرخ الملائكة لصراخنا، فيغضب الله عزّوجلّ لنا عند ذلك، فيأمر ناراً يقال لها: هبهب قد أوقد عليها ألف عام حتّى أسودّت، لا يدخلها روح أبداً ولا يخرج منها غمّ أبداً.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٢٥-١٢٦، باب ٦، ح ١.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢١.

(٣) أمالي الطوسي: ص ٢١٤-٢١٥. البحار: ج ٧، ص ١٢٦، باب ٦، ح ٢.

(٤) سورة المعارج، الآية: ٤.

(٥) أمالي الطوسي: ص ٢٢. البحار: ج ٧، ص ١٢٦، باب ٦، ح ٣.

فيقال: التقطي قتلة الحسين عليه السلام، فتلتقطهم، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها، وشهقت وشهقوا بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بألسنة ذلقة طلقة: يا ربّنا لم أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان؟

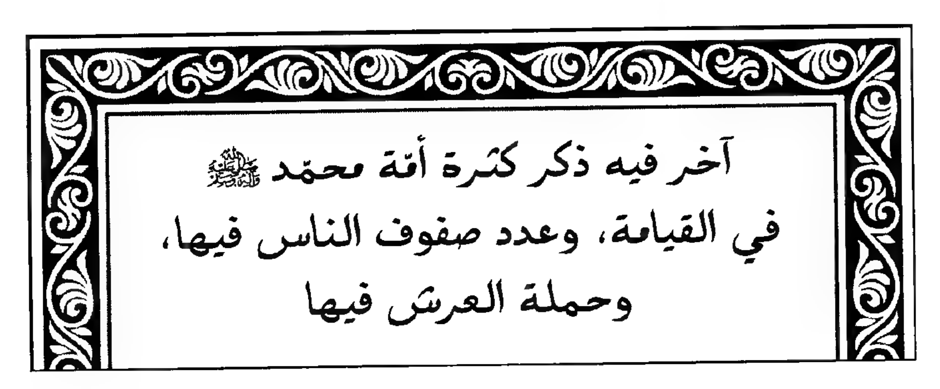
فيأتيهم الجواب عن الله عزّ وجلّ: إنّ من علم ليس كمن لم يعلم(١).

ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن عليّ بن الحسين، عن عبد الله بن جبلة، عن معاوية بن عمّار، عن الحسن بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وساق الحديث في أجوبته عن مسائل اليهوديّ إلى أنّ قال صلى الله عليه وآله: إنّ الشمس إذا طلعت عند الزوال لها حلقة تدخل فيها، فإذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبّح كلّ شيء دون العرش لوجه ربّي، وهي الساعة الّتي يؤتى فيها بجهنّم يوم القيامة، فما من مؤمن يوفق تلك الساعة أن يكون ساجداً أو راكعاً أو قائماً إلّا حرم الله جسده على النار(٢).

عن ابن أسباط، عنهم عليهم السلام قال: فيما وعظ الله عزّ وجلّ به عيسى عليه السلام: يا عيسى اعمل لنفسك في مهلة من أجلك قبل أن لا تعمل لها، واعبدني ليوم كألف سنة ممّا تعدّون، وفيه أُجزي بالحسنة وأُضاعفها(٣)؛ الخبر(٤).



(١) ثواب الأعمال: ص ٢٠٩-٢١٠. البحار: ج ٧، ص ١٢٧، باب ٦، ح ٦.
(٢) أمالي الصدوق: ص ١١٤. البحار: ج ٧، ص ١٢٦، باب ٦، ح ٧.
(٣) لا يبعد أن يكون مكث أكثر الكفّار في القيامة ألف سنة، فيكون اليوم بالنظر إليهم كذلك، ويكون مكث جماعة من الكفّار خمسين ألف سنة، فهو منتهى زمان هذا اليوم؛ ويكون مكث بعض المؤمنين ساعة، فهو كذلك بالنسبة إليهم، وهكذا بحسب اختلاف أحوال الأبرار والفجّار، ويحتمل أيضاً كون الألف زمان مكثهم في بعض مواقف القيامة كالحساب مثلاً.
(٤) روضة الكافي: ص ١٣٤. البحار: ج ٧، ص ١٢٨، باب ٦، ح ١٠.



آخر فيه ذكر كثرة أمّة محمّد ﷺ في القيامة، وعدد صفوف الناس فيها، وحملة العرش فيها

عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أكثر النبيّين تبعاً يوم القيامة(١).

عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنّة عشرون ومائة صفّ، هذه الأُمّة منها ثمانون صفّاً(٢).

ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ قال: إنَّ في الجنّة عشرين ومائة صفّ، أُمّتي منها ثمانون صفّاً، الخبر(٣).

هشام بن الحكم سأل الزنديق الصادق عليه السلام عن الناس: يعرضون صفوفاً يوم القيامة؟

قال: نعم، هم يومئذٍ عشرون ومائة صفّ في عرض الأرض؛ الخبر(٤).

عن الصفّار مرسلاً قال: قال الصادق عليه السلام: إنَّ حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم.

والثاني: على صورة الديك يسترزق الله للطير.

والثالث: على صورة الأسد يسترزق الله للسباع.

والرابع: على صورة الثور يسترزق الله للبهائم ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل، فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية(٥).

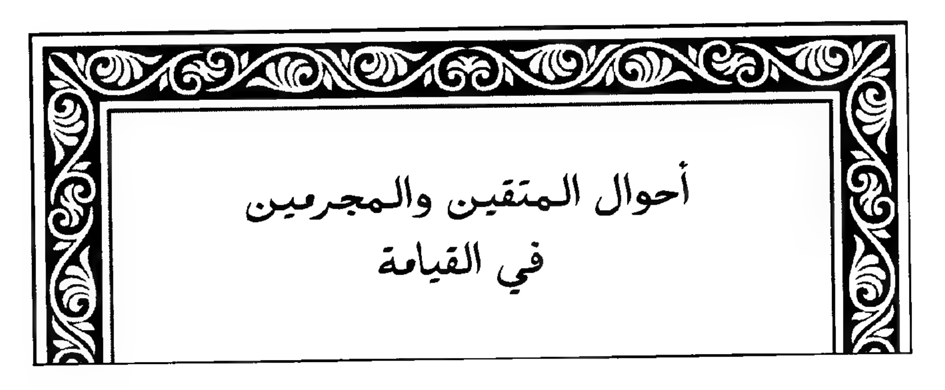
---

(١) أمالي الصدوق: ص ١٧٩، البحار: ج ٧، ص ١٣٠، باب ٧، ح ١.
(٢) الخصال: ج ٣، ص ١٥٠، البحار: ج ٧، ص ١٣٠، باب ٧، ح ٢.
(٣) الاحتجاج: ص ١٩٢، البحار: ج ٧، ص ١٣٠، باب ٧، ح ٣.
(٤) الاحتجاج: ص ١٩٢، البحار: ج ٧، ص ١٣٠، باب ٧، ح ٤.
(٥) الخصال: ج ٢، ص ٣٨-٣٩، البحار: ج ٧، ص ١٣١، باب ٧، ح ٥.

عن سعد الخفّاف، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: يا سعد تعلّموا القرآن فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق، والناس صفوف عشرون ومائة ألف صفّ، ثمانون ألف صفّ أُمّة محمّد ﷺ، وأربعون ألف صفّ من سائر الأمم؛ الخبر[1].



(١) فروع الكافي: ج ٢، ص ٥٩٦، البحار: ج ٧ ص ١٣١، باب ٧، ح ٦.



أحوال المتقين والمجرمين في القيامة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾

[البقرة: ١٧٤-١٧٥]

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي صفة محمّد والبشارة به؛ وقيل: كتموا الأحكام.

﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ﴾ أي يستبدلون به عوضاً قليلاً أي كلّ ما يأخذونه في مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل.

﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي كأنهم لم يأكلوا إلاّ النار لأنّ ذلك يؤدّيهم إليها؛ وقيل: إنّهم يأكلون النار حقيقة في جهنّم عقوبة لهم على ما فعلوا.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي لا يكلّمهم بما يحبّون، وإن كان يكلّمهم بالسؤال بالتوبيخ وبما يغمّهم، أولا يكلمهم أصلاً فيحمل آيات المسألة على أنّ الملائكة تسائلهم عن الله وبأمره.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ معناه: ولا يثني عليهم ولا يصفهم بأنّهم أزكياء؛ وقيل: لا يقبل أعمالهم كما يقبل أعمال الأزكياء؛ وقيل: أي لا يطهّرهم من خبث أعمالهم بالمغفرة.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي موجع ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أي استبدلوا الكفر بالنبيّ بالإيمان به، أو كتمان أمره بإظهاره، أو العذاب بالثواب وطريق الجنّة.

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فيه أقوال:

أحدها: معناه: ما أجرأهم على النار! وهو المرويّ أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام.

الثاني: ما أعملهم بأعمال أهل النار! وهو المرويّ أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام.

الثالث: ما أبقاهم على النار! كما يقال ما أصبر فلاناً على الحبس!.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي الّذين اجتنبوا الكفر فوق الكفّار في الدرجات.

وقيل: أراد أنّ تمتّعهم بنعيم الآخرة أكثر من استمتاع هؤلاء بنعيم الدنيا؛ وقيل: إنّه أراد أنّ حال المؤمنين في الهزؤ بالكفّار والضحك منهم فوق حال هؤلاء في الدنيا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]

وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: أي يستبدلون بأمر الله سبحانه ما يلزمهم الوفاء به؛ وقيل: معناه: إنّ الّذين يحصّلون بنكث عهد الله ونقضه ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ أي وبالأيمان الكاذبة.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي عوضا نزرا، وسمّاه قليلاً لأنّه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من العقاب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ﴾ أي لا نصيب لهم في نعيم الآخرة.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي لا يعطف عليهم ولا يرحمهم، كما يقول القائل للغير: انظر إليّ، يريد: ارحمني.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٧]

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: بياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهوره بهجة السرور وكآبة الخوف فيه.

وقيل: يوسم أهل الحقّ ببياض الوجه والصحيفة[١] وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك.

﴿أَكَفَرْتُم﴾ أي فيقال لهم: أكفرتم؟ والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم.

﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أمر إهانة ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يعني الجنّة والثواب المخلّد، عبّر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً على أنّ المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنّة إلا برحمته وفضله[٢].

---

(١) صحيفة الوجه: بشرة جلده.

(٢) البحار: ج ٧، ص ١٣٩ - ١٤٠.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: اختلف في معناه: فقيل: يجعل ما بخل به من المال طوقاً في عنقه، والآية نزلت في مانعي الزكاة وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: ما من رجل لا يؤدّي زكاة ماله إلاّ جعل في عنقه شجاع(١) يوم القيامة، ثمّ تلا هذه الآية.

وقيل: معناه: يجعل في عنقه يوم القيامة طوق من نار، وقيل: معناه: يكلّفون يوم القيامة أنّ يأتوا بما بخلّوا من أموالهم.

وقيل: هو كقوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ فمعناه أنّه يجعل طوقاً فيعذّب بها، وقيل؛ معناه أنّه يعود عليهم وباله فيصير طوقاً لأعناقهم، كقوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ والعرب تعبّر بالرقبة والعنق عن جميع البدن.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]

وفي قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾(٢): اختلف فيه على أقول:

---

(١) بضم الشين وكسرها: ضرب من الحيات.

(٢) قال السيد الرضي قدس سره في تلخيص البيان «ص٢٥»: هذه استعارة وهي عبارة عن مسخ الوجوه، أي يزيل تخطيطها ومعارفها تشبيهاً بالصحيفة المطموسة التي عميت سطورها واشكلت حروفها.

أحدها: أنّ معناه: من قبل أن نمحو آثار وجوهكم حتّى تصير كالأقفية، ونجعل عيونها في أقفيتها فتمشي القهقرى، عن ابن عبّاس وعطيّة.

وثانيها: أنّ معناه: نطمسها عن الهدى فنردُّها على أدبارها في ضلالتها، ذمّاً لها بأنّها لا تفلح أبداً، رواه أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام.

ثالثها: نجعل في وجوههم الشعر كوجوه القرود.

فإن قيل: على القول الأوّل كيف أوعد الله سبحانه ولم يفعل؟

فجوابه أنّ هذا الوعيد كان متوجّهاً إليهم لولم يؤمن واحد منهم، فلمّا آمن منهم جماعة رفع عن الباقين، أو أنّ الوعيد يقع بهم في الآخرة.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

[المائدة: ١١٩]

وفي قوله سبحانه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾: يعني ما صدقوا فيه في دار التكليف.

وقيل: إنّه الصدق في الآخرة، وإنّه ينفعهم لقيامهم فيه بحقّ الله فالمراد به صدقهم في الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

[الأنعام: ٢٢-٢٣]

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾: أي آلهتكم الّتي جعلتموها شركاء لله.

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان، والمراد من الاستفهام التوبيخ، ولعلّه يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة الّتي علّقوا بها الرجاء فيها، ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لمّا لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم.

﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ أي كفرهم، والمراد عاقبته، وقيل: معذرتهم الّتي يتوهّمون أنّ يتخلّصوا بها، من فتنت الذهب: إذا خلّصته؛ وقيل: جوابهم. وإنّما سمّاه فتنة لأنّه كذب، أو لأنّهم قصدوا بها الخلاص.

﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم أنّه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون.

﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا﴾ وقد أيقنوا بالخلود؛ وقيل: معناه: ما كنّا مشركين عند أنفسنا، وهو لا يوافق قوله: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ﴾ أي بنفي الشرك عنها، وحمله على كذبهم في الدنيا تعسّف ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ من الشركاء.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧-٣١]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: جوابه محذوف، أي لو تراهم حين يوقفون على النار حتّى يعاينوها، أو يطلّعون عليها، أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمراً شنيعاً.

﴿فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ تمنيا للرجوع إلى الدنيا.

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ استيناف كلام منهم على وجه الإثبات كقولهم: دعني ولا أعود أي أنا لا أعود تركتني أو لم تتركني، أو عطف على «نرد» أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنّي.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ راجع إلى ما تضمنه التمنّي من الوعد، ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو إجراءاً لها مجرى الفاء، وقرأ ابن عامر برفع الأوّل على العطف ونصب الثاني على الجواب.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ الإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمنّي، والمعنى أنّه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح أعمالهم فتمنّوا ذلك ضجراً لا عزماً على أنّهم لو ردو لآمنوا.

﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا بعد الظهور والوقوف ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما وعدوا من أنفسهم، ﴿وَقَالُوٓا﴾ عطف على ﴿لَعَادُوا﴾ أو على ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أو على ﴿نُهُوا﴾ أو استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ الضمير للحياة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ؛ وقيل: معناه: وقفوا على قضاء ربّهم وجزائه، أو عرفوه حقّ التعريف.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ كأنه جواب قائل قال: ماذا قال ربّهم حينئذ؟ والهمزة للتقريع على التكذيب والإشارة إلى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب.

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إقرار مؤكد باليمين لإنجلاء الأمر غاية الجلاء.

﴿قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم، أو ببدله.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ إذ فاتتهم النعم واستوجبوا العذاب المقيم، ولقاء الله: البعث وما يتبعه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ غاية ﴿كَذَّبُوا﴾ لا الخسران، لأنّ خسرانهم لا غاية له ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ونصبها على الحال أو المصدر فإنّها نوع من المجيء.

﴿قَالُواْ يَحَسْرَتَنَا﴾ أي تعالي فهذا أوانك ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ قصّرنا ﴿فِيهَا﴾ في الحياة الدنيا، أو في الساعة يعني في شأنها والإيمان بها.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ تمثيل لاستحقاقهم آثار الآثام ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ بئس شيئاً يزرونه وزرهم.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٢٨-١٣٠]

وفي قوله عزّوجلّ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ نصب بإضمار اذكر، أو نقول، والضمير لمن يحشر من الثقلين، وقرأ حفص عن عاصم وروح ويعقوب بالياء.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ يعني الشياطين ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ من إغوائهم وإضلالهم، أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم، كقولهم: استكثر الأمير من الجنود.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الذين أطاعوهم.

﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي انتفع الإنس بالجنّ بأنّ دلّوهم على الشهوات وما يتوصلّ به إليها، والجنّ بالإنس بأن أطاعوهم وحصّلوا مرادهم.

وقيل: استمتاع الإنس بهم أنّهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف، واستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنّهم يقدرون على إجارتهم.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ﴾ أي البعث، وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتّباع الهوى وتكذيب البعث، وتحسّر على حالهم.

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ منزلكم، أو ذات مثويكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ حال، والعامل فيها ﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾ إن جعل مصدراً، ومعنى الإضافة إن جعل مكاناً.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ إلا الأوقات الّتي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير؛ وقيل: إلاّ ما شاء الله قبل الدخول، كأنّه قيل: النار مثواكم أبداً إلاّ ما أمهلكم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في أفعاله ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال الثقلين وأحوالهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ نكل بعضهم إلى بعض، أو نجعل بعضهم يتولّى بعضاً فيغويهم، أو أولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ الرسل من الإنس خاصّة، لكن لمّا جمعوا مع الجنّ في الخطاب صحّ ذلك، وتعلّق بظاهره قوم وقالوا: بعث إلى كلّ من الثقلين رسل من جنسهم؛ وقيل: الرسل من الجنّ رسل الرسل إليهم لقوله: ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ بالجرم والعصيان، وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب.

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾: وجوه:

أحدها: ما روي عن ابن عبّاس أنّه قال: كان وعيد الكفّار مبهماً غير مقطوع به ثمّ قطع به بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾.

وثانيها: أنّ الاستثناء إنّما هو من يوم القيامة لأنّ قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ هو يوم القيامة: فقال: خالدين فيها مذ يوم يبعثون إلاّ ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدّتهم في محاسبتهم عن الزجّاج، قال: وجائز أنّ يكون المراد: إلاّ ما شاء الله أنّ يعذّبهم به من أصناف العذاب.

وثالثها: أنّ الاستثناء راجع إلى غير الكفّار من عصاة المسلمين الّذين هم في مشيّة الله إن شاء عذّبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلًا، وإن شاء عفا عنهم فضلاً.

رابعها: أنّ معناه: إلاّ ما شاء الله ممّن آمن منهم.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢-٥٣]

وقال البيضاويُّ في قوله سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: هل ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: إلا ما يؤول إليه أمره من تبيّن صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ أي تركوه ترك الناسي.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾

[يونس: ٢٦-٣٠]

وفي قوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ المثوبة: الحسنى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وما يزيده على مثوبته تفضّلاً، لقوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ وقيل: الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف وأكثر؛ وقيل: الزيادة مغفرة من الله ورضوان.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ ولا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾ غبرة فيها سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ هوان، والمعنى: لا يرهقهم ما يرهق أهل النار، أولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال.

﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ ما من أحد يعصمهم من سخط الله، أو من جهة الله، أو من عنده كما يكون للمؤمنين.

﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ لفرط سوادها وظلمتها؛ ومظلماً حال من اللّيل.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ممّا يحتجّ به الوعيديّة، والجواب أنّ الآية في الكفار لاشتمال السيّئات على الشرك والكفر، ولأن الّذين أحسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني الفريقين جميعاً.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾ ألزموا مكانكم حتّى تنظروا ما يفعل بكم ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المتنقل إليه من عامله ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطف عليه ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ ففرّقنا بينهم وقطعنا الوصل الّتي كانت بينهم.

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فإنّهم إنّما عبدوا في الحقيقة أهواءهم، لأنّها الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا به؛ وقيل: ينطق الله الأصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة الّتي توقّعوا منها؛ وقيل: المراد بالشركاء الملائكة والمسيح؛ وقيل: الشياطين.

﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾ (إن) هي المخفّفة من المثقّلة، واللاّم هي الفارقة.

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المقام ﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ تختبر ما قدّمت من عمل فتعاين نفعه وضرّه.

﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى جزائه إيّاهم بما أسلفوا ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ ربّهم ومتولّي أمرهم على الحقيقة، لا ما اتّخذوه مولى.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وضاع عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من أنّهم آلهتهم تشفع لهم، أو ما كانوا يدّعون أنّها آلهة.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٥٤-٦٤]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ بالشرك أو التعدّي على الغير.

﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خزائنها وأموالها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِۦ﴾ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم: افتداه بمعنى فداه.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لأنهم بهتوا بما عاينوا «مما لم يحتسبوا» من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا، وقيل: أسرّوا الندامة: أخلصوها، لأنّ إخفاءها إخلاصها، أو لأنّه يقال سر الشيء لخالصته من حيث إنّها تخفى وتضن بها؛ وقيل: أظهروها من قولهم: سرّ الشيء وأسرّه: إذا أظهره[1].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ﴾: بيّن سبحانه أنّ المطيعين لله الّذين تولّوا القيام بأمره، وتولاهم سبحانه بحفظه وحياطته، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يوم القيامة من العقاب.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي لا يخافون، واختلف في أولياء الله فقيل: هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيماء الخير والإخبات.

وقيل: هم المتحابّون في الله، ذكر ذلك في خبر مرفوع.

وقيل: هم الّذين آمنوا وكانوا يتّقون قد بيّنهم في الآية الّتي بعدها.

وقيل: إنّهم الّذين أدّوا فرائض الله، وأخذوا بسنن رسول الله، وتورّعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل هذه الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيّب من رزق الله لمعائشهم، لا يريدون به التفاخر والتكاثر، ثمّ أنفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأولئك الّذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدّموا منه لآخرتهم وهو المرويّ عن عليّ بن الحسين عليه السلام.

(١) البحار: ج ٧، ص ١٤٠ - ١٤٦.

وقيل: هم الّذين توالت أفعالهم على موافقة الحقّ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيّته ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ مع ذلك معاصيه.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أنَّ البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشّرهم الله به في القرآن.

وثانيها: أنّ البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّة.

وثالثها: أنّها في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

[يونس: ٦٢-٦٤]

﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ بالجنة وهي ما تبشّرهم الملائكة عند خروجهم من القبور، وفي القيامة إلى أنّ يدخلوا الجنّة يبشرونهم بها حالاً بعد حال وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي لا خلف لما وعد الله تعالى من الثواب.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨]

وفي قوله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي الخصلة الحسنى والحالة الحسنى، وهي صفة الثواب والجنّة.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ أي لله، فلم يؤمنوا به.

﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ أي جعلوا ذلك فدية أنفسهم من العذاب ولم يقبل ذلك منهم.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن سوء الحساب أخذهم بذنوبهم كلّها من دون أنّ يغفر لهم شيء منها، ويؤيّد ذلك ما جاء في الحديث: من نوقش الحساب عذّب، فيكون سوء الحساب المناقشة.

والثاني: هو أن يحاسبوا للتقريع والتوبيخ فإنَّ الكافر يحاسب على هذا الوجه، والمؤمن يحاسب ليسر بما أعد الله له.

والثالث: هو أنّ لا يقبل لهم حسنة ولا يغفر لهم سيّئة، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

والرابع: أنّ سوء الحساب هو سوء الجزاء فسمّي الجزاء حساباً لأنّ فيه إعطاء المستحقّ حقه.

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي مصيرهم إلى جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي وبئس ما مهدوا لأنفسهم، والمهاد: الفراش الّذي يوطأ لصاحبه، وسمي النار مهادا لأنّه في موضع المهاد لهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٤-٢٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾: اللاّم للعاقبة «كاملة» أي تامّة.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي ويحملون مع أوزارهم بعض أوزار الّذين أضلوهم عن سبيل الله وهو وزر الإضلال والإغواء ولم يحملوا وزر غوايتهم وضلالتهم.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ معناه: من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي بئس الحمل حملهم في الآثام.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٧-٢٩]

وفي قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: أي يذلّهم ويفضحهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ويهينهم بالعذاب، يقول على سبيل التوبيخ لهم والتهجين:

﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة على زعمكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ أي تعادون المؤمنين ﴿فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بالله وبدينه وشرائعه من المؤمنين، وقيل: هم الملائكة عن ابن عبّاس.

﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي إنّ الهوان اليوم والعذاب الّذي يسوء على الجاحدين لنعم الله المنكرين لتوحيده وصدق رسله.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ أي الّذين يقبض ملك الموت وأعوانه أرواحهم ففارقوا الدنيا وهم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الكفر.

﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾[1] أي استسلموا للحقّ وانقادوا حين لا ينفعهم الانقياد والإذعان ليقولون ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ﴾ عند أنفسنا ﴿مِن سُوءٍ﴾ أي معصية فكذّبهم الله تعالى وقال: ﴿بَلَى﴾ قد فعلتم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من

---

(١) قال الرضي رضوان الله عليه: هذه استعارة، وليس هناك شيء يلقى على الحقيقة، وأنا المراد بذلك طلب المسالمة عن ذل واستكانة والتماس وشفاعة، وقد يجوز أن يكون معنى ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ أي استسلموا وسلموا فكانوا كمن طرح آلة المقارعة ونزع شكة المحاربة.

المعاصي وغيرها؛ وقيل: القائل المؤمنون الّذين أوتوا العلم أو الملائكة ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي طبقاتها ودركاتها.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٢-٥٣]

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ يريد: يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبدة الأصنام.

﴿نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿نَادُوا شُرَكَاءِيَ﴾ ليدفعوا عنكم العذاب ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ يعني المشركين يدعون أولئك الشركاء.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ أي بين المؤمنين والكافرين ﴿مَّوْبِقًا﴾ وهو اسم واد عميق فرّق الله به بين أهل الهدى وأهل الضلالة.

وقيل: بين المعبودين وعبدتهم ﴿مَّوْبِقًا﴾ أي حاجزاً عن ابن الاعرابيّ، أي فأدخلنا من كانوا يزعمون أنّهم معبودهم مثل الملائكة والمسيح الجنّة، وأدخلنا الكفّار النار.

وقيل: معناه: جعلنا مواصلتهم في الدنيا موبقاً أي مهلكاً لهم في الآخرة عن الفرّاء وقتادة وابن عبّاس، فالبين على هذا القول معناه التواصل.

وقيل: موبقاً: عدواة عن الحسن؛ وروي عن أنس أنّه قال: الموبق وادٍ في جهنّم من قيح ودم.

﴿وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ يعني المشركون رأوا النار وهي تتلظّى حنقاً عليهم عن ابن عبّاس؛ وقيل: عامّ في أصحاب الكبائر.

﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي علموا أنّهم داخلون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أي معدلاً وموضعاً ينصرفون إليه ليتخلصوا منها.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٤-٨٦]

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي لا تستعجل لهم العذاب فإنَّ مدّة بقائهم قليلة فإنا نعدّ لهم الأيام والسنين؛ وقيل: معناه: نعدّ أنفاسهم؛ وقيل: نعدُّ أعمالهم.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ أي اذكر لهم يا محمّد اليوم الّذي نجمع فيه من اتّقى الله في الدنيا بطاعته واجتناب معاصيه.

﴿إِلَى الرَّحْمَٰنِ﴾ أي إلى جنّته ودار كرامته وفوداً وجماعات؛ وقيل: ركبانا يؤتون بنوق لهم ير مثلها، عليها رحائل الذهب وأزمّتها الزبرجد فيركبون عليها حتّى يضربوا أبواب الجنّة عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عبّاس.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ أي ونحثّ المجرمين على السير إلى جهنّم عطاشاً كالإبل الّتي ترد عطاشاً مشاة على أرجلهم، وسمّي العطاش ورداً لأنّهم يردون لطلب الماء؛ وقيل: الورد: النصيب أي هم نصيب جهنّم من الفريقين، والمؤمنون نصيب الجنّة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]

وفي قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: أي عيشاً ضيقاً، وقيل: هو عذاب القبر؛ وقيل: هو طعام الضريع والزقّوم في جهنّم.

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي أعمى البصر؛ وقيل: أعمى عن الحجّة، والأوّل هو الوجه، قال الفرّاء: يقال: إنّه يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشره.

وقد روي عن معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل لم يحجّ وله مال.

قال: هو ممّن قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ فقلت: سبحان الله أعمى؟ قال: أعماه الله عن طريق الحقّ.

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ هذا جواب من الله سبحانه ومعناه: كما حشرناك أعمى جاءك محمّد والقرآن والدلائل فأعرضت عنها وتعرّضت لنسيانها فأنّ النسيان ليس من فعل الإنسان فيؤاخذ عليه.

﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ أي تصير بمنزلة من ترك كالمنسيّ بعذاب لا يفنى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣]

وفي قوله سبحانه: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: أي الخوف الأعظم وهو عذاب النار إذا أطبقت على أهلها؛ وقيل: هو النفحة الأخيرة لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

وقيل: هو حين يؤمر بالعبد إلى النار؛ وقيل: هو حين يذبح الموت على صورة كبش أملح وينادى: يا أهل الجنّة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت.

وروى أبو سعيد الخدريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ثلاثة على كثبان من مسك لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا يكترثون للحسـ ب:

١ - رجل قرأ القرآن محتسباً ثمّ أم قوماً محتسباً.

٢ - ورجل أذّن محتسباً.

٣ - ومملوك أدّى حقّ الله عزّ وجلّ وحقّ مواليه

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي تستقبلهم الملائكة بالتهنئة يقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا فابشروا بالأمن والفوز.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٧-١٩]

وفي قوله عزوجل: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: أي يجمعهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني عيسى وعزير، أو الملائكة؛ وقيل: يعني الأصنام، فيقول الله لهؤلاء المعبودين: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي طريق الجنّة والنجاة ﴿قَالُوا۟﴾ يعني المعبودين من الملائكة والإنس أو الأصنام إذا أحياهم الله سبحانه وأنطقهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي تنزيهاً لك عن الشريك.

﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي ليس لنا أن نوالي أعداءك بل أنت وليّنا من دونهم.

وقيل: معناه: ما كان يجوز لنا وللعابدين وما كان يحقّ لنا أنّ نأمر أحداً بأن يعبدنا، فإنّا لو أمرناهم بذلك لكنّا واليناهم، ونحن لا نوالي من يكفر بك.

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ معناه: ولكن طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم وأمددتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتّى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه.

﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ أي هلكي فاسدين، هذا تمام الحكاية عن قول المعبودون، فيقول الله سبحانه ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أي كذّبكم المعبودون، أيّها المشركون ﴿بِمَا

تَقُولُونَ﴾ أي بقولكم أنّهم آلهة شركاء لله، ومن قرأ بالياء فالمعنى: فقد كذّبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا﴾ الآية.

﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ أي فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم ولا نصركم بدفع العذاب عنكم، ومن قرأ بالتاء فالمعنى: فما تستطيعون أيّها المتّخذون الشّركاء صرف العذاب عن أنفسكم ولا أن تنصروها.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ **[الفرقان: ٢٢-٣٠]**

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾: يعني يوم القيامة.

﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي لا بشارة لهم بالجنّة والثواب، والمراد بالمجرمين هنا الكفّار.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي ويقول الملائكة لهم حراماً محرماً عليكم سماع البشرى.

وقيل: معناه: ويقول المجرمون للملائكة كما كانوا يقولون في الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل: حجراً محجوراً دماؤنا.

قال الخليل: كان الرجل يرى الرجل الّذي يخاف منه القتل في الجاهليّة في الأشهر الحرم فيقول: حجراً محجوراً أي حرام عليك حرمتي في هذا الشهر فلا يبدؤه بشرّ، فإذا كان يوم القيامة رأوا الملائكة فقالوا ذلك ظنّاً منهم أنّهم ينفعهم.

وقيل: معناه: حراماً محرّماً أنّ يدخل الجنّة إلاّ من قال: لا إله إلاّ الله عن عطاء عن ابن عبّاس؛ وقيل: يقولون حجراً محجوراً عليكم أنّ تتعوّذوا وإلا فلا معاذ لكم.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي قصدنا وعمدنا إلى ما عمله الكفّار في الدنيا ممّا رجوا به النفع والأجر وطلبوا به الثواب والبرّ.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ وهو الغبار يدخل الكوّة في شعاع الشمس؛ وقيل: هو رهج[1] الدوابّ؛ وقيل: هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب؛ .

وقيل: هو الماء المهراق والمنثور المتفرّق، وهذا مثل؛ والمعنى: يذهب أعمالهم باطلاً فلم ينتفعوا بها من حيث عملوها لغير الله، ثمَّ ذكر سبحانه فضل أهل الجنّة على أهل النار فقال: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أي أفضل منزلاً في الجنّة.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي موضع قائلة، قال الأزهريّ: القيلولة عند العرب: الاستراحة نصف النهار إذا اشتدّ الحرّ وإن لم يكن مع ذلك نوم، والدليل على ذلك أنّ الجنّة لا نوم فيها.

وقال ابن عبّاس وابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتّى يقيل أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار.

قال البلخيّ: معنى ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ﴾ هنا أنّه خير في نفسه وحسن في نفسه لا بمعنى أنه أفضل من غيره.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي تتشقّق السماء وعليها غمام، كما يقال: ركب الامير بسلاحه، وقيل: تتشقق السماء عن الغمام الأبيض، وإنّما تتشقق لنزول الملائكة وهو قوله: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

---

(١) الرهج: بفتح الراء والهاء وسكون الثاني: ما أثير من الغبار.

وقال ابن عبّاس: تتشقّق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممّن في الأرض من الجنّ والإنس، ثمّ تتشقّق السماء الثانية فتنزل أهلها وهم أكثر ممّن في السماء الدنيا ومن الجن والإنس، ثمّ كذلك حتّى تتشقّق السماء السابعة، وأهل كلّ سماء يزيدون على أهل كلّ سماء الّتي قبلها.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ إي الملك الّذي هو الملك حقّاً ملك الرحمن يوم القيامة ويزول ملك سائر الملوك فيه.

﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ لشدّته ومشقّته عليهم، ويهون على المؤمنين كأنهم في صلاة صلّوها في دار الدنيا.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندما وتأسفا، وقيل: هو عقبة بن أبي معيط، وتذهبان إلى المرفقين ثمّ تنبتان ولا يزال هكذا كلّما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ أي ليتني اتبّعت محمداً واتّخذت معه سبيلاً إلى الهدى ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ يعني أبياً ﴿خَلِيلًا﴾ وقيل: أراد به الشيطان، وإن قلنا أنّ المراد بالظالم ههنا جنس الظلمة فالمراد به كلّ خليل يضلّ عن الدين.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى﴾ أي صرفني وردّني ﴿عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي القرآن والإيمان به.

﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ مع الرسول؛ ثمّ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ لأنّه يتبرّأ منه في الآخرة ويسلّمه إلى الهلاك ولا يغني عنه شيئاً ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ يعني محمّدا ﷺ ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ يعني هجروا القرآن وهجروني وكذّبوني؛ وقيل: إن «قال» معناه: «ويقول».

﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٨٧-١٠٤]

وفي قوله سبحانه نقلاً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِى﴾: أي لا تفضحني ولا تعيّرني بذنب يوم يبعثون، وهذا الدعاء كان منه عليه السلام على وجه الانقطاع إلى الله، لما بيّنّا أنّ القبيح لا يجوز وقوعه من الأنبياء عليهم السلام، ثمَّ فسّر ذلك اليوم بأن قال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إذ لا يتهيّؤ لذي مال أن يفتدي من شدائد ذلك اليوم به، ولا يتحمّل من صاحب البنين بنوه شيئاً من معاصيه.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك والشكّ؛ وقيل: من الفساد والمعاصي، وإنّما خص القلب بالسلامة لأنّه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث إنّ الفساد بالجارحة لا يكون إلاّ عن قصد بالقلب الفاسد.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: هو القلب الّذي سلم من حبّ الدنيا.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي قربت لهم ليدخلوها.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ أي أظهرت وكشفت الغطاء عنها للضالّين عن طريق الحقّ والصواب.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ على وجه التوبيخ: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام والأوثان وغيرهما.

﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ لكم إذا عوقبتم؟ وقيل: ينتصرون أي يمتنعون من العذاب.

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ أي جمعوا وطرح بعضهم على بعض؛ وقيل: نكسوا فيها على وجوههم

﴿هُمْ﴾ يعني الآلهة ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ أي والعابدون ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ أي وكبكب معهم جنود إبليس، يريد من اتّبعه من ولده وولد آدم.

﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ أي قال هؤلاء وهم في النار يخاصم بعضهم بعضاً.

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (إن) هي المخفّفة ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي عدلناكم به في توجيه العبادة إليكم.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الّذين اقتدينا بهم؛ وقيل: إلاّ الشياطين.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ يشفعون لنا ويسألون في أمرنا ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي ذي قرابة يهمّه أمرنا وذلك حين يشفع الملائكة والنبيّون والمؤمنون.

وفي الخبر المأثور عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الرجل يقول في الجنّة: ما فعل صديقي فلان؟ - وصديقه في الجحيم - فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنّة، فيقول من بقي في النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

وروى العيّاشيّ بالإسناد عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: والله لنشفعنّ لشيعتنا حتّى يقول الناس: فما لنا من شافعين إلى قوله: فنكون من المؤمنين.

وفي رواية اخرى: حتّى يقول عدّونا[١].

ثمّ قالوا: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدّقين لتحلّ لنا الشفاعة.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[النمل: ٨٩-٩٠]

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٥٣.

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: أي بكلمة التوحيد والاخلاص؛ وقيل: بالإيمان.

﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قال ابن عبّاس: أي فمنها يصل الخير إليه، والمعنى: فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمان من العقاب، فخير ههنا إسم وليس بالّذي هو بمعنى الافضل؛ وقيل: معناه: فله أفضل منها في عظم النفع لأنّه يعطي بالحسنة عشراً.

﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ قال الكلبيّ: إذا اطبقت النار على أهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها، وأهل الجنّة آمنون من ذلك الفزع.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي بالمعصية الكبيرة الّتي هي الكفر والشرك، عن ابن عبّاس وأكثر المفسّرين.

﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي ألقوا في النار منكوسين.

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يعني أنّ هذا جزاء فعلكم وليس بظلم.

حدّثنا السيّد مهديّ بن نزار، عن أبي القاسم عبيد الله الحسكانيّ، عن محمّد بن عبد الله بن أحمد، عن محمّد بن أحمد بن محمّد، عن عبد العزيز بن يحيى بن أحمد، عن محمّد بن عبد الرحمن بن الفضل، عن جعفر بن الحسين، عن محمّد بن زيد بن عليّ، عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: دخل أبو عبد الله الجدليّ[1] على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا عبد الله ألا أخبرك بقول الله عزّ وجلّ. ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾- إلى قوله -: ﴿تَعْمَلُونَ﴾؟ قال: بلى جعلت فداك.

قال: الحسنة حبّنا أهل البيت والسيّئة بغضنا[2].

---

(١) أسماه الشيخ في رجاله بعبيد بن عبد، وعده من رجال أمير المؤمنين عليه السلام وعده البرقي من خواصه من مضر، وقال ابن حجر في التقريب «ص٥٦٧»: أبو عبد الله الجدلي اسمه عبد أو عبد الرحمن بن عبد ثقة، رمى بالتشيع، من كبار الثالثة انتهى. والجدلي بفتح الأولين منسوب إلى جديلة وهم بطن من قيس عيلان، وهم: «فهم وعدوان» ابنا عمرو بن قيس عيلان، أمهم جدينة؛ قاله ابن الأثير في اللباب «ج١ ص٢١٤».

(٢) البحار: ج ٧، ص ١٥٣ - ١٥٤.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦١-٦٦]

وفي قوله سبحانه: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ من ثواب الجنّة ونعيمها ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ أي واصل إليه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من الأموال وغيرها.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ للجزاء والعقاب؛ وقيل: من المحضرين في النار.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي واذكروا يوم ينادي الله الكفّار وهو يوم القيامة، وهذا نداء تقريع وتبكيت، فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنّهم شركائي في الإلهيّة وتعبدونهم وتدّعون أنّهم ينفعونكم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي حقّ عليهم الوعيد بالعذاب من الجنّ والشياطين والذين أغووا الخلق من الانس.

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ يعنون أتباعهم ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي أضللناهم عن الدين بدعائنا إيّاهم إلى الضلال كما ضللنا نحن أنفسنا.

﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم ومن أفعالهم ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ أي لم يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الّذين زينوا لهم عبادتنا؛ وقيل: معناه: لم يعبدونا باستحقاق وحجّة.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي ويقال للأتباع: ادعوا الّذين عبدتموهم من دون الله لينصروكم ويدفعوا عنكم عذاب الله.

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي فيدعونهم فلا يجيبونهم إلى ملتمسهم.

﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي يرون العذاب ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ جواب (لو) محذوف أي لمّا اتّبعوهم؛ وقال البيضاويُّ: وقيل: (لو) للتمنّي أي تمنّوا أنّهم كانوا مهتدين.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيّين، وهذا سؤال تقدير للذنب، وهو نداء يجمع العلم والعمل، فإنّ الرسل يدعون إلى العلم والعمل جميعاً، فكأنّه قيل لهم: ماذا علمتم وماذا عملتم؟

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي خفيت وأشبهت عليهم طرق الجواب فصاروا كالأعمى.

وقيل: معناه: فالتبست عليهم الحجج، وسمّيت حججهم أنباءً لأنّها أخبار يخبر بها وهم لا يحتجّون ولا ينطقون بحجّة لأنَّ الله تعالى أدحض حجّتهم وأكلّ ألسنتهم فسكتوا، فذلك قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجج.

وقيل: لايسأل بعضهم بعضاً عن حاله لشغله بنفسه، أولا يسأل بعضهم بعضاً عن العذر الّذي يعتذر به في الجواب فلا يجيبون، وقيل: لا يتسائلون بالأنساب والقرابة كما في الدنيا؛ وقيل: لا يسأل بعضهم بعضاً أنّ يحمل ذنوبه عنه.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٢-١٦]

وفي قوله تعالى: ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾: أي ييأس الكافرون من رحمة الله ونعمه

الّتي يفيضها على المؤمنين؛ وقيل: يتحيّرون وتنقطع حجّتهم بظهور جلائل آيات الآخرة الّتي تقع عندها علم الضرورة.

﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ أي يتبرّؤون عن الأوثان وينكرون كونها آلهة.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ فيصير المؤمنون أصحاب اليمين والمشركون أصحاب الشمال، فيتفرّقون تفرّقاً لا يجتمعون بعده، وقال الحسن: لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرّقنّ يوم القيامة هؤلاء في أعلى علّيّين وهؤلاء في أسفل السافلين.

﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ أي في الجنّة ينعّمون ويسرُّون سرورا يتبيّن أثره عليهم؛ وقال ابن عبّاس: أي يكرمون؛ وقيل: يلذّذون بالسماع.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي فيه محصّلون، ولفظة الإحضار لا يستعمل إلاّ فيما يكرهه الإنسان، كما يقال: أحضر فلان مجلس القضاء.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمّد أو أيّها الإنسان ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ أي يوم القيامة حين يكون المجرمون مطأطئي رؤوسهم ومطرقيها حياءاً وندماً وذلاً ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي عندما يتولّى الله سبحانه حساب خلقه.

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي أبصرنا الرشد وسمعنا الحقّ؛ وقيل: معناه: أبصرنا صدق وعدك وسمعنا منك تصديق رسلك؛ وقيل: معناه: إنّا كنّا بمنزلة العمى فأبصرنا وبمنزلة الصمّ فسمعنا ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ أي فارددنا إلى دار التكليف.

﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ اليوم لا نرتاب شيئاً من الحقّ والرسالة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ

بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبا: ٣١-٣٣]

وقال البيضاويّ في قوله ﷻ : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي في موضع المحاسبة.

﴿يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يتحاورون ويتراجعون القول ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ يقول الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ للرؤساء ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ﴾ لولا إضلالكم وصدُّكم إيّانا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ باتّباع الرسول.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ الآية، أنكروا أنّهم كانوا صادّين لهم عن الإيمان، وأثبتوا أنّهم هم الّذين صدّوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ الآية إضراب عن إضرابهم أي لم يكن أجرامنا الصدّ بل مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً حتّى أغرتم علينا رأينا.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والإضلال وأخفاها كلّ عن صاحبه مخافة التعيير، أو أظهروها فإنّه من الأضداد، إذ الهمزة تصلح للإثبات والسلب كما في أشكيته.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ

أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ [سبأ: ٤٠-٥٤]

وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: المستكبرين والمستضعفين.

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ تقريعاً للمشركين وتبكيتاً لهم[1]

---

(١) التقريع والتبكيت: التعنيف.

وإقناطاً لهم عمّا يتوقّعون من شفاعتهم، وتخصيص الملائكة لأنّهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم، ولأنّ عبادتهم مبدء الشرك وأصله؛ وقرأ حفص بالياء فيهما.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أنت الّذي نواليه من دونهم، لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بيّنوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم، ثمّ أضربوا عن ذلك ونفوا أنّهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي الشياطين، حيث أطاعوهم في عبادة غير الله؛ وقيل: كانوا يتمثّلون ويخيّلون إليهم أنّهم الملائكة فيعبدونهم.

﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ الضمير الأوّل للإنس أو للمشركين والأكثر بمعنى الكلّ، والثاني للجنّ.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا﴾: عند الموت، أو البعث، أو يوم بدر، وجواب ﴿وَلَوْ﴾ محذوف لرأيت أمراً فظيعاً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ فلا يفوتون الله بهرب أو تحصّن.

﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من ظهر الأرض إلى بطنها، أو من الموقف إلى النار، أو من صحراء بدر إلى القليب[1] ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بمحمّد.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾ ومن أين لهم أنّ يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً؟

﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فإنّه في حيّز التكليف، وقد بعد عنهم، وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات وبعد عنهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذرّاع.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ بمحمّد أو بالعذاب ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل ذلك أو ان التكليف ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ويرجمون بالظنّ ويتكلّمون بما لم يظهر لهم في الرسول ﷺ من المطاعن، أو في العذاب من البتّ على نفيه.

﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من جانب بعيد من أمره، وهي الشبه الّتي تمحّلوها في أمر الرسول، أو حال الآخرة، كما حكاه من قبل.

---

(١) القليب: البئر.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان والنجاة من النار ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ موقع في الريبة، أو ذا ريبة.

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٥٩-٦٥]

وفي قوله عزوجل: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾: وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنّة؛ وقيل: اعتزلوا من كلّ خير أو تفرّقوا في النار: فإنَّ لكلّ كافر بيتاً ينفرد به لا يرى ولا يرى.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ من جملة ما يقال لهم تقريعاً وإلزاماً للحجّة، وعهده إليهم ما نصب لهم من الدلائل العقليّة والسمعيّة الآمرة بعبادته، الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشياطين لأنّه الآمر بها المزيّن لها.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ إشارة إلى ماعهد إليهم أو إلى عبادته، والجبلّ: الخلق.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ نمنعها عن الكلام.

﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على أفعالها، أو بإنطاق الله إيّاها، وفي الحديث: إنّهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتكلّم أيديهم وأرجلهم.

﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ (٢٤) مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ (٢٦) وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ (٢٧) قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ (٢٨) قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ (٣٦) بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾

[الصافات: ٢٢-٤٠]

وفي قوله سبحانه: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: أمر الله للملائكة، أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف؛ وقيل: منه إلى الجحيم

﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم، وعابد الكوكب مع عبدته، أو نساؤهم اللاّتي على دينهم أو قرناؤهم من الشياطين، وما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ الآية، وفيه دليل على أنّ الّذين ظلموا المشركون.

﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ فعرّفوهم طريقها ليسلكوها.

﴿وَقِفُوهُمۡۖ﴾ احسبوهم في الموقف ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ عن عقائدهم وأعمالهم، والواو لا يوجب الترتيب مع جواز أن تكون موقفهم. وقال الطبرسيّ: وقيل: مسؤولون عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن أبي سعيد الخدريّ وعن سعيد ابن

جبير عن ابن عبّاس مرفوعاً حدّثناه عن الحاكم أبي القاسم الحسكانيّ بالإسناد[١].

ثم قال البيضاويّ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص، وهو توبيخ وتقريع، بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم، وأصل الاستسلام طلب السلامة، أو متسالمون كأنّه يسلم. بعضهم بعضاً ويخذله.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعض بعضاً بالتوبيخ، ولذا فسّر بيتخاصمون.

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ عن أقوى الوجوه وأيمنها، أو عن الدين، أو عن الخير، كأنّكم تنفعوننا نفع السانح[٢] فتبعناكم وهلكنا، مستعار من يمين الإنسان الّذي هو أقوى الجانبين وأشرفه وأنفعه، ولذلك سمّي يميناً، ويتيمّن بالسانح؛ أو عن القوّة والقهر فتقسروننا على الضلال؛ أو عن الحلف فإنّهم كانوا يحلفون لهم أنّهم على الحقّ.

﴿قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الآية، أجابهم الرؤساء أوّلاً بمنع إضلالهم بأنّهم كانوا ضالّين في أنفسهم، وثانياً بأنّهم ما أجبروهم على الكفر إذ لم يكن لهم عليهم تسلّط وإنّما جنحوا إليه لأنّهم كانوا قوماً مختارين للطغيان.

وقال الطبرسيّ رحمه الله ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾: أي وجب علينا قول ربّنا بأنّا لا نؤمن ونموت على الكفر، أو وجب علينا العذاب الّذي نستحقّه على الكفر والإغراء.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزمر: ٤٧-٤٨]

وقال في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: أي ظهر لهم

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٥٤ - ١٥٧.

(٢) السانح: الذي يأتي من جانب اليمين، ويقابله البارح وهو الذي يأتي من جانب اليسار والعرب تيمن بالأول وتتشاءم بالثاني.

يوم القيامة من صنوف العذاب ما لم يكونوا ينتظرونه ولا يظنّونه واصلاً إليهم ولم يكن في حسبانهم، وقال السدّي: ظنّوا أعمالهم حسنات فبدت لهم سيّئات.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي نزل بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هو كلّ ما ينذرهم النبيّ ﷺ ممّا كانوا ينكرونه ويكذبون به.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٥٦-٦١]

وفي قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ﴾ أي خوف أنّ تقول، أو حذراً من أنّ تقوّل ﴿نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي يا ندامتي على ما ضيّعت من ثواب الله؛ وقيل: قصّرت في أمر الله، قال الفرّاء: الجنب: القرب أي في قرب الله وجواره، وقال الزجّاج أي فرّطت في الطريق الّذي هو طريق الله، فالجنب بمعنى الجانب.

وروي العيّاشيّ بالإسناد عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: نحن جنب الله.

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ أي وإنّي كنت لمن المستهزئين بالنبيّ ﷺ والقرآن وبالمؤمنين في الدنيا.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي فعلنا ذلك كراهة أنّ تقول: لو أراد الله هدايتي لكنت ممّن يتّقي معاصيه خوفاً من عقابه.

وقيل: إنّهم لمّا لم ينظروا في الأدلّة واشتغلوا بالأباطيل توهّموا أنّ الله لم يهدهم فقالوا ذلك بالظنّ، ولهذا ردّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ وقيل: معناه: لو أنّ الله هداني إلى النجاة بأن يردّني إلى حال التكليف لكنت ممّن يتّقي المعاصي.

﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ أي رجعة إلى الدنيا.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فزعموا أنّ له شريكاً وولداً.

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الّذين تكبّروا عن الإيمان بالله، هذا استفهام تقرير أي فيها مثواهم ومقامهم.

وروى العيّاشيّ بإسناده عن خيثمة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من حدّث عنّا بحديث فنحن مسائلوه عنه يوما، فإن صدق علينا فإنّما يصدق على الله وعلى رسوله، وإن كذب علينا فإنّما يكذب على الله وعلى رسوله، لأنّا إذا حدّثنا لا نقول: قال فلان، وقال فلان، إنّما نقول: قال الله وقال رسوله، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، ثمّ أشار خيثمة إلى أُذنيه فقال: صمّتا إنّ لم أكن سمعته.

وروى سورة بن كليب قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية فقال: كلُّ إمام انتحل إمامة ليست له من الله، قلت: وإن كان علويّا؟

قال: وإن كان علويّاً.

قلت: وإن كان فاطميّاً؟

قال: وإن كان فاطميّاً

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ معاصيه خوفاً من عقابه ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي بمنجاتهم من النار

﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي لا يصيبهم المكروه والشدّة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من لذّات الدنيا.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ

رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧١-٧٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: أي يساقون سوقاً في عنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ أي فوجاً بعد فوج.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وهي سبعة أبواب ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ الموكّلون بها على وجه التهجين والإنكار.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي من أمثالكم من البشر ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ أي حججه وما يدّلكم على معرفته ووجوب عبادته.

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾ أي يخوّفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه؟

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي وجب العذاب على من كفر بالله لأنّه أخبر بذلك وعلم من يكفر ويوافي بكفره فقطع على عقابه ولم يكن يقع شيء على خلاف ما علمه

﴿قِيلَ﴾ أي فيقول عند ذلك خزنة جهنّم.

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ لا آخر لعقابكم ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الحقّ وقبوله جهنّم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ إي يساقون مكرمين زمرة بعد زمرة، وإنّما ذكر السوق على وجه المقابلة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ قبل مجيئهم وهي ثمانية ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا﴾ عند استقبالهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ سلامة من الله عليكم، يحيّونهم بالسلامة ليزدادوا بذلك سروراً؛ وقيل: هو دعاء لهم بالسلامة والخلود أي سلمتم من الآفات ﴿طِبۡتُمۡ﴾ أي بالعمل الصالح في الدنيا وطابت أعمالكم الصالحة وزكت.

وقيل: معناه: طابت أنفسكم بدخول الجنّة؛ وقيل: إنّهم طيّبوا قبل دخول الجنّة بالمغفرة، واقتصّ لبعضهم من بعض، فلمّا هذّبوا وطيّبوا قال لهم الخزنة، طبتم.

وقيل: أي طاب لكم المقام؛ وقيل: إنّهم إذا قربوا من الجنّة يردون على عين من الماء فيغتسلون بها ويشربون منها فيطهّر الله أجوافهم فلا يكون بعد ذلك منهم حدث وأذى ولا تتغيّر ألوانهم فتقول الملائكة: طبتم فادخلوها خالدين ﴿وَقَالُواْ﴾ أي ويقول أهل الجنّة إذا دخلوها اعترافاً منهم بنعم الله عليهم.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ الذي وعدناه على ألسنة الرسل ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي أرض الجنّة

﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ أي نتّخذ من الجنّة مبوّءاً ومأوى ﴿حَيۡثُ نَشَآءُ﴾ وهذا إشارة إلى كثيرة قصورهم ومنازلهم وسعة نعمتهم ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ أي نعم ثواب المحسنين الجنّة والنعيم فيها.

﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ معناه: ومن عجائب أمور الآخرة أنّك ترى الملائكة محدقين بالعرش.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي ينزّهون الله تعالى عمّا لا يليق به ويذكرونه بصفاته الّتي هو عليها؛ وقيل: يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحّدون الجنّة؛ وقيل: إنّ تسبيحهم في ذلك الوقت على سبيل التلذّذ والتنعّم لا على وجه التعبّد، إذ ليس هناك تكليف وقد عظّم الله سبحانه أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظّمين له سبحانه ومسبّحين، كما أنّ السلطان إذا أراد الجلوس للمظالم قعد على سريره وأقام جنده حوله تعظيماً لأمره، وإن استحال كونه عزّ وجلّ على العرش.

﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ أي وفصّل بين الخلائق بالعدل.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: من كلام أهل الجنّة يقولون ذلك شكرا لله على النعمة التامّة؛ وقيل: إنّه من كلام الله فقال في ابتداء الخلق.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وقال بعد إفناء الخلق ثمّ بعثهم واستقرار أهل الجنّة في الجنّة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فوجب الأخذ بأدبه في ابتداء كلّ أمر بالحمد وختمه بالحمد.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: جمع شاهد وهم الّذين يشهدون بالحقّ للمؤمنين وعلى المبطلين والكافرين يوم القيامة، وفي ذلك سرور للمحقّ وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم؛ وقيل: هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون؛ وقيل: هم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ، وعلى الكفّار بالتكذيب، وقيل: هم الأنبياء وحدهم يشهدون للناس وعليهم.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٧-٤٨]

وفي قوله سبحانه: ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾: أي يقولون: أعلمناك ما منّا شاهد بأنّ لك شريكاً، يتبرّؤون من أنّ يكون مع الله شريك.

﴿وَظَنُّوا۟﴾ أي أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي من مهرب وملجأ.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٤-٤٧]

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ أي رجوع وردّ إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ تمنّياً منهم لذلك ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي على النار قبل دخولهم.

﴿خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي ساكنين متواضعين في حال العرض.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ أي خفيّ النظر لمّا عليهم من الهوان يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلّة في نفوسهم؛ وقيل: خفيّ ذليل، عن ابن عبّاس ومجاهد، وقيل: من عين لا تفتح كلّها، وإنّما نظروا ببعضها إلى النار.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ لمّا رأوا عظيم ما نزل بالظالمين ﴿إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ في الحقيقة.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بأن فوّتوها الانتفاع بنعيم الجنّة ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ أي وأولادهم وأزواجهم وأقاربهم لا ينتفعون بهم يوم القيامة لمّا حيل بينهم وبينهم؛ وقيل: وأهليهم من الحور العين في الجنّة لو آمنوا.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ هذا من قول الله تعالى، والمقيم: الدائم الّذي لا زوال له.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي أنصار ﴿يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ويدفعون عنهم عقابه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ يوصله إلى الجنّة.

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ أي أجيبوا داعيه يعني محمّداً صلّى الله عليه وآله.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا رجوع بعده إلى الدنيا، أو لا يقدر أحد على ردّه ودفعه وهو يوم القيامة، أو لا يرد ولا يؤخّر عن وقته وهو يوم الموت.

﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ أي معقل يعصمكم من العذاب ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي إنكار وتغيير للعذاب؛ وقيل: من نصير منكر لما يحلّ بكم.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٩]

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾: أي يعرض عنه، وقيل: معناه: ومن يعم عنه ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ أي نخل بينه وبين الشيطان الّذي يغويه فيصير قرينه، وقيل: معناه: نقرن به شيطاناً في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار، كما أنَّ المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتّى يصير به إلى الجنّة، وقيل: أراد به شياطين الإنس نحو علماء السوء ورؤساء الضلالة ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي يصرفون هؤلاء الكفّار ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي عن طريق الحقّ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي يحسب الكفّار أنّهم على الهدى فيتّبعونهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَانَا﴾ قرأ أهل العراق غير أبي بكر (جاءنا) على الواحد، والباقون (جاءانا) على الاثنين، فعلى الثاني فالمعنى: جاءنا الشيطان ومن أغواه يوم القيامة، وعلى الأوّل فالمعنى: حتّى إذا جاءنا الكافر وعلم ما يستحقّه من العقاب ﴿قَالَ﴾ لقرينه الّذي أغواه.

﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ يعني المشرق والمغرب فغلب أحدهما، والمراد: يا ليت بيني وبينك هذا البعد مسافة فلم أرك ولا اغتررت بك ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ كنت لي في الدنيا، فبئس القرين أنت لي اليوم، فإنّهما يكونان مشدودين في سلسلة واحدة زيادة عقوبة وغمّ، عن ابن عبّاس، ويقول الله سبحانه في ذلك اليوم للكفّار.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ أي لا يخفّف الاشتراك عنكم شيئاً من العذاب لأنّ لكلّ واحد من الكفّار والشياطين الحظّ الأوفر من العذاب، وقيل: معناه أنّه لا تسلّي لهم عمّاهم فيه بما يرونه بغيرهم من العذاب، لأنّه قد يتسلّى الإنسان عن المحنة إذا رأى أنّ عدوّه في مثلها.

وقال البيضاويّ ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾: أي ما أنتم عليه من التمني ﴿إِذ ظَّلَمۡتُمۡ﴾ إذ صحّ أنّكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا ﴿أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ لأنّ حقّكم أنّ تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه[1].

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٧-٦٨]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله سبحانه: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾: معناه: إنّ الّذين تخالّوا وتواصلوا في الدينا يكون بعضهم أعداءاً لبعض ذلك اليوم، يعني يوم القيامة، وهم الّذين تخالّوا على الكفر والمعصية ومخالفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا يرى كلّ واحد منهم من العذاب بسبب تلك المصادقة، ثمّ استثنى من جملة الأخلاء المتّقين فقال: ﴿إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ من المؤمنين الموحّدين الّذين خالّ بعضهم بعضاً على الإيمان والتقوى، فأنّ تلك الخلّة تتأكّد بينهم يوم القيامة ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي يقال لهم وقت الخوف: لا خوف عليكم من العذاب اليوم ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ من فوت الثواب.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٨ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٦٠ - ١٦٣.

هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨-٣٥]

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾: أي وترى يوم القيامة أهل كلّ ملّة باركة على ركبها، عن ابن عبّاس.

وقيل: باركة مستوفزة على ركبها كهيئة قعود الخصوم بين يدي القضاة.

وقيل: إنّ الجثوّ للكفّار خاصّة، وقيل: هو عام للكفّار والمؤمنين ينتظرون الحساب.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي كتاب أعمالها، وقيل: إلى كتابها المنزل على رسولها ليسألوا عمّا عملوا به ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي يقال لهم ذلك ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي يشهد عليكم بالحقّ، والمعنى: نبيّنه بياناً شافياً حتّى كأنّه ناطق.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي نستكتب الحفظة ما كنتم تعملون في دار الدنيا، الاستنساخ: الأمر بالنسخ.

قوله تعالى: ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي في جنته وثوابه. قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي فيقال لهم ذلك ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي تعظّمتم عن قبولها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي كافرين كما قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ أي نترككم في العقاب كما تركتم التأهّب للقاء يومكم هذا، وقيل: أي نحلّكم في العذاب محلّ المنسيّ كما أحللتم هذا اليوم محلَّ المنسيّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ أي لا يطلب منهم العتبى والاعتذار لأنّ التكليف قد زال، وقيل: أي لا يقبل منهم العتبى.

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢-١٥]

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾[١]: أي على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم إلى الجنّة، ويريد بالنور الضياء الّذي يرونه ويمرّون فيه، وقيل: نورهم هداهم.

وقال قتادة: إنّ المؤمن يضيئ له نوره كما بين عدن إلى صنعاء ودون ذلك حتّى أنّ من المؤمنين من لا يضيئ له نوره إلا موضع قدميه.

وقال عبدالله بن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من نوره قدر الجبل، وأدناهم نوراً نوره على إبهامه يطفئ مرّة ويقد أُخرى.

---

(١) قال الشريف الرضي قدس الله أسراره: هذه استعارة على أحد التأويلين، وهو أن يكون المعنى: أن إيمانهم في القيامة هادٍ لهم ومطرق بين أيديهم، وواصل لأجنحتهم، فجرى مجرى النور الهادي في طريقهم، بمعنى أنهم يسعون إلى الموقف غير عاثرين ولا متعتعين ولا مخوفين ولا مروعين كما يكون غيرهم من لا إيمان له ولا هدى معه، فكأنهم لكونهم على تلك الحال يسيرون بدليل مسكون إلى دلالته وفي ضياء موثوق بهدايته.

وقال الضحّاك، ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ يعني كتبهم الّتي أُعطوها، ونورهم بين أيديهم، وتقول لهم الملائكة: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي الّذي يبشّرون به فيه.

قوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ قال الكلبيّ: يستضيئ المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور، فإذا سبقهم المؤمنون قالوا: انظرونا نقتبس من نوركم أي نستضيئ بنوركم ونبصر الطريق فنتخلّص من هذه الظلمات، وقيل: إنّهم إذا خرجوا من قبورهم اختلطوا فيسعى المنافقون في نور المؤمنين، فإذا ميّزوا بقوا في الظلمة فيستغيثون ويقولون هذا القول.

﴿قِيلَ﴾ أي فيقال للمنافقين: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ أي ارجعوا إلى المحشر حيث أُعطينا النور ﴿فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ فيرجعون فلا يجدون نوراً، عن ابن عبّاس وذلك أنّه قال: يغشى الجميع ظلمة شديدة ثمَّ يقسّم النور فيعطى المؤمن نوراً، ويترك الكافر والمنافق.

وقيل: معنى قوله: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾: ارجعوا إلى الدنيا إنّ أمكنكم فاطلبوا النور منها، فإنّا حملنا النور منها بالإيمان والطاعات، وعند ذلك يقول المؤمنون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين سور، والباء مزيدة لأنّ المعنى: حيل بينهم وبينهم بسور، وهو حائط بين الجنّة والنار عن قتادة، وقيل: هو سور على الحقيقة ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ أي لذلك السور باب.

﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي من قبل ذلك الظاهر وهو النار، وقيل: ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ أي باطن ذلك السور ﴿فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أي الجنّة الّتي فيها المؤمنون ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ أي وخارج السور ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ يأتيهم ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ يعني أنّ المؤمنين يسبقونهم ويدخلون الجنّة، والمنافقين يجعلون في النار والعذاب، وبينهم السور الّذي ذكره الله.

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدنيا نصوم ونصلّي كما نصومون وتصلّون ونعمل كما تعملون؟

﴿قَالُوا۟﴾ أي المؤمنون: ﴿بَلَىٰ﴾ كنتم معنا ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي استعملتموها في الكفر والنفاق، وقيل: تعرّضتم للفتنة بالكفر والرجوع عن الإسلام، وقيل: معناه: أهلكتم أنفسكم بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بمحمّد ﷺ الموت وقلتم يوشك أنّ يموت فنستريح منه، وقيل: تربّصتم بالمؤمنين الدوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في الدين ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ الّتي تمنّيتموها بأن تعود الدائرة على المؤمنين.

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي الموت، وقيل: إلقاؤهم في النار، وقيل: جاء أمر الله في نصرة دينه ونبيّه وغلبته عليكم.

﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ يعني الشيطان غرّكم بحلم الله وإمهاله؛ وقيل: الغرور: الدنيا.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ أيها المنافقون، أي بدل، بأن تفدوا أنفسكم من العذاب.

﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مظهرين له ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي مقرّكم ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾(١) أي أولى بكم لمّا أسلفتم من الذنوب، والمعنى أنّها هي الّتي تلي عليكم لأنّها قد ملكت أمركم فهي أولى لكم من كلّ شيء ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي بئس المأوى والمرجع الّذي تصيرون إليه.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]

وفي قوله تعالى: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أي يقسمون لله ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في دار الدنيا بأنّهم كانوا مؤمنين في الدنيا في اعتقادهم وظنّهم، لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ ماهم عليه هو الحقّ.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي ويحسب المنافقون في الدنيا أنّهم مهتدون لأنّ في الآخرة تزول الشكوك، وقال الحسن: في القيامة مواطن فموطن يعرفون فيه قبح

(١) قال الشريف الرضي: معنى مولاكم أي أملك بكم وأولى بأخذكم، وهذا بمعنى المولى من طريق الرق لا المولى من جهة العتق فكان النار - نعوذ بالله منها - تملكهم رقاً ولا تحررهم عتقاً.

الكذب ضرورة فيتركونه، وموطن يكونون فيه كالمدهوش فيتكلّمون بكلام الصبيان الكذب وغير الكذب.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ في ذلك الموضع الّذي يحلفون فيه بالكذب.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ في أيمانهم وأقوالهم في الدنيا، وقيل: معناه: أُولئك الخائبون، كما يقال: كذب ظنه أي خاب أمله.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]

وفي قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: أي فلمّا رأوا العذاب قريباً يعني يوم بدر، وقيل: معاينة، وقيل: إنّ اللّفظ ماض والمراد به المستقبل، والمعنى: إذا بعثوا ورأوا القيامة قد قامت ورأوا ما أعد الله لهم من العذاب، وهذا قول أكثر المفسّرين ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي اسودّت وجوههم وعليها الكأبة يعني قبحت وجوههم بالسواد، وقيل: معناه: ظهر على وجوههم آثار الغم والحسرة ونالهم السوء والخزي ﴿وَقِيلَ﴾ لهؤلاء الكفّار إذا شاهدوا العذاب.

﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ قال الفرّاء: تدّعون وتدعون واحد، مثل تدّخرون وتذخرون، والمعنى: كنتم به تستعجلون وتدعون الله بتعجيله، وهو قولهم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية، وقيل: هو من الدعوى أي تدَّعون أنّ لا جنة ولا نار.

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكانيّ بالأسانيد الصحيحة عن شريك، عن الأعمش قال: لمّا رأوا ما لعليّ بن أبي طالب عليه السلام من الزلفى سيئت وجوه الّذين كفروا.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: فلمّا رأوا مكان عليّ عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله سيئت وجوه الّذين كفروا يعني الّذين كذبوا بفضله[1].

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٦٤ - ١٦٧.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥]

وفي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾: أي ناعمة بهجة حسنة، وقيل: مسرورة، وقيل: مضيئة بيض يعلوها النور، جعل الله سبحانه وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة علامة للخلق والملائكة على أنّهم الفائزون.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ اختلف فيه على وجهين:

أحدهما: أنّ معناه نظر العين.

والثاني: أنّه الانتظار، فعلى الأوّل المراد: إلى ثواب ربّها ناظرة أي هي ناظرة إلى نعيم الجنّة حالا بعد حال فيزداد بذلك سرورها، وذكر الوجوه والمراد أصحاب الوجوه، وعلى الثاني المعنى: منتظرة لثواب ربّها، روي ذلك عن عليّ عليه السلام، أو مؤمّلة لتجديد الكرامة كما يقال: عيني ممدودة إلى الله تعالى أو إلى فلان، أو أنّهم قطعوا آمالهم وأطماعهم من كلّ شيء سوى الله تعالى، وعلى هذا فأنّ هذا الانتظار متى يكون؟ فقيل: إنّه بعد الاستقرار في الجنّة، وقيل: إنّه قبل استقرار الخلق في الجنّة والنار، فكلّ فريق ينتظر ما هو له أهل، وقد قيل في إضافة النظر إلى الوجوه: إنّ الغمّ والسرور إنّما يظهران في الوجوه فبيّن الله سبحانه أنّ المؤمن إذا وردّ القيامة تهلّل وجهه، وأنّ الكافر العاصي يخاف مغبّة[1] أعماله القبيحة فيكلح وجهه[2] وهو قوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي كالحة عابسة متغيّرة.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي تعلم وتستيقن أنّه يعمل بها داهية تفقر ظهورهم أي تكسرها، وقيل: إنّه على حقيقة الظن أي يظنّون حصولها جملة ولا يعلمون تفصيلها.

---

(١) المغبة: عاقبة الشيء.

(٢) كلح وجهه: عبس وتكشر.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١٠-١١]

وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾: أي عذاب يوم ﴿عَبُوسًا﴾ أي مكفهرّاً تعبس فيه الوجوه، ووصف اليوم بالعبوس توسّعاً لمّا فيه من الشدّة، قال ابن عبّاس: يعبس فيه الكافر حتّى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ أي صعباً شديداً، وقيل: القمطرير: الّذي يقلص الوجوه ويقبض الجباه وما بين الأعين من شدّته.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ أي كفاهم الله ومنع منهم أهوال يوم القيامة، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أي استقبلهم بذلك.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٣-٢٥]

وفي قوله تعالى: ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾ أي يجمعون في صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب والشرك، وقيل: بما يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة.

قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي غير منقوص ولا مقطوع، وقيل: غير منغص ولا مكدر بالمن.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١-١٧]

وفي قوله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾: أي قد أتاك حديث القيامة، لأنّها تغشى الناس بأهوالها بغتة، وقيل: الغاشية، النار تغشى وجوه الكفّار بالعذاب.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ أي ذليلة بالعذاب الّذي يغشاها والشدائد الّتي تشاهدها، والمراد أرباب الوجوه، وقيل: المراد بالوجوه الكبراء ﴿عَامِلَةٌ﴾ في النار ﴿نَاصِبَةٌ﴾ فيها، فلمّا لم يعمل الله سبحانه في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والأغلال.

قال الزجّاج: يكلّفون ارتقاء جبل من حديد في النار.

وقال الكلبيّ: يجرّون على وجوههم في النار.

وقيل: أي عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في النار يوم القيامة، وقيل: أي عاملة ناصبة في الدنيا على خلاف ما أمرهم الله تعالى به، وهم الرهبان وأصحاب الصوامع وأهل البدع والآراء الباطلة لا يقبل الله أعمالهم في البدعة والضلالة وتصير هباءاً لا يثابون عليها.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: كلّ ناصب لنا وإن تعبد واجتهد يصير إلى هذه الآية: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾.

قال ابن عبّاس: قد حميت فهي تتلظّى على أعداء الله، وقيل: إنّ المعنى أنّ هؤلاء يلزمون الإحراق بالنار الّتي في غاية الحرارة.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي وتسقى أيضاً من عين حارّة قد بلغت اناها وانتهت حرارتها، قال الحسن: قد أُوقد عليهم مذخلقت فدفعوا إليها ورداً عطاشاً، هذا شرابهم. ثمّ ذكر طعامهم فقال: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ وهو نوع من الشوك يقال له: الشبرق، وأهل الحجاز يسمّونه الضريع إذا يبس وهو أخبث طعام وأبشعه لا ترعاه دابة[1].

وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الضريع: شيء يكون في النار يشبه الشوك، أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار، سماه الله الضريع.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٦٧ - ١٦٩.

وقال أبو الدرداء والحسن: إنّ الله يرسل على أهل النار الجوع حتّى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصّة، فيذكرون أنّهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الله ألف سنة، ثمّ يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة كلّما أدنوها من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل إلى بطونهم قطّعها، فذلك قوله: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ ولمّا نزلت هذه الآية قال المشركون: إنّ إبلنا لتسمن على الضريع، وكذبوا في ذلك لأنّ إلابل لا ترعاه، فقال سبحانه تكذيباً لهم: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ أي لا يدفع جوعا ولا يسمن أحداً، وقيل: الضريع سمّ، وقيل: هو بمعنى مضرع أي يضرعهم ويذلهم، وقيل: هو الحجارة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي منعمة في أنواع اللّذّات، ظاهر عليها أثر النعمة والسرور، مضيئة مشرقة ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ حين أُعطيت الجنّة بعملها، والمعنى: لثواب سعيها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي مرتفعة القصور والدرجات، وقيل: إنّ علوّ الجنّة على وجهين: علوّ الشرف والجلالة، وعلوّ المكان والمنزلة.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ أي كلمة ساقطة لا فائدة فيها، وقيل: أي ذات لغو.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ قيل: إنّه اسم جنس ولكلّ إنسان في قصره عين جارية من كلّ شراب يشتهيه، وفي العيون الجارية من الحسن واللّذة ما لا يكون في الواقفة، ولذلك وصف بها عيون أهل الجنّة، وقيل: إن عيون الجنّة تجري في غير أُخدود، وتجري كما يريد صاحبها.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ قال ابن عبّاس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدرّ والياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها، فإذا أراد أنّ يجلس عليها تواضعت له حتّى يجلس عليها، ثمّ ترتفع إلى موضعها، وقيل: إنّما رفعت ليرى المؤمنون بجلوسهم عليها جميع ما حولهم من الملك.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون الجارية، كلّما أراد المؤمن شربها وجدها مملوءة، وهي الأباريق ليس لها خراطيم ولا عرى تتّخذ للشراب، وقيل

هي أواني الشراب من الذهب والفضّة والجواهر يتمتّعون بالنظر إليها بين أيديهم، ويشربون بها ما يشتهونه من الأشربة ويتمتعون بالنظر إليها لحسنها[(١)].

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي وسائد يتّصل بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك في الدنيا.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ وهي البسط الفاخرة والطنافس المخملة. والمبثوثة: المبسوطة المنثورة، ويجوز أنّ يكون المعنى أنّها مفرّقة في المجالس.

وعن عاصم بن ضمرة، عن عليّ عليه السلام أنّه ذكر أهل الجنّة فقال: يجيئون فيدخلون، فإذا أساس بيوتهم من جندل اللؤلؤ.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ ولولا أنّ الله قدرها لهم لالتمعت أبصارهم بما يرون ويعانقون الأزواج، ويقعدون على السرر، ويقولون: الحمد لله الّذي هدنا لهذا.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ١٧-٢٠]

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: أي وصّى بعضهم بعضاً بالصبر على فرائض الله والصبر عن معصية الله.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ يؤخذ بهم ناحية اليمين ويأخذون كتبهم بأيمانهم، وقيل: هم أصحاب اليمن والبركة على أنفسهم، وأصحاب المشئمة يقابلونهم من كلّ وجه.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أي مطبقة، وقيل: يعني أنَّ أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لهم باب، ولا يخرج منها غمّ ولا يدخل فيها روح آخر الأبد.

---

(١) في المجمع المطبوع هكذا: وقيل: هي أواني الشراب من الذهب والفضة والجواهر بين أيديهم، ويشربون بها ما يشتهونه من الأشربة، ويتمتعون بالنظر إليها لحسنها.

عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ونادى مناد من عند الله يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم يقول: أين أهل الصبر؟

قال: فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة.

فيقولون لهم: ما كان صبركم هذا الّذي صبرتم.

فيقولون: صبّرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبّرناها عن معصيته.

قال: فينادي منّاد من عند الله: صدق عبادي خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنّة بغير حساب.

قال: ثمّ ينادي منّاد آخر يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم.

فيقول: أين أهل الفضل؟

فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم الملائكة فيقولون: ما فضلكم هذا الّذي تردّيتم به؟

فيقولون: كنّا يجهل علينا في الدنيا فنحتمل ويساء إلينا فنعفو.

قال: فينادي منّاد من عند الله تعالى صدق عبادي، خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنّة بغير حساب.

قال: ثمّ ينادي منّادٍ من الله عزّ وجلّ يسمع آخرهم كما يسمع أولهم فيقول: أين جيران الله جل جلاله في داره؟

فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم: ما كان عملكم في دار الدنيا فصرتم به اليوم جيران الله تعالى في داره؟

فيقولون: كنّا نتحاب في الله عزّ وجلّ، ونتباذل في الله، ونتوازر في الله.

قال: فينادي منّاد من عند الله تعالى: صدق عبادي خلّوا سبيلهم لينطلقوا إلى جوار الله في الجنّة بغير حساب، قال: فينطلقون إلى الجنّة بغير حساب.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: فهؤلاء جيران الله في داره يخاف الناس ولا يخافون، ويحاسب الناس ولا يحاسبون[1].

---

(١) أمالي الطوسي: ص ٦٢-٦٣، البحار: ج ٧، ص ١٧١-١٧٢، باب ٧، ح ١.

عن عبد الله بن شريك العامريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل عليّ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية.

قال: يا عليّ إنّ الوفد لا يكونون إلا ركباناً، أُولئك رجال اتّقوا الله فأحبّهم الله واختصّهم ورضي أعمالهم فسمّاهم الله المتّقين، ثمّ قال: يا عليّ أمّا والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كبياض اللّبن، عليهم نعال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلالؤ.

وفي حديث آخر قال: إنّ الملائكة لتستقبلنّهم بنوق من العزة (من أُنوق الجنّة خ ل) عليها رحائل الذهب مكلّلة بالدرّ والياقوت، وجلالها الإستبرق والسندس، وخطامها جدل الأُرجوان، وزمامها من زبرجد فتطير بهم إلى المجلس، مع كلّ رجل منهم ألف ملك من قدّامه وعن يمينه وعن شماله يزفّونهم زفاً حتّى ينتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم وعلى باب الجنّة شجرة الورقة منها تستظلّ تحتها مائة ألف من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكيّة قال: فيسقون منها شربة فيطهّر الله قلوبهم من الحسد ويسقط من أبشارهم الشعر، وذلك قوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ من تلك العين المطهّرة، ثمّ يرجعون إلى عين أُخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون منها وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً.

قال: ثمّ يوقف بهم قدّام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرّ والبرد أبداً، قال: فيقول الجبّار للملائكة الّذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنّة فلا توقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضاي عنهم، ووجبت رحمتي لهم، فكيف أُريد أنّ أُوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيّئات، فيسوقهم الملائكة إلى الجنّة، فإذا انتهوا إلى باب الجنّة الأعظم ضربوا الملائكة الحلقة ضربة فتصرّ صريراً فيبلغ صوت صريرها كلّ حوراء خلقها الله وأعدها لأوليائه فيتباشرون إذ سمعوا صرير الحلقة ويقول بعضهم لبعض: قد جاءنا أولياء الله، فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنّة ويشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميّين فيقلن لهم: مرحباً بكم فما كان أشدّ شوقنا إليكم! ويقول لهنّ أولياء الله مثل ذلك.

فقال عليّ عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله؟

فقال رسول الله ﷺ: هؤلاء شيعتك يا عليّ وأنت إمامهم، وهو قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾(١) على الرحائل ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾(٢) (٣).

عن يونس بن أبي يعقوب، عن رجل، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّ رجلاً سأله عن القيامة.

قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين، وجمع ما خلق في صعيد واحد، ثمّ نزلت ملائكة السماء الدنيا فأحاطت بهم صفّاً، ثمّ ضرب حولهم سرادق من نار، ثمّ نزلت ملائكة السماء الثانية فأحاطوا بالسرادق، ثمّ ضرب حولهم سرادق من نار، ثمّ نزلت ملائكة السماء الثالثة فأحاطوا بالسرادق، ثمّ ضرب حولهم سرادق من نار حتّى عدّ ملائكة سبع سموات وسبع سرادقات، فصعق الرجل فلمّا أفاق قال: يابن رسول الله أين عليّ وشيعته؟

قال: على كثبان المسك يؤتون بالطعام والشراب لا يحزنهم ذلك(٤).

عن عمرو بن شيبة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلني الله فداك إذا كان يوم القيامة أين يكون رسول الله وأمير المؤمنين وشيعته؟

فقال أبو جعفر: رسول الله وعليّ وشيعته على كثبان من المسك الأذفر على منّابر من نور، يحزن الناس ولا يحزنون، ويفزع الناس ولا يفزعون.

ثمّ تلا هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ فالحسنة والله ولاية عليّ ثم قال: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٥).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة أتي بالشمس

---

(١) سورة مريم، الآية: ٨٥.

(٢) سورة مريم، الآية: ٨٦.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٣١٤-٣١٥. البحار: ج ٧، ص ١٧٣، باب ٧، ح ٢.

(٤) بشارة المصطفى. والبحار: ج ٧، ص ١٧٥، باب ٨، ح ٥.

(٥) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٤٣٤. البحار: ج ٧، ص ١٧٥، باب ٨، ح ٦.

والقمر في صورة ثورين عقيرين[١] فيقذفان بهما وبمن يعبدهما في النار، وذلك أنّهما عبدا فرضياً[٢].

عن جعفر، عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله تبارك وتعالى يأتي يوم القيامة بكلّ شيء يُعبد من دونه من شمس أو قمر أو غير ذلك، ثمّ يسأل كلّ إنسان عما كان يعبد، فيقول كلّ من عبد غيره: ربّنا إنّا كنّا نعبدها لتقرّبنا إليك زلفى.

قال: فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة: اذهبوا بهم وبما كانوا يعبدون إلى النار ما خلا من استثنيت، فإنَّ أولئك عنها مبعدون[٣].

عن كثير بن طارق قال: سألت زيد بن عليّ بن الحسين عن قول الله تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[٤].

فقال: يا كثير إنّك رجل صالح ولست بمتّهم، وإنّي أخاف عليك أنّ تهلك، إنّ كلّ إمام جائر فإنَّ أتباعهم إذا أمر بهم إلى النار نادوا باسمه فقالوا: يا فلان يا من أهلكنا هلّم الآن فخلّصنا ممّا نحن فيه، ثمَّ يدعون بالويل والثبور فعندها يقال لهم: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً.

ثمَّ قال زيد بن عليّ رحمه الله: حدّثني أبي عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ أنت وأصحابك في الجنّة، أنت وأتباعك يا عليّ في الجنّة[٥].

عن أبي بصير، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ: أنا أوّل من ينفض التراب عن رأسه وأنت معي، ثمّ سائر الخلق.

---

(١) قال في النهاية: فيه: ما هذا العقير؟ أي الجزور المنحور، يقال: جمل عقير وناقة عقير، قيل: كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه أي قطعوا إحدى قوائمه ثمّ نحروه؛ وفيه: أنّه مرّ بحمار عقير أي أصابه عقر ولم يمت بعد.
وفي حديث كعب أن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار، قيل: لمّا وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ثم أخبر أنّه يجعلهما في النار يعذّب بهما أهلها بحيث لا يبرحانها صارا كأنّهما زمنان عقيران، حكى ذلك أبو موسى وهو كما تراه انتهى.

(٢) علل الشرائع: ص: ٢٠١. البحار: ج ٧، ص ١٧٧ باب ٧، ح ١٢.

(٣) قرب الإسناد: ص ٤١. البحار: ج ٧، ص ١٧٨، باب ٧، ح ١٣.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١٤.

(٥) أمالي الطوسي: ص ٨٦. البحار: ج ٧، ص ١٧٨، باب ٧، ح ١٤.

يا عليّ: أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش، يفزع الناس ولا تفزعون، ويحزن الناس ولا تحزنون، فيكم نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝١٠٣﴾.

يا عليّ: أنت وشيعتك تطلبون في الموقف وأنتم في الجنان تتنعّمون؛ الخبر[1].

عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يؤتى بأقوام على منّابر من نور، تتلالؤ وجوههم كالقمر ليلة البدر، يغبطهم الأوّلون والآخرون؛ ثمَّ سكت ثمّ أعاد الكلام ثلاثاً.

فقال عمر بن الخطّاب: بأبي أنت وأُمّي هم الشهداء؟

قال: هم الشهداء وليس هم الشهداء الذين تظنّون.

قال: هم الأنبياء؟

قال: هم الأوصياء؟

قال: هم الأوصياء وليس هم الأوصياء الّذين تظنّون.

قال: فمن أهل السماء أو من أهل الأرض؟

قال: هم من أهل الأرض، قال: فأخبرني من هم، قال: فأومأ بيده إلى عليّ عليه السلام فقال: هذا وشيعته[2].

عن محمّد بن قيس؛ وعامر بن السمط[3]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يأتي يوم القيامة قوم عليهم ثياب من نور، على وجوههم نور، يعرفون بآثار السجود، يتخطّون صفّاً بعد صفّ حتّى يصيروا بين يدي ربّ العالمين، يغبطهم النبيّون والملائكة والشهداء والصالحون.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٧٩، باب ٧، ح ١٦ نقلاً عن فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله.

(٢) البحار: ج ٧، ص ١٨٠، باب ٧، ح ١٨، وفضائل الشيعة للصدوق رحمه الله.

(٣) بكسر السين وسكون الميم.

فقال له عمر بن الخطّاب: من هؤلاء يا رسول الله الّذين يغبطهم النبيّون والملائكة والشهداء والصالحون؟

قال: أولئك شيعتنا وعليٌّ إمامهم[(١)].

عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ:

يا عليّ: لقد مثّلت لي أُمّتي في الطين حتّى رأيت صغيرهم وكبيرهم أرواحا قبل أنّ تخلق أجسادهم، وإني مررت بك وبشيعتك فاستغفرت لكم.

فقال عليٌّ: يا نبيّ الله زدني فيهم.

قال: نعم يا عليّ تخرج أنت وشيعتك من قبوركم ووجوهكم كالقمر ليلة البدر، وقد فرجت عنكم الشدائد، وذهب عنكم الأحزان، تستظلّون تحت العرش، يخاف الناس ولا تخافون، ويحزن الناس ولا تحزنون، وتوضع لكم مائدة والناس في المحاسبة[(٢)].

الحسن بن محبوب، عن الحسن بن عليّ قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: قال محمّد بن عليّ عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى منّاد: أين الصابرون؟

فيقوم عنق من الناس فينادي مناد: أين المتصبّرون؟

فيقوم عنق من الناس، فقلت: جعلت فداك وما الصابرون؟

قال: الصابرون على أداء الفرائض والمتصبّرون على ترك المعاصي[(٣)].

عن يحيى بن العلاء الرازيّ قال: دخل عليّ عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في بيت أُمّ سلمة، فلمّا رآه قال: كيف أنت يا عليّ إذا جمعت الأمم، ووضعت الموازين، وبرز لعرض خلقه، ودعي الناس إلى ما لا بد منه؟

قال: فدمعت عين أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٨٠، باب ٧، ح ١٩. وفضائل الشيعة للصدوق رحمه الله.
(٢) البحار: ج ٧، ص ١٨٠، باب ٧، ج ٢٠ وكتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله.
(٣) البحار: ج ٧، ص ١٨١، باب ٧، ح ٢٣ وكتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله.

فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا عليّ؟ تدعا والله أنت وشيعتك غرًّا محجلين[١] رواءاً مرويّين مباضّة وجوههم، ويدعا بعدوّك مسوادّة وجوههم أشقياء معذّبين، أمّا سمعت إلى قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾؟ أنت وشيعتك ﴿والّذين كفروا بآياتنا أولئك هم شرّ البريّة﴾ عدوّك يا عليّ[٢].

بإسناده عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: كلّكم يكلّم ربّه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أما مه فلا يجد إلا ما قدم، وينظر عن يمينه فلا يجد إلاّ ما قدم، ثمّ ينظر عن يساره فإذا هو بالنار فاتّقوا النار ولو بشق تمرة، فإنّ لم يجد أحدكم فبكلمة طيّبة[٣].

عن ابن محبوب، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الإنس على ثلاثة أجزاء:

١ - فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه.

٢ - وجزء عليهم الحساب والعذاب.

٣ - وجزء وجوههم وجوه الآدميّين وقلوبهم قلوب الشياطين[٤].

عن محمّد بن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

قال: أفحم القوم، ودخلتهم الهيبة، وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾[٥].

---

(١) الغر بالضم جمع الأغر: السيد الشريف. الكريم الأفعال. الحسن. الأبيض من كل شيء قال الجزري: الغرة: النفيس من كل شيء، ومنه الحديث غر محجلون، وقال: في الحديث: أمتي الغر المحجلون أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والأقدام.

(٢) أمالي الطوسي: ص ٦٣-٦٤، البحار: ج ٧، ص ١٨٢، باب ٧، ح ٢٧.

(٣) البحار: ج ٧، ص ١٨٣، باب ٧، ح ٢٩. ونوادر الراوندي.

(٤) الخصال: ج ١، ص ٧٤. البحار: ج ٧، ص ١٨٣، باب ٧، ح ٣١.

(٥) توحيد الصدوق: ص ١٤٤، البحار: ج ٧، ص ١٨٣، باب ٧، ح ٣٢.

عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله يبعث شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من ذنوب أو غيره مبيضّة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روعتهم، قد سهلت لهم الموارد، وذهبت عنهم الشدائد، يركبون نوقا من ياقوت، فلا يزالون يدورون خلال الجنّة، عليهم شراك من نور يتلألؤ، توضع لهم الموائد فلا يزالون يطعمون والناس في الحساب وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1] [2].

عن أسباط بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يخرج شيعتنا من قبورهم على نوق بيض لها أجنحة، وشرك نعالهم نور يتلألؤ، قد وضعت عنهم الشدائد، وسهّلت لهم الموارد، مستورة عوراتهم، مسكّنة روعاتهم، قد أعطوا الأمن والإيمان، وانقطعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، وهم في ظلّ عرش الرحمن، يوضع لهم مائدة يأكلون منها والنّاس في الحساب[3].

عن محمّد بن مسلم الثقفيّ قال: قال أبوجعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ عن يمين العرش قوماً وجوههم من نور، على منّابر من نور، يغبطهم النبيّون، ليسوا بأنبياء ولا شهداء.

فقالوا: يا نبيّ الله وما ازدادوا هؤلاء من الله إذا لم يكونوا أنبياء ولا شهداء إلاّ قرباً من الله؟

قال: أولئك شيعة عليّ، وعليّ إمامهم[4].

عن سلام، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾.

قال: العطش يوم القيامة[5].

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ١-٢.

(٢) المحاسن: ص ١٧٩، البحار: ج ٧، ص ١٨٤، باب ٧، ح ٣٥.

(٣) المحاسن: ص ١٧٩، البحار: ج ٧، ص ١٨٤-١٨٥، باب ٧، ح ٣٦.

(٤) المحاسن: ص ١٨١، البحار: ج ٧، ص ١٨٥، باب ٧، ح ٣٨.

(٥) البحار: ج ٧، ص ١٨٦، باب ٧، ح ٤٢. وتفسير العياشي.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ﴾ قال: أمّا ترى البيت إذا كان اللّيل كان أشدّ سواداً من خارج فكذلك وجوههم تزداد سواداً[١].

عن حمّاد بن عيسى، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قول الله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۖ﴾.

قال: قيل له: وما ينفعهم إسرار الندامة وهم في العذاب؟

قال: كرهوا شماتة الأعداء[٢].

عن عبد الله بن عطاء المكّيّ قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾.

قال: ينادي مناد يوم القيامة يسمع الخلائق: إنّه لا يدخل الجنّة إلاّ مسلم؛ ثمّ يودّ سائر الخلق أنّهم كانوا مسلمين[٣].

عن إبراهيم بن عمر رفعه إلى أحدهما عليهما السلام في قول الله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾.

قال: على جهاتهم[٤] [٥].

عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الشاكّ في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحشر يوم القيامة من قبره وفي عنقه طوق من نار فيه ثلاثمائة شعبة، على كلّ شعبة منها شيطان يكلح في وجهه ويتفل فيه[٦].

عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال للبراء بن عازب: كيف وجدت هذا الدين؟

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٨٦، باب ٧، ح ٤٥. وتفسير العياشي.

(٢) البحار: ج ٧، ص ١٨٨، باب ٨، ح ٤٧. وتفسير العياشي.

(٣) البحار: ج ٧، ص ١٨٨، باب ٨، ح ٤٨، وتفسير العياشي.

(٤) لعلّه عليه السلام فسّر الوجه بالجهة، أي يحشرون متوجّهين إلى الجهات التي كانوا إليها متوجّهين في الدنيا، من الاقتداء بأئمّة الجور وعبادة الأصنام، وكائنين على الأحوال التي كانوا عليها من الفساد والمعصية، ولا يبعد أن يكون جهاتهم تصحيف جباههم.

(٥) البحار: ج ٧، ص ١٨٨، باب ٧، ح ٥٠، وتفسير العياشي.

(٦) مجالس المفيد: ص ٨٥-٨٦. البحار: ج ٧، ح ١٩٢، باب ٧، ح ٥٣.

قال: كنا بمنزلة اليهود قبل أنّ نتبعك تخف علينا العبادة، فلمّا اتبعناك ووقع حقائق الإيمان في قلوبنا، وجدنا العبادة قد تثاقلت في أجسادنا.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فمن ثمّ يحشر الناس يوم القيامة في صور الحمير، وتحشرون فرادى فرادى، يؤخذ بكم إلى الجنّة.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: ما بدالكم، ما من أحد يوم القيامة إلاّ وهو يعوي عواء البهائم: أن اشهدوا لنا واستغفروا لنا، فنعرض عنهم، فماهم بعدها بمفلحين[١].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: إنّ المتحابّين في الله يوم القيامة على منّابر من نور قد أضاء نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم كلّ شيء حتّى يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابّون في الله[٢].

عن عبد الله بن مسكان، عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٣].

فقال: يا محمّد ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه ينهش من لحمه حتّى يفرغ من الحساب، ثمّ قال: هو قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: ما بخلوا به من الزكاة[٤].

عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة[٥]، معهم ملائكة يعيّرونهم تعييراً شديداً، يقولون: هؤلاء الّذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير، هؤلاء الّذين أعطاهم الله فمنعوا حقّ الله في أموالهم[٦].

---

(١) البحار: ج ٧، ص ١٩٢، باب ٧، ح ٥٤، ورجال الكشي.
(٢) أصول الكافي: ج ٢ ص ١٢٥. البحار: ج ٧، ص ١٩٥، باب ٧، ح ٦٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.
(٤) فروع الكافي، ج ١ ص ١٤١. البحار: ج ٧، ص ١٩٥-١٩٦، باب ٧، ح ٦٥.
(٥) قال الفيروزآبادي، قيس رمح بالكسر: قدره.
(٦) فروع الكافي: ج ١، ص ١٤٢-١٤٣. البحار: ج ٧، ص ١٩٧، باب ٧، ح ٦٧.

عن سدير الصيرفيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل: إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أما مه، كلّما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع ولا تحزن وابشر بالسرور والكرامة من الله عزّ وجلّ حتّى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به إلى الجنّة والمثال أمامه، فيقول له المؤمن: يرحمك الله نعم الخارج، خرجت معي من قبري، وما زلت تبشّرني بالسرور والكرامة من الله حتّى رأيت ذلك، فيقول: من أنت؟

فيقول: أنا السرور الّذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن في الدنيا، خلقني الله عزّ وجلّ منه لأُبشّرك(١).

عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ:

يا عليّ: ابشر وبشّر فليس على شيعتك حسرة عند الموت، ولا وحشة في القبور، ولا حزن يوم النشور، ولكأنّي بهم يخرجون من جدث القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم ولحاهم، يقولون: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾(٢) (٣).

عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقّنوا موتاكم لا إله إلاّ الله، فإنّها أنيس للمؤمن حين يمرق من قبره.

قال لي جبرئيل عليه السلام: يا محمّد لو ترى لهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم وهذا يقول: لا إله إلاّ الله والحمد لله مبيض وجهه، وهذا يقول: يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله - يعني في ولاية عليّ - مسودٌّ وجهه(٤).

---

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ١٩٠، البحار: ج ٧، ص ١٩٧، باب ٧، ح ٦٩.
(٢) سورة فاطر، الآيتان: ٣٤-٣٥.
(٣) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ١٢٨، البحار: ج ٧، ح ١٩٨، باب ٧، ح ٧٣.
(٤) البحار: ج ٧، ص ٢٠٠، باب ٧، ح ٧٨. تفسير فرات بن إبراهيم.

عن داود بن فرقد، عن أخيه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ المتكبّرين يجعلون في صور الذرّ يتوطّؤهم الناس حتّى يفرغ الله من الحساب[١].

عن عبيد بن الفضل الثوريّ، عن جعفر، عن أبيه قال: ينادي منّاد يوم القيامة: أين المحبّون لعليّ؟

فيقومون من كلّ فجّ عميق، فيقال لهم: من أنتم؟

قالوا: نحن المحبّون لعليّ عليه السلام الخالصون له حبّاً.

فيقال: فتشركون في حبّه أحداً من الناس؟

فيقولون: لا.

فيقال لهم: ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون[٢].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما ناجى به موسى عليه السلام ربّه أنّ قال: يا ربّ ما لمن شيّع جنازة؟

قال: أوكّل به ملائكة من ملائكتي، معهم رايات يشيّعونهم من قبورهم إلى محشرهم[٣].

عن أبي بريدة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا يؤمرّ رجل على عشرة فما فوقهم إلاّ جيء به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه، فإنّ كان محسناً فكّ عنه، وإن كان مسيئاً زيد غلّاً إلى غلّه[٤].

عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ بعثه الله أجذم[٥].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: يحشر المكذّبون بقدره تعالى من قبورهم قد مسخوا قردة وخنازير[٦].

---

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ٣١١. البحار: ج ٧، ص ٢٠١، باب ٧، ح ٧٩.
(٢) تفسير فرات بن إبراهيم: ص١٥٢. البحار: ج٧/ ص٢٠١. باب ٧. ح ٨٠.
(٣) ثواب الأعمال: ص ١٨٨، البحار: ج ٧، ص ٢٠٨، باب ٧، ح ٩٨.
(٤) البحار: ج ٧، ص ٢١١، باب ٧، ح ١٠٥. وأمالي الطوسي.
(٥) ثواب الأعمال: ص ١٩٧. البحار: ج ٧، ص ٢١٢، باب ٧، ح ١١٠.
(٦) ثواب الأعمال: ص ٢٠٥. البحار: ج ٧، ص ٢١٢، باب ٧، ح ١١١.

عن الصادق، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: يجاء بأصحاب البدع يوم القيامة فترى القدريّة من بينهم كالشامّة البيضاء في الثور الأسود، فيقول الله عزّ وجلّ: ما أردتم؟

فيقولون: أردنا وجهك.

فيقول الله: قد أقلتكم عثراتكم وغفرت لكم زلاّتكم إلا القدريّة فإنّهم قد دخلوا في الشرك من حيث لا يعلمون[(١)].

عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم:

١ - من ادّعى إمامة من الله ليست له.

٢ - ومن جحد إماماً من الله.

٣ - ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً[(٢)].

عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من بنى بناءاً رياءاً وسمعةً حمل يوم القيامة إلى سبع أرضين، ثمّ يطوّقه ناراً توقد في عنقه ثمّ يرمى به في النار.

ومن خان جاره شبراً من الأرض طوقه الله يوم القيامة إلى سبع أرضين ناراً حتّى يدخله جهنم.

ومن نكح امرأة حراماً في دبرها أو رجلاً أو غلاماً حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيفة تتأذّى به الناس حتّى يدخل جهنّم ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وأحبط الله عمله، ويدعه في تابوت مشدود بمسامير من حديد، ويضرب عليه في التابوت بصفائح حتّى يشتبك في تلك المسامير، فلو وضع عرق من عروقه على أربعمائة أُمّة لماتوا جميعاً وهو أشدّ الناس عذاباً.

ومن ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زان، يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة: عبدي زوّجتك أمتي على عهدي فلم تف لي بالعهد، فيتولّى الله طلب حقّها فيستوعب حسناته كلّها فلا يفي بحقها فيؤمر به إلى النار.

---

(١) ثواب الأعمال: ص ٢٠٥، البحار: ج ٧، ص ٢١٢، باب ٧، ح ١١٢.

(٢) البحار: ج ٧، ص ٢١٢، باب ٧، ح ١١٣. والكافي.

ومن رجع عن شهادة وكتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق ويدخل النار وهو يلوك لسانه.

ومن كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما في القسم من نفسه وماله جاء يوم القيامة مغلولاً مائلاً شقه حتّى يدخل النار.

ومن صافح امرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولاً ثمّ يؤمر به إلى النار.

ومن فاكه امرأة لا يملكها حبس بكلّ كلمة كلّمها في الدنيا ألف عام، والمرأة إذا طاوعت الرجل فالتزمها حراماً أو قبّلها أو باشرها حراماً أو فاكهها فأصاب بها فاحشة فعليها من الوزر ما على الرجل، وإن غلبها على نفسها كان على الرجل وزره ووزرها.

ومن لطم خدّ مسلم لطمة بدّد الله عظامه يوم القيامة ثمّ سلّط عليه النار وحشر مغلولاً حتّى يدخل النار.

ومن مشى في نميمة بين اثنين سلّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة، فإذا خرج من قبره سلّط الله تعالى عليه أسود ينهش لحمه حتّى يدخل النار.

ومن بغى على فقير وتطاول عليه واستحقره حشره الله تعالى يوم القيامة مثل الذرّة في صورة رجل حتّى يدخل النار.

ومن رمى محصناً أو محصنة أحبط الله تعالى عمله وجلّده يوم القيامة سبعون ألف ملك من بين يديه ومن خلفه ثمّ يؤمر به إلى النار.

ومن شرب الخمر في الدنيا سقاه الله عزّ وجلّ من سمّ الأساود[1].

ومن سمّ العقارب شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تفسّخ لحمه وجلده كالجيفة، يتأذّى به أهل الجمع حتّى يؤمر به إلى النار.

وشاربها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها سواء في عارها وإثمها، ألا ومن سقاها يهودياً أو نصرانياً أوصابياً أو من كان من الناس فعليه كوزر شربها.

---

(١) جمع الأسود: اللحية العظيمة السوداء. وفي المصدر: سم الأفاعي.

ومن شهد شهادة زور على رجل مسلم أو ذمّي أو من كان من الناس علّق بلسانه يوم القيامة وهو مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

ومن ملأ عينه من مرأة حراماً حشره الله يوم القيامة مسمّراً بمسامير من نار حتّى يقضي الله تعالى بين الناس ثمّ يؤمر به إلى النار.

ومن أطعم طعاماً رياءاً أو سمعةً أطعمه الله مثله من صديد جهنّم وجعل ذلك الطعام ناراً في بطنه حتّى يقضي بين الناس.

ومن تعلّم القرآن ثمّ نسيه متعمّداً لقى الله تعالى يوم القيامة مجذوماً مغلولاً ويسلّط عليه بكلّ آية حيّة موكّلة به.

ومن تعلّم فلم يعمل به وآثر عليه حبّ الدنيا وزينتها استوجب سخط الله عزّ وجلّ وكان في الدرك الأسفل مع اليهود والنصارى.

ومن قرأ القرآن يريد به السمعة والرياء بين الناس لقى الله عزّ وجلّ يوم القيامة ووجهه مظلم ليس عليه لحم، وزخّ القرآن في قفاه حتّى يدخله النار ويهوى فيها مع من يهوى.

ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول: ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا؟

فيقال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، فيؤمر به إلى النار؛ ومن تعلم القرآن يريد به رياءاً وسمعة ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو يطلب به الدنيا بدّد الله عزّ وجلّ عظامه يوم القيامة، ولم يكن في النار أشدّ عذاباً منه، وليس نوع من أنواع العذاب إلاّ يعذّب به من شدّة غضب الله وسخطه.

ومن صبر على سوء خلق امرأته احتساباً أعطاه الله تعالى بكلّ مرّة يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيّوب عليه السلام على بلائه فكان عليها من الوزر في كلّ يوم وليلة مثل رمل عالج[1] فإن مات قبل أن تعينه وقبل أنّ يرضى عنها حشرت يوم القيامة منكوسة مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

---

(١) أي رمل متراكم.

ومن تولّى عرافة[1] قوم حبس على شفير جهنّم بكلّ يوم ألف سنة، وحشر ويده مغلولة إلى عنقه، فأن قام فيهم بأمر الله أطلقه الله، وإن كان ظالماً هوى به في نار جهنّم سبعين خريفاً.

ومن مشى في عيب أخيه وكشف عورته كانت أوّل خطوة خطاها ووضعها في جهنّم، وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق.

ومن بنى على ظهر الطريق ما يأوى به عابر سبيل بعث الله عزّوجلّ يوم القيامة على نجيب من نور ووجهه يضيء لأهل الجمع نوراً حتّى يزاحم إبراهيم خليل الرحمن في قبّته، فيقول أهل الجمع: هذا ملك من الملائكة[2].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من صنع شيئاً للمفاخرة حشره الله يوم القيامة أسود[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يجيء يوم القيامة رجل إلى رجل حتّى يلطخه بدم والناس في الحساب فيقول: يا عبد الله ما لي ولك؟

فيقول: أعنت عليّ يوم كذا بكلمة فقتلت[4].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من نفس تقتل برّة ولا فاجرة إلاّ وهي تحشر يوم القيامة متعلّقاً بقاتله بيده اليمنى، ورأسه بيده اليسرى، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا ربّ سل هذا: فيم قتلني؟

فإن كان قتله في طاعة الله عزّوجلّ أُثيب القاتل وذهب بالمقتول إلى النار، وإن قال: في طاعة فلان قيل له: اقتله كما قتلك، ثمّ يفعل الله فيهما بعدُ مشيّته[5].

بإسناده عن الصادق، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: أقسم ربّي جل جلاله لا يشرب عبد لي خمراً في الدنيا إلاّ سقيته يوم القيامة مثل ما شرب منها من الحميم معذّباً بعد أو

(١) العرافة: تدبير أمور القوم والقيام بسياستهم.
(٢) ثواب الأعمال: ص ٣٦٩-٣٨٣، البحار: ج ٧، ص ٢١٣-٢١٦، باب ٧، ح ١١٦.
(٣) ثواب الأعمال: ص ٢٤٧. البحار: ج ٧، ص ٢١٦، باب ٧، ح ١١٨.
(٤) ثواب الأعمال: ص ٢٦٦، البحار: ج ٧، ص ٢١٧، باب ٧، ح ١٢٣.
(٥) ثواب الأعمال: ص ٢٦٧، البحار: ج ٧، ص ٢١٧، باب ٧، ح ١٢٤.

مغفوراً له؛ ثمّ قال: إنّ شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودًّا وجهه، مزرقة عيناه، مائلاً شدقه، سائلاً لعابه، دالعاً لسانه[١] من قفاه[٢].

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من آثر الدنيا على الآخرة حشره الله يوم القيامة أعمى[٣].

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من لقى المسلم بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار[٤].

وعن زيد بن عليّ، آبائه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه، وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتّى يلهبا جسده، ثمّ يقال له: هذا الّذي كان في الدنيا ذا وجهين ولسانين، يعرف بذلك يوم القيامة[٥].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أكل مال أخيه ظلماً ولم يردّ عليه أكل جذوة من نار يوم القيامة[٦].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سأل الناس وعنده وقت ثلاثة أيّام لقى الله عزّ وجلّ يوم يلقاه وليس على وجهه لحم[٧].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة لا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم:

١ - شيخ زان.

٢ - وملك جبّار.

٣ - ومقلّ مختال.

---

(١) دلع لسانه: أخرجه من فمه.

(٢) أمالي الصدوق، ص ٢٥٠، البحار: ج ٧، ص ٢١٧-٢١٨، باب ٧، ح ١٢٥.

(٣) البحار: ج ٧، ص ٢١٨، باب ٧، ح ١٢٧، تفسير فرات بن إبراهيم.

(٤) ثواب الأعمال وعقابها: ص ٢٥٩، البحار: ج ٧، ص ٢١٨، باب ٧، ح ١٢٩.

(٥) ثواب الأعمال: ص ٢٥٩، البحار: ج ٧، ص ٢١٨، باب ٧، ح ١٣٠.

(٦) ثواب الأعمال: ص ٢٦٢، البحار: ج ٧، ص ٢١٩، باب ٧، ح ١٣١.

(٧) ثواب الأعمال: ص ٢٦٥، البحار: ج ٧، ص ٢٢٢، باب ٧، ح ١٣٤.

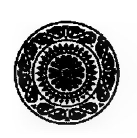
بإسناده عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاقّ، ومنّان، ومكذّب بالقدر، ومدمن خمر[١].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنّة، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلاّ صنف واحد، قلت: من هم؟

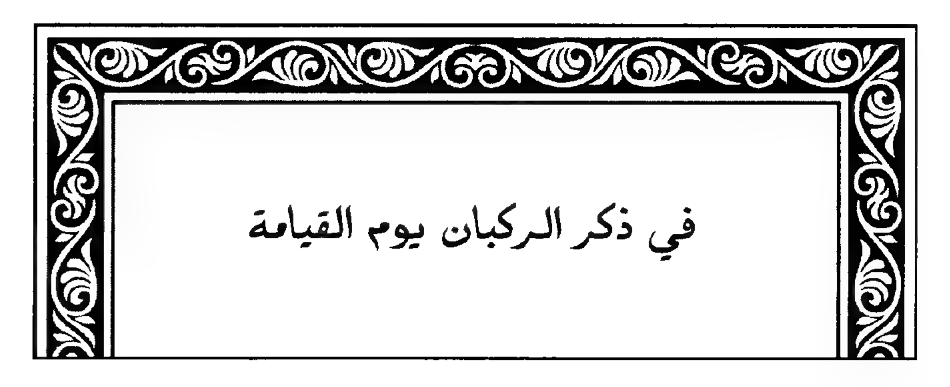
قال: العاقّ لوالديه[٢].

بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فترجّح مداد العلماء على دماء الشهداء[٣].

بإسناده عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله عزّ وجلّ يجمع العلماء يوم القيامة فيقول لهم: لم أضع نوري وحكمي في صدوركم إلاّ وأنا أريد بكم خير الدنيا والآخرة، اذهبوا فقد غفرت لكم على ما كان منكم[٤].



(١) أصول الكافي: ج ٢ ص ٣١١. البحار: ج ٧، ص ٢٢٣، باب ٧، ح ١٣٨.
(٢) الخصال: ج ١، ص ٩٤-٩٥. البحار: ج ٧، ص ٢٢٣، باب ٧، ح ١٣٩.
(٣) أصول الكافي: ج ٢، ص ٣٤٨، البحار: ج ٧، ص ٢٢٤، باب ٧، ح ١٤٢.
(٤) علل الشرائع: ص ١٦٠، البحار: ج ٧، ص ٢٢٦-٢٢٧، باب ٧، ح ١٤٥.



في ذكر الركبان يوم القيامة

عن إسحاق ابن سليمان الهاشميّ، عن أبيه، عن هارون الرشيد، عن أبيه المهديّ، عن الدوانيقيّ عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن عبد الله بن عبّاس، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا أيّها الناس نحن في القيامة ركبان أربعة ليس غيرنا، فقال له قائل: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله من الركبان؟

قال: أنا على البراق، وأخي صالح على ناقة الله الّتي عقرها قومه، وابنتي فاطمة على ناقتي العضباء، وعليّ بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنّة، خطامها من اللّؤلؤ الرطب، وعيناها من ياقوتتين حمراوين، وبطنها من زبرجد أخضر، عليها قبّة من لؤلؤة بيضاء يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، ظاهرها من رحمة الله، وباطنها من عفو الله، إذا أقبلت زفّت، وإذا أدبرت زفت، وهو أمامي، على رأسه تاج من نور يضيء لأهل الجمع ذلك التاج، له سبعون ركناً، كلّ ركن يضيء كالكوكب الدرّيّ في أفق السماء، بيده لواء الحمد، وهو ينادي في القيامة: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فلا يمرّ بملأ من الملائكة إلاّ قالوا: نبيّ مرسل، ولا يمرّ بنبيّ إلاّ يقول: ملك مقرّب، فينادي مناد من بطنان العرش: يا أيّها الناس ليس هذا ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، ولا حامل عرش، هذا عليّ بن أبي طالب؛ وتجيء شيعته من بعده فينادي مناد لشيعته: من أنتم؟

فيقولون: نحن العلويّون، فيأتيهم النداء: أيّها العلويّون أنتم آمنون ادخلوا الجنّة مع من كنتم توالون(١).

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا عليّ على نجيب من نور، وعلى رأسك تاج قد أضاء نوره وكاد يخطف أبصار أهل الموقف، فيأتي النداء من عند الله جلّ جلاله: أين خليفة محمّد رسول الله؟ فتقول: ها أناذا.

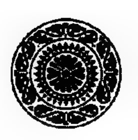
قال: فينادي: يا عليّ أدخل من أحبّك الجنّة ومن عاداك النار، فأنت قسيم الجنّة، وأنت قسيم النار(٢).

عن داود بن سليمان، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة، قال: فقام إليه رجل من الأنصار فقال: فداك أبي وأُمّي أنت ومن؟

قال: أنا على دابّة الله البراق، وأخي صالح على ناقة الله الّتي عقرت، وعمّي حمزة على ناقتي العضباء، وأخي عليّ بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنّة، وبيده لواء الحمد، واقف بين يدي العرش ينادي: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله.

قال: فيقول الآدميّون: ما هذا إلاّ ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو حامل عرش ربّ العالمين.

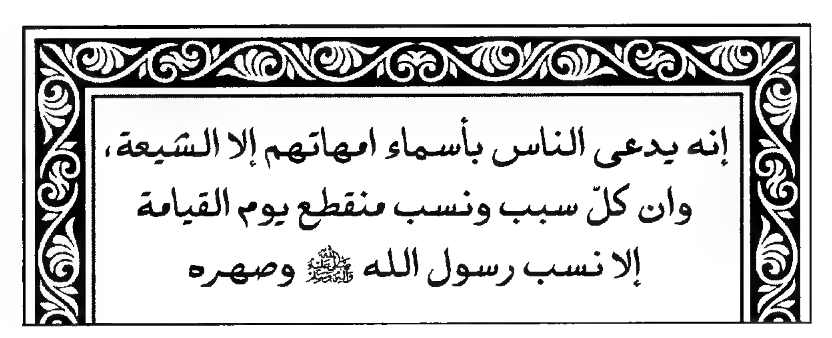
قال: فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش: معاشر الآدميّين! ما هذا ملكاً مقرباً، ولا نبيّاً مرسلاً ولا حامل عرش، هذا الصدّيق الأكبر، هذا عليّ بن أبي طالب(٣).



(١) مجالس المفيد: ص ١٥٩-١٦٠. أمالي الطوسي: ص ٢١-٢٢. البحار: ج ٧، ص ٢٣٠-٢٣١. باب ٨، ح ١.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢١٧. البحار: ج ٧، ص ٢٣٢-٢٣٣، باب ٨، ح ٣.

(٣) البحار: ج ٧، ص ٢٣٤، باب ٨، ح ٦. وأمالي الطوسي.



إنه يدعى الناس بأسماء امهاتهم إلا الشيعة، وان كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسب رسول الله ﷺ وصهره

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ يعني يوم القيامة لا يغني فيه أحد عن أحد، لا والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً كلّ امرىء تهمّه نفسه، إنّ وعد الله بالبعث والجزاء والثواب والعقاب حقّ لا خلف فيه.

عن عبيد الله بن عليّ، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: كلّ نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلاّ نسبي وسببي[١].

عن جابر الجعفيّ، عن الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله؛ قال أحمد: وحدّثنا عبيد الله بن محمّد الفزاريّ، عن جعفر بن محمّد، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ عليه السلام: ألا أسرّك؟ ألا أمنحك؟ ألا أُبشّرك؟

قال: بلى، قال: قال إنّي خلقت أنا وأنت من طينة واحدة وفضلت منها فضلة

(١) أمالي الطوسي: ص ٢١٧. البحار: ج ٧، ص ٢٣٨، باب ٩، ح ٢.

فخلق الله منها شيعتنا، فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسماء أُمّهاتهم سوى شيعتنا، فإنّهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم(١).

عن حمزة بن أبي سعيد الخدريّ، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: ما بال أقوام يقولون: إنّ رحم رسول الله ﷺ لا يشفع يوم القيامة؟! بلى والله إنّ رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، وإنّي أيّها الناس فرطكم يوم القيامة على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل: يا رسول الله أنا فلان بن فلان.

فأقول: أمّا النسب فقد عرفته، ولكنّكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقرى(٢).

عن يونس بن يعقوب البجليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دعي الخلائق بأسماء أُمّهاتهم إلاّ نحن وشيعتنا فإنّهم يدعون بأسماء آبائهم(٣).

فرات بن إبراهيم الكوفيّ معنعناً، عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾(٤).

قال: فقال: يا أصبغ ما سألني أحد عن هذه الآية، ولقد سألت رسول الله ﷺ عنها كما سألتني، فقال لي: سألت جبرئيل عنها، فقال: يا محمّد إذا كان يوم القيامة حشرك الله أنت وأهل بيتك ومن يتولاّك وشيعتك حتّى يقفوا بين يدي الله، فيستر الله عوراتهم ويؤمنهم من الفزع الأكبر بحبّهم لك ولأهل بيتك ولعليّ بن أبي طالب.

فقال: جبرئيل عليه السلام أخبرني فقال: يا محمد من اصطنع إلى أحد من أهل بيتك معروفاً كافيته يوم القيامة؛ يا عليّ شيعتك والله آمنون يرجون فيشفعون ويشفّعون، ثمّ قرأ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾(٥).

---

(١) أمالي الطوسي: ص ٢١٩. البحار: ج ٧، ص ٢٣٨، باب ٩، ح ٣.
(٢) مجالس المفيد: ص ٥٧-٥٨. البحار: ج ٧، ص ٢٣٩-٢٤٠. باب ٩، ح ٥.
(٣) المحاسن: ص ١٤١، البحار: ج ٧، ص ٢٤٠، باب ٩، ح ٦.
(٤) سورة النمل، الآية: ٨٩.
(٥) تفسير بن إبراهيم: ص ١١٥، البحار: ج ٧، ص ٢٤١، باب ٩، ح ١٠.



الـميزان

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ **[الأعراف: ٨-٩]**

قال الطبرسيّ رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾: ذكر فيه أقوال:

أحدها: أنّ الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وأنّه لا ظلم فيها على أحد.

وثانيها: أنّ الله ينصب ميزاناً له لسان وكفّتان يوم القيامة فتوزن به أعمال العباد: الحسنات والسيّئات عن ابن عبّاس والحسن، وبه قال الجبائيّ؛ واختلفوا في كيفيّة الوزن لأنّ الأعمال أعراض لا تجوز عليها الإعادة، ولا يكون لها وزن، ولا تقوم بأنفسها، فقيل: توزن صحائف الأعمال، عن ابن عمر وجماعة؛ وقيل: تظهر علامات للحسنات وعلامات للسيّئات في الكفّتين فتراها الناس، عن الجبائيّ؛ وقيل: تظهر للحسنات صورة حسنة، وللسيّئات صورة سيّئة، عن ابن عبّاس؛ وقيل: توزن نفس المؤمن والكافر، عن عبيد بن عمير، قال: يؤتى بالرجل العظيم الجثّة فلا يزن جناح بعوضة.

وثالثها: أنّ المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلّة كما قال سبحانه: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ فمن أتى بالعمل الصالح الّذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح، ومن أتى بالعمل السيّىء الّذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ إنّما جمع الموازين لأنّه يجوز أنّ يكون لكلّ نوع من أنواع الطاعات يوم القيامة ميزان، ويجوز أنّ يكون كلّ ميزان صنفاً من أصناف أعماله، ويؤيّد هذا ما جاء في الخبر، إنّ الصلاة ميزان فمن وفى استوفى.

وقال الرازيّ في تفسيره: في وزن الأفعال قولان:

الأوّل: في الخبر: أنّه تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفّتان يوم القيامة يوزن به أعمال العباد خيرها وشرّها، قال ابن عبّاس: أمّا المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفّة الميزان فتثقل حسناته على سيّئاته، فذلك قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون قال: وهذا كما قال في سورة الأنبياء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾.

وأمّا كيفيّة وزن الأعمال على هذا القول ففيه وجهان:

الأوّل: أنّ أعمال المؤمن تتصوّر بصورة حسنة، وأعمال الكافر تتصوّر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة كما ذكره ابن عبّاس.

والثاني: أنّ الوزن يعود إلى الصحف الّتي تكون فيها أعمال العباد مكتوبة.

وسئل رسول الله ﷺ عمّا يوزن يوم القيامة فقال: الصحف، وهذا القول مذهب المفسّرين في هذه الآية؛ وعن عبد الله بن سلام أنّ ميزان ربّ العالمين ينصب بين الجنّ والإنس يستقبل به العرش، إحدى كفّتي الميزان على الجنّة، والأُخرى على جهنّم، ولو وضعت السماوات والأرض في إحديهما لوسعتهنّ، وجبرئيل آخذ بعموده وينظر إلى لسانه(١).

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ويؤتى له تسعة وتسعون سجلّ، كلّ سجلّ منها مدّ البصر، فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفّة الميزان، ثمّ يخرج له قرطاس كالأنملة فيها شهادة أنّ لا إله إلاّ الله وأن محمّدا عبده ورسوله فيوضع في الآخر فيرجّح(٢).

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.
(٢) البحار: ج ٧، ص ٢٤٥، باب ١٠، ح ١.

وعن الحسن: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم واضع رأسه في حجر عائشة قد أُغفي إذ سالت الدموع من عينها فقال: ما أصابك؟ ما أبكاك؟

قالت: ذكرت حشر الناس وهل يذكر أحد أحداً؟

فقال لها: يحشرون حفاة عراة، وقرأ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ لا يذكر فيها أحداً عند الصحف وعند وزن الحسنات والسيّئات[1].

وعن عبيد بن عمير: يؤتى بالرجل العظيم الأكول الشروب فلا يكون له وزن بعوضة.

والقول الثاني: وهو قول مجاهد والضحّاك والأعمش أنّ المراد من الميزان العدل والقضاء، وكثير من المتأخّرين ذهبوا إلى هذا القول ومالوا إليه. أمّا بيان أنّ حمل لفظ الوزن على هذا المعنى جائز في اللّغة فلأنّ العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا، فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل، وممّا يقوّي ذلك أنّ الرجل إذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره يقال: إنّ فلان لا يقيم لفلان وزناً قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ ويقال أيضاً: فلان يستخفّ بفلان، ويقال: هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه أي يعادله ويساويه، مع أنّه ليس هناك وزن في الحقيقة، وقال الشاعر:

قد كنت قبل لقائكم ذا قوّة   عندي لكلّ مخاصم ميزانه

أراد: عندي لكلّ مخاصم كلام يعادل كلامه، فجعل الوزن مثلاً للعدل، إذا ثبت هذا وجب أنّ يكون المراد من الآية هذا المعنى فقط، والدليل عليه أنّ الميزان إنّما يراد ليتوصّل به إلى معرفة مقدار الشيء، ومقادير الثواب والعقاب لا يمكن إظهارها بالميزان، لأنّ أعمال العباد أعراض وهي قد فنيت وعدمت، ووزن المعدوم محال، وأيضا فبتقدير بقائها كان وزنها محالاً.

وأمّا قوله: الموزون صحائف الأعمال أو صور مخلوقة على حسب مقادير الأعمال فنقول: إنّ المكلف يوم القيامة إمّا أن يكون مقرًّا بأن الله تعالى عادل

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٤٥، باب ١٠، ح ١.

حكيم، أو لا يكون مقرّاً بذلك، فإن كان مقرًّا بذلك فحينئذ كفاه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في علمه بأنّه عدل وصواب، وإن لم يكن مقرًّا بذلك لم يعرف من رجحان كفّة الحسنات على كفّة السيّئات أو بالعكس حصول الرجحان، لاحتمال أنّه تعالى أظهر ذلك الرجحان لا على سبيل العدل والإنصاف، فثبت أنّ هذا الوزن لا فائدة فيه البتّة.

وأجاب الأوّلون وقالوا: إنّ جميع المكلّفين يعلمون يوم القيامة أنّه تعالى منزّه عن الظلم والجور، والفائدة في وضع ذلك الميزان أنّ يظهر ذلك الرجحان لأهل القيامة، فإن كان ظهور الرجحان في طرف الحسنات ازداد فرحه وسروره بسبب ظهور فضله وكمال درجته لأهل القيامة، وإن كان بالضدّ فيزداد غمّه وحزنه وحرقته وفضيحته في يوم القيامة.

ثمّ اختلفوا في كيفيّة ذلك الرجحان فبعضهم قال: يظهر هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيّئات، وآخرون قالوا: بل يظهر رجحان في الكفّة.

ثمَّ الأظهر إثبات موازين في يوم القيامة لا ميزان واحد، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

وقال في هذه الآية: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلّق بالقول ميزان آخر.

قال الزجّاج: إنّما جمع الله الموازين ههنا لوجهين:

الأوّل: أنّ العرب قد يوقع لفظ الجمع على الواحد فيقولون: خرج فلان إلى مكّة بالبغال.

والثاني: أنّ المراد بالموازين ههنا جمع موزون، والمراد الأعمال الموزونة، ولقائل أن يقول: هذان الوجهان يوجبان العدول عن ظاهر اللّفظ، وذلك إنّما يصار إليه عند تعذّر حمل الكلام على ظاهره، ولا مانع ههنا منه فوجب إجراء اللّفظ على حقيقته، فكما لم يمتنع إثبات ميزان له لسان وكفّتان فكذلك لا يمتنع إثبات موازين بهذه الصفة، فما الموجب لتركه والمصير إلى التاويل؟.

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ **[الكهف: ١٠٥]**

وقال في قوله عزّوجلّ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾: فيه وجوه:

الأوّل: إنّا نزدري بهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار.

الثاني: لا نقيم لهم ميزاناً لأنّ الميزان إنّما يوضع لأهل الحسنات والسيّئات من الموحّدين ليميّز مقدار الطاعات ومقدار السيّئات.

الثالث: قال القاضي: إنّ من غلب معاصيه صار ما فعله من الطاعة كأن لم يكن، فلا يدخل في الوزن شيء من طاعته، وهذا التفسير بناءاً على قوله: بالاحباط والتفكير.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾

[الأنبياء: ٤٧]

وقال في قوله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾: وصفها الله بذلك لأنّ الميزان قد يكون مستقيماً، وقد يكون بخلافه، فبيّن أنّ تلك الموازين تجري على حدّ العدل والقسط، وأكّد بقوله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾.

قال الفرّاء: القسط من صفة الموازين كقولك للقوم: أنتم عدل، وقال الزجّاج: ونضع الموازين ذوات القسط.

وقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال الفرّاء: في يوم القيامة، وقيل: لأهل يوم القيامة؛ ثمّ قال: قال أئمّة السلف، إنّه سبحانه يضع الموازين الحقيقيّة ويزن بها الأعمال، عن الحسن: وهو ميزان لها كفّتان ولسان وهو بيد جبرئيل عليه السلام [(١)].

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

وروي أنّ داود عليه السلام سأل ربّه أن يريه الميزان، فلمّا رأى غشي عليه ثمَّ أفاق فقال: يا إلهي من الّذي يقدر أنّ يزن بملء كفّته حسنات؟

فقال: يا داود إنّي إذا رضيت عن عبد ملأتها بتمرة(١).

ثم قال: على هذا القول في كيفيّة وزن الأعمال طريقان:

أحدهما: أنّ توزن صحائف الأعمال.

والثاني: أنّ يجعل في كفّة الحسنات جواهر بيض مشرقة، وفي كفّة السيّئات جواهر سود مظلمة؛ ثمَّ قال: والدليل على وجود الموازين الحقيقيّة أنّ العدول عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز، لا سيّما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة، وإنّما جمع الموازين لكثرة من يوزن أعمالهم وهذا تفخيم ويجوز أنّ يرجع إلى الوزنات.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ فالمعنى أنّه لا ننقص من إحسان محسن، ولا نزداد في إساءة مسيء.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-١١]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي رجحت حسناته وكثرت خيراته.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي معيشة ذات رضى يرضاها صاحبها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي خفّت حسناته وقلّت طاعاته.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي فمأواه جهنّم ومسكنه النار، وإنّما سمّاها أُمّه لأنّه يأوي إليها كما يأوي الولد إلى أُمّه؛ وقيل: إنّما قال: فأُمّه لأنّ العاصي يهوي على أُمّ رأسه في النار.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٤٧، باب ١٠، ح ١٠.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ هذا تفخيم وتعظيم لأمرها، والهاء للوقف، ثمَّ فسرها فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ أي هي نار حارّة شديدة الحرارة[1].

عن النبيّ ﷺ قال: إنّ الله يبعث يوم القيامة أقواماً يمتلىء من جهة السيّئات موازينهم فيقال لهم: هذه السيّئات فأين الحسنات؟ وإلاّ فقد عصيتم!

فيقولون: يا ربّنا ما نعرف لنا حسنات؛ فإذا النداء من قبل الله عزّ وجلّ: «لئن لم تعرفوا لأنفسكم عبادي حسنات فإنّي أعرفها لكم وأوفّرها عليكم»، ثمّ يأتي بصحيفة صغيرة يطرحها في كفّة حسناتهم فترجح بسيّئاتهم بأكثر ممّا بين السماء والأرض: فيقال لأحدهم: خذ بيد أبيك وأمك وإخوانك وأخواتك وخاصّتك وقراباتك وأخدامك ومعارفك فأدخلهم الجنّة.

فيقول أهل المحشر: يا ربّ أمّا الذنوب فقد عرفناها، فماذا كانت حسناتهم؟ فيقول الله عزّ وجلّ: يا عبادي مشى أحدهم ببقية دين لأخيه إلى أخيه فقال: خذها فإنّي أحبّك بحبّك عليّ بن أبي طالب.

فقال له الآخر: قد تركتها لك بحبّك عليّاً ولك من مالي ما شئت، فشكر الله تعالى ذلك لهما فحطّ به خطاياهما وجعل ذلك في حشو صحيفتهما وموازينهما، وأوجب لهما ولوالديهما الجنّة. ثمّ قال: يا بريدة يدخل النار ببغض عليّ أكثر من حصى الخذف[2] الّذي يرمى عند الجمرات، فإيّاك أنّ تكون منهم[3].

روى الصدوق في كتاب فضائل الشيعة بإسناده عن أبي جعفر الباقر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهنّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط[4].

روى هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: أو ليس توزن الأعمال؟

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

(٢) الخذف بالحصى هو الرميُ بها. وحصى الخذف هو الحصى الذي يرمى به.

(٣) البحار: ج ٧، ص ٢٤٨، ح ١.

(٤) البحار: ج ٧، ص ٢٤٨، باب ١٠، ح ٢.

قال: لا إنّ الأعمال ليست بأجسام، وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفّتها، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء، قال: فما معنى الميزان؟

قال: العدل. قال: فما معناه في كتابه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؟

قال: فمن رجّح عمله[1].

فيما كتب الرضا عليه السلام للمأمون: وتؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير والبعث بعد الموت والميزان والصراط؛ الخبر[2].

عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾.

قال: هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام [3].

عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يوضع في ميزان امرىء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق[4].

عن سعيد بن المسيّب، عن عليّ بن الحسين عليه السلام فيما كان يعظ به قال: ثمّ رجع القول من الله في الكتاب على أهل المعاصي والذنوب فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾[5] فإن قلتم أيّها الناس: إنّ الله عزّ وجلّ إنّما عنى بهذا أهل الشرك فكيف ذلك وهو يقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾[6]؟ اعملوا عباد الله أنّ أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين، وإنّما يحشرون إلى جهنم زمراً، وإنّما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام؛ الخبر[7].

---

(١) الاحتجاج: ص ١٩٢، البحار: ج ٧، ص ٢٤٨-٢٤٩، باب ١٠، ح ٣.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٢٦٨. البحار: ج ٧، ح ٢٤٩، باب ١٠، ح ٥.

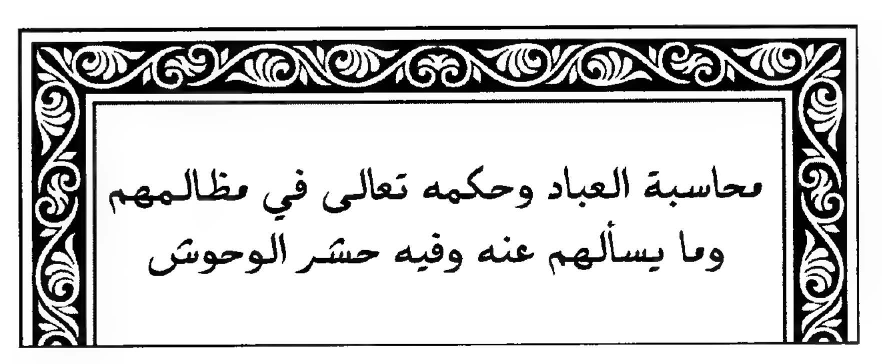
(٣) معاني الأخبار: ص ١٣، البحار: ج ٧، ص ٢٤٩، باب ١٠، ح ٦.

(٤) الكافي: ص ٩٩، البحار: ج ٧، ص ٢٤٩، باب ١٠، ح ٧.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٤٦.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٧) البحار: ج ٧، ص ٢٥٠، باب ١٠، ح ٨. والكافي.



محاسبة العباد وحكمه تعالى في مظالمهم وما يسألهم عنه وفيه حشر الوحوش

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾ أي حظّ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ ذكر فيه وجوه:

أحدها: أنّ معناه: سريع المجازاة للعباد على أعمالهم أنّ وقت الجزاء قريب، يجري مجرى قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ وعبّر عن الجزاء بالحساب لأنّ الجزاء كفاء العمل وبمقداره فهو حساب له، يقال: أحسبني الشيء: كفاني.

وثانيها: أنّ يكون المراد به أنّه يحاسب أهل الموقف في أوقات يسيرة، لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره، كما لا يشغله شأن عن شأن، وورد في الخبر: أنّ الله سبحانه يحاسب الخلائق كلّهم في مقدار لمح البصر، وروي بقدر حلب شاة.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: معناه أنّه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة.

وثالثها: أنّ معناه أنّه سبحانه سريع القبول لدعاء هؤلاء والإجابة لهم من غير احتباس فيه وبحث عن المقدار الّذي يستحقّه كلّ داع، ويقرب منه ما روي عن ابن عبّاس أنّه قال: يريد أنّه لا حساب على هؤلاء، إنّما يعطون كتبهم بأيمانهم فيقال لهم: هذه سيّئاتكم قد تجاوزت بها عنكم، وهذه حسناتكم قد ضاعفتها لكم.

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ﴾ أي تظهروا ما في أنفسكم وتعلنوه من الطاعة والمعصية ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي تكتموه.

﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ أي يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه؛ وقيل: معناه: إنّ تظهروا الشهادة أو تكتموها فإنَّ الله يعلم ذلك ويجازيكم به، عن ابن عبّاس وجماعة؛ وقيل: إنّها عامّة في الأحكام الّتي تقدّم ذكرها في السورة، خوّفهم الله تعالى من العمل بخلافها.

وقال قوم: إنّ هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ ورووا في ذلك خبراً ضعيفاً، وهذا لا يصحّ لأنّ تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ؟ وإنّما المراد بالآية ما يتناوله الأمر والنهي من الاعتقادات والإرادات وغير ذلك ممّا هو مستور عنّا، وأمّا ما لايدخل في التكليف من الوساوس والهواجس ممّا لا يمكن التحفّظ عنه من الخواطر فهو خارج عنه لدلالة العقل، ولقوله ﷺ: وتجوز لهذه الأُمّة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها، فعلى هذا يجوز أنّ تكون الآية الثانية بينت الاولى وأزالت توهم من صرف ذلك إلى غير وجهه وظن أنّ ما يخطر بالبال وتتحدث به النفس ممّا لا يتعلق به التكليف فأنَّ الله يؤاخذه به، والامر بخلاف ذلك.

وقوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ منهم رحمة وتفضّلاً ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ منهم ممّن استحقّ العقاب عدلاً[(١)].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المغفرة والغذاب عن ابن عبّاس ولفظ الآية عامّ في جميع الأشياء، والقول فيما يخطر بالبال من المعاصي أنّ الله سبحانه لا يؤاخذ به وإنّما يؤاخذ بما يعزم الإنسان ويعقد قلبه عليه مع إمكان التحفّظ عنه،

(١) في التفسير المطبوع: ممن يستحق العقاب عقلاً.

فيصير من أفعال القلب فيجازيه كما يجازيه على أفعال الجوارح، وإنّما يجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك المعصية[١]، لأنّه لم يباشرها، وهذا بخلاف العزم على الطاعة فإنّه يجازي على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة، كما جاء في الأخبار: إنّ المنتظر للصلاة في الصلاة ما دام ينتظرها، وهذا من لطائف نعم الله على عباده.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي ما من حيوان يمشي على وجه الأرض.

﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ جمع بهذين اللّفظين جميع الحيوانات، وإنّما قال: يطير بجناحيه للتأكيد ورفع اللّبس لأنّ القائل قد يقول: طر في حاجتي أي أسرع فيها، ﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾ أي أصناف مصنّفة تعرف بأسمائها يشتمل كلّ صنف على العدد الكثير ﴿أَمْثَالُكُم﴾ قيل: إنّه يريد: أشباهكم في إبداع الله إيّاها وخلقه لها ودلالتها على أنّ لها صانعاً.

وقيل: إنّما مثّلت الأمم من غير الناس بالناس في الحاجة إلى مدبّر يدبّرهم في أغذيتهم وأكلهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم إلى مراشدهم إلى ما لا يحصى كثرة من أحوالهم ومصالحهم، وأنّهم يموتون ويحشرون، وبيّن بهذا أنّه لا يجوز للعباد أنّ يتعدّوا في ظلم شيء منها، فإنّ الله خالقها والمنتصف لها.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ أي ما تركنا؛ وقيل: ما قصّرنا، والكتاب، القرآن لأنّ فيه جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين والدنيا إمّا مجملاً وإمّا مفصّلاً، والمجمل قد بيّنه على لسان نبيّه ﷺ وأمر باتّباعه في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الآية.

---

(١) فيه نظر وتأمل وقد فصل الكلام في ذلك في محله.

وقيل: المراد به اللّوح؛ وقيل: المراد به الأجل أي ما تركنا شيئاً إلاّ وقد أوجبنا له أجلاً ثمّ يحشرون جميعاً.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي يحشرون إلى الله بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد، فيعوّض الله تعالى ما يستحقّ العوض منها وينتصف لبعضها من بعض.

وفيما رووه عن أبي هريرة أنّه قال: يحشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدوابّ والطير وكلّ شيء فيبلغ من عدل الله يومئذٍ أنّ يأخذ للجمّاء من القرناء، ثمّ يقول: كوني تراباً. فلذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً[1].

وعن أبي ذرّ قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزان فقال النبيّ ﷺ: أتدرون فيما انتطحا؟

فقالوا: لا ندري.

قال: لكنّ الله يدري وسيقضي بينهما، وعلى هذا فإنّما جعلت أمثالنا في الحشر والقصاص؛ ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ واستدلّت جماعة من أهل التناسخ بهذه الآية على أنّ البهائم والطيور مكلفة لقوله: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ وهذا باطل لأنّا قد بيّنّا أنّها من أيّ جهة تكون أمثالنا، ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب أنّ تكون أمثالنا في كونها على مثل صورنا وهيئاتنا وخلقنا وأخلاقنا، فكيف يصحّ تكليف البهائم وهي غير عاقلة؟ والتكليف لا يصحّ إلاّ مع كمال العقل.

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]

قال الطبرسيُّ رحمه الله في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾: اقترب افتعل من القرب، والمعنى: اقترب للناس وقت حسابهم - يعني القيامة - أي وقت محاسبة الله إيّاهم ومساءلتهم عن نعمه هل قابلوها بالشكر؟ وعن أوامره هل امتثلوها؟ وعن نواهيه هل اجتنبوها؟ وإنّما وصف بالقرب لأنّ كلّ ما هو آت قريبٌ.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ من دنوّها وكونها ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن التفكّر فيها والتأهبّ لها؛ وقيل: عن الإيمان بها.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾: أي أعمالهم الّتي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيّبة في العاقبة كسراب، وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظنّ أنّه ماء يسرب أي يجري، والقيعة بمعنى القاع وهو الأرض المستوية؛ وقيل: جمعه كجار وجيرة.

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أي العطشان، وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدّة الخيبة عند مسيس الحاجة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ جاء ما توهّمه ماءاً، أو جاء موضعه.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما ظنّه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ عقابه أو زبانيته أو وجده محاسباً إيّاه.

﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ استعواضاً أو مجازاة ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لا يشغله حساب عن حساب.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾

[الطلاق: ٨-١٠]

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ أعرضت عنه إعراض العاتي المعاند ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاء والمناقشة.

﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ منكراً، والمراد حساب الآخرة وعذابها، والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبة كفرها ومعاصيها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ لا ربح فيه أصلاً.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: أي رجوعهم(١).

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]

وقال الطبرسيّ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: قال مقاتل: يعني كفّار مكّة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوافيه إذا لم يشكروا ربّ النعيم حيث عبدوا غيره وأشركوا به، ثمّ يعذّبون على ترك الشكر وهذا قول الحسن قال: لا يسأل عن النعيم إلاّ أهل النار.

وقال الأكثرون: إنّ المعنى: ثمّ لتسألنّ يا معاشر المكلّفين عن النعيم.

قال قتادة: إنّ الله سائل كلّ ذي نعمة عمّا أنعم عليه.

وقيل: عن النعيم في المأكل والمشرب وغيرهما من الملاذّ، عن سعيد بن جبير.

وقيل: النعيم: الصحّة والفراغ، عن عكرمة؛ وقيل: هو الأمن والصحّة، عن ابن مسعود ومجاهد، وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وقيل: يسأل عن كلّ نعيم إلاّ ما خصّه الحديث، وهو قوله عليه السلام: ثلاثة لا يسأل عنها العبد:

١ - خرقة يواري بها عورته.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

٢ - أو كسرة يسدُّ بها جوعته.

٣ - أو بيت يكنّه من الحرّ والبرد.

وروي أنّ بعض الصحابة أضاف النبيّ ﷺ مع جماعة من أصحابه فوجدوا عنده تمراً وماءاً بارداً فأكلوا فلمّا خرجوا قال: هذا من النعيم الّذي تسألون عنه(١).

وروى العيّاشيّ بإسناده في حديث طويل قال: سأل أبو حنيفة أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية، فقال له: ما النعيم عندك يا نعمان؟

قال: القوت من الطعام والماء البارد.

فقال: لئن أوقفك الله بين يديه يوم القيامة حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه.

قال: فما النعيم جعلت فداك؟

قال: نحن أهل البيت النعيم الّذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد ما كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم فجعلهم إخواناً بعد أنّ كانوا أعداءاً، وبنا هداهم الله للإسلام، وهو النعمة الّتي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الّذي أنعم به عليهم وهو النبيّ ﷺ وعترته عليهم السلام(٢).

عن رقيّة بنت إسحاق بن موسى بن جعفر، عن أبيها، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يسأل عن أربع:

١ - عن عمره فيما أفناه؟

٢ - وشبابه فيما أبلاه؟

٣ - وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه؟

٤ - وعن حبّنا أهل البيت(٣).

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٥٨.

(٢) البحار: ج ٧، ص ٢٥٨.

(٣) الخصال: ج ١، ص ١٢٠. أمالي الصدوق: ص ١٢٠-١٢١، البحار: ج ٧، ص ٢٥٨، باب ١١، ح ١.

عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال:

قال رسول الله ﷺ: لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله حتّى يسأله عن أربع خصال:

١ - عمرك فيما أفنيته؟

٢ - وجسدك فيما أبليته؟

٣ - ومالك من أين كسبته وأين وضعته؟

٤ - وعن حبّنا أهل البيت(١).

عن إسحاق، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من أهل الجنّة: فقير في الدنيا، وغنيّ في الدنيا.

فيقول الفقير: يا ربّ على ما أُوقف؟ فوعزّتك إنّك لتعلم أنّك لم تولّني ولاية فأعدل فيها أو أجور، ولم ترزقني مالاً فأُؤدي منه حقّاً أو أمنع، ولا كان رزقي يأتيني منها إلاّ كفافاً على ما علمت وقدّرت لي.

فيقول الله جلّ جلاله: صدق عبدي خلّوا عنه يدخل الجنّة، ويبقى الآخر حتّى يسيل منه من العرق ما لو شربه أربعون بعيراً لكفاها، ثمّ يدخل الجنّة، فيقول له الفقير: ما حبسك؟

فيقول: طول الحساب، ما زال الشيء يجيئني بعد الشيء يغفر لي، ثمّ اسأل عن شيء آخر حتّى تغمّدني الله عزّ وجلّ منه برحمة وألحقني بالتائبين، فمن أنت؟

فيقول: أنا الفقير الّذي كنت معك آنفاً.

فيقول: لقد غيّرك النعيم بعدي(٢).

عن حجر بن زائدة عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: يا بن رسول الله إنّ لي حاجة، فقال: تلقاني بمكّة.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٥٩، باب ١١، ح ٣، تفسير علي بن إبراهيم.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢١٦-٢١٧. البحار: ج ٧، ص ٢٥٩، باب ١١، ح ٤.

فقلت: يا بن رسول الله إنّ لي حاجة.

فقال: تلقاني بمنى.

فقلت: يابن رسول الله إنّ لي حاجة.

فقال: هات حاجتك.

فقلت: يا بن رسول الله إنّي أذنبت ذنباً بيني وبين الله لم يطّلع عليه أحد، فعظم عليّ وأجلك أن أستقبلك به.

فقال: إنّه إذا كان يوم القيامة وحاسب الله عبده المؤمن أوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثمّ غفرها له لا يطلع على ذلك ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً.

قال عمر بن إبراهيم: وأخبرني عن غير واحد أنّه قال: ويستر عليه من ذنوبه ما يكره أن يوقفه عليها، قال: ويقول لسيّئاته: كوني حسنات.

قال: وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

عن العلاء، عن محمّد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

فقال عليه السلام: يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتّى يقام بموقف الحساب فيكون الله تعالى هو الّذي يتولى حسابه، لا يطلع على حسابه أحداً من الناس، فيعرّفه ذنوبه حتّى إذا أقر بسيّئاته.

قال الله عزّ وجلّ للكتبة: بدّلوها حسنات، وأظهروها للناس.

فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيّئة واحدةٌ، ثمَّ يأمر الله به إلى الجنّة، فهذا تأويل الآية، وهي في المذنبين من شيعتنا خاصّة[3].

عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ محاسب معذّب.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٥٩-٢٦٠، باب ١١، ح ٥. وكتابي الحسين بن سعيد أو النوادر.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

(٣) أمالي الطوسي: ص ٤٤-٤٥. البحار: ج ٧، ص ٢٦٢، باب ١١، ح ١٢.

فقال له قائل: يا رسول الله فأين قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟

قال: ذاك العرض يعني التصفح[١].

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة فدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار نادى مناد من تحت العرش: تتاركوا المظالم بينكم فعليّ ثوابكم[٢].

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سئلنا الله أنّ يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثمّ قرأ أبو عبد الله عليه السلام: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[٣] [٤].

عن ابن أُذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في القضاء والقدر؟

قال: أقول: إنّ الله تعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عمّا عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم[٥].

أبي رفعه قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس إنّ الذنوب ثلاثة، ثمّ أمسك.

فقال له حبّة العرنيّ: يا أمير المؤمنين فسّرها لي.

فقال: ما ذكرتها إلاّ وأنا أُريد أنّ أُفسّرها، ولكنّه عرض لي بهرٌ حال بيني وبين الكلام، نعم الذنوب ثلاثة:

١ - فذنب مغفور.

٢ - وذنب غير مغفور.

٣ - وذنب نرجو ونخاف عليه.

---

(١) معاني الأخبار: ص ٧٦-٧٧. البحار: ج ٧، ص ٢٦٣، باب ١١، ح ١٧.

(٢) أمالي الطوسي: ص ٦١، البحار: ج ٧، ص ٢٦٤، باب ١١، ح ١٨.

(٣) سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥-٢٦.

(٤) أمالي الطوسي. البحار: ج ٧، ص ٢٦٤، باب ١١، ح ١٩.

(٥) التوحيد للصدوق: ص ٣٧٣-٢٧٤. البحار: ج ٧، ص ٢٦٤، باب ١١، ح ٢٠.

قيل: يا أمير المؤمنين فبيّنها لنا.

قال: نعم.

أمّا الذنب المغفور: فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا فالله أحكم وأكرم أن يعاقب عبده مرّتين.

وأمّا الّذي لا يغفر: فظلم (فمظالم خ ل) العباد بعضهم لبعض، إنّ الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه فقال: وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلّم ظالم ولو كفّ بكفّ، ولو مسحة بكفّ، ونطحة ما بين الشاة القرناء إلى الشاة الجمّاء فيقتص الله للعباد بعضهم من بعض حتّى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة، ثمّ يبعثهم الله إلى الحساب.

وأما الذنب الثالث: فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة فأصبح خاشعاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن له كما هو لنفسه، نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب[(١)].

عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة أشياء لا يحاسب العبد المؤمن عليهنّ:

١ - طعام يأكله.

٢ - وثوب يلبسه.

٣ - وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه[(٢)].

قال محمّد بن عيسى: وبهذا الإسناد أنّ أبا عبد الله عليه السلام قال لرجل شكاه بعض إخوانه: ما لأخيك فلان يشكوك؟

فقال: أيشكوني أنّ استقصيت حقّي؟!

قال: فجلس مغضباً ثمّ قال: كأنّك إذا استقصيت لم تسيء؟!

أرأيت ما حكى الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾[(٣)] أخافوا الله أنّ

---

(١) المحاسن: ص ٧، البحار: ج ٧، ص ٢٦٤-٢٦٥، باب ١١، ح ٢١.

(٢) المحاسن: ص ٣٩٩. البحار: ج ٧، ص ٢٦٥، باب ١١، ح ٢٣.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢١.

يجور عليهم؟ لا والله ما خافوا إلاّ الاستقصاء، فسمّاه الله سوء الحساب، فمن استقصي فقد أساء[١].

عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّما يداقّ الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا[٢].

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها[٣].

عن يونس بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الدواوين يوم القيامة ديوان فيه النعم، وديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيّئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم ديوان الحسنات، ويبقى ديوان السيّئات فيدعا ابن آدم المؤمن للحساب فيتقدّم القرآن أمامه في أحسن صورة، فيقول: يا ربّ أنا القرآن، وهذا عبدك المؤمن، قد كان يتعب نفسه بتلاوتي، ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا تهجّد، فأرضه كما أرضاني.

قال: فيقول العزيز الجبّار: أبسط يمينك فيملؤها من رضوان الله العزيز الجبّار، ويملؤ شماله من رحمة الله، ثمّ يقال: هذه الجنّة مباحة لك فاقرء واصعد، فإذا قرأ آية صعد درجة[٤].

عن ثوير بن أبي فاختة قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدّث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: حدّثني أبي أنّه سمع أباه عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحدّث الناس قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم غرلاً مهلاً جرداً مرداً في صعيد واحد يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتّى يقفوا على عقبة المحشر، فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها (عليها خ ل) فيمنعون من المضيّ فتشتدّ أنفاسهم، ويكثر عرقهم وتضيق بهم أُمورهم، ويشتدّ ضجيجهم، وترتفع أصواتهم، قال: وهو أوّل هول من أهوال يوم القيامة.

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٦٦-٢٦٧، باب ١١، ح ٢٩.
(٢) أصول الكافي: ج ١، ص ١١-١٢. البحار: ج ٧، ص ٢٦٧، باب ١١، ح ٣٢.
(٣) البحار: ج ٧، ص ٢٦٧، باب ١١، ح ٣٣. والتهذيب.
(٤) أصول الكافي: ج ٢، ص ٦٠٢. البحار: ج ٧، ص ٢٦٧-٢٦٨، باب ١١، ح ٣٤.

قال: فيشرف الجبّار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي فيهم: يا معشر الخلائق أنصتوا واستمعوا منّادي الجبّار.

قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم.

قال: فتنكسر أصواتهم عند ذلك، وتخشع أبصارهم، وتضطرب فرائصهم، وتفزع قلوبهم، ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي.

قال: فعند ذلك يقول الكافر: هذا يوم عسر.

قال: فيشرف الله عزّ وجلّ ذكره الحكم العدل عليهم فيقول: أنا الله لا إله إلاّ أنا الحكم العدل الّذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي، لا يظلم اليوم عندي أحد، اليوم آخذ للضعيف من القويّ بحقّه، ولصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيّئات، وأُثيب على الهبات، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولأحد عنده مظلمة إلاّ مظلمة يهبها لصاحبها وأُثيبه عليها وآخذ له بها عند الحساب، فتلازموا أيّها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا، وأنا شاهد لكم (بها خ ل) عليهم، وكفى بي شهيداً.

قال: فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حقّ إلاّ لزمه بها.

قال: فيمكثون ماشاء الله فيشتدّ حالهم، فيكثر عرقهم ويشتدّ غمّهم، وترتفع أصواتهم بضجيج شديد، فيتمنّون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها.

قال: ويطّلع الله عزّ وجلّ على جهدهم فينادي منّاد من عند الله تبارك وتعالى يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم: يا معاشر (معشر خ ل) الخلائق أنصتوا لداعي الله تبارك وتعالى واسمعوا، إنّ الله تبارك وتعالى يقول لكم: أنا الوهّاب، إنّ أحببتم أنّ تواهبوا فتواهبوا، وإن لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم.

قال: فيفرحون بذلك لشدّة جهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم.

قال: فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أنّ يتخلّصوا ممّا هم فيه، ويبقى بعضهم فيقولون: يا ربّ مظالمنا أعظم من أنّ نهبها.

قال: فينادي مناد من تلقاء العرش: أين رضوان خازن الجنان جنان الفردوس.

قال: فيأمره الله عزّ وجلّ أنّ يطلع من الفردوس قصراً[١] من فضّة بما فيه من الآنية والخدم.

قال: فيطلعه عليهم في حفافة القصر الوصائف[٢] والخدم.

قال: فينادي مناد من عند الله تبارك وتعالى: يا معشر الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر.

قال: فيرفعون رؤوسهم فكلّهم يتمنّاه.

قال: فينادي مناد من عند الله تبارك وتعالى: يا معشر الخلائق هذا لكلّ من عفى عن مؤمن.

قال: فيعفون كلّهم إلاّ القليل.

قال: فيقول الله عزّ وجلّ: لا يجوز إلى جنّتي اليوم ظالم ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم ولاحد من المسلمين عنده مظلمة حتّى يأخذها منه عند الحساب، أيّها الخلائق استعدّوا للحساب.

قال: ثمّ يخلّى سبيلهم فينطلقون إلى العقبة يكرد بعضهم بعضاً حتّى ينتهوا إلى العرصة، والجبّار تبارك وتعالى على العرش، قد نشرت الدواوين، ونصبت الموازين، وأُحضر النبيّون والشهداء وهم الأئمّة، يشهد كلّ إمام على أهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله عزّ وجلّ ودعاهم إلى سبيل الله.

قال: فقال له رجل من قريش: يا بن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة أيّ شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار؟

قال: فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يطرح عن المسلم من سيّئاته بقدر ماله على الكافر، فيعذّب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمته.

---

(١) أي يكشف من الفردوس قصراً.

(٢) جمع الوصيفة: الجارية.

قال: فقال له: القرشيّ، فإذا كانت المظلمة لمسلم عند مسلم كيف يؤخذ مظلمته من المسلم؟

قال: يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فيزاد على حسنات المظلوم.

قال: فقال له القرشيّ، فإن لم يكن للظالم حسنات؟

قال: إن لم يكن للظالم حسنات فإنّ للمظلوم سيّئات، يؤخذ من سيّئات المظلوم فيزاد على سيّئات الظالم(١).

قال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ألا وإنّ الظلم ثلاثة:

١ - فظلم لا يغفر.

٢ - وظلم لا يترك.

٣ - وظلم مغفور لا يطلب.

فأمّا الظلم الّذي لا يغفر: فالشرك بالله، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾(٢).

وأمّا الظلم الّذي يغفر: فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات.

وأمّا الظلم الّذي لا يترك: فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص هناك شديد، ليس هو جرحاً بالمدى ولا ضرباً بالسياط، ولكنّه ما يستصغر ذلك معه(٣).

سئل عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟

فقال: كما يرزقهم على كثرتهم.

قيل: فكيف يحاسبهم ولا يرونه؟

قال: كما يرزقهم ولا يرونه(٤).

---

(١) روضة الكافي: ص ١٠٤-١٠٦. البحار: ج ٧، ص ٢٦٨-٢٧٠، باب ١١، ح ٣٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) البحار: ج ٧، ص ٢٧١، باب ١١، ح ٣٦. ونهج البلاغة.

(٤) البحار: ج ٧، ص ٢٧١، باب ١١، ح ٣٧، ونهج البلاغة.

عن إبراهيم بن العبّاس الصوليّ قال: كنّا يوماً بين يدي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فقال: ليس في الدنيا نعيم حقيقيّ، فقال له بعض الفقهاء ممّن حضره.

فيقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1] أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد.

فقال له الرضا عليه السلام - وعلا صوته -: كذا فسّرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب.

فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب.

وقال آخرون: هو طيب النوم، ولقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

فغضب عليه السلام وقال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به ولا يمنّ بذلك عليهم، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عزّ وجلّ ما لا يرضى للمخلوقين به؟ ولكنّ النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوّة، لأنّ العبد إذا وفى بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الّتي لا تزول.

ولقد حدّثني بذلك أبي، عن أبيه، عن محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ عليهم السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا عليّ: إنّ أوّل ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أنّ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّك وليُّ المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك، فمن أقرَّ بذلك وكان يعتقده صار إلى النعيم الّذي لا زوال له؛ الخبر[2].

عن فلان بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الدواوين يوم القيامة ثلاثة:

١ - ديوان فيه النعم.

---

(١) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(٢) عيون أخبار الرضا: ص ٢٧٠-٢٧١. البحار: ج ٧، ص ٢٧٢-٢٧٣، باب ١١، ح ٤١.

٢ - وديوان فيه الحسنات.

٣ - وديوان فيه الذنوب.

فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فيستغرق عامّة الحسنات، وتبقى الذنوب[١].

كتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله بإسناده عن مسير قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: والله لا يرى منكم في النار إثنان، لا والله ولا واحد.

قال: قلت: فأين ذلك من كتاب الله؟

قال: فأمسك عنّي سنة.

قال: فإنّي معه ذات يوم في الطواف إذ قال لي: يا ميسر اليوم أُذن لي في جوابك عن مسألتك كذا.

قال: قلت: فأين هو من القرآن؟

قال: في سورة الرحمن وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾[٢].

فقلت له: ليس فيها «منكم».

قال: إنّ أوّل من غيرها ابن أروى، وذلك أنّها حجّة عليه وعلى أصحابه، ولو لم يكن فيها «منكم» لسقط عقاب الله عزّ وجلّ عن خلقه، إذ لم يسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ فلمن يعاقب إذاً يوم القيامة[٣]؟.

عن ابن يزيد رفعه، عن أحدهما عليهما السلام قال: يؤتى يوم القيامة بصاحب الدَّين يشكو الوحشة، فإن كانت له حسنات أُخذ منه لصاحب الدَّين، وقال: وإن لم تكن له حسنات أُلقي عليه من سيّئات صاحب الدَّين[٤].

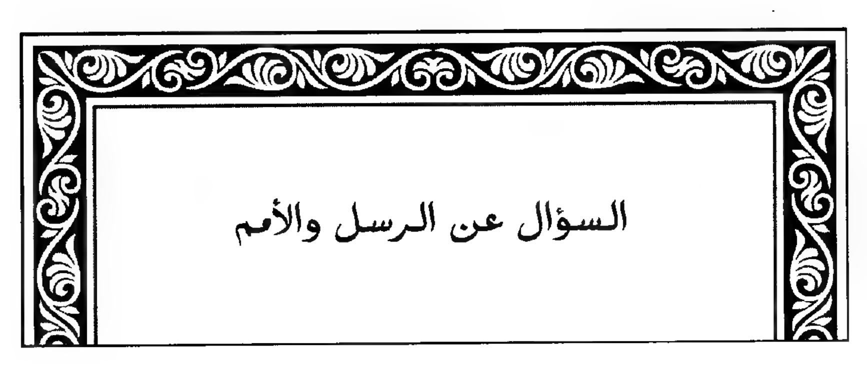
---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٧٣، باب ١١، ح ٤٤. وكتابي الحسين بن سعيد أو النوادر.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٩.

(٣) البحار: ج ٧، ص ٢٧٣-٢٧٤، باب ١١، ح ٤٥.

(٤) البحار: ج ٧، ص ٢٧٤، باب ١١، ح ٤٦، وعلل الشرائع.



السؤال عن الرسل والأمم

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]

قال الطبرسيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: أي ما الّذي أجابكم قومكم فيما دعوتموهم إليه؟ وهذا تقرير في صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند إظهار فضيحتهم على رؤوس الأشهاد.

﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ قيل: فيه أقوال:

أحدها: أنّ للقيامة أهوالاً حتّى تزول القلوب عن مواضعها، فإذا رجعت القلوب إلى مواضعها شهدوا لمن صدّقهم وعلى من كذّبهم، يريد أنّهم عزبت عنهم أفهامهم من هول يوم القيامة فقالوا: لا علم لنا.

وثانيا: أنّ المراد لا علم لنا كعلمك لأنّك تعلم غيبهم وباطنهم ولسنا نعلم غيبهم وباطنهم، وذلك هو الّذي يقع عليه الجزاء، واختاره الجبائيّ وأنكر القول الأوّل وقال: كيف يجوز ذهولهم من هول يوم القيامة مع قوله سبحانه: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ وقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؟ ويمكن أنّ يجاب عن ذلك بأنّ الفزع الأكبر دخول النّار.

وقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ هو كالبشارة بالنجاة من أهوال ذلك اليوم، مثل ما يقال للمريض: لا بأس عليك ولا خوف عليّك.

وثالثها: أنّ معناه لا حقيقة لعلمنا إذ كنّا نعلم جوابهم وما كان من أفعالهم

وقت حياتنا، ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا[1]، وإنّما الثّواب والجزاء يستحقّان بما تقع به الخاتمة ممّا يموتون عليه.

ورابعها: أنّ المراد لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا، فحذف لدلالة الكلام عليه.

وخامسها: أنّ المراد به تحقيق فضيحتهم، أي أنت أعلم بحالهم منّا، ولا تحتاج في ذلك إلى شهادتنا.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف: ٦-٧]

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أقسم الله سبحانه أنّه يسأل المكلّفين الّذين أرسل إليهم رسله، وأقسم أيضاً أنّه يسأل المرسلين الّذين بعثهم، فيسأل هؤلاء عن الإبلاغ وأولئك عن الامتثال، وهو تعالى وإن كان عالماً بما كان منهم فإنّما أخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتأهّب العباد بحسن الاستعداد لذلك السؤال.

وقيل: إنّه يسأل الأمم عن الإجابة، ويسأل الرسل ماذا عملت أُممهم فيما جاؤوا به.

وقيل: إنّ الأُمم يسألون سؤال توبيخ، والأنبياء يسألون سؤال شهادة على الحقّ..

وأمّا فائدة السؤال فأشياء: منها أن تعلم الخلائق أنّه سبحانه أرسل الرسل وأزاح العلّة، وأنّه لا يظلم أحداً، ومنها أنّ يعلموا أنّ الكفّار استحقّوا العذاب بأفعالهم، ومنها أنّ يزداد سرور أهل الإيمان بالثناء الجميل عليهم، ويزداد غمّ الكفّار بما يظهر من أعمالهم القبيحة، ومنها أنّ ذلك لطف للمكلّفين إذا أُخبروا به.

وممّا يسأل على هذا أن يقال: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن

---

(١) يؤيد ذلك قول عيسى بن مريم: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[١]، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾[٢]، وقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤]؟

والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنّه سبحانه نفى أنّ يسألهم سؤال استرشاد واستعلام وإنّما يسألهم سؤال تبكيت وتقريع، ولذلك قال عقيبه: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ﴾[٥] وأمّا سؤال المرسلين فهو توبيخ للكفّار وتقريع لهم.

وثانيها: أنّهم إنّما يسألون يوم القيامة كما قال: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٦] ثمّ تنقطع مسألتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النّار.

وثالثها: أنّ في القيامة مواقف ففي بعضها يسأل وفي بعضها لا يسأل فلا تضادّ.

وأمّا الجمع بين قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[٧] وقوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾[٨] فهو أنّ الأوّل معناه أنّهم لا يتساءلون سؤال استخبار عن الحال الّتي جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك.

والثّاني: معناه يسأل بعضهم بعضاً سؤال تلاوم كما قال في موضع آخر: ﴿يَتَلَـٰوَمُونَ﴾[٩] وكقوله: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾[١٠] ومثل ذلك كثير في القرآن.

ثمّ بيّن سبحانه ما ذكرناه أنّه لا يسألهم سؤال استعلام بقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ أي لنخبرنّهم بجميع أفعالهم ليعلموا أنّ أعمالهم كانت محفوظة، وليعلم كلّ منهم جزاء عمله وأنّه لا ظلم عليه، وليظهر لأهل الموقف أحوالهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ «بعلم» قيل: معناه: نقصّ عليهم أعمالهم بأنّا عالمون بها؛ قيل: معناه: بمعلوم كما قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي من معلومه، وقال ابن عبّاس: معنى قوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ ينطق: عليهم كتاب أعمالهم، كقوله سبحانه: ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[١١].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٨.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٦.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٢.
(٥) سورة الرحمن، الآية: ٤١.
(٦) سورة الصافات، الآية: ٢٤.
(٧) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.
(٨) سورة الصافات، الآية: ٥٠.
(٩) سورة القلم، الآية: ٣٠.
(١٠) سورة سبأ، الآية ٣٢.
(١١) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن علم ذلك؛ وقيل: عن الرسل فيما بلّغوا، وعن الأُمم فيما أجابوا، وذكر ذلك مؤكّداً لعلمه بأحوالهم، والمعنى أنّه لا يخفى عليه شيء[1].

عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ماذا أجبتم في أوصيائكم؟ فيقولون: لا علم لنا بما فعلوا بعدنا بهم[2].

عن يوسف بن أبي سعيد قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقال لي: إذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائق كان نوح صلّى الله عليه أوّل من يدعا به، فيقال له: هل بلّغت؟

فيقول: نعم.

فيقال له: من يشهد لك؟

فيقول: محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

قال: فيخرج نوح صلّى الله عليه فيتخطّى الناس حتّى يجيء إلى محمّد صلى الله عليه وآله وهو على كثيب المسك ومعه عليٌّ عليه السلام وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[3].

فيقول نوح لمحمّد صلى الله عليه وآله: يا محمّد إنّ الله تبارك وتعالى سألني: هل بلّغت؟

فقلت: نعم.

فقال: من يشهد لك؟

فقلت: محمّد.

فيقول: يا جعفر ويا حمزة اذهبا واشهدا له أنّه قد بلّغ.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء عليهم السلام بما بلّغوا.

فقلت: جعلت فداك فعليٌّ عليه السلام أين هو؟

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ١٧٧. البحار: ج ٧، ص ٢٨٠، باب ١٢، ح ٢.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٧.

فقال: هو أعظم منزلة من ذلك[١].

عن يزيد الكناسيّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾.

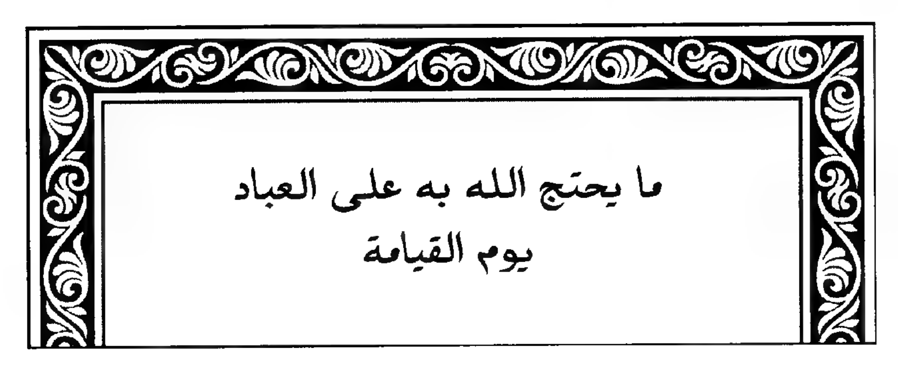
قال: فقال: إنّ لهذا تأويلاً، يقول: ماذا أُجبتم في أوصيائكم الّذين خلّفتموهم على أُممكم؟

قال: فيقولون: لا علم لنا بما فعلوا بعدنا[٢].

عن عليّ بن الحسين، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: إذا كان يوم القيامة ونصبت الموازين وأُحضر النبيّون والشهداء - وهم الأئمّة - يشهد كلّ إمام على أهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله عزّ وجلّ، ودعاهم إلى سبيل الله؛ الخبر[٣].



(١) البحار: ج ٧، ص ٢٨٢-٢٨٣، باب ١٢، ح ٤. وأصول الكافي.
(٢) البحار: ج ٧، ص ٢٨٣، باب ١٢، ح ٥.
(٣) روضة الكافي: ص ١٠٦. البحار: ج ٧، ص ٢٨٣، باب ١٢، ح ٦.



ما يحتج الله به على العباد يوم القيامة

عن ابن زياد قال: سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(١) فقال: إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي! أكنت عالماً؟

فإن قال: نعم قال له: أفلا عملت بما علمت؟

وإن قال: كنت جاهلاً قال له: أفلا تعلّمت حتّى تعمل؟ فيخصم فتلك الحجّة لله عزّ وجلّ على خلقه(٢).

عن معاوية بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الرجل منكم ليكون في المحلّة فيحتجُّ الله يوم القيامة على جيرانه فيقال لهم: ألم يكن فلان بينكم؟ ألم تسمعوا كلامه؟ ألم تسمعوا بكاءه في اللّيل؟ فيكون حجّة الله عليهم(٣).

عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة الّتي قد افتتنت في حسنها فتقول: يا ربّ حسّنت خلقي حتّى لقيت ما لقيت.

فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ قد حسّنّاها فلم تفتتن، ويجاء بالرجل الحسن الّذي قد افتتن في حسنه فيقول: ياربّ حسّنت خلقي حتّى لقيت من النساء ما لقيت.

---

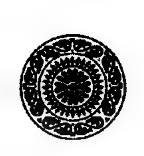
(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

(٢) البحار: ج ٧، ص ٢٨٥، باب ١٣، ح ١. ومجالس المفيد. وأمالي الطوسي.

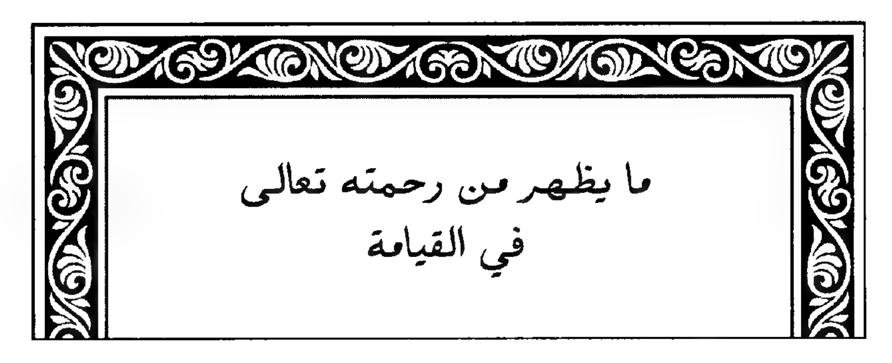
(٣) روضة الكافي، ص ٨٤. البحار: ج ٧، ص ٢٨٥، باب ١٣، ح ٢.

فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسّنّاه فلم يفتتن، ويجاء بصاحب البلاء الّذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول: يا ربِّ شدّدت عليَّ البلاء حتّى افتتنت.

فيجاء بأيّوب عليه السلام فيقال: أبليّتك أشدّ أو بليّة هذا؟ فقد ابتلي فلم يفتتن[١].



(١) روضة الكافي: ص٢٢٨-٢٢٩. البحار: ج٧/ ص٢٨٥-٢٨٦. باب ١٣. ح٣.



ما يظهر من رحمته تعالى في القيامة

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨]

قال البيضاويّ في قوله سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنّة.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أشياء لم يعدهم على أعمالهم ولم يخطر ببالهم.

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تقرير للزيادة، وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيّة وسعة الإحسان.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾: قال قتاده: التبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه، والخير يعمله بعد الشرّ.

وقيل: يبدّلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام.

وقيل: إنّ معناه أن يمحو السيّئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة، واحتجّوا بما رواه مسلم في الصحيح مرفوعاً إلى أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى

بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ونحّوا عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا وهو مقرّ لا ينكر وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كلّ سيّئة عملها حسنة.

فيقول: إنّ لي ذنوباً ما أراها ههنا.

قال: ولقد رأيت رسول ﷺ ضحك حتّى بدت نواجذه[1].

عن إبراهيم بن زياد الكرخيّ قال: قال الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتّى يطمع إبليس في رحمته[2].

عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة تجلّى الله عزّ وجلّ لعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثمَّ يغفر الله له لا يطلع الله على ذلك ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً، ويستر عليه ما يكره أنّ يقف عليه أحد، ثم يقول لسيئاته: كوني حسنات[3].

عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ آخر عبد يؤمر به إلى النّار يلتفت فيقول الله عزّ وجلّ: أعجلوه، فإذا أُتي به قال له: يا عبدي لمَ التفتَّ؟

فيقول: يا ربّ ما كان ظنّي بك هذا، فيقول الله جلّ جلاله: عبدي وما كان ظنّك بي؟

فيقول: يا ربّ كان ظنّي بك أنّ تغفر لي خطيئتي وتسكنني (وتدخلني خ ل) جنّتك.

فيقول الله: ملائكتي! وعزّتي والآئي وبلائي وارتفاع مكاني ما ظنّ بي هذا ساعة من حياته خيراً قطّ، ولو ظنّ بي ساعة من حياته خيراً ما روّعته بالنار، أجيزوا له كذبه وأدخلوه الجنّة.

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٢٨٦.

(٢) أمالي الصدوق: ص ١٢٣، البحار: ج ٧، ص ٢٨٧، باب ١٤، ح ١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٢٠١. البحار: ج ٧، ص ٢٨٧، باب ١٤، ح ٢.

ثمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام: ما ظنّ عبد بالله خيراً إلاّ كان الله عند ظنّه به، ولا ظنّ به سوءاً إلاّ كان الله عند ظنه به، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] [2].

عن ابن محبوب، عن ابن رئاب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يؤتى بعبد يوم القيامة ظالم لنفسه فيقول الله له: ألم آمرك بطاعتي؟ ألم أنهك عن معصيتي؟

فيقول: بلى يا ربّ ولكن غلبت عليَّ شهوتي، فإن تعذّبني فبذنبي لم تظلمني، فيأمر الله به إلى النّار، فيقول: ما كان هذا ظنّي بك.

فيقول: ما كان ظنّك بي؟

قال: كان ظنّي بك أحسن الظنّ، فيأمر الله به إلى الجنّة.

فيقول الله تبارك وتعالى: لقد نفعك حسن ظنّك بي الساعة[3].

عن سليمان بن خالد قال: قرأت على أبي عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فقال: هذه فيكم، إنّه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتّى يوقف بين يدي الله عزّ وجلّ، فيكون هو الّذي يلي حسابه فيوقفه على سيّئاته شيئاً شيئاً.

فيقول: عملت كذا في يوم كذا في ساعة كذا.

فيقول: أعرف يا ربّ.

قال: حتّى يوقفه على سيّئاته كلّها، كلّ ذلك يقول: أعرف.

فيقول: سترتها عليك في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، أبدلوها لعبدي حسنات.

قال: فترفع صحيفته للنّاس فيقولون: سبحان الله! أما كانت لهذا العبد سيّئة واحدة؟! وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[4].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٣.

(٢) ثواب الأعمال: ص ١٦٧، البحار: ج ٧، ص ٢٨٧-٢٨٨، باب ١٤، ح ٣.

(٣) المحاسن: ص ٢٥-٢٦. البحار: ج ٧، ص ٢٨٨، باب ١٤، ح ٤.

(٤) البحار: ج ٧، ص ٢٨٨، باب ١٤، ح ٥. والمحاسن.

عن أيّوب بن أعين، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يؤتى يوم القيامة برجل فيقال: احتجّ.

فيقول: يا ربّ خلقتني وهديتني فأوسعت عليَّ، فلم أزل أُوسّع على خلقك وأيسر عليهم لكي تنشر عليّ هذا اليوم رحمتك وتيسّره.

فيقول الربُّ جلّ ثناؤه وتعالى ذكره: صدق عبدي أدخلوه الجنّة(١).

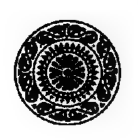
عن الرضا عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة أُوقف المؤمن بين يدي الله تعالى فيكون هو الّذي يلي حسابه، فيعرض عليه عمله فينظر في صحيفته فأوّل ما يرى سيّئاته فيتغيّر لذلك لونه وترعش فرائصه وتفزع نفسه، ثمّ يرى حسناته فتقرّ عينه وتسرّ نفسه ويفرح، ثمّ ينظر إلى ما أعطاه الله تعالى من الثواب فيشتدّ فرحه، ثمّ يقول الله تعالى للملائكة: احملوا الصحف الّتي فيها الأعمال الّتي لم يعملوها.

قال: فيقرؤونها فيقولون: وعزّتك إنّك لتعلم أنّا لم نعمل منها شيئاً، فيقول: صدقتم ولكنّكم نويتموها فكتبناها لكم، ثمّ يثابون عليها(٢).

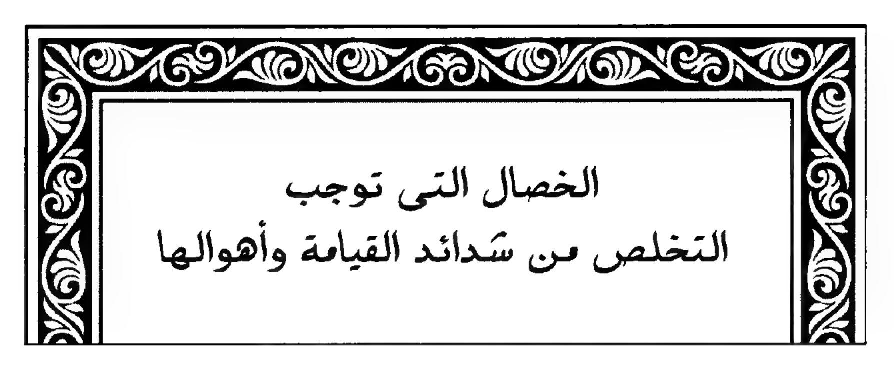
ابن أبي عمير رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يؤتى بعبد يوم القيامة ليست له حسنة فيقال له: اذكر وتذكّر هل لك حسنة؟

قال: فيذكر فيقول: يا ربّ مالي من حسنة إلاّ أنّ عبدك فلاناً المؤمن مرّ بي فطلب منّي ماءاً يتوضّأ به فيصلّي به فأعطيته.

قال: يقول الله تبارك وتعالى: أدخلوا عبدي الجنّة(٣).



(١) البحار: ج ٧، ص ٢٨٨-٢٨٩. باب ١٤، ح ٦. وروضة الكافي.
(٢) البحار: ج ٧، ص ٢٨٩، باب ١٤، ح ٧. وتفسير علي بن إبراهيم.
(٣) البحار: ج ٧، ص ٢٩٠، باب ١٤، ح ٩. والنوادر للحسين بن سعيد.



الخصال التي توجب التخلص من شدائد القيامة وأهوالها

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: كنّا عند رسول الله ﷺ يوماً فقال: إني رأيت البارحة عجائب، قال: فقلنا: يا رسول الله وما رأيت؟ حدّثنا به فداك أنفسنا وأهلونا وأولادنا.

فقال: رأيت رجلاً من أُمّتي وقد أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه برّه بوالديه فمنعه منه.

ورأيت رجلاً من أُمّتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فمنعه منه.

ورأيت رجلاً من أُمّتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عزّ وجلّ فنجّاه من بينهم.

ورأيت رجلاً من أُمّتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فمنعته منهم.

ورأيت رجلاً من أُمّتي يلهث عطشاً كلّما وردّ حوضاً منع فجاءه صيام شهر رمضان فسقاه وأرواه.

ورأيت رجلاً من أُمّتي والنبّيون حلقاً حلقاً كلّما أتى حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي.

ورأيت رجلاً من أُمّتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن تحته ظلمة مستنقعاً في الظلمة، فجاءه حجّه وعمرته فأخرجاه من الظّلمة وأدخلاه النّور.

ورأيت رجلاً من أُمّتي يكلّم المؤمنين فلا يكلّمونه فجاءه صلته للرحم فقال: يا معشر المؤمنين كلّموه فإنّه كان واصلاً لرحمه فكلّمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم.

ورأيت رجلاً من أُمّتي يتّقي وهج النيران وشررها بيده ووجهه فجاءته صدقته فكانت ظلاً على رأسه وستراً على وجهه.

ورأيت رجلاً من أُمّتي قد أخذته الزبانية من كلّ مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فخلّصاه من بينهم وجعلاه مع ملائكة الرحمة.

ورأيت رجلاً من أُمّتي جاثياً على ركبتيه، بينه وبين رحمة الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله في رحمة الله.

ورأيت رجلاً من أُمّتي قد هوت صحيفته قبل شماله فجاءه خوفه من الله عزّوجلّ فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.

ورأيت رجلاً من أُمّتي قد خفّت موازينه فجاءه أفراطه فثقّلوا موازينه.

ورأيت رجلاً من أُمّتي قائماً على شفير جهنّم فجاءه رجاؤه من الله عزّوجلّ فاستنقذه من ذلك.

ورأيت رجلاً من أُمّتي قد هوى في النّار فجاءته دموعه الّتي بكى من خشية الله فاستخرجته من ذلك؛ ورأيت رجلاً من أُمّتي على الصّراط يرتعد كما ترتعد السّعفة في يوم ريح عاصف فجاءه حسن ظنّه بالله فسكّن رعدته ومضى على الصّراط.

ورأيت رجلاً من أُمّتي على الصّراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً ويتعلّق أحياناً فجاءته صلاته عليّ فأقامته على قدميه ومضى على الصّراط.

ورأيت رجلاً من أُمّتي انتهى إلى أبواب الجنّة كلّما انتهى إلى باب أُغلق دونه فجاءته شهادة أنّ لا إله إلاّ الله صادقاً بها ففتحت له الأبواب ودخل الجنّة[١].

عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن فإنّ صدقته تظلّه[٢].

عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: من قرأ سورة الأعراف في كلّ شهر كان يوم القيامة من الآمنين الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإن قرءها في كلّ

(١) أمالي الصدوق: ص ١٣٩-١٤٠. البحار: ج ٧، ٢٩٠-٢٩١، باب ١٥، ح ١.

(٢) البحار: ج ٧، ص ٢٩١، باب ١٥، ح ٢. وروضة الكافي.

جمعة كان ممّن لا يحاسب يوم القيامة، أما إنّ فيها محكماً فلا تدعوا قراءتها فإنّها تشهد يوم القيامة لمن قرءها(١).

وعنه عليه السلام : من قرأ سورة يونس في كلّ شهرين أو ثلاثة لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين، وكان يوم القيامة من المقرّبين(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام : من قرأ سورة هود في كلّ جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيّين، ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة يوسف في كلّ يوم أو في كلّ ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله كجمال يوسف، ولا يصيبه فزع يوم القيامة(٤).

وعنه عليه السلام : من أكثر قراءة سورة الرعد وكان مؤمناً دخل الجنّة بغير حساب، وشفّع في جميع من يعرف من أهل بيته وإخوانه(٥).

وعنه عليه السلام : من قرأ سورة الكهف كلّ ليلة جمعة لم يمت إلاّ شهيداً، وبعثه الله يوم القيامة مع الشّهداء، ووقف يوم القيامة مع الشّهداء(٦).

وعنه عليه السلام : من أدمن قراءة سورة مريم كان في الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم، وأُعطي في الآخرة ملك سليمان في الدّنيا(٧).

وعنه عليه السلام : من أدمن قراءة طه أعطاه الله يوم القيامة كتابه بيمينه، ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام، وأُعطي في الآخرة حتّى يرضى(٨).

وعن أبي الحسن عليه السلام : من قرأ سورة الفرقان في كلّ ليلة لم يعذّبه الله أبداً ولم يحاسبه، وكان منزله في الفردوس الأعلى(٩).

---

(١) ثواب الأعمال: ص ١٠٢، البحار: ج ٧، ص ٢٩٣، باب ١٥، ح ٦.
(٢) ثواب الأعمال: ص ١٠٢-١٠٣، البحار: ج ٧، ص ٢٩٣، باب ١٥، ح ٧.
(٣) ثواب الأعمال: ص ١٠٣، البحار: ج ٧، ص ٢٩٣، باب ١٥، ح ٨.
(٤) ثواب الأعمال: ص ١٠٣، البحار: ج ٧، ص ٢٩٣، باب ١٥، ح ٩.
(٥) ثواب الأعمال: ص ١٠٣، البحار: ج ٧، ص ٢٩٣، باب ١٥، ح ١٠.
(٦) ثواب الأعمال: ص ١٠٤، البحار: ج ٧، ص ٢٩٤، باب ١٥، ح ١١.
(٧) ثواب الأعمال: ص ١٠٤، البحار: ج ٧، ص ٢٩٤، باب ١٥، ج ١٢.
(٨) ثواب الأعمال: ص ١٠٤، البحار: ج ٧، ص ٢٩٤، باب ١٥، ح ١٣.
(٩) ثواب الأعمال: ص ١٠٥، البحار: ج ٧، ص ٢٩٤، باب ١٥، ح ١٤.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: من قرأ سورة السّجدة في كلّ ليلة جمعة أعطاه الله كتابه بيمينه، ولم يحاسبه بما كان منه، وكان من رفقاء محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام (١).

وعنه عليه السلام: من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمّد صلى الله عليه وآله وأزواجه(٢).

وعنه عليه السلام في فضل قراءة سورة يس - وساق الحديث إلى أنّ قال -: ولم يزل في قبره نور ساطع إلى أعنان السّماء إلى أن يخرجه من قبره، فإذا أخرجه لم تزل ملائكة الله تعالى معه يشيّعونه ويحدّثونه ويضحكون في وجهه ويبشّرونه بكلّ خير حتّى يتجاوزوا به الميزان والصّراط، ويوقفوه من الله موقفاً لا يكون عند الله خلق أقرب منه إلا ملائكة الله المقرّبون وأنبياؤه المرسلون، وهو مع النبيّين واقف بين يدي الله، لا يحزن مع من يحزن، ولا يهتمّ مع من يهتمّ، ولا يجزع مع من يجزع، ثمّ يقول له الربُّ تبارك وتعالى: اشفع عبدي أُشفّعك في جميع ما تشفع، وسلني عبدي أُعطك جميع ما تسأل، فيسأل فيعطى، ويشفع فيشفّع، ولا يحاسب فيمن يحاسب، ولا يوقف مع من يوقف، ولا يذلُّ مع من يذلّ، ولا ينكب بخطيئة ولا شيء من سوء عمله، ويعطى كتاباً منشوراً حتّى يهبط من عند الله فيقول النّاس بأجمعهم: سبحان الله ما كان لهذا العبد من خطيئة واحدة؟! ويكون من رفقاء محمّد صلى الله عليه وآله (٣).

وعنه عليه السلام: من قرأ حم السّجدة كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً(٤).

وعنه عليه السلام: من أدمن قراءة حمعسق بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالثلج أو كالشّمس حتّى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ، فيقول: أدمنت عبدي قراءة حمعسق ولم تدر ما ثوابها؟ أما لو دريت ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها، ولكن

(١) ثواب الأعمال: ص ١٠٦، البحار: ج ٧، ص ٢٩٤، باب ١٥، ح ١٥.
(٢) ثواب الأعمال: ص ١٠٦-١٠٧. البحار: ج ٧، ص ٢٩٤، باب ١٥، ح ١٦.
(٣) ثواب الأعمال: ص ١٠٧-١٠٨، البحار: ج ٧، ص ٢٩٤-٢٩٥، باب ١٠، ح ١٧.
(٤) ثواب الأعمال: ص ١٠٨، البحار: ج ٧، ص ٢٩٥، باب ١٥، ح ١٨.

سأجزيك جزاءك، أدخلوه الجنّة فإنّ له فيها قصراً من ياقوتة حمراء أبوابها وشرفها ودرجها منها، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وله فيها جوار أتراب من الحور العين، وألف غلام من الولدان المخلّدين الّذين وصفهم الله تعالى(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ حم الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة، وأظلّه تحت عرشه، وحاسبه حساباً يسيراً، وأعطاه كتابه بيمينه(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: من قرأ في كلّ ليلة أو كلّ جمعة سورة الأحقاف لم تصبه روعة في الدّنيا، وآمنه الله من فزع يوم القيامة(٣).

وعنه عليه السلام: من أدمن قراءة سورة إنّا فتحنا نادى مناد يوم القيامة حتّى يسمع الخلائق: أنت من عبادي المخلصين، ألحقوه بالصّالحين من عبادي، فأسكنوه جنّات النعيم، واسقوه الرّحيق المختوم بمزاج الكافور(٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام: من أدمن في فرائضه ونوافله قراءة سورة ق أعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه حساباً يسيراً(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: لا تدعوا قراءة الرحمن والقيام بها فإنّها لا تقرّ في قلوب المنافقين، ويأتي بها ربّها يوم القيامة في صورة آدميّ في أحسن صورة وأطيب ريح حتّى يقف من الله موقفاً لايكون أحد أقرب إلى الله منها، فيقول لها: من الّذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك؟

فتقول: يا ربّ فلان وفلان، فتبيضّ وجوههم.

فيقول لهم: اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتّى لا تبقى لهم غاية، ولا أحد يشفعون له.

---

(١) ثواب الأعمال: ص ١٠٩-١١٠، البحار: ج ٧، ص ٢٩٥، باب ١٥، ح ١٩.
(٢) ثواب الأعمال: ص ١١٠، البحار: ج ٧، ص ٢٩٥، باب ١٥، ح ٢٠.
(٣) ثواب الأعمال: ص ١١٠. البحار: ج ٧، ص ٢٩٥، باب ١٥، ح ٢١.
(٤) ثواب الأعمال: ص ١١١، البحار: ج ٧، ص ٢٩٥، باب ١٥، ح ٢٢.
(٥) ثواب الأعمال: ص ١١١، البحار: ج ٧، ص ٢٩٦، باب ١٥، ح ٢٣.

فيقول لهم: ادخلوا الجنّة واسكنوا فيها حيث شئتم[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ سورة الواقعة كلّ ليلة قبل أنّ ينام لقى الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة التّغابن في فريضة كانت شفيعة له يوم القيامة، وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها، لا يفارقها حتّى يدخله الجنّة[٣].

وعنه عليه السلام: من قرأ سورة الطّلاق والتحريم في فريضة أعاذه الله أن يكون يوم القيامة ممّن يخاف أو يحزن، وعوفي من النّار، وأُدخل الجنّة بتلاوته إيّاهما ومحافظته عليهما لأنّهما للنبيّ صلى الله عليه وآله[٤].

وعنه عليه السلام: من قرأ سورة الملك في المكتوبة قبل أنّ ينام لم يزل في أمان الله حتّى يصبح، وفي أمانه يوم القيامة حتّى يدخل الجنّة[٥].

وعنه عليه السلام: من أكثر قراءة سورة المعارج لم يسأله الله عن ذنب عمله، وأسكنه يوم القيامة عند محمّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله[٦].

وعنه عليه السلام: من أدمن قراءة سورة لا أُقسم وكان يعمل بها بعثها الله معه من قبره في أحسن صورة تبشّره وتضحك في وجهه حتّى يجوز على الصراط والميزان[٧].

وعنه عليه السلام: من قرأ والنّازعات لم يمت إلاّ ريّان، ولم يبعثه الله إلاّ ريّان ولم يدخله الجنّة إلاّ ريّان[٨].

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٢، البحار: ج ٧، ص ٢٩٦، باب ١٥، ح ٢٤.
(٢) ثواب الأعمال: ص ١١٣، البحار: ج ٧، ص ٢٩٦، باب ١٥، ح ٢٥.
(٣) ثواب الأعمال: ص ١١٤، البحار: ج ٧، ص ٢٩٦، باب ١٥، ح ٢٦.
(٤) ثواب الأعمال: ص ١١٥، البحار: ج ٧، ص ٢٩٦، باب ١٥، ح ٢٧.
(٥) ثواب الأعمال: ص ١١٥، البحار: ج ٧، ص ٢٩٦، باب ١٥، ح ٢٨.
(٦) ثواب الأعمال: ص ١١٥-١١٦، البحار: ج ٧، ص ٢٩٦. باب ١٥، ح ٢٩.
(٧) ثواب الأعمال: ص ١١٧، البحار: ج ٧، ص ٢٩٦-٢٩٧، باب ١٥، ح ٣٠.
(٨) ثواب الأعمال: ص ١١٧، البحار: ج ٧، ص ٢٩٧، باب ١٥، ح ٣١.

وعنه عليه السلام: من كان قراءته في الفريضة ويل للمطفّفين أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النّار ولم تره ولا يراها، ولم يمرّ على جسر جهنّم، ولا يحاسب يوم القيامة[١].

وعنه عليه السلام: من قرأ سورة والسّماء ذات البروج في فرائضه كان محشره وموقفه مع النبيّين والمرسلين[٢].

وعنه عليه السلام: من كانت قراءته في فرائضه والسّماء والطّارق كان له يوم القيامة عند الله جاهاً ومنزلةً[٣]، وكان من رفقاء النبيّين وأصحابهم في الجنّة[٤].

وعنه عليه السلام: من قرأ سورة الأعلى في فريضة أو نافلة قيل له يوم القيامة: ادخل من أيّ أبواب الجنّة شئت[٥].

وعنه عليه السلام: من أدمن قراءة الغاشية في فريضة أو نافلة غشاه الله رحمته في الدّنيا والآخرة، وآتاه الأمن يوم القيامة من عذاب النّار[٦].

وعنه عليه السلام: من كان قراءته في الفريضة لا أقسم بهذا البلد كان في الآخرة معروفاً أنّ له من الله مكاناً، وكان يوم القيامة من رفقاء النبيّين والشّهداء والصالحين[٧].

وعنه عليه السلام: من أكثر قراءة والشّمس وضحيها، واللّيل إذا يغشى، والضّحى، وألم نشرح في يوم أو ليلة لم يبق شيء بحضرته إلاّ شهد له يوم القيامة حتّى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعصبه وعظامه وجميع ما أقلّت الأرض[٨] منه.

---

(١) ثواب الأعمال: ص ١١٧-١١٨. البحار: ج ٧، ص ٢٩٧، باب ١٥، ح ٣٢.
(٢) ثواب الأعمال: ص ١١٨، البحار: ج ٧، ص ٢٩٧، باب ١٥، ح ٣٣.
(٣) أي كانت هذه السورة جاهاً ومنزلة له عند الله.
(٤) ثواب الأعمال: ص ١١٨، البحار: ج ٧، ص ٢٩٧، باب ١٥، ح ٣٤.
(٥) ثواب الأعمال: ص ١١٨، البحار: ج ٧، ص ٢٩٧، باب ١٥، ح ٣٥.
(٦) ثواب الأعمال: ص ١١٨، البحار: ج ٧، ص ٢٩٧، باب ١٥، ح ٣٦.
(٧) ثواب الأعمال: ص ١١٨-١١٩، البحار: ج ٧، ص ٢٩٧، باب ١٥، ح ٣٧.
(٨) أقل الشيء واستقله: إذا رفعه وحمله.

ويقول الربّ تبارك وتعالى: قبلت شهادتكم لعبدي وأجزتها له[١]، انطلقوا به إلى جناني حتّى يتخيّر منها حيث ما أحبّ، فأعطوه إيّاها منّ غير من منّي، ولكن رحمة منّي وفضلاً منّي عليه، فهنيئاً هنيئاً لعبدي[٢].

وعنه عليه السلام: من قرأ والعاديات وأدمن قراءتها بعثه الله مع أمير المؤمنين يوم القيامة خاصّة، وكان في حجره ورفقائه[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام: من أكثر من قراءة القارعة آمنه الله من قيح جهنّم يوم القيامة[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: من قرأ سورة العصر في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه، ضاحكاً سنّه، قريراً عينه حتّى يدخل الجنّة[٥].

وعنه عليه السلام: من قرأ في فرائضه ألم تر كيف شهد له يوم القيامة كلّ سهل وجبل ومدر أنّه كان من الصالحين، وينادى له يوم القيامة: صدقتم على عبدي، قبلت شهادتكم له وعليه، أدخلوا عبدي الجنّة ولا تحاسبوه فإنّه ممّن أُحبّه وأُحبّ عمله[٦].

وعنه عليه السلام: من أكثر قراءة لإيلاف قريش بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنّة حتّى يقعد على موائد النّور يوم القيامة[٧].

وعنه عليه السلام: من قرأ أرأيت الّذي يكذّب بالدين في فرائضه ونوافله كان فيمن قبل الله صلاته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الدنيا[٨].

---

(١) أي أنفذتها له.
(٢) ثواب الأعمال: ص ١١٩، البحار: ج ٧، ص ٢٩٧-٢٩٨، باب ١٥، ح ٣٨.
(٣) ثواب الأعمال: ص ١٢٠، البحار: ج ٧، ص ٢٩٨، باب ١٥، ح ٣٩.
(٤) ثواب الأعمال: ص ١٢٠، البحار: ج ٧، ص ٢٩٨، باب ١٥، ح ٤٠.
(٥) ثواب الأعمال: ص ١٢١، البحار: ج ٧، ص ٢٩٨، باب ١٥، ح ٤١.
(٦) ثواب الأعمال: ص ١٢١، البحار: ج ٧، ص ٢٩٨، باب ١٥، ح ٤٢.
(٧) ثواب الأعمال: ص ١٢١، البحار: ج ٧، ص ٢٩٨، باب ١٥، ح ٤٣.
(٨) ثواب الأعمال: ص ١٢٢، البحار: ج ٧، ص ٢٩٨، باب ١٥، ح ٤٤.

وعنه عليه السلام: من قرأ إنّا أعطيناك الكوثر في فرائضه ونوافله سقاه الله من الكوثر يوم القيامة، وكان محدّثه عند رسول الله صلى الله عليه وآله (1).

وعنه عليه السلام: من قرأ قل يا أيّها الكافرون وقل هو الله أحد في فريضة من الفرائض بعثه الله شهيداً(2).

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زوّج عزباً كان ممّن ينظر الله إليه يوم القيامة(3).

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أربعة ينظر الله عزّ وجلّ إليهم يوم القيامة:

١ - من أقال نادماً.

٢ - أو أغاث لهفان.

٣ - أو أعتق نسمة.

٤ - أو زوّج عزباً(4).

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أغاث أخاه المؤمن اللّهفان اللّهثان عند جهده فنفّس كربته أو أجابه على نجاح حاجته كانت له بذلك سبعون رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله(5).

بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من صام من رجب يومين لم يصف الواصفون من أهل السّماء والأرض ماله عند الله من الكرامة، وكتب له من الأجر مثل أُجور عشرة من الصّادقين في عمرهم، بالغة أعمارهم ما بلغت، ويشفع يوم القيامة في مثل ما يشفعون فيه، ويحشر معهم في زمرتهم حتّى يدخل الجنّة، ويكون من رفقائهم وساق الحديث إلى أن قال -: ومن صام من رجب خمسة أيّام كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أنّ يرضيه يوم القيامة، وبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر - وساقه إلى أن قال -:

---

(١) ثواب الأعمال: ص ١٢٢، البحار: ج ٧، ص ٢٩٨، باب ١٥، ح ٤٥.

(٢) ثواب الأعمال: ص ١٢٢، البحار: ج ٧، ص ٢٩٨، باب ١٥، ح ٤٦.

(٣) فروع الكافي: ج ٢، ص ٥، البحار: ج ٧، ص ٢٩٨، باب ١٥، ح ٤٧.

(٤) الخصال: ج ١، ص ١٠٦-١٠٧، البحار: ج ٧، ص ٢٩٩، باب ١٥، ح ٤٨.

(٥) ثواب الأعمال: ص ١٤٣، البحار: ج ٧، ص ٢٩٩، باب ١٥، ح ٤٩.

ومن صام رجب ستّة أيّام خرج من قبره ولوجهه نور يتلألؤ أشدّ بياضاً من نور الشّمس، وأُعطي سوى ذلك نوراً يستضيء به أهل الجمع يوم القيامة، وبعث من الآمنين حتّى يمرّ على الصّراط بغير حساب - وساقه إلى أن قال -:

ومن صام رجب تسعة أيّام خرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلاّ الله، ولا يصرف وجه دون الجنّة وخرج من قبره ولوجهه نور يتلألؤ لأهل الجمع حتّى يقولوا: هذا نبيّ مصطفى، وإنّ أدنى ما يعطى أنّ يدخل الجنّة بغير حساب.

ومن صام من رجب عشرة أيّام جعل الله له جناحين أخضرين منظومين بالدرّ والياقوت يطير بهما على الصّراط كالبرق الخاطف إلى الجنان - وساقه إلى أنّ قال -:

ومن صام أحد عشر يوماً من رجب لم يواف يوم القيامة عبد أفضل ثواباً منه إلاّ من صام مثله أو زاد عليه.

ومن صام من رجب اثني عشر يوماً كسي يوم القيامة حلّتين خضراوين من سندس وإستبرق يحبر بهما، لو دلّيت حلّة منهما إلى الدنيا لأضاء ما بين شرقها وغربها، ولصار الدنيا أطيب من ريح المسك.

ومن صام من رجب ثلاثة عشر يوماً وضعت له يوم القيامة مائدة من ياقوت أخضر في ظلّ العرش قوائمها من درّ أوسع من الدنيا سبعين مرّة، عليها صحاف الدرّ والياقوت، في كلّ صفحة سبعون ألف لون من الطعام، لا يشبه اللّون اللّون ولا الرّيح الرّيح، فيأكل منها والنّاس في شدّة شديدة وكرب عظيم - وساقه إلى أنّ قال -:

ومن صام من رجب خمسة عشر يوماً وقف يوم القيامة موقف الآمنين فلا يمرّ به ملك مقرّب ولا رسول ولا نبيّ إلاّ قال: طوباك أنت آمن مقرّب مشرّف مغبوط محبور ساكن الجنان - وساقه إلى أنّ قال -:

ومن صام سبعة عشر يوماً من رجب وضع له يوم القيامة على الصّراط سبعون ألف مصباح من نور حتّى يمرّ على الصّراط بنور تلك المصابيح إلى الجنان، تشيّعه الملائكة بالترحيب والتسليم - وساقه إلى أن قال -:

ومن صام من رجب أحداً وعشرين يوماً شفّع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر كلّهم أهل الخطايا والذنوب، - وساقه إلى أن قال -:

ومن صام من رجب خمسة وعشرين يوماً فإنّه إذا خرج من قبره تلقاه سبعون ألف ملك، بيد كلّ ملك منهم لواء من درّ وياقوت، ومعهم طرائف الحليّ والحلل، فيقولون: يا وليّ الله النجا إلى ربّك، فهو من أوّل الناس دخولاً في جنّات عدن مع المقرّبين الّذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم.

ومن صام من رجب ستّة وعشرين يوماً بنى الله له في ظلّ العرش مائة قصر من درّ وياقوت، على رأس كلّ قصر خيمة حمراء من حرير الجنان، يسكنها ناعماً والنّاس في الحساب؛ الخبر(١).

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من وقّر ذا شيبة في الإسلام آمنه الله من فزع يوم القيامة(٢).

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من دفن في الحرم أمن من الفزع الأكبر، قلت له: من برّ النّاس وفاجرهم؟

قال: من برّ الناس وفاجرهم(٣).

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مات في طريق مكّة ذاهباً أو جائياً أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة(٤).

عن الصادق عليه السلام قال: من مات محرماً بعثه الله ملبياً(٥).

وقال عليه السلام: من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين، ومن مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان(٦).

---

(١) أمالي الصدوق: ص ٣١٩-٣٢١، البحار: ج ٧، ص ٣٠١-٣٠٢، باب ١٥، ح ٥٢.
(٢) فروع الكافي: ج ٢، ص ٦٥٨، البحار: ج ٧، ص ٣٠٢، باب ١٥، ح ٥٣.
(٣) فروع الكافي: ج ١، ص ٢٣٧، البحار: ج ٧، ص ٣٠٢، باب ١٥، ح ٥٤.
(٤) فروع الكافي: ج ١، ص ٢٣٩، البحار: ج ٧، ص ٣٠٢، باب ١٥، ح ٥٥.
(٥) البحار: ج ٧، ص ٣٠٢، باب ١٥، ح ٥٦. ومن لا يحضره الفقيه.
(٦) البحار: ج ٧، ص ٣٠٢، باب ١٥، ح ٥٧. ومن لا يحضره الفقيه.

عن الرضا عليه السلام قال: من أتى قبر أخيه ثمّ وضع يده على القبر وقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ سبع مرّات أمن يوم الفزع الأكبر(١).

بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من مقت نفسه دون النّاس آمنه الله من فزع يوم القيامة(٢).

بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عزّ وجلّ حرّم الله عليه النّار وآمنه من الفزع الأكبر(٣).

بإسناده عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: من حمل أخاه على رحله بعثه الله يوم القيامة إلى الموقف على ناقة من نوق الجنّة يباهي به الملائكة(٤).

قال أبو جعفر عليه السلام: من كظم غيظاً وهو يقدّر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة(٥).

عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من عمل يوضع في ميزان امرء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق(٦).

عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أطولكم قنوتاً في دار الدّنيا أطولكم راحة يوم القيامة في الموقف(٧).

عن الصّادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقربكم غداً منّي في الموقف أصدقكم للحديث، وآداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من النّاس(٨).

---

(١) فروع الكافي: ج ١، ص ٦٢، البحار: ج ٧، ص ٣٠٢، باب ١٥، ح ٥٨.
(٢) الخصال: ص ١١، البحار: ج ٧، ص ٣٠٢، باب ١٥، ح ٥٩.
(٣) من لا يحضره الفقيه: ص ٤٦٨. البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦٠.
(٤) ثواب الأعمال: ص ١٤١، البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦١.
(٥) البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦٢، وتفسير علي بن إبراهيم.
(٦) فروع الكافي: ج ٢، ص ٩٩، البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦٣.
(٧) أمالي الصدوق: ص ٣٠٤، البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦٤.
(٨) البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦٥. أمالي الصدوق.

عن النبيّ ﷺ قال: من ارتبط فرساً في سبيل الله كان علفه وروثه وشرابه في ميزانه يوم القيامة[١].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، فإنّهنّ يأتين يوم القيامة لهنَّ مقدّمات ومؤخّرات ومعقّبات، وهنّ الباقيات الصّالحات[٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام، عن النبيّ ﷺ: ألا بشّر المشّائين في الظّلمات إلى المساجد بالنّور الساطع يوم القيامة[٣].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أطول النّاس أعناقاً يوم القيامة المؤذّنون[٤].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذا سجد أحدكم فليباشر بكفّيه الأرض لعلّ الله يصرف عنه الغلّ يوم القيامة[٥].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: يبعث قوم تحت ظلّ العرش وجوههم من نور، ورياشهم من نور، جلوس على كراسيّ من نور، قال: فتشرف لهم الخلائق فيقولون: هؤلاء أنبياء؟

فينادي مناد من تحت العرش: أن ليس هؤلاء بأنبياء.

قال: فيقولون: هؤلاء شهداء؟

فينادي مناد من تحت العرش: أن ليس هؤلاء شهداء، ولكن هؤلاء قوم كانوا ييسرون على المؤمنين (على المعسر خ ل) وينظرون المعسر حتّى ييسر[٦].

عن النبيّ ﷺ قال: أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيّئاته على حسناته جئت بالصّلاة عليّ حتّى أثقل بها حسناته[٧].

---

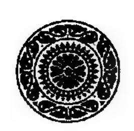
(١) البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦٦، وأمالي الطوسي.
(٢) ثواب الأعمال: ص ٩، البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦٧.
(٣) ثواب الأعمال: ص ٢٨، البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦٨.
(٤) ثواب الأعمال: ص ٣١، البحار: ج ٧، ص ٣٠٣، باب ١٥، ح ٦٩.
(٥) ثواب الأعمال: ص ٣٣، البحار: ج ٧، ص ٣٠٤، باب ١٥، ح ٧٠.
(٦) ثواب الأعمال: ص ١٣٩، البحار: ج ٧، ص ٣٠٤، باب ١٥، ح ٧١.
(٧) ثواب الأعمال: ص ١٤٩، البحار: ج ٧، ص ٣٠٤، باب ١٥، ح ٧٢.

عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام، عن عليّ صلوات الله عليه قال: من وقّر مسجداً لقى الله يوم يلقاه ضاحكاً مستبشراً، وأعطاه كتابه بيمينه(١).

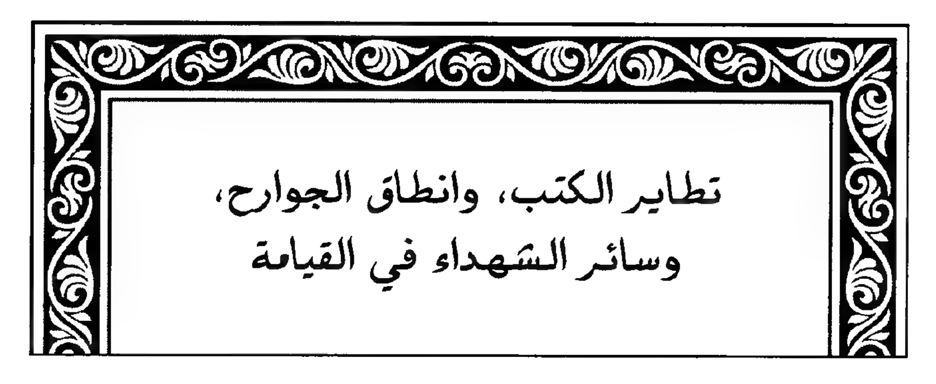
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قبّل ولده كتب الله له حسنة.

ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة.

ومن علّمه القرآن دعي بالأبوين فكسيا حلّتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنّة(٢).



(١) المحاسن: ص ٥٤، البحار: ج ٧، ص ٣٠٤، باب ١٥، ح ٧٣.
(٢) البحار: ج ٧، ص ٣٠٤، باب ١٥، ح ٧٤، وأصول الكافي.



تطاير الكتب، وانطاق الجوارح، وسائر الشهداء في القيامة

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤١-٤٢]

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ﴾: أي فكيف حال الأمم وكيف يصنعون.

﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني قومه ﴿شَهِيدًا﴾ ومعنى الآية أنّ الله تعالى يستشهد يوم القيامة كلّ نبيّ على أُمّته فيشهد لهم وعليهم، ويستشهد نبيّنا على أُمّته.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ معناه: لو يجعلون والأرض سواءاً، كما قال سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

وروي عن ابن عبّاس أنّ معناه: يودّون أن يمشي عليهم أهل الجمع يطؤونهم بأقدامهم كما يطؤون الأرض، وعلى القول الأوّل فالمراد أنّ الكفّار يوم القيامة يودّون أنّهم لن يبعثوا وأنّهم كانوا والأرض سواءاً، لعلمهم بما يصيرون إليه من العذاب والخلود في النّار.

وروي أيضاً أنّ البهائم يصيرون تراباً فيتمنّى عند ذلك الكفّار أنّهم صاروا كذلك تراباً.

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ قيل فيه أقوال:

أحدها: أنّه عطف على قوله: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ﴾ أي ويودّون أنّ لو لم يكتموا الله

حديثاً، لأنّهم إذا سئلوا قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فتشهد عليهم جوارحهم بما عملوا فيقولون: يا ليتنا كنّا تراباً ويا ليتنا لم نكتم الله شيئاً، وهذا قول ابن عبّاس.

وثانيها: أنّه كلام مستأنف والمراد به أنّهم لا يكتمون الله شيئاً من أمور الدنيا وكفرهم، بل يعترفون به فيدخلون النّار باعترافهم، وإنّما لا يكتمون لعلمهم بأنّه لا ينفعهم الكتمان، وإنّما يقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ في بعض الأحوال، فإنّ للقيامة مواطن وأحوالاً، ففي موطن لا يسمع كلامهم إلاّ همسا، وفي موطن ينكرون ما فعلوه من الكفر والمعاصي ظنّاً منهم أنّ ذلك ينفعهم، وفي موطن يعترفون بما فعلوه؛ عن الحسن.

وثالثها: أنّ المراد أنّهم لا يقدرون على كتمان شيء من الله تعالى لأنّ جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه، فالتّقدير: لا تكتمه جوارحهم وإن كتموه هم.

ورابعها: أنّ المراد ودُّوا لو تسوّى بهم الأرض وأنّهم لم يكونوا كتموا أمر محمّد ﷺ وبعثه؛ عن عطا.

وخامسها: أنّ الآية على ظاهرها، فالمراد: ولا يكتمون الله شيئاً لأنّهم ملجؤون إلى ترك القبائح والكذب.

وقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ عند أنفسنا لأنّهم كانوا يظنّون في الدّنيا أنّ ذلك ليس بشرك من حيث تقرّبهم إلى الله؛ عن البلخيّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني يوم القيامة بيّن سبحانه أنّه يبعث فيه من كلّ أُمّة شهيداً وهم الأنبياء والعدول من كلّ عصر يشهدون على النّاس بأعمالهم.

وقال الصّادق عليه السلام: لكلّ زمان وأُمّة إمام تبعث كلّ أُمّة مع إمامها.

وفائدة بعث الشّهداء مع علم الله سبحانه بذلك أنّ ذلك أهول في النّفس، وأعظم في تصوّر الحال، وأشدّ في الفضيحة إذا قامت الشّهادة بحضرة الملأ مع جلالة الشهود وعدالتهم عند الله تعالى، ولأنّهم إذا علموا أنّ العدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلائق فإنّ ذلك يكون زجراً لهم عن المعاصي، وتقديره: واذكر يوم نبعث.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لا يؤذن لهم في الكلام والاعتذار؛ أولا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدّنيا، أو لا يسمع منهم العذر، يقال: أذنت له أي استمعت.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي لا يسترضون ولا يستصلحون، لأنّ الآخرة ليست بدار تكليف، ومعناه: لا يسألون أنّ يرضوا الله بالكفّ عن معصية يرتكبونها.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أي من أمثالهم من البشر، ويجوز أنّ يكون ذلك الشّهيد نبيّهم الّذي أُرسل إليهم، ويجوز أن يكون المؤمنون العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي، وفي هذا دلالة على أنّ كلّ عصر لا يجوز أن يخلو ممّن يكون قوله حجّة على أهل عصره، وهو عدل عند الله تعالى، وهو قول الجبائيّ وأكثر أهل العدل، وهذا يوافق ما ذهب إليه أصحابنا وإن خالفوهم في أنّ ذلك العدل والحجّة من هو؟ ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ يريد على قومك وأُمّتك.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]

وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾: معناه: وألزمنا كلّ إنسان عمله من خير أو شرّ في عنقه كالطوق لا يفارقه، وإنّما قيل للعمل: طائر على عادة العرب في قولهم: جرى طائره بكذا.

وقيل: طائره يمنه وشؤمه وهو ما يتطيّر به.

وقيل: طائره حظّه من الخير والشرّ، وخصّ العنق لأنّه محلّ الطوق الّذي يزيّن المحسن، والغلّ الّذي يشين المسيء.

وقيل: طائره كتابه؛ وقيل: معناه: جعلنا لكلّ إنسان دليلاً من نفسه لأنّ الطائر عندهم يستدلّ به على الأمور الكائنة، فيكون معناه: كلّ إنسان دليل نفسه وشاهد عليها، إن كان محسناً فطائره ميمون، وإن أساء فطائره مشوم.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ أي يرى ذلك الكتاب ﴿مَنشُورًا﴾ أي مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأ ويعلم ما فيه، والهاء في «له» عائد إلى الإنسان أو إلى العمل، ويقال له:

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ قال قتادة: ويقرء يومئذٍ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي محاسباً، وإنّما جعله محاسباً لنفسه لأنّه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلّها مكتوبة ورأى جزاء أعماله مكتوباً بالعدل أذعن عند ذلك وخضع واعترف، ولم يتهيّأ له حجّة ولا إنكار، وظهر لأهل المحشر أنّه لا يظلم.

وفي قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾: معناه أنّ السمع يسأل عمّا سمع، والبصر عمّا رأى: والقلب عمّا عزم عليه، والمراد أنّ أصحابها هم المسؤولون ولذلك قال: ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ وقيل: بل المعنى: كلّ أولئك الجوارح يسأل عمّا فعل بها، قال الوالبيّ عن عبّاس: يسأل العباد فيما استعملوها.

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]

وفي قوله: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: أي بالطّاعة والقبول، فإذا شهد لكم صرتم به عدولاً تستشهدون على الأُمم الماضية بأنّ الرّسل قد بلّغوهم الرسالة، وأنّهم لم يقبلوا.

وقيل: معناه: ليكون الرسول شهيداً عليكم في إبلاغ رسالة ربّه إليكم، وتكونوا شهداء على النّاس بعده بأن تبلّغوا إليهم ما بلّغه الرسول إليكم.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤-٢٥]

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بيّن سبحانه أنّ ذلك العذاب يكون في يوم تشهد ألسنتهم فيه عليهم بالقذف، وسائر أعضائهم بمعاصيهم. وفي كيفيّة شهادة الجوارح أقوال:

أحدها: أنّ الله يبنيها ببنيه يمكنها النّطق والكلام من جهتها فتكون ناطقة.

والثّاني: أنّ الله تعالى يفعل فيها كلاماً يتضمّن الشّهادة فيكون المتكلّم هو الله تعالى دون الجوارح، وأُضيف إليها الكلام على التوسّع لأنّها محلّ الكلام.

والثالث: أنّ الله تعالى يجعل فيها علامة تقوم مقام النّطق بالشّهادة، ويظهر فيها أمارات دالّة على كون أصحابها مستحقّين للنار، فسمّي ذلك شهادة مجازاً كما يقال: عيناك تشهدان بسهرك؛ وأمّا شهادة الإنس فبأن يشهدوا بألسنتهم إذا رأوا أنّه لا ينفعهم الجحود

وأمّا قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ فإنّه يجوز أنّ يخرج الألسنة ويختم على الأفواه، ويجوز أنّ يكون الختم على الأفواه في حال شهادة الأيدي والأرجل.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي يتمّم الله لهم جزاءهم الحقّ، فالدين بمعنى الجزاء، ويجوز أنّ يكون المراد جزاء دينهم الحقّ.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]

وفي قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: هذا حقيقة الختم فيوضع على أفواه الكفّار يوم القيامة فلا يقدرون على الكلام والنّطق.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ١٩-٢٤]

وفي قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: أي يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرّقوا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ أي جاؤوا النار الّتي حشروا إليها.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ بما قرعه من الدّعاء إلى الحقّ فأعرضوا عنه ﴿وَأَبْصَٰرُهُمْ﴾ بما رأوا من الآيات الدالّة على وحدانيّة الله فلم يؤمنوا، وسائر ﴿وَجُلُودُهُم﴾ بما باشروه من المعاصي والأعمال القبيحة؛ وقيل: المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكناية عن ابن عبّاس والمفسّرين.

﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني الكفار ﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ أي يعاتبون أعضائهم فيقولون: لمَ شهدتم علينا؟ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي فيقول جلودهم في جوابهم: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ

﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي ممّا ينطق، والمعنى: أعطانا الله آلة النطق والقدرة عليه وتمّ الكلام.

ثمّ قال سبحانه: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ﴾ أي من أن يشهد.

﴿عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أي لم يكن مهيّأ لكم أن تستتروا أعمالكم عن هذه الأعضاء، لأنّكم كنتم بها تعملون فجعلها الله شاهدة عليكم في القيامة؛ وقيل: معناه: وما كنتم تتركون المعاصي حذراً أنّ تشهد عليكم جوارحكم بها، لأنّكم ما كنتم تظنّون ذلك.

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم إرتكاب المعاصي لذلك؛ وروي عن ابن مسعود أنّها نزلت في ثلاثة نفر تسارّوا فقالوا: أترى أنّ الله يسمع تسارّنا؟ ويجوز أنّ يكون المعنى أنّكم عملتم عمل من ظنَّ أنّ عمله يخفى على الله.

وقيل: إنّ الكفّار كانوا يقولون: أنّ الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنّه يعلم ما نظهر.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾، ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ مبتدءٌ، و﴿ظَنُّكُمْ﴾ خبره، و﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبر ثان، ويجوز ان يكون ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدلاً من ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ والمعنى: وظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أنّه لا يعلم كثيراً ممّا تعملون أهلككم، إذ هوّن عليكم أمر المعاصي، وأدّى بكم إلى الكفر.

﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي وظللتم من جملة من خسرت تجارته لأنّكم خسرتم الجنّة وحصلتم في النّار[1].

وقال الصادق عليه السلام: ينبغي للمؤمن أنّ يخاف الله خوفاً كأنّه يشرف على النّار ويرجوه رجاءاً كأنّه من أهل الجنّة، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾[2] الآية: ثمّ قال: إنّ الله عند ظن عبده به، إنّ خيراً فخيراً وإن شرًّا فشرًّا[3].

---

(١) البحار: ج ٧، ص ٣٠٧ - ٣١١.
(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٣.
(٣) البحار، ج ٧، ص ٣١١، باب ١٦.

علي بن إبراهيم في تفسيره: ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي فإن يصبر هؤلاء على النّار والإمهال وليس المراد به الصبر المحمود ولكنّه الإمساك عن إظهار الشكوى وعن الاستغاثة فالنّار مسكن لهم ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ أي وإن يطلبوا العتبى[١] وسألوا الله أن يرضى عنهم فليس لهم طريق إلى الإعتاب فما هم ممّن يقبل عذرهم ويرضى عنهم وتقدير الآية: إنّهم إن صبروا وسكتوا وجزعوا فالنّار مأواهم، كما قال سبحانه: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ والمعتب هو الّذي يقبل عتابه ويجاب إلى ما سأل.

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ يقول: خيره وشرّه معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتّى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل[٢].

علي بن إبراهيم في تفسيره: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ قال: إذا جمع الله الخلق يوم القيامة دفع إلى كلّ إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنّهم عملوا من ذلك شيئاً، فيشهد عليهم الملائكة فيقولون: يا ربّ ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون أنّهم لم يعملوا من ذلك شيئاً، وهو قوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾[٣] فإذا فعلوا ذلك ختم على ألسنتهم وينطق جوارحهم بما كانوا يكسبون[٤].

علي بن إبراهيم في تفسيره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٥] فإنّها نزلت في قوم يعرض عليهم أعمالهم فينكرونها فيقولون: ما عملنا منها شيئاً، فيشهد عليهم الملائكة الّذين كتبوا عليهم أعمالهم.

فقال الصّادق عليه السلام: فيقولون لله: يا ربّ هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً، وهو قول الله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ

---

(١) العتبى: الرضا.
(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٣٧٩، البحار: ج ٧، ص ٣١٢، باب ١٦، ح ١.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١٨.
(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٥٥٢. البحار: ج ٧، ص ٣١٢، باب ١٦، ح ٣.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٢٠.

كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ وهم الّذين غصبوا أمير المؤمنين، فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع ممّا حرم الله، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم الله، وتشهد اليدان بما أخذتا، وتشهد الرجلان بما سعتا ممّا حرم الله، وتشهد الفرج بما ارتكبت ممّا حرم الله، ثمّ أنطق الله ألسنتهم فيقولون هم لجلودهم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ فيقولون: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ أي من الله ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ والجلود الفروج ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

عن أبي معمّر السعديّ قال: قال عليّ بن إبي طالب عليه السلام في صفة يوم القيامة: يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلق فلا يتكلّم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقام الرّسل فيسأل فذلك قوله لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[2] وهو الشّهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل عليهم السلام[3].

عن جعفر بن محمّد، عن جدّه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يصف هول يوم القيامة: ختم على الأفواه فلا تكلّم، وقد تكلّمت الأيدي، وشهدت الأرجل، ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثاً[4].

عن خالد بن يحيى (نجيح ظ)، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[5].

قال: يذّكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتّى كأنّه فعله تلك الساعة، فلذلك قوله: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[6].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٥٩١-٥٩٢. البحار: ج ٧، ص ٣١٢-٣١٣، باب ١٦، ح ٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.
(٣) البحار: ج ٧، ص ٣١٣، ح ٥. وتفسير العياشي.
(٤) البحار، ج ٧، ص ٣١٣، ح ٦. وتفسير العياشي.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٤.
(٦) البحار: ج ٧، ص ٣١٤، ح ٩، وتفسير العياشي.

عن خالد بن نجيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دفع إلى الإنسان كتابه، ثمّ قيل له: اقرء، قلت: فيعرف ما فيه؟ فقال: إنّ الله يذكّره فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلاّ ذكره، كأنّه فعله تلك السّاعة فلذلك قالوا: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾[1] [2].

عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه في الدّنيا والآخرة، فقلت: كيف يستر عليه؟

قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه.

ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب؛ فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذّنوب[3].

القاسم بن محمّد، عن عليّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أنّ يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه فيقول: عبدي! فعلت كذا وكذا وعملت كذا وكذا؟

فيقول: نعم يا ربّ قد فعلت ذلك.

فيقول: قد غفرتها لك وأبدلتها حسنات.

فيقول الناس: سبحان الله أمّا كان لهذا العبد سيّئة واحدة؟! وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾﴾ قلت. أيّ أهل؟

قال: أهله في الدنيا هم أهله في الجنّة إنّ كانوا مؤمنين.

قال: وإذا أراد بعبد شرًّا حاسبه على رؤوس النّاس وبكته وأعطاه كتابه بشماله وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾﴾ قلت: أيّ أهل؟

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٢) البحار: ج ٧، ص ٣١٥، باب ١٦، ح ١٠. وتفسير العياشي.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٤٣٠-٤٣١. البحار: ج ٧، ص ٣١٧-٣١٨، باب ١٦، ح ١٢.

قال: أهله في الدنيا، قلت: قوله: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾[١].

قال: ظنَّ أنّه لن يرجع[٢].

عن عليّ، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ المؤمن يعطى يوم القيامة كتاباً منشوراً مكتوب فيه: كتاب الله العزيز الحكيم أدخلوا فلاناً الجنّة[٣].

كتاب فضائل الشيّعة للصّدوق رحمه الله بإسناده عن الثماليّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن الشهداء على شيعتنا، وشيعتنا شهداء على الناس، وبشهادة شيعتنا يجزون ويعاقبون[٤].

محاسبة النفس للسيّد عليّ بن طاوس - قدّس الله روحه - بإسناده إلى محمّد بن عليّ ابن محبوب من كتابه، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من يوم يأتي على ابن آدم إلاّ قال ذلك اليوم: يا بن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فافعل بي خيراً واعمل فيَّ خيراً أشهد لك يوم القيامة، فإنّك لن تراني بعدها أبداً.

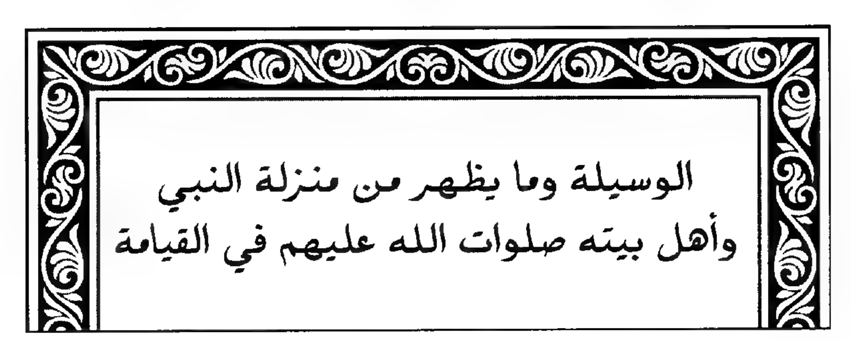
وفي نسخة أُخرى: فقل فيَّ خيراً واعمل فيَّ خيراً[٥].

رأيت في كتاب مسعدة بن زياد الربعيّ فيما رواه عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال: اللّيل إذا أقبل نادى منّاد بصوت يسمعه الخلائق إلاّ الثقلين: يا بن آدم إنّي على ما فيَّ شهيد فخذ منّي، فإنّي لو طلعت الشمس لم تزدد فيَّ حسنة ولم تستعتب فيَّ من سيّئة؛ وكذلك يقول النّهار إذا أدبر اللّيل[٦].

بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ النّهار إذا جاء قال: يابن آدم اعمل في يومك هذا خيراً، أشهد لك به عند ربّك يوم القيامة، فإنّي لم آتك فيما مضى ولا آتيك فيما بقي؛ وإذا جاء اللّيل قال مثل ذلك[٧].

---

(١) سورة الإنشقاق، الآيات: ٧-١٤.
(٢) البحار: ج ٧، ص ٣٢٤-٣٢٥، باب ١٦، ح ١٧، وكتاب النوادر للحسين بن سعيد.
(٣) البحار: ج ٧، ص ٣٢٥، باب ١٦، ح ١٨، وكتاب النوادر.
(٤) البحار: ج ٧، ص ٣٢٥، باب ١٦، ح ١٩.
(٥) البحار: ج ٧، ص ٣٢٥، باب ١٦، ح ٢٠.
(٦) البحار: ج ٧، ص ٣٢٥، باب ١٦، ح ٢١.
(٧) البحار: ج ٧، ص ٣٢٥، باب ١٦، ح ٢٢. والكافي.



الوسيلة وما يظهر من منزلة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم في القيامة

عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة، فسألنا النبيّ صلى الله عليه وآله عن الوسيلة فقال: هي درجتي في الجنّة، وهي ألف مرقاة جوهر، إلى مرقاة زبرجد، إلى مرقاة لؤلؤة، إلى مرقاة ذهب، إلى مرقاة فضّة فيؤتى بها يوم القيامة حتّى تنصب مع درجة النبيّين فهي في درجة النبيّين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا شهيد ولا صدّيق إلاّ قال: طوبى لمن كانت هذه درجته.

فينادي المنادي ويسمع النداء جميع النبيّين والصدّيقين والشهداء والمؤمنين: هذه درجة محمّد صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فأقبلُ يومئذٍ متّزراً بريطة من نور، عليَّ تاج الملك وإكليل الكرامة وعليّ بن أبي طالب أمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد، مكتوب عليه: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله المفلحون هم الفائزون بالله.

فإذا مررنا بالنبيّين قالوا: هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما.

وإذا مررنا بالملائكة قالوا: هذان نبيّان مرسلان؛ حتّى أعلو الدرجة وعليٌّ يتبعني، فإذاً صرت في أعلى الدرجة منها وعليٌّ أسفل منّي بيده لوائي، فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا مؤمن إلاّ رفعوا رؤوسهم إليّ يقولون: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله! فينادي المنادي يسمع النبيّون وجميع الخلائق: هذا حبيبي محمّد، وهذا وليي عليّ بن أبي طالب، طوبى لمن أحبّه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه.

ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ فلا يبقى يومئذٍ في مشهد القيامة أحد يحبّك

إلا استروح إلى هذا الكلام، وابيضّ وجهه، وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممّن عاداك ونصب لك حرباً أو جحد لك حقّاً إلاّ اسودّ وجهه، واضطربت قدماه، فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إليّ، أمّا أحدهما فرضوان خازن الجنّة، وأمّا الآخر فمالك خازن النّار، فيدنو رضوان ويسلّم عليّ ويقول: السّلام عليك يا رسول الله فأردّ عليه وأقول: أيّها الملك الطيّب الريح الحسن الوجه الكريم على ربّه من أنت؟

فيقول: أنا رضوان خازن الجنّة، أمرني ربّي أنّ آتيك بمفاتيح الجنّة فخذها يا محمّد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي فله الحمد على ما أنعم به عليّ، ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب، فيدفعها إلى عليّ ويرجع رضوان؛ ثمّ يدنو مالك خازن النّار فيسلّم ويقول: السّلام عليك يا حبيب الله.

فأقول له: وعليك السّلام أيّها الملك ما أنكر رؤيتك! وأقبح وجهك! من أنت؟

فيقول: أنا مالك خازن النّار أمرني ربّي آن آتيك بمفاتيح النّار.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي فله الحمد على ما أنعم به عليّ وفضّلني به، ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب، فيدفعها إليه، ثم يرجع مالك فيقبل عليّ ومعه مفاتيح الجنّة ومقاليد النّار حتّى يقعد على عجزة جهنّم ويأخذ زمامها بيده، وقد علا زفيرها، واشتدّ حرّها، وكثر تطاير شررها.

فينادي جهنّم: يا عليّ جزني قد أطفأ نورك لهبي.

فيقول عليٌّ لها: ذري هذا وليّي، وخذي هذا عدوّي، فلَجهنّم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهب بها يمنة وإن شاء يذهب بها يسرة، ولَجهنّم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ من جميع الخلائق، وذلك أنّ عليّاً عليه السلام يومئذٍ قسيم الجنّة والنار[١].

عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة وضع

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٦٦٤-٦٦٥، البحار: ج ٧، ص ٣٢٦-٣٢٧، باب ١٧، ح ٢.

منبر يراه جميع الخلائق، فيصعد عليه رجل فيقوم عن يمينه ملك، وعن يساره ملك، ينادي الّذي عن يمينه: يا معشر الخلائق هذا عليّ بن أبي طالب يُدخل الجنّة من يشاء.

وينادي الّذي عن يساره: يا معشر الخلائق هذا عليّ بن أبي طالب يُدخل النّار من يشاء[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دعي رسول الله صلى الله عليه وآله فيكسى حلّة ورديّة، فقلت: جعلت فداك ورديّة؟

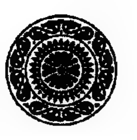
قال: نعم، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾[2]؟ ثمّ يدعى عليٌّ فيقوم على يمين رسول الله، ثمَّ يدعى من شاء الله فيقومون على يمين عليّ، ثمّ يدعى شيعتنا فيقومون على يمين من شاء الله؛ ثمّ قال: يا أبا محمّد أين ترى ينطلق بنا؟

قال: قلت: إلى الجنّة والله.

قال: ما شاء الله[3].

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إذا كان يوم القيامة كنت أنت وولدك على خيل بلق متوّجين بالدرّ والياقوت، فيأمر الله بكم إلى الجنّة والناس ينظرون[4].

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم الخليل، ونعم الأخ أخوك عليّ بن أبي طالب عليه السلام[5].



(١) علل الشرائع، ص ٦٦، البحار: ج ٧، ص ٣٢٩، باب ١٧، ح ٤.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٧.
(٣) المحاسن: ص ١٨٠، البحار: ج ٧، ص ٣٣٠، باب ١٧، ح ٦.
(٤) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٢٢، البحار: ج ٧، ص ٣٣٠، باب ١٧، ح ٧.
(٥) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٢٣. البحار: ج ٧، ص ٣٣٠، باب ١٧، ح ٨.



اللواء

عن عطيّة العوفي، عن مخدوج ابن زيد الذهليّ أنّ رسول الله ﷺ آخى بين المسلمين ثمَّ قال:

يا علي: أنت أخي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي.

أما علمت يا علي: أنّه أوّل من يدعى به يوم القيامة يدعي بي، فأقوم عن يمين العرش فأكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة، ثمَّ يدعى بأبينا إبراهيم عليه السلام فيقوم عن يمين العرش في ظله فيكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة، ثمَّ يدعى بالنبيين. بعضهم عليّ أثر بعض، فيقومون سماطين عن يمين العرش في ظله ويكسون حللاً خضراً من حلل الجنّة، ألا وإنّي اخبرك يا عليّ إنّ أُمّتي أوّل الامم يحاسبون يوم القيامة، ثمَّ ابشرك يا علي إنّ أوّل من يدعى يوم القيامة يدعى بك، هذا لقرابتك منّي ومنزلتك عندي، فيدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد فتسير به بين السماطين، وإنّ آدم وجميع من خلق الله يستظلون بظل لوائي يوم القيامة وطوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمراء، قصبه فضّة بيضاء. زجّه درّة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور: ذؤابة في المشرق، وذؤابة في المغرب، وذؤابة في وسط الدنيا، مكتوب عليها ثلاثة أسطر:

الأوّل: بسم الله الرحمن الرحيم.

والآخر: الحمد لله ربّ العالمين.

والثالث: لا إله إلاالله محمّد رسول الله. طول كلّ سطر مسيرة ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة، فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك

حتّى تقف بيني وبيّن إبراهيم في ظلّ العرش، فتكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة، ثمَّ ينادي منّاد من عندالعرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الاخ أخوك عليّ. ألا وإنّي ابشرك يا علي إنّك تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتحيا إذا حييت(١).

عن عبد الله بن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ أتاني جبرئيل عليه السلام وهو فرح مستبشر، فقلت له: حبيبي جبرئيل مع ماأنت فيه من الفرح! ما منزلة أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب عند ربّه؟

فقال جبرئيل: يا محمد والّذي بعثك بالنبوّة واصطفاك بالرسالة ما هبطت في وقتي هذا إلا لهذا، يا محمّد العلي - الأعلى يقرء عليك السلام ويقول: محمّد نبيّ رحمتي، وعليّ مقيم حجّتي، لا أُعذّب من والاه وإنّ عصاني، ولاأرحم من عاداه وإنّ أطاعني.

قال ابن عبّاس: ثمَّ قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة أتاني جبرئيل وبيده لواء الحمد وهو سبعون شقّة، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر فيدفعه إليّ فآخذه وأدفعه إلى عليّ بن أبي طالب.

فقال رجل: يا رسول الله وكيف يطيق عليّ على حمل اللّواء وقد ذكرت أنّه سبعون شقّة، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر؟!

فغضب رسول الله ﷺ ثمَّ قال: يا رجل إنّه إذا كان يوم القيامة أعطى الله عليّاً من القوة مثل قوّة جبرئيل، ومن الجمال مثل جمال يوسف، ومن الحلم مثل حلم رضوان، ومن الصوت ما يداني صوت داود، ولولا أنّ داود خطيب في الجنان لاعطي عليّ مثل صوته، وإنّ عليّاً أوّل من يشرب من السلسبيل والزنجبيل، وإنّ لعليّ وشيعته من الله عزّ وجلّ مقاماً يغبطه به الأوّلون والآخرون(٢).

عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ يا

(١) أمالي الصدوق: ص ١٩٥، البحار: ج ٨، ص ١-٢، باب ١٨، ح ١.
(٢) أمالي الصدوق: ص ٣٩١، البحار: ج ٨، ٢-٣، باب ١٨، ح ٢.

عليّ أنت أوّل من يدخل الجنّة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد، وهو سبعون شقّة، الشقّة منه أوسع من الشمس القمر، الخبر[(١)].

بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا علي: إنّي سألت ربّي فيك خمس خصال فأعطانيها:

أحدها: أنّ يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الاكبر مكتوب عليه: المفلحون هم الفائزون بالجنّة، الخبر[(٢)].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس أنّه سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٣)].

قال: سأل قوم النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: فيمن نزلت هذه الآية يا نبيّ الله؟

قال: إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض ونادى مناد: ليقم سيّد المؤمنين عليّ ابن أبي طالب، فيعطي الله اللّواء من النور الابيض بيده، تحته جميع السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، لا يخالطهم غيرهم حتّى يجلس على منبرمن نور ربّ العزّة، ويعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً فيعطي أجره ونوره، فإذا أُتي على آخرهم قيل لهم: قد عرفتم موضعكم ومنازلكم من الجنّة، إنّ ربّكم يقول لكم: عندي لكم مغفرة وأجر عظيم - يعني الجنّة - فيقوم عليّ بن أبي طالب والقوم تحت لوائه معهم حتّى يدخل الجنّة، ثمَّ يرجع إلى منبره ولا يزال يعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنّة ويترك أقواماً على النّار، فذلك قوله عزّ وجلّ: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرهم ونورهم» يعني السابقين الأوّلين والمؤمنين وأهل الولاية له، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ص ١٦٨. البحار: ج ٨، ص ٤، باب ١٨، ح ٤.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ص ١٩٨-١٩٩. البحار: ج ٨، ص ٤، باب ١٨، ح ٥.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

﴿ٱلْجَحِيمِ﴾[١] هم الّذين قاسم عليهم النّار فاستحقّوا الجحيم[٢].

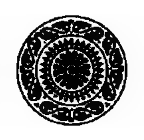
عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنت أوّل من يدخل الجنّة.

فقلت: يا رسول الله أدخلها قبلك؟

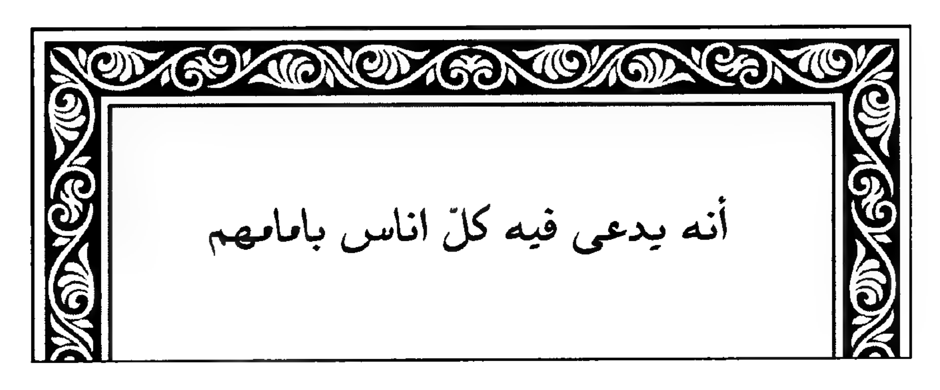
قال: نعم لأنّك صاحب لوائي في الآخرة، كما أنّك صاحب لوائي في الدنيا، وصاحب اللّواء هو المتقدم.

ثمَّ قال عليه السلام: يا علي كأنّي بك وقد دخلت الجنّة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه[٣].

أبو القاسم الحسينيّ رفعه إلى معاذ بن جبل قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله أعطاني في عليّ أنّه متكىء بين يدي يوم الشفاعة، وأعطاني في عليّ لآخرتي أنّه صاحب مفاتيحي يوم أفتح أبواب الجنّة، وأعطاني في عليّ لآخرتي أنّي أُعطي يوم القيامة أربعة ألوية: فلواء الحمد بيدي، وأدفع لواء التهليل لعليّ وأُوجّهه في أوّل فوج وهم الّذين يحاسبون حساباً يسيراً ويدخلون الجنّة بغير حساب عليهم، وأدفع لواء التكبير إلى حمزة وأوجهه في الفوج الثاني، وأدفع لواء التسبيح إلى جعفر وأُوجّهه في الفوج الثالث، ثمَّ اقيم على أُمّتي حتّى أشفع لهم، ثمَّ اكون أنا القائد وإبراهيم السائق حتّى أدخل أُمّتي الجنّة، الخبر[٤].



(١) سورة المائدة، الآية: ١٠، والآية: ٨٦.
(٢) أمالي الطوسي: ص ٢٤٠، البحار: ج ٨، ص ٤، باب ١٨، ح ٦.
(٣) علل الشرائع: ص ٦٨-٦٩، البحار: ج ٨، ص ٤، باب ١٨، ح ٩.
(٤) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ٢٠٦، البحار: ج ٨، ص ٧، باب ١٨، ح ١١.



أنه يدعى فيه كلّ اناس بامامهم

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾

[هود: ٩٨]

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني أنّ فرعون يمشي بين يدي قومه يوم القيامة على قدميه حتّى يهجم بهم إلى النّار، كما كان يقدمهم في الدنيا يدعو هم إلى طريق النّار، وإنّما قال: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ على لفظ الماضي والمراد به المستقبل لأنّ ماعطفه عليه من قوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يدل عليه، وقيل: إنّه معطوف على قوله: ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ أي بئس الماء الّذي يردونه عطاشاً لاحياء نفوسهم النّار، وإنّما أطلق سبحانه على النّار اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه أهل الجنّة من الأنهار والعيون، وقيل: معناه: بئس المدخل المدخول فيه النّار، وقيل: بئس النصيب المقسوم لهم النهار.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١-٧٢]

وفي قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾: فيه أقوال:

أحدها: أنّ معناه رئيسهم[١] والمعنى عليّ هذا: أنّ ينادى يوم القيامة فيقال: هاتوا متبعي إبراهيم، هاتوا متبعي موسي، هاتوا متبعي محمّد ﷺ، فيقوم أهل الحقّ الّذين اتبعو الأنبياء عليهم السلام فيأخذون كتبهم بأيمانهم، ثمَّ يقال: هاتوا متبعي الشيطان، هاتوا متبعي رؤوس الضلالة[٢]، وهذا معنى ما رواه سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس. وروي أيضاً عن عليّ عليه السلام: أنّ الأئمّة إمام هدى وإمام ضلالة. ورواه الوالبيّ عنه: بأئمتهم في الخير والشرّ.

وثانيها: معناه: بكتابهم الّذي أنزل عليهم من أوامر الله ونواهية فيقال: يا أهل القرآن، ويا أهل التوراة.

وثالثها: أنّ معناه: بمن كانوا يأتمون به من علمائهم وأئمّتهم، ويجمع هذه الاقوال ماروي عن الرضا عليه السلام بالأسانيد الصحيحة أنّه روى عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: فيه يدعي كلّ اناس بإمام زمانهم، وكتاب ربّهم وسنّة نبيّه.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لا تمجدون الله[٣]؟ إذا كان يوم القيامة فدعا كلّ اناس إلى من يتولونه، وفزعنا إلى رسول الله ﷺ[٤]، وفزعتم إلينا، فإلى أين ترون يذهب بكم؟ إلى الجنّة ورب الكعبة - قالها ثلاثاً -

ورابعها: أنّ معناه: بكتابهم الّذي فيه أعمالهم.

وخامسها: معناه بامهاتهم.

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ أي كتاب عمله ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ فرحين مسرورين.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي لا ينقصون عن ثواب أعمالهم مقدار فتيل وهو المفتول الّذي في شقّ النواة، وقيل: الفتيل في بطن النواة، والنقير في ظهرها، والقطمير: قشر النواة.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ ذكر في معناه أقوال:

---

(١) في مجمع البيان المطبوع: أن معناه: بنبيهم.
(٢) في مجمع البيان المطبوع: رؤساء الضلالة.
(٣) في مجمع البيان المطبوع: ألا تحمدون الله؟
(٤) في مجمع البيان المطبوع: ودعانا إلى رسول الله.

أحدها: أنّ معناه من كان فيما تقدّم ذكره من النّعم أعمى فهو عمّا غيب عنه من أمر الآخرة أعمى.

وثانيها: من كان في هذه الدنيا أعمى عن آيات الله ضالاً عن الحقّ فهو في الآخرة أشدّ تحيراً وذهاباً عن طريق الجنّة، أو عن الحجّة إذا سئل، فأنَّ من ضل عن معرفة الله في الدنيا يكون في القيامة منقطع الحجّة.

وثالثها: أنّ معناه من كان في الدنيا أعمى القلب فإنّه في الآخرة أعمى العين يحشر كذلك عقوبة له على ضلالته في الدنيا كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ ويأول قوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ بأن معناه الاخبارعن قوّة المعرفة، والجاهل بالله سبحانه يكون عارفاً به في الآخرة، وعلى هذا فليس قوله: ﴿أَعْمَىٰ﴾ على سبيل المبالغة والتعجب وإنّ عطف عليه بقوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ قيل: ويجوز أن يكون أعمى، عبارة عمّا يلحقه من الغم المفرط، فإنّه إذا لم ير إلا مايسوؤه فكأنّه أعمي، يقال: فلان سخين العين[(١)].

ورابعها: أنّ معناه من كان في الدنيا ضالاً فهوفي الآخرة أضل، لأنّه لا تقبل توبته[(٢)].

بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ قال: يدعى كلّ قوم بإمام زمانهم، وكتاب الله وسنّة نبيّهم[(٣)].

عن صفوان عن أبان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: أين خليفة الله في أرضه؟

فيقوم داود النبيّ عليه السلام، فيأتي النداء من عند الله عزّ وجلّ: لسنا إيّاك أردنا وإنّ كنت لله تعالى خليفة، ثمَّ ينادى ثانية: أين خليفة الله في أرضه؟

(١) سخنت عينه: نقيض قرّت.

(٢) البحار: ج ٨، ص ٨ - ٩.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الآية: ٢٠١، البحار: ج ٨، ص ١٠، باب ١٩، ح ٢.

فيقوم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فيأتي النداء من قبل الله عزّ وجلّ: يا معشر الخلائق هذا عليّ بن أبي طالب خليفة الله في أرضه، وحجته على عباده، فمن تعلّق بحبله في دارالدنيا فليتعلق بحبله في هذا اليوم يستضئ بنوره وليتبعه إلى الدرجات العلى من الجنات.

قال: فيقوم النّاس الّذين قد تعلّقوا بحبله في الدنيا فيتبعونه إلى الجنّة.

ثمَّ يأتي النداء من عند الله جل جلاله: ألا من ائتم بإمام في دارالدنيا فليتبعه إلى حيث يذهب به، فحينئذ تبرأ الّذين اتبعوامن الّذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذبن اتبعوا لو أنّ لناكرة فنتبرء منهم كما تبرؤوا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار[1].

عن مالك الجهنيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّه ليس من قوم ائتموا بإمامهم في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلا أنتم ومن على مثل حالكم[2].

عن يعقوب بن شعب قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾.

فقال: ندعو (يدعى خ ل) كلّ قرن من هذه الأُمّة بإمامهم.

قلت: فيجيء رسول الله صلى الله عليه وآله في قرنه، وعلي عليه السلام في قرنه، والحسن عليه السلام في قرنه، والحسين عليه السلام في قرنه، وكلّ إمام في قرنه الّذي هلك بين أظهرهم؟ قال: نعم[3].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّه إذا كان يوم القيامة يدعى كلّ بإمامه الّذي مات في عصره، فإن أثبته اعطي كتابه بيمينه لقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ واليمين إثبات الإمام لأنّه كتاب له يقرءوه لأنّ الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾، إلى آخرالآيات، والكتاب: الإمام فمن نبذه وراء

---

(١) أمالي الطوسي: ص ٣٩، البحار: ج ٨، ص ١٠، باب ١٩، ح ٣.
(٢) المحاسن: ص ١٤٣، البحار: ج ٨، ص ١١، باب ١٩، ح ٤.
(٣) المحاسن: ص ١٤٤، البحار: ج ٨، ص ١١، باب ١٩، ح ٦.

ظهره كان كماقال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ومن أنكره كان من أصحاب الشمال الّذين قال الله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾ إلى آخر الآيات(١) (٢) (٣).

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما كان فطوبى للغرباء، فقال: يا أبا محمّد يستأنف الداعي منّا دعاءاً جديدا كما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله. فأخذت بفخذه فقلت: أشهد أنك إمامي.

فقال: أما إنه سيدعى كلّ اناس بإمامهم: أصحاب الشمس بالشمس وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النّار بالنار، وأصحاب الحجارة بالحجارة(٤) (٥).

عن عمّار الساباطي، عن أبي عبد الله عليه السلام: لا يترك الأرض بغير إمام يحل حلال الله ويحرم حرامه، وهو قول الله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ ثم قال: رسول الله صلى الله عليه وآله من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. فمدوا أعناقهم وفتحوا أعينهم، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليست الجاهلية الجهلاء. فلمّا خرجنا من عنده فقال لنا سليمان: هو والله الجاهلية الجهلاء، ولكن لما رآكم مددتم أعناقكم وفتحتم أعينكم قال لكم كذلك(٦).

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٢) على هذا التأويل من بطن الآية يكون المراد بالكتاب الإمام لاشتماله على علم ما كان وما يكون، وإيتائه في الدنيا الهداية إلى ولايته، وفي الآخرة الحشر معه وجعله من أتابعه، والمراد باليمين البيعة فإنّها تكون باليمين، أي من أوتي إمامه في الآخرة بسبب بيعته له في الدنيا.

(٣) البحار: ج ٨، ص ١١، باب ١٩، ح ٨. تفسير العياشي.

(٤) قال الجزريّ: فيه: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء. أي أنّه كان في أوّل أمره كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريباً كما كان أي يقل المسلّمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء، فطوبى للغرباء أي الجنّة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أوّل الإسلام ويكونون في آخره، وإنّما خصهم بها لصبرهم على أذى الكفّار أولاً وآخراً ولزومهم دين الإسلام.

(٥) البحار: ج ٨، ص ١٢، باب ١٩، ح ١٠. وتفسير العياشي.

(٦) البحار: ج ٨، ص ١٢، باب ١٩، ح ١١، وتفسير العياشي.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال المسلمون: يا رسول الله أولست إمام المسلمين أجمعين؟

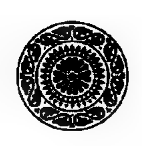
قال: فقال: أنا رسول الله إلى النّاس أجمعين، ولكن سيكون بعدي أئمّة على النّاس من الله من أهل بيتي، يقومون في النّاس فيكذبون ويظلمون، ألا فمن تولاهم فهو منّي ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذبهم فليس منّي ولا معي وأنا منه بريء(١).

عن إسماعيل بن همّام قال: قال الرضا عليه السلام في قول الله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

قال: إذا كان يوم القيامة قال الله: أليس عدلاً من ربّكم أنّ نولي كلّ قوم من تولوا؟

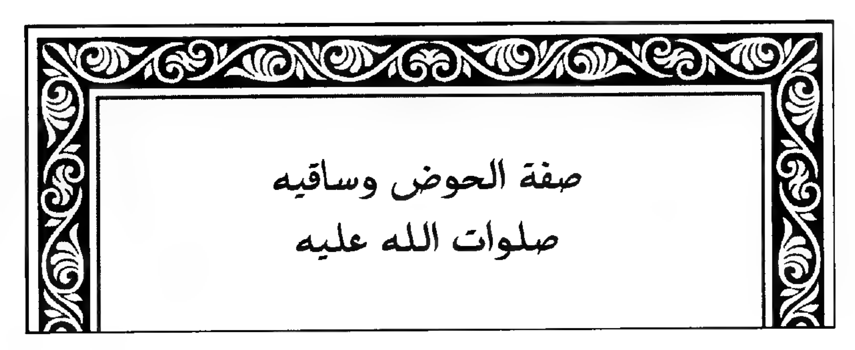
قالوا: بلى.

قال: فيقول: تميزوا فيتميزون(٢).



(١) البحار: ج ٨، ص ١٣، باب ١٩، ح ١٢، وتفسير العياشي.

(٢) البحار: ج ٨، ص ١٤، باب ١٩، ح ١٧، وتفسير العياشي.



صفة الحوض وساقيه صلوات الله عليه

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]

قال الطبرسيّ ﵀: اختلفوا في تفسير الكوثر فقيل: هو نهر في الجنّة، عن عائشة وابن عمر.

قال ابن عبّاس: لما نزل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ صعد رسول الله ﷺ المنبر فقرءها على النّاس، فلمّا نزل قالوا: يا رسول الله ما هذا الّذي أعطاكه الله؟

قال: نهر في الجنّة أشدّ بياضاً من اللّبن، وأشد استقامة من القدح، حافتاه قباب الدرّ والياقوت، ترده طير خضر لها أعناق كأعناق البخت، قالوا: يا رسول الله ما أنعم تلك الطير.

قال: أفلا اخبركم بأنعم منها؟

قالوا: بلى.

قال: من أكل الطائر وشرب الماء فاز برضوان الله تعالى.

وروي عن أبي عبد الله ﵇ أنّه قال: نهرفي الجنّة أعطاه الله نبيّه عوضاً من ابنه.

وقيل: هو حوض النبيّ ﵇ الّذي يكثر النّاس عليه يوم القيامة، عن عطاء.

وقال أنس: بينا رسول ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءاً ثمَّ رفع رأسه متبسماً فقلت: ما أضحكك يا رسول الله؟

قال: انزلت علي آنفاً سورة، فقرأ سورة الكوثر ثمَّ قال: أتدرن ما الكوثر؟

قلنا: الله ورسوله أعلم، فإنّه نهر وعدنيه ربّي عليه خيراً كثيراً، هو حوضي ترد عليه أُمّتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم فأقول: يا ربّ إنّهم من أُمّتي، فيقال: إنّك لاتدري ما أحدثوا بعدك. أورده مسلم في الصحيح.
وقيل: الكوثر: الخير الكثير، عن ابن عبّاس وابن جبير ومجاهد.

وقيل: هو االنبوة والكتاب، عن عكرمة. وقيل: القرآن، عن الحسن.

وقيل: هو كثرة الأصحاب والاشياع، عن أبي بكربن عيّاش وقيل: هوكثرة النسل والذرّيّة وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتّى لا يحصى عددهم واتصل إلى يوم القيامة مددهم. وقيل: هو الشفاعة.

رووه عن الصادق عليه السلام، واللّفظ محتمل للكلّ فيجب أنّ يحمل جميع ماذكر من الاقوال، فقد أعطاه الله سبحانه الخير الكثير في الدنيا، ووعده الخير الكثير في الآخرة، وجميع هذه الاقوال تفصيل للجملة الّتي هي الخير الكثير في الدارين[1].

عن أبي الورد قال: سمعت أبا جعفر محمّد عليّ الباقر عليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله النّاس في صعيد واحد من الأوّلين والآخرين عراة حفاة، فيوقفون على طريق المحشر حتّى يعرقوا عرقاً شديداً، وتشتد أنفاسهم فيمكثون كذلك ما شاء الله، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[2] قال: ثمَّ ينادي منّاد من تلقاء العرش: أين النبيّ الامي؟

قال: فيقول النّاس قد أسمعت كلاً فسم باسمه.

قال: فينادي: أين نبيّ الرحمة محمّد بن عبد الله؟

قال: فيقوم رسول الله صلى الله عليه وآله فيتقدم أما م النّاس كلّهم حتّى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة وصنعاء، فيقف عليه ثمَّ ينادي بصاحبكم فيقوم أمام النّاس فيقف معه، ثمَّ يؤذن للناس فيمرون.

قال أبو جعفر عليه السلام: فبيّن وارد يومئذٍ وبيّن مصروف فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) البحار: ج ٨، ص ١٦-١٧، باب ٢٠.
(٢) سورة طه، الآية: ١٠٨.

من يصرف عنه من مجينا أهل البيت بكى، وقال: يا ربّ شيعة عليّ، يا ربّ شيعة عليّ.

قال: فيبعث الله عليه (إليه خ ل) ملكاً فيقول له: ما يبكيك يا محمد؟

قال: فيقول: وكيف لا أبكي لاناس من شيعة أخي عليّ بن أبي طالب أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النّار ومنعوا من ورود حوضي؟

قال: فيقول الله عزّوجلّ له: يا محمّد إنّي قد وهبتهم لك، وصفحت لك عن ذنوبهم، وألحقتهم بك وبمن كانوا يتولّون من ذرّيّتك وجعلتهم في زمرتك، وأوردتهم حوضك، وقبلت شفاعتك فيهم، وأكرمتك بذلك.

ثم قال أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام: فكم من باك يومئذٍ وباكية ينادون: يا محمداه إذا رأوا ذلك، قال: فلايبقى أحد يومئذٍ كان يتولانا ويحبنا إلا كان في حزبنا ومعنا وورد حوضنا[1].

عن عبد الله بن عبّاس قال: لمّا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قال له عليّ بن أبي طالب: ما هو الكوثر يا رسول الله؟

قال: نهر أكرمني الله به.

قال عليّ: إنّ هذا النهر شريف فانعته لنا يا رسول الله.

قال: نعم يا علي، الكوثر نهر يجري تحت عرش الله تعالى، ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد. وحصاه (حصباؤه خ ل) الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الاذفر، قواعده تحت عرش الله عزوجل. ثمّ ضرب رسول الله صلّى الله وآله يده في جنب عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: يا علي إنّ هذا النهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي[2].

عن ابن عبّاس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الله عزّوجلّ أعطاني نهراً في السماء مجراه تحت العرش، عليه ألف ألف قصر، لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة،

(١) مجالس المفيد: ص ١٧٠-١٧١، وأمالي الطوسي: ص ٤١. البحار: ج ٨، ١٧-١٨، باب ٢٠، ح ١.

(٢) مجالس المفيد: ص ١٧٣. أمالي الطوسي، ص ٤٢-٤٣. البحار: ج ٨، ص ١٨، باب ٢٠، ح ٢.

حشيشها الزعفران، ورضراضها الدرّ والياقوت، وأرضهاالمسك الابيض، فذلك خير لي ولأُمّتي، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ الخبر[١].

عن المفضّل، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أراد أنّ يتخلص من هول القيامة فليتولّ وليي، وليتبع وصيي وخليفتي من بعدي عليّ ابن أبي طالب، فإنّه صاحب حوضي، يذود عنه أعداءه، يسقي أولياءه، فمن لم يسق منه لم يزل عطشاناً ولم يرو أبداً، ومن سقى منه شربة لم يشق ولم يظمأ أبداً. الخبر[٢].

في الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا مع رسول الله ومعي عترته على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعلمنا، فأنَّ لكلّ أهل بيت نجيب (نجيباً خ ل) ولنا شفاعة، ولأهل مود تنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض فإنا نذود عنه أعداءنا ونسقي منه أحباء نا وأولياءنا، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، حوضنا مترّع، فيه مثعبان (مثقبان خ ل) ينصبان من الجنّة، أحدهما من تسنيم والآخرمن معين، على حافيته الزعفران وحصاه اللّؤلؤ والياقوت وهو الكوثر. الخبر[٣].

عن حمزة بن أبي سعيد الخدريّ، عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر: ما بال أقوام يقولون: إنّ رحم رسول الله صلى الله عليه وآله لا يشفع (لاينفع خ ل) يوم القيامة؟ بلى بلى والله إنّ رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، وإنّي أيّها النّاس فرطكم يوم القيامة على الحوض، فاذا جئتم قال الرجل: يا رسول الله أنافلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقرى[٤].

عن الأصبغ بن نباتة، عن أبي أيّوب الأنصاريّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن الحوض.

---

(١) البحار: ج ٨، ص ١٨، باب ٢٠، ح ٣. والإحتجاج.
(٢) أمالي الصدوق: ص ١٦٨. البحار: ج ٨، ص ١٩، باب ٢٠ ح ٦.
(٣) الخصال: ج ٢، ص ١٦٣، البحار: ج ٨، ص ١٩-٢٠، باب ٢٠، ح ٩.
(٤) أمالي الطوسي: ص ٥٧-٥٨. البحار: ج ٨، ص ٢٠، باب ٢٠، ح ١١.

فقال: أما إذا سألتموني عنه فسأخبر كم: إنّ الحوض أكرمني الله بن وفضّلني على من كان قبلي من الأنبياء وهو مابين أيلة وصنعاء، فيه من الآنية عدد نجوم السّماء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، حصاه الزمرد والياقوت، بطحاؤه مسك أذفر، شرط مشروط من ربّي لايرده أحد من أُمّتي إلا النقيّة قلوبهم، الصحيحة نياتهم، المسلّمون لوصيّ من بعدي، الّذين يعطون ما عليهم في يسر ولا يأخذون ما عليهم (لهم ظ) في عسر، يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته كما يذود الرجل البعير الاجرب من إبله، من شرب منه لم يظمأ أبداً[١].

عن إسحاق ابن جرير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: جاءني ابن عمّك كأنّه أعرابي مجنون، وعليه إزارو طليسان، ونعلاه في يده.

فقال لي: إنّ قوماً يقولون فيك.

قلت له: ألست عربياً؟

قال: بلى.

قلت: إنّ العرب لاتبغض علياً عليه السلام، ثمّ قلت له: لعلك ممّن يكذب بالحوض، أما والله لئن أبغضته ثمّ وردت عليه الحوض لتموتن عطشاً[٢].

عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى الغداة ثمّ التفت إلى عليّ عليه السلام فقال: يا عليّ ما هذا النور الّذي أراه قد غشيك؟

قال: يا رسول الله أصابتني جنابة في هذه الليلة فأخذت بطن الوادي ولم اصب الماء فلمّا وليت ناداني منّاد: يا أمير المؤمنين فالتفت فإذا خلفي إبريق مملوء من ماء فاغتسلت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا عليّ: أمّا المنادي فجبرئيل، والماء من نهر يقال له: الكوثر عليه اثنا عشر ألف شجرة، كلّ شجرة لها ثلاث مائة وستون غصناً، فإذا أراد أهل الجنّة الطرب

(١) أمالي الطوسي: ص ١٤٢-١٤٣، البحار: ج ٨، ص ٢٠-٢١، باب ٢٠، ح ١٤.
(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٠٢، البحار: ج ٨، ص ٢٢، باب ٢٠، ح ١٦.

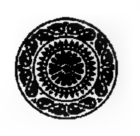
هبت ريح فمامن شجرة ولا غصن إلا وهو أحلى صوتاً من الآخر، ولولا أنّ الله تعالى كتب على أهل الجنّة أنّ لا يموتوا لماتوا فرحاً من شدّة حلاوة تلك الاصوات، وهذا النهر في جنّة عدن، وهو لي ولك ولفاطمة والحسن والحسين، وليس لاحد فيه شيء(١).

عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال:

يا عليّ: أنت وشيعتك على الحوض، تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الاكبر في ظلّ العرش، يفزع النّاس ولا تفزعون، ويخزن النّاس ولا تخزنون، فيكم نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾(٢) فيكم نزلت: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(٣) الحديث(٤).

عن أبي أيّوب الأنصاريّ قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل عن الحوض.

فقال: أمّا إذا سألتموني عن الحوض فإنّي سأُخبركم عنه: إنّ الله تعالى أكرمني به دون الأنبياء، وإنّه مابين أيلة إلى صنعاء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤهما أبيض من اللبن وأحلى من العسل، بطحاؤ هما مسك أذفر، حصباؤ هما الدرّ والياقوت، شرط مشروط من ربّي لا يردهما إلا الصحيحة نيّاتهم، النقيّة قلوبهم، الّذين يعطون ما عليهم في يسر، ولا يأخذون مالهم في عسر، المسلّمون للوصيّ من بعدي، يذود من ليس من شيعته كما يذود الرجل الجمل الاجرب عن إبله(٥).



(١) البحار: ج ٨، ص ٢٦، باب ٢٠، ح ٢٧. وكنز الفوائد.
(٢) سورة الأنبياء: الآية: ١٠١.
(٣) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٣.
(٤) أمالي الصدوق: ص ٣٣٥-٣٣٦. البحار: ج ٨، ص ٢٨، باب ٢٠، ح ٣٢.
(٥) البحار: ج ٨، ص ٢٨-٢٩، باب ٢٠، ح ٣٣، وأعلام الدين للديلمي.



الشفاعة

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

قال الطبرسيّ قدّس الله روحه في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا﴾: أي احذروا واخشوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِي﴾ أي لا تغني، أو لا تقضي فيه.

﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ ولا تدفع عنها مكروهاً، وقيل: لا يؤدّي أحد عن أحد حقّاً وجب عليه الله أو لغيره.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ قال المفسّرون: حكم هذه الآية مختص باليهود لأنّهم قالوا: نحن أولاد الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا، فآيسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص، ويدلّ على ذلك أنّ الأُمّة أجمعت على أنّ للنبي ﷺ شفاعة مقبولة وإنّ اختلفوا في كيفيتها، فعندنا هي مختصّة بدفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقيه من مذنبي المؤمنين.

وقالت المعتزلة: هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين، وهي ثابتة عندنا للنبي ﷺ ولاصحابه المنتجبين وللائمّة من أهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين، وينجي الله تعالى بشفاعتهم كثير من الخاطئين.

ويؤيّده الخبر الّذي تلقته الأُمّة بالقبول وهو قوله ﷺ: ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من أُمّتي.

وما جاء في روايات أصحابنا رضي الله عنهم مرفوعاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

إنّي أشفع يوم القيامة فاشفع، ويشفع عليّ فيشفع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون، وإنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كلّ قد استوجبو النار.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي فدية لأنّه يعادل المفدي ويماثله، وأمّا ما جاء في الحديث: «لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» فاختلف في معناه، قال الحسن: الصرف: العمل، والعدل: الفدية.

وقال الاصمعيّ: الصرف: التطوع، والعدل: الفريضة.

وقال أبو عبيدة: الصرف: الحيلة، والعدل: الفدية، وقال الكلبيّ: الصرف الفدية والعدل: رجل مكانه.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي لا بعاونون حتّى ينجوامن العذاب، وقيل: ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله إذا عاقبهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]

وفي قوله سبحانه: ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ﴾ أي لا تجارة ﴿وَلَا خُلَّةٞ﴾ أي لا صداقة، لأنّهم بالمعاصي يصيرون أعداءاً، وقيل لأنّ شغله بنفسه يمنع من صداقة غيره، وهذا كقوله: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ أي لغير المؤمنين مطلقاً.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾

[البقرة: ٢٥٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ هو استفهام معناه الإنكار والنفي، أي لا يشفع يوم القيامة أحد لأحد إلا بإذنه وأمره، وذلك أنّ المشركين كانوا يزعمون أنّ الأصنام تشفع لهم فأخبرالله سبحانه أنّ أحداً ممّن له الشفاعة لا يشفع إلا بعد أنّ يأذن الله له في ذلك ويأمره به.

﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ۝٨٦ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٨٦-٨٧]

وفي قوله عزّوجلّ: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ۝٨٦ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون، ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض، لأنّ ملك الشفاعة على وجهين:

أحدهما: أنّ يشفع للغير.

والآخر: أن يستدعي الشفاعة من غيره لنفسه، فبيّن سبحانه أنّ هؤلاء الكفّار لاتنفذ شفاعة غيرهم فيهم، ولا شفاعة لهم لغيرهم.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ أي لا يملك الشفاعة إلا هؤلاء، أولا يشفع إلا لهؤلاء، والعهد هو الإيمان، والاقرار بوحدانية الله تعالى، والتصديق بأنبيائه.

وقيل: هو شهادة أنّ لا إله إلا الله وأن يتبرؤوا إلى الله من الحول والقوة، ولا يرجوا إلا لله، عن ابن عبّاس.

وقيل: معناه: لا يشفع إلا من وعد له الرحمن بإطلاق الشفاعة كالانبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين على ما ورد به الأخبار.

وقال عليّ بن إبراهيم في تفسيره: حدّثني أبي، عن ابن محبوب، عن سليمان بن جعفر، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته.

فقيل: يا رسول الله كيف يوصي الميت؟

قال: إذا حضرته الوفاة واجتمع النّاس إليه قال: اللّهمّ فاطر السماوات والأرض - وساق الحديث إلى أنّ قال - وتصديق هذه الوصيّة في سورة مريم في

قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فهذا عهد الميت[1].

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]

وقال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾: أي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة أحد في غيره إلا شفاعة من أذن الله له في أنّ يشفع ورضي قوله فيها من الأنبياء والاولياء والصالحين والصديقين والشهداء.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾

[الأنبياء: ٢٦-٢٨]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ يعني من الملائكة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نزه نفسه عن ذلك.

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ أي ليسوا أولاداً كما تزعمون بل عبّاد أكرمهم الله واصطفاهم.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربّهم ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما قدموامن أعمالهم وما أخروا منها، يعني ما عملوا منها وما هم عاملون.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أي ارتضى الله دينه، وقال مجاهد: إلا لمن رضي الله عنه. وقيل: هم أهل شهادة أنّ لا إله إلاالله. وقيل: هم المؤمنون المستحقون للثواب، وحقيقته أنّه لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله أنّ يشفع فيه،

(١) البحار ج ٨ ص ٣٠ - ٣٢.

فيكون في معنى قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ أي من خشيتهم منه، فا ضيف المصدر إلى المفعول ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون وجلون من التقصير في عبادته.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أي لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن رضيه الله وارتضاه وأذن له في الشفاعة مثل الملائكة والأنبياء والأولياء أو إلا لمن أذن الله أنّ يشفع له.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي كشف الفزع عن قلوبهم واختلف في الضمير في قوله: ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ فقيل: يعود إلى المشركين، أي حتّى إذا أخرج عن قلوبهم الفزع ليسمعوا كلام الملائكة ﴿قَالُوا۟﴾ أي الملائكة ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟﴾ أي المشركون مجيبين لهم ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي قال الحقّ، فيعترفون أنّ ما جاء به الرسل كان حقّاً، عن ابن عبّاس وغيره وقيل: إنّ الضمير يعود إلى الملائكة، ثمّ اختلف في معناه على وجوه:

أحدها: أنّ الملائكة إذا صعدوا بأعمال العباد ولهم زجل[1] وصوت عظيم فتحسب الملائكة أنّها الساعة فيخرون سجّداً ويفزعون، فإذا علموا أنّه ليس ذلك قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾.

وثانيها: أنّ الفترة لمّا كانت بين عيسى ومحمّد ﷺ وبعث الله محمّد ﷺ أنزل الله سبحانه جبرئيل بالوحي، فلمّا نزلت ظنت الملائكة أنّه نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك، فجعل جبرئيل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم وقال بعضهم لبعض: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ يعني الوحي.

---

(١) جمع الزجلة بالضم: الصوت والضجيج.

ثالثها: أنّ الله إذا أوحى إلى بعض ملائكته لحق الملائكة غشي عند سماع الوحي، ويصعقون ويخرون سجداً اللآية العظيمة، فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الّذي أوحي إليه: ماذا قال ربك؟ أو يسأل بعضهم بعضاً فيعلمون أنّ الأمر في غيرهم.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان: ٤١-٤٢]

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ المولى: الصاحب الّذي من شأنه أنّ يتولّى معونه صاحبه على أموره، فيدخل في ذلك ابن العم والناصر والحليف وغيرهم، أي لا يغني فيه ولي عن ولي شيئاً، ولا يدفع عنه عذاب الله.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وهذا لا ينافي ما ذهب إليه أكثر الأُمّة من إثبات الشفاعة، لانّها لا تحصل إلا بأمر الله تعالى وإذنه، والمراد بالآية أنّه ليس لهم من يدفع عنهم العذاب وينصر هم من غير أنّ يأذن الله لهم فيه، ويدلّ عليه قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ أي إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين، فإنّه إما أن يسقط عقابهم ابتداءاً أو يأذن بالشفاعة فيهم.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ أي للملائكة في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ لهم أنّ يشفعوا فيه.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]

وفي قوله تعالي: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ أي شفاعة الملائكة والنبيين كما نفعت الموحدين، عن ابن عبّاس.

وقال الحسن: لم تنفعهم شفاعة ملك ولا شهيد ولا مؤمن، ويعضد هذا الاجماع على أنّ عقاب الكفر لا يسقط بالشفاعة، وقد صحت الرواية عن ابن مسعود قال: يشفع نبيكم رابع أربعة: جبرئيل، ثمَّ إبراهيم، ثمَّ موسى أو عيسى، ثمَّ نبيكم، لا يشفع أحد أكثر ممّا يشفع فيه نبيكم، ثمَّ النبيّون، ثمَّ الصديقون، ثمَّ الشهداء، ويبقى قوم في جنهم فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّافِعِينَ﴾ قال ابن مسعود: فهؤالاء الّذين يبقون في جهنّم.

وعن الحسن، عن رسول الله ﷺ قال: يقول الرجل من أهل الجنّة يوم القيامة: أي ربّ عبدك فلان سقاني شربة من ماء في الدنيا فشفعني فيه.

فيقول: اذهب فأخرجة من النّار، فيذهب فيتجسس في النّار حتّى يخرجه منها.

وقال ﷺ: إنّ من أُمّتي من سيّدخل الله الجنّة بشفاعته أكثر من مضر[1].

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لكلّ نبيّ دعوة قد دعا بها وقد سأل سؤلاً، وقد أخبأت دعوتي لشفاعتي لأُمّتي يوم القيامة[2].

الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تعنونا في الطلب والشفاعة لكم يوم القيامة فيما قدّمتم.

وقال عليه السلام: لنا شفاعة ولأهل مودتنا شفاعة[3].

عن الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي.

ثمَّ قال عليه السلام: إنّما شفاعتي لاهل الكبائر من أُمّتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل. قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[4]؟

(١) البحار: ج ٨، ص ٣٠ - ٣٢.
(٢) البحار: ج ٨، ص ٣٤، باب ٢١، ح ١.
(٣) الخصال: ج ٢، ص ١٥٧، وص ١٦٣. البحار: ج ٨، ص ٣٤، باب ٢١، ح ٣.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢١.

قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه[١].

عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفزع الأكبر؟

قال: يا فاطمة عند باب الجنّة ومعي لواء الحمد وأنا الشفيع لأُمّتي إلى ربي.

قالت: يا أبتاه فإن لم ألقك هناك؟

قال: القيني على الحوض وأنا أسقي أُمّتي، قالت: يا أبتاه إن لم ألقك هناك؟

قال: القيني على الصّراط وأنا قائم أقول: ربّ سلم أُمّتي.

قالت: فأن لم ألقك هناك؟

قال: القيني وأنا عند الميزان.

أقول: ربّ سلم أُمّتي.

قالت: فأن لم ألقك هناك؟

قال: القيني على شفير جهنّم أمنع شرر ها ولهبها عن أُمّتي، فاستبشرت فاطمة بذلك، صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها[٢].

عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن شفاعة النبيّ يوم القيامة.

قال: يلجم النّاس يوم القيامة العرق فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا (عندربه خ ل) فيأ تون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربّك.

فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيرد هم إلى من يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه حتّى ينتهون إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء - فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنّة ويستقبل باب الرحمن ويخر ساجداً فيمكث ماشاء الله

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٧٨. أمالي الصدوق: ص ٥. البحار: ج ٨، ص ٣٤، باب ٢١، ح ٤.
(٢) أمالي الصدوق: ص ١٦٦. البحار: ج ٨، ص ٣٥، باب ٢١، ح ٦.

فيقول الله عزّوجلّ : أرفع رأسك واشفع تشفع وسل تعط، وذلك قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[١].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجون إلى ربّهم ويقولون: يا ربّ اكشف عنّا هذه الظلمة.

قال: فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع هؤلاء أنبياء الله، فيجيئهم النداء من عندالله: ماهؤلاء بأنبياء، فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عندالله: ما هؤلاء بملائكة.

فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء فيجيئهم النداء من عندالله: ماهؤلاء بشهداء، فيقولون: من هم؟

فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع سلوهم: من أنتم؟ فيقول الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويون، نحن ذرّيّة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، نحن أولاد عليّ ولي الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنّون، فيجيئهم النداء من عند الله عزّوجلّ : اشفعوا في محبيكم وأهل مودتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون[٢].

عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنّكم لملحقون بنا يوم القيامة، وإنا لنشفع فنشفع ووالله إنّكم لتشفّعون فتشفعون، وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله وجنّة عن يمينه فيد خل أحبّاءه الجنّة، وأعداءه النار[٣].

عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أُمّتي فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفعت فيمن آذى ذرّيتي[٤].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٣٨٧، البحار: ج ٨، ص ٣٥-٣٦، باب ٢١، ح ٧.
(٢) أمالي الصدوق: ص ١٧٠-١٧١، البحار: ج ٨، ص ٣٦-٣٧، باب ٢١، ح ١٠.
(٣) علل الشرائع: ص ٤٢. البحار: ج ٨، ص ٣٧، باب ٢١، ح ١١.
(٤) أمالي الصدوق: ص ١٧٧، البحار: ج ٨، ص ٣٧، باب ٢١، ح ١٢.

عن محمّد بن عمّارة، عن أبيه قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة[١].

عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأُحل لي المغنم، وأُعطيت جوامع الكلم، وأُعطيت الشفاعة[٢].

عن الحسن بن عبد الله، عن آبائه، عن جدّه الحسن بن عليّ عليه السلام في حديث طويل: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال في جواب نفر من اليهود سألوه عن مسائل: وأمّا شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ماخلا أهل الشرك والظلم[٣] [٤].

عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليهم السلام قال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب:

باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون.

وباب يدخل منه الشهداء والصالحون.

وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصّراط أدعو وأقول: ربّ سلم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن توالاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أُجيبت دعوتك، وشفعت في شيعتك. ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أوقول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أنّ لا إله إلاالله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت[٥].

فيما كتب الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإيمان: ومذنبوا أهل التوحيد يدخلون النّار ويخرجون منها، والشفاعة جائزة لهم[٦].

---

(١) أمالي الصدوق: ص ١٧٧، البحار: ج ٨، ص ٣٧، باب ٢١، ح ١٣.

(٢) الخصال: ج ١، ص ١٤٠-١٤١. البحار: ج ٨، ص ٣٨، باب ٢١، ح ١٧.

(٣) المراد بالظلم سائر أنواع الكفر والمذاهب الباطلة.

(٤) الخصال: ج ٢، ص ٩. البحار: ج ٨، ص ٣٩، باب ٢١، ح ١٨.

(٥) الخصال: ج ٢، ص ٣٩، البحار: ج ٨، ص ٣٩، باب ٢١، ح ١٩.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٣٦٨، البحار: ج ٨، ص ٤٠، باب ٢١، ح ٢٣.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة ولّينا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ حكمنا فيها فأجابنا، ومن كانت مظلمته بينه وفيما بين النّاس استوهبناها فوهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحقّ من عفا وصفح[1].

عن ميسر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ المؤمن منكم يوم القيامة ليمرّ به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد أُمر به إلى النّار والملك ينطلق به.

قال: فيقول له: يا فلان أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا واسعفك في الحاجة تطلبها منّي، فهل عندك اليوم مكافاة؟

فيقول: المؤمن للملك الموكّل به: خل سبيله.

قال: فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أنّ يجيز قول المؤمن فيخلي سبيله[2].

عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

قال: نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صواباً.

قلت: جعلت فداك وما تقولون؟

قال: نمجّد ربّنا، ونصلي على نبيّنا، ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربّنا[3].

عن عليّ بن أبي حمزة قال: قال رجلاً لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ لنا جاراً من الخوارج يقول: إنّ محمّداً يوم القيامة همه نفسه فكيف يشفع؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أحد من الأوّلين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله يوم القيامة[4].

عن عليّ الخدميّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الجار يشفع لجاره والحميم

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٢١٩، البحار: ج ٨، ص ٤٠، باب ٢١، ح ٢٤.
(٢) ثواب الأعمال: ص ١٦٧، البحار: ج ٨، ص ٤١، باب ٢١، ح ٢٦.
(٣) المحاسن: ص ١٨٣، البحار: ج ٨، ص ٤١، باب ٢١، ح ٢٨.
(٤) المحاسن: ص ١٨٤، البحار: ج ٨، ص ٤٢، باب ٢١، ح ٣١.

لحميمه، ولو أنّ الملائكة المقرّبين والانبياء المرسلين شفعوا في ناصب ما شفّعوا[١].

عن جابر بن يزيد قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ياجابر لا تستعن بعدوّنا في حاجة ولا تستعطه ولا تسأله شربة ماء، إنّه ليمرّ به المؤمن في النّار فيقول: يا مؤمن ألست فعلت بك كذا وكذا؟ فيستحيي منه فيستنقذه من النّار، فإنّما سمّي المؤمن مؤمناً لأنّه يؤمن على الله فيؤمن (فيجيز خ ل) أمانه[٢].

عن عبيد بن زرارة قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المؤمن: هل له شفاعة؟

قال: نعم.

فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله يومئذ؟

قال: نعم إنّ للمؤمنين خطايا وذنوباً، ومامن أحد إلا يحتاج إلى شفاعة محمّد يومئذٍ.

قال: وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

قال: نعم.

قال: يأخذ حلقة باب الجنّة فيفتحها فيخرُّ ساجداً، فيقول الله: ارفع رأسك اشفع تشفّع، اطلب تعط، فيرفع رأسه ثمَّ يخرُّ ساجداً فيقول الله: ارفع رأسك اشفع تشفع واطلب تعط، ثمَّ يرفع رأسه فيشفع فيشفّع ويطلب فيعطى[٣].

عن سماعة بن مهران، عن أبي إبراهيم عليه السلام في قول الله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾.

قال: يقوم النّاس يوم القيامة مقدار أربعين عاماً، ويؤمر الشمس فيركب على رؤوس العباد ويلجمهم العرق، ويؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئاً، فيأتون آدم فيتشفّعون منه فيدلّهم على نوح، ويدلّهم نوح على إبراهيم، ويدلّهم إبراهيم على موسى، ويدلّهم موسى على عيسى، ويدلّهم عيسى فيقول: عليكم بمحمد

(١) المحاسن: ص ١٨٤، البحار: ج ٨، ص ٤٢، باب ٢١، ح ٣٥.
(٢) المحاسن: ص ١٨٥، البحار: ج ٨، ص ٤٢، باب ٢١، ح ٣٦.
(٣) البحار: ج ٨، ص ٤٨، باب ٢١، ح ٥١. وتفسير العياشي.

خاتم البشر، فيقول محمد: أنا لها، فينطلق حتّى يأتي باب الجنّة فيدقّ، فيقال له: من هذا؟ - والله أعلم -.

فيقول: محمّد.

فيقال: افتحوا له، فإذا فتح الباب استقبل ربّه فيخرّ ساجداً فلايرفع رأسه حتّى يقال له: تكلم وسل تعط واشفع تشفّع، فيرفع رأسه فيستقبل ربّه فيخرّ ساجداً فيقال له مثلها، فيرفع رأسه حتّى أنّه ليشفع من قد أُحرق بالنار، فما أحد من النّاس يوم القيامة في جميع الامم أوجه من محمّد ﷺ، وهو قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[1].

عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائيّ، عن أبيه، عن عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة:

١ - المكرم لذريّتي.

٢ - والقاضي لهم حوائجهم.

٣ - والساعي في أُمورهم ما اضطرّوا إليه.

٤ - والمحبّ لهم بقلبه ولسانه عند ما اضطرّوا[2].

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا فما كان لله سألنا الله أنّ يهبه لنا فهو لهم، وماكان للآدميّين سألنا الله أنّ يعوّضهم بدله فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثمَّ قرأ: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾[3] [4].

عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: لفاطمة وقفة على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ

(١) البحار: ج ٨، ص ٤٨-٤٩، باب ٢١، ح ٥٢، وفي تفسير العياشي.

(٢) البحار: ج ٨، ص ٤٩-٥٠، باب ٢١، ح ٥٣. وفي بشارة المصطفى ص ١٧١.

(٣) سورة الغاشية: الآيتان ٢٥-٢٦.

(٤) البحار: ج ٨، ص ٥٠، باب ٢١، ح ٥٤. وكنز الفوائد.

قد كثرت ذنوبه إلى النّار فتقرء بين عينيه محبّاً فتقول: إلهي وسيدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولّاني وتولّى ذرّيّتي من النّار[١] ووعدك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّوجلّ: صدقت يا فاطمة إنّي سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبّك وتولّاك وأحب ذرّيّتك وتولّاهم من النّار، ووعدي الحقُّ وأنا لا اخلف الميعاد، وإنّما أمرت بعبدي هذا إلى النّار لتشفعي فيه فأُشفّعك ليتبيّن لملائكتي وأنبيائي، ورسلي وأهل الموقف موقفك منّي ومكانتك عندي. فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فجذبت بيده وأدخلته الجنّة[٢].

عن حفص المؤذّن، عن أبي عبد الله عليه‌السلام في رسالته إلى أصحابه قال: واعلموا أنّه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً لا ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، ولا من دون ذلك، فمن سرّه أنّ ينفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أنّ يرضى عنه[٣].

قال أبو جعفر عليه‌السلام: لا تسألوهم الحوائج فتكونوا لهم الوسيلة إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في القيامة[٤].

بإسناده عن أبي عبد الله عليه‌السلام: إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد فإذا وقفا بين يدي الله عزّوجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنّة، وقيل للعالم: قف تشفع للناس بحسن تأديبك لهم[٥].

عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لا تستخفّوا بشيعة عليّ، فإنَّ الرجل منهم ليشفع لعدد ربيعة ومضر[٦].

عن عبد الحميد الوابشيّ، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: قلت له: إنّ لنا جاراً ينتهك المحارم كلّها حتّى إنّه ليترك الصلاة فضلاً عن غيرها.

---

(١) فطمه من النار أي قطعه عنها.
(٢) علل الشرائع: ص ٧١، البحار: ج ٨، ص ٥١، باب ٢١، ح ٥٨.
(٣) روضة الكافي: ص ١١. البحار: ج ٨، ص ٥٣، باب ٢١، ح ٦١.
(٤) علل الشرائع: ص ١١٨، البحار: ج ٨، ص ٥٥، باب ٢١، ح ٦٥.
(٥) علل الشرائع: والبحار: ج ٨، ص ٥٦، باب ٢١، ح ٦٦.
(٦) أمالي الطوسي: ص ٦٣. البحار: ج ٨، ص ٥٦، باب ٢١، ح ٦٨.

فقال: سبحان الله وأعظم ذلك؟ ألا أُخبركم بمن هو شرّ منه؟

قلت: بلى.

قال: الناصب لنا شرّ منه، أمّا إنّه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرقّ لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره، وغفرله ذنوبه كلّها إلا أنّ يجئ بذنب يخرجه من الإيمان، وإنّ الشفاعة لمقبولة وما تقبل في ناصب، وإنّ المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة، فيقول: يا ربّ جاري كان يكفُّ عنّي الاذى فيشفع فيه.

فيقول الله تبارك وتعالى: أناربك وأنا أحقّ من كافى عنك، فيدخله الجنّة وما له من حسنة، وإنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم[1].

عن سماعة قال: كنت قاعداً مع أبي الحسن الاول عليه السلام والنّاس في الطواف في جوف اللّيل فقال: يا سماعة إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عزّ وجلّ حتمنا على الله في تركه لنافأجابنا إلى ذلك، وما كان بينهم وبيّن الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوّضهم الله عزّ وجلّ [2].

عن بشر بن شريح البصريّ قال: قلت لمحمّد بن عليّ عليه السلام: أية آية في كتاب الله أرجى؟ قال: ما يقول فيها قومك؟

قال: قلت: يقولون: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[3].

قال: لكنّا أهل البيت لا نقول ذلك.

قال: قلت: فأيّ شيء تقولون فيها؟

قال: نقول: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[4] الشفاعة، والله الشفاعة والله الشفاعة[5].

---

(١) روضة الكافي: ص ١٠١، البحار: ج ٨، ص ٥٦-٥٧، باب ٢١، ح ٧٠.

(٢) روضة الكافي: ص ١٦٢، البحار: ج ٨، ص ٥٧، باب ٢١، ح ٧١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الضحى، الآية: ٥.

(٥) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ٢١٥، البحار: ج ٨، ص ٥٧، باب ٢١، ح ٧٢.

عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ قال: كأنّي أنظر إلى ابنتي فاطمة وقد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور، عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملك، تقود مؤمنات أُمّتي إلى الجنّة، فأيّما امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلوات وصامت شهر رمضان وحجت بيت الله الحرام وزكّت مالها وأطاعت زوجها ووالت عليّاً بعدي دخلت الجنّة بشفاعة ابنتي فاطمة، الخبر(١).

عن ابن أبي نجران، عن أبي الحسن عليه السلام قال: شيعتنا الّذين يقيمون الصّلاة، ويؤتون الزّكاة، ويحجّون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان، ويوالون أهل البيت، ويتبرّؤون من أعدائهم - وساق الحديث إلى أنّ قال -: وإنّ أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر، فيشفّعه الله فيهم لكرامته على الله عزّ وجلّ(٢).

قال العلّامة قدّس الله روحه في شرحه على التجريد: اتّفقت العلماء على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾(٣) قيل: إنّه الشفاعة، واختلفوا فقالت الوعيديّة: إنّها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقّين للثواب، وذهبت التفضّليّة إلى أنّ الشفاعة للفساق من هذه الأُمّة في إسقاط عقابهم وهو الحقّ، وأبطل المصنّف الأوّل بأن الشفاعة لو كانت في زيادة المنافع لا غير لكنّا شافعين في النبيّ ﷺ، حيث نطلب له من الله تعالى علوّ الدرجات، والتالي باطل قطعاً لأنّ الشافع أعلى من المشفوع فيه، فالمقدّم مثله، وقد استدلّوا بوجوه:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾(٤) نفى الله تعالى قبول الشفاعة عن الظالم، والفاسق ظالم.

والجواب أنّه تعالى نفى الشفيع المطاع، ونحن نقول به، لأنّه ليس في الآخرة شفيع يطاع، لأنّ المطاع فوق المطيع، والله تعالى فوق كلّ موجود ولا أحد فوقه،

(١) أمالي الصدوق: ص ٢٩١-٢٩٢، البحار: ج ٨، ص ٥٨-٥٩، باب ٢١، ح ٧٦.
(٢) البحار: ج ٨، ص ٥٩، باب ٢١، ح ٧٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
(٤) سورة غافر، الآية: ١٨.

ولا يلزم من نفي الشفيع المطاع نفي الشفيع المجاب، سلّمنا لكنّ لمَ يجوز أن يكون المراد بالظالمين هنا الكفّار جمعاً بين الادلّة؟.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1] ولو شفع ﷺ في الفاسق لكان ناصراً له.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[2].

والجواب عن هذه الآيات كلّها أنّها مختصّة بالكفّار جمعاً بين الادلّة.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[3] نفى شفاعة الملائكة من غير المرضي لله تعالى، والفاسق غير مرضيّ.

والجواب: لا نسلّم أنّ الفاسق غير مرضي، بل هو مرضيٌّ لله تعالى في إيمانه.

وقال المحقّق الطوسيّ رحمه الله: والحقّ صدق الشفاعة فيهما، أي لزيادة المنافع، وإسقاط المضارّ، وثبوت الثاني له عليه السلام بقوله: ادّخرت شفاعتي لاهل الكبائر من أُمّتي.

وقال النوويّ في شرح صحيح المسلم: قال القاضي عياض: مذهب أهل السنّة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الآيات، وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحّة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنّة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلّقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النّار، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[4] وأمثاله وهي في الكفّار، وأمّا تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم، وإخراج من استوجب النّار، لكنّ الشفاعة خمسة أقسام:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٠. سورة آل عمران، الآية: ١٩٢. سورة المائدة، الآية: ٧٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٣. سورة البقرة، الآية: ١٢٣. سورة المدثر، الآية: ٤٨.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٤) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

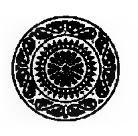
أوّلها: مختصّة بنبيّنا محمّد ﷺ وهو الازاحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

الثانية: في إدخال قوم الجنّة بغيرحساب، وهذه أيضاً وردت لنبينا ﷺ.

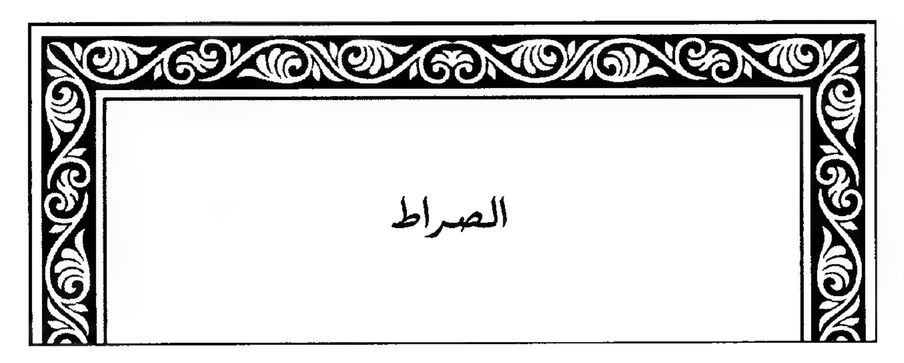
الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النّار فيشفع فيهم نبيّنا ﷺ ومن يشاء الله.

الرابعة: فيمن دخل النّار من المؤمنين وقد جاءت الاحاديث بإخراجهم من النّار بشفاعة نبيّنا ﷺ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثمَّ يخرج الله تعالى كلّ من قال: لا إله إلاالله كما جاء في الحديث: لا يبقى فيها إلا الكافرون.

الخامسة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنّة لاهلها وهذه لا ينكرها المعتزلة ولاينكرون أيضاً شفاعة الحشر الأُولى انتهى[1].



(١) البحار: ج ٨، ص ٦١ - ٦٣.



الصراط

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]

قال الطبرسيّ رحمه الله: أي عليه طريق العباد فلا يفوته أحد، والمعنى أنّه لا يفوته شيء من أعمالهم، لأنّه يسمع ويرى جميع أقوالهم وأفعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد.

وروي عن عليّ عليه السلام أنّ معناه: إنّ ربّك قادر على أنّ يجزي أهل المعاصي جزاءهم.

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: المرصاد: قنطرة على الصّراط لا يجوزها عبد بمظلمة.

وروي عن ابن عبّاس في هذه الآية قال: إنّ على جسر جهنّم سبع محابس يسأل العبد عند أوّلها عن شهادة أنّ لا إله إلاّ الله، فأنَّ جاء بها تامّة جاز إلى الثّاني فيسأل عن الصّلاة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزّكاة، فأنَّ جاء بها تامّة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصّوم، فأنَّ جاء به تامّاً جاز إلى الخامس فيسأل عن الحجّ، فأنَّ جاء به تامّاً جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة، فأنَّ جاء بها تامّة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم، فأنَّ خرج منها وإلاّ يقال: انظروا، فإن كان له تطوّع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنّة[1].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: النّاس يمرّون على الصّراط طبقات والصّراط أدقّ من الشّعر ومن حدّ السيف، فمنهم من يمرّ مثل

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٦٤، باب ٢٢، وتفسير الطبرسي لآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ حبواً، ومنهم من يمرّ مشياً، ومنهم من يمرّ متعلّقاً قد تأخذ النّار منه شيئاً وتترك شيئاً[١].

عن المفضّل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط.

فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ وهما صراطان: صراط في الدّنيا وصراط في الآخرة.

فأمّا الصّراط الّذي في الدنيا: فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصّراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة فتردى في نار جهنّم[٢].

عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا عليّ: إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلم يجز أحد إلاّ من كان معه كتاب فيه براة بولايتك[٣].

عن حنّان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو ذرّ رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حافّتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة، فإذا مرّ الوصول للرحم المؤدّي للأمانة نفذ إلى الجنّة، وإذا مرّ الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل، وتكفّأ به الصّراط في النار[٤].

عن تمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك عن أبيه، عن جدّه عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة. ونصب الصّراط على جهنّم لم يجز عليه إلاّ من كان معه جواز فيه ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وذلك قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٥] يعني عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٦].

---

(١) أمالي الصدوق: ص ١٠٧. البحار: ج ٨، ص ٦٤-٦٥، باب ٢٢، ح ١.
(٢) معاني الأخبار: ص ١٣-١٤. البحار: ج ٨، ص ٦٦، باب ٢٢، ح ٣.
(٣) معاني الأخبار: ص ١٤، البحار: ج ٨، ص ٦٦، باب ٢٢، ح ٤.
(٤) أصول الكافي: ج ٢، ص ١٥٢، البحار: ج ٨، ص ٦٧، باب ٢٢، ح ٩.
(٥) سورة الصافات، الآية: ٢٤.
(٦) أمالي الطوسي: ص ١٨٢، البحار: ج ٨، ص ٦٧-٦٨، باب ٢٢، ح ١١.

وبإسناده عن الثماليّ، عن أبي جعفر عن أبائه عليهم السلام قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: ما ثبت حبّك في قلب امرئ مؤمن فزلّت به قدم على الصّراط إلا ثبتت له قدم حتّى أدخله الله بحبّك الجنّة[١].

قال الشيخ المفيد رفع الله في الجنان درجته: الصّراط في اللّغة هوالطريق فلذلك سمّي الدين صراطاً لأنّه طريق إلى الثواب، وله سمّي الولاء لأميرا لمؤمنين والأئمّة من ذرّيّته عليهم السلام صراطاً.

ومن معناه قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى الّتي لا انفصام لها» يعني أنَّ معرفته والتمسّك به طريق إلى الله سبحانه وقد جاء الخبر بأنّ الطريق يوم القيامة إلى الجنّة كالجسر تمرّ به النّاس، وهو الصراط الّذي يقف عن يمينه رسول الله صلى الله عليه وآله وعن شماله أمير المؤمنين عليه السلام، ويأتيهما النّداء من الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٢].

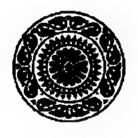
وجاء الخبر أنّه لا يعبر الصّراط يوم القيامة إلاّ من كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام من النّار.

وجاء الخبر بأن الصّراط أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف على الكافر؛ والمراد بذلك أنّه لا يثبت لكافر قدم على الصّراط يوم القيامة من شدّة ما يلحقهم من أهوال القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالّذي يمشي على الشيء الّذي هو أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، وهذا مثل مضروب لمّا يلحق الكافر من الشدّة في عبوره على الصّراط، وهو طريق إلى الجنّة وطريق إلى النّار، يسير العبد منه إلى الجنّة ويرى من أهوال النّار.

وقد يعبّر به عن الطريق المعوج فلهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾[٣] فميّز بين طريقه الّذي دعا إلى سلوكه من الدين وبين طرق الضّلال؛ وقال تعالى فيما أمر عباده من الدعاء وتلاوة القرآن: ﴿اهْدِنَا الصِّرَٰطَ

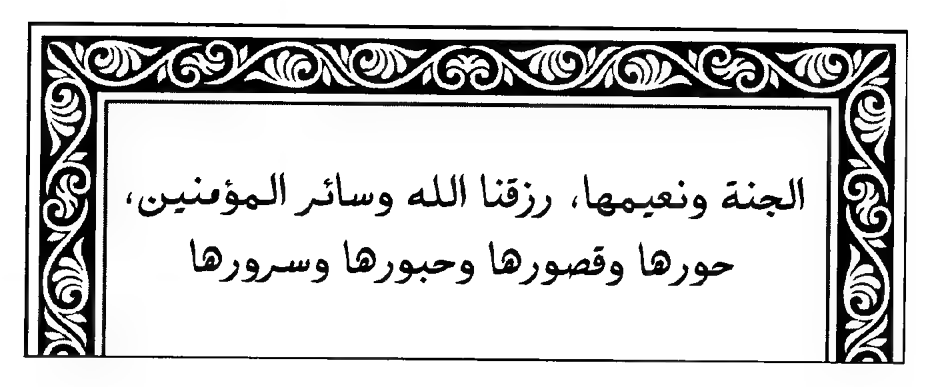
(١) البحار: ج ٨، ص ٦٩، باب ٢٢، ح ١٧. وفضائل الشيعة للصدوق.
(٢) سورة ق، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[١] فدلَّ على أنّ سواه صراط غير مستقيم، وصراط الله دين الله وصراط الشيطان طريق العصيان، والصّراط في الأصل على ما بيّنّاه هو الطريق، والصّراط يوم القيامة هو الطريق للسلوك إلى الجنّة والنّار على ما قدّمناه انتهى[٢].



(١) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٢) البحار: ج ٨، ص ٧٠-٧١، باب ٢٢.



الجنة ونعيمها، رزقنا الله وسائر المؤمنين، حورها وقصورها وحبورها وسرورها

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي من تحت أشجارها ومساكنها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ واستعمل الجري في النهر توسّعاً لأنّه موضع الجري.

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ أي من الجنّات، والمعنى: من أشجارها

﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ أي أعطوا من ثمارها عطاءً، أو اطعموا منها طعاماً، لأنّ الرزق عبارة عمّا يصحّ الانتفاع به ولا يكون لأحد المنع منه.

﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ فيه وجوه:

أحدها: أنّ ثمار الجنّة إذا جنيت من أشجار ها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ عن أبي عبيدة ويحيى ابن أبي كثير.

وثانيها: أنّ معناه: هذا الّذي رزقنا من قبل في الدنيا، عن ابن عبّاس وابن مسعود. وقيل: هذا هوالذي وعدنا به في الدنيا.

وثالثها: معناه: هذا الّذي رزقناه من قبل في الجنّة، أي كالّذي رزقنا وهم يعلمون أنّه غيره، ولكنّهم شبّهوه به في طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته، عن الحسن وواصل.

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: وأقوى الأقوال قول ابن عبّاس لأنّه تعالى قال: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ فعمّ ولم يخصّ، فأوّل ما أتوا به لا يتقدّر فيه هذا القول إلا بأن يكون إشارة إلى ما تقدّم رزقه في الدنيا، ويكون التقدير: هذا مثل الّذي رزقناه في الدنيا، لأنّ ما رزقو في الدنيا فقد عدم، فأقام المضاف إليه مقام المضاف.

﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ فيه وجوه:

أحدها: أنّه أراد مشتبهاً في اللّون مختلفاً في العظم

وثانيها: أنّ كلّها متشابه خيار لا رذل فيه.

وثالثها: أنّه يشبه ثمر الدنيا غير أنّ ثمر الجنّة أطيب. **ورابعها**: أنّه يشبه بعضه بعضاً في اللّذّة وجميع الصفات.

وخامسها: أنّ التشابه من حيث الموافقة، فالخادم يوافق المسكن، والمسكن يوافق الفرش، وكذلك جميع ما يليق به.

﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾ من الحور العين، وقيل: من نساء الدنيا، قال الحسن: هنّ عجائزكم الغمص الرمص العمش[1] طهرن من قذرات الدنيا ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ قيل: في الأبدان والأخلاق والأعمال، فلا يحضن ولا يلدن ولا يتغوّطن ولا يبلن قد طهرن من الأقذار والآثام.

﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي في الجنّة ﴿خَٰلِدُونَ﴾ يعني دائمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاد لأنّ النعمة تتمّ بالخلود والبقاء كما تتنغّص بالزوال والفناء.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ

---

(١) الغمص بضم الأول وسكون الثاني جمع غمصاء وهي التي سال من عينها الغمص أي الرمص، والرمص هو وسخ أبيض في مجرى الدمع من العين، والعمش جمع عمشاء وهي التي ضعف بصرها مع سيلان دمعها في أكثر الأوقات.

أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢]

وفي قوله عز وجل : ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ هذا على الايجاز، وتقديره: قالت اليهود: لن يدخل الجنّة إلا من كان يهودياً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنّة إلا من كان نصرانياً.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أي تلك المقالة أمانيّ كاذبة يتمنّونها على الله، وقيل: أمانيّهم: أباطيلهم، وقيل: أي تلك أقاويلهم وتلاوتهم، من قولهم: تمنّى أي تلا.

﴿قُلْ هَاتُواْ﴾ أي احضروا، أمر تعجيز وإنكار ﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي حجتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في هذا القول.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي من أخلص نفسه لله بأن سلك سبيل مرضاته، وقيل: وجّه وجهه لطاعة الله، وقيل: فوّض أمره إلى الله، وقيل: استسلم لأمر الله وخضع وتواضع لله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله، وقيل: مؤمن، وقيل: مخلص ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي فله جزاء عمله عند الله.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة وهذا ظاهر على قول من يقول: إنّه لا يكون على أهل الجنّة خوف ولا حزن في الآخرة وأمّا على قول من قال: إنّ بعضهم يخاف ثمّ يأمن فمعناه أنّهم لا يخافون فوت جزاء أعمالهم لأنّهم يكونون على ثقة بأن ذلك لا يفوتهم.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

وفي قوله عز وجل : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي إلى الأعمال الّتي توجب المغفرة.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ اختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أنّ المعنى: عرضها كعرض السماوات والارضين السبع إذا ضمّ بعضها إلى بعض، عن ابن عبّاس والحسن، واختاره الجبائيّ والبلخيّ، وإنّما ذكر العرض بالعظم دون الطول لأنّه يدل على أنّ الطول أعظم، وليس كذلك لو ذكر الطول.

وثانيها: أنّ معناه: ثمنها لو بيعت كثمن السماوات والأرض لو بيعتا، كما يقال: عرضت هذا المتاع للبيع، والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وأنّه لا يساويها شيء وإنّ عظم، عن أبي مسلم الاصفهانيّ. وهذا وجه مليح إلا أنّ فيه تعسّفاً.

وثالثها: أنَّ عرضها لم يرد به العرض الّذي هو خلاف الطول، وإنّما أراد سعتها وعظمها، والعرب إذا وصفت الشئ بالسعة وصفته بالعرض. ويسأل فيقال: إذا كانت الجنّة عرضها كعرض السّماء والأرض فأين تكون النّار؟

فجوابه أنّه روي أنّ النبيّ ﷺ سئل عن ذلك فقال: «سبحان الله! إذا جاء النهار فأين الليل؟» و هذه معارضة فيها إسقاط المسألة، لأنّ القادر على أنّ يذهب باللّيل حيث يشاء قادر على أنّ يخلق النار حيث شاء.

ويسأل أيضاً: إذا كانت الجنّة في السماء فكيف يكون لها هذا العرض؟

والجواب أنّه قيل: إنّ الجنّة فوق السماوات السبع تحت العرش عن أنس بن مالك.

وقد قيل: إنّ الجنّة فوق السماوات السبع وإنّ النّار تحت الأرضين السبع، عن قتادة.

وقيل: معنى قولهم: إنّ الجنّة في السماء أنّها في ناحية السماء وجهة السماء لا أنّ السماء تحويها، ولا ينكر أنّ يخلق الله في العلو أمثال السماوات والأرضين، وإنّ صح الخبر أنّها في السماء الرابعة كان كما يقال: في الدار بستان لاتّصاله بها وكونه في ناحية منها أو يشرع إليه بابها وإنّ كان أضعاف الدار.

وقيل: إنّ الله تعالى يزيد في عرضها يوم القيامة فيكون المراد: عرضها السماوات والأرض يوم القيامة لا في الحال، عن أبي بكر أحمد بن عليّ مع تسليمه أنّها في السماء.

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي المطيعين لله ولرسوله باجتناب المقبّحات وفعل الطاعات، وهذا يدلّ على أنّ الجنّة مخلوقة اليوم لأنّها لا تكون معدّة إلا وهي مخلوقة.

قال الرازيّ في تفسير هذه الآية: وههنا سؤالات:

الأوّل: ما معنى أنّ عرضها مثل عرض السماوات والارض؟ فيه وجوه:

الأوّل: أنّ المراد: لو جعلت السماوات والأرضوان طبقاً طبقاً بحيث يكون كلّ واحد من تلك الطبقات سطحاً مؤلفاً من أجزاء لا يتجزّى ثمَّ وصل البعض بالبعض طبقاً واحداً لكان ذلك مثل عرض الجنّة، وهذا غاية في السعة لا يعلمها إلا الله.

الثاني: أنّ الجنّة الّتي تكون عرضها مثل عرض السماوات والأرض إنّما يكون للرجل الواحد لأنّ الإنسان إنّما يرغب فيما يصير ملكاً له، فلا بد وأن تكون الجنّة المملوكة لكلّ واحد مقدار هذا، ثمَّ ذكرما ذكر سابقاً عن أبي مسلم ثمَّ قال: الرابع المقصود المبالغة في وصف سعة الجنّة وذلك لأنّه لا شيء عندنا أعرض منها، ونظيره قوله تعالى: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فإنَّ أطول الأشياء بقاءً عندنا هوالسماوات والأرض، فخوطبنا على وفق ما عرفناه فكذا ههنا.

ثمَّ قال: السؤال الثالث أنتم تقولون: إنّ الجنّة في السّماء فكيف يكون عرضها كعرض السّماء؟

والجواب من وجهين:

الأوّل: أنّ المراد من قولنا: إنّها في السماء أنّها فوق السماوات وتحت العرش.

قال ﷺ في صفة الفردوس: «سقفها عرش الرحمن».

وروي أنّ رسول هرقل سأل النبيّ ﷺ فقال: إنّك تدعو إلى جنّة عرضها السماوات والأرض اعدت للمتّقين فأين النّار؟ فقال النبيّ ﷺ: «سبحانه الله! فأين اللّيل إذا جاء النهار؟»).

المعنى - والله أعلم أنّه إذا دار الفلك حصل النّهار في جانب من العالم واللّيل في ضدّ ذلك الجانب، فكذلك الجنّة في جهة العلو والنّار في جهة السفل، وسئل أنس بن مالك عن الجنّة: في الأرض أم في السماء؟

فقال: فأيّ أرض وسماء تسمع الجنة؟

قيل: فأين هي؟

قال: فوق السماوات السبع تحت العرش.

والثاني: أنّ الّذين يقولون الجنّة والنّار غير مخلوقتين الآن لا يبعد أنّ تكون الجنّة عندهم مخلوقة في مكان السماوات والنّار في مكان الأرض.

وأمّا قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فظاهره يدل على أنّ الجنّة والنّار مخلوقتان الآن.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ النزل: ما يعدّ للضيف من الكرامة والبرّ والطعام والشراب ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثّواب والكرامة.

﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ ممّا ينقلب فيه الّذين كفروا لأنّ ذلك عن قريب سيزول، وما عند الله سبحانه دائم لا يزول.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾

[النساء: ٥٧]

وفي قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ أي كنيناً ليس فيه حرّ ولا برد بخلاف ظلّ الدنيا، وقيل: ظلاً دائماً لا تنسخه الشمس كما في الدنيا.

وقيل: ظلاً متمكّناً قويّاً كما يقال: يوم أيوم، وليل أليل، وداهية دهياء،

يصفون الشئ بمثل لفظه إذا أرادوا المبالغة. وقال النقير: النكتة في ظهر النواة كأنّ ذلك نقرفيه.

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي للّذين تذكّروا وتدبّروا وعرفوا الحقّ وتبعوه دارالسلامة الدائمة الخالصة من كلّ آفة وبلية ممّا يلقاه أهل النّار، وقيل: إن السلام هوالله تعالى، وداره الجنّة.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أى هي مضمونة لهم عند ربّهم يوصلهم إليها لا محالة، كما يقول الرجل لغيره: لك عندي هذا المال، أي في ضماني. وقيل: معناه: لهم دارالسلام في الآخرة يعطيهم إيّاها ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ يعني الله يتولّى إيصال المنافع إليهم ودفع المضارّ عنهم، وقيل: ﴿وَلِيُّهُمْ﴾: ناصرهم على أعدائهم، وقيل: يتولّاهم في الدنيا بالتوفيق، وفي الآخرة بالجزاء.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءً بما كانوا يعملونه من الطاعات.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١-٢٢]

وفي قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ أي دائم لا يزول ولا ينقطع.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي دائمين فيها مع كون النّعيم مقيماً لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ﴾ أي جزاء على العمل ﴿عَظِيمٌ﴾ أي كثير مضاعف لا تبلغة نعمة غيره من الخلق.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ يطيب العيش فيها، بناها الله تعالى من اللّآلي والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر لا أذى فيها ولا وصب ولا نصب[١] عن الحسن.

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ أي في جنّات إقامة وخلد وهي بطنان الجنّة أي وسطها عن ابن مسعود.

وقيل: هي مدينة في الجنّة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمّة الهدى والناس حولهم والجنان حولها، عن الضحّاك. وقيل: إنّ عدن أعلى درجة في الجنّة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطّاة من يوم خلقها الله حتّى يُنزّلها أهلها: الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصّالحون ومن شاء الله، وفيها قصور الدرّ واليواقيت والذهب، تهبّ ريح طيّبة من تحت العرش فيدخل عليهم كثبان[٢] المسك الأبيض، عن مقاتل والكلبيّ.

وروي أنه ﷺ قال: «عدن دار الله الّتي لم ترها عين ولا يخطر على قلب بشر ولا يسكنها غير ثلاثة: النبيّن، والصدّيقين، والشهداء يقول الله: طوبى لمن دخلك.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ رفع على الابتداء، أي ورضى الله تعالى عنهم أكبر من ذلك كلّه.

قال الجبائيّ: إنّما صار الرضوان أكبر من الثواب لأنّه لا يوجد منه شيء إلا بالرضوان وهو الداعي إليه الموجب له.

وقال الحسن: لأنّ ما يصل إلى القلب من السرور برضوان الله أكبر من جميع ذلك ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي ذلك النّعيم الّذي وصفت هو النجاح العظيم الّذي لا شيء أعظم منه.

---

(١) الوصب: المرض والوجع الدائم ونحول الجسم. وقد يطلق على التعب والفتور في البدن، والنصب: الداء. البلاء.

(٢) كثبان جمع الكثيب: التل من الرمل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠]

وفي قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾ أي إلى الجنّة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو، قيل: معناه من تحت بساتينهم وأسرّتهم وقصورهم، وقوله: ﴿بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾ يعني جزاءً على إيمانهم.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ أي دعاء المؤمنين في الجنّة وذكرهم فيها أنّ يقولوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ يقولون ذلك لا على وجه العبادة، لأنّه ليس هناك تكليف، بل يلتذون بالتسبيح، وقيل: إنّهم إذا مرّ بهم الطير في الهواء ويشتهونه قالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فيأتيهم الطير فيقع مشوياً بين أيديهم، وإذا قضوا منه الشهوة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فيطير الطير حيّاً كما كان، فيكون مفتتح كلامهم في كلّ شيء التسبيح، ومختتم كلامهم التحميد، ويكون التسبيح في الجنّة بدل التسمية في الدنيا، عن ابن جريح.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾[1] أي تحيتهم من الله سبحانه في الجنّة سلام، وقيل: معناه: تحيّة بعضهم لبعض فيها أو تحيّة الملائكه لهم فيها سلام، يقولون: سلام عليكم أي سلمتم من الآفات والمكاره الّتي ابتلى بها أهل النّار.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي يجعلون هذا آخر كلامهم في كلّ ما ذكروه.

---

(١) قال الرضي: هذه استعارة على بعض الأقوال، كان المعنى أن بشراهم بالسلام من المخاوف عند دخول الجنة فجعل مكان التحية لهم لأن لكل داخل داراً تحية يلقى بها ويؤنس بسماعها، والسلام ههنا من السلامة لا من التحليم. راجع تلخيص البيان في مجازات القرآن ص٦٨.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: ٢٣]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي أنابوا وتضرّعوا إليه، وقيل: أي اطمأنّوا إلى ذكره، وقيل: خضعوا له وخشعوا إليه، والكلّ متقارب.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤]

وقال البيضاويُّ في قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: أي يدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان، أو يتبعون الحسنة السيّئة فتمحوها.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ عاقبة الدنيا وما ينبغي أنّ يكون مآل أهلها وهي الجنّة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدل من عقبى الدار، أو مبتدء خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ والعدن: الاقامة، أي جنّات يقيمون فيها، وقيل: هو بطنان الجنّة ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ عطف على المرفوع في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ وإنّما ساغ للفصل بالضمير الآخر، أو مفعول معه، والمعنى أنّه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإنّ لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم، وهو دليل على أنّ الدرجة تعلو بالشفاعة، أو أنّ الموصوفين بتلك الصفات مقترن بعضهم ببعض لمّا بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنّة زيادة في أُنسهم، وفي التقليد بالصلاح دلالة على أنّ مجرد الانسباب لا ينفع.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب المنازل، أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ بشارة بدوام السلامة.

﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلق بعليكم أو بمحذوف، أي هذا بما صبرتم، لا بسلام فانّ الخبر فاصل، والباء للسببيّة أو البدليّة[1].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾

[الرعد: ٢٩]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: فيه أقوال:

أحدها: أنَّ معناه فرح لهم وقرّة عين، عن ابن عبّاس.

الثّاني: غبطة لهم، عن الضحّاك.

الثالث: خير لهم وكرامة، عن إبراهيم النخعيّ.

الرابع: الجنّة لهم، عن مجاهد.

الخامس: العيش الطيّب لهم، عن الزجّاج، أو الحال المستطابة لهم، عن ابن الأنباريّ، لأنّه فعلى من الطيب. وقيل: أطيب الأشياء لهم وهوالجنة، عن الجبائيّ.

السادس: هينئاً بطيب العيش لهم.

السابع: حسنى لهم، عن قتادة.

الثامن: نعم مالهم، عن عكرمة.

التاسع: دوام الخير لهم.

العاشر: أنّ طوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفي دار كلّ مؤمن منها غصن، عن عبيد بن عمير ووهب وأبي هريرة وشهر بن حوشب رواه عن أبي سعيد الخدريّ مرفوعاً، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.

وروي الثعلبيّ بإسناده عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: طوبى

(١) البحار: ج ٨، ص ٨١-٨٧.

شجرة أصلها في دار عليّ في الجنّة، وفي دار كلّ مؤمن منها غصن ورواه أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكانيّ بإسناده عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن طوبى.

قال: شجرة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنّة، ثمّ سئل عنها مرّة أخرى فقال: في دار عليّ، فقيل له في ذلك.

فقال: إنّ داري ودار عليّ في الجنّة بمكان واحد. ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أي ولهم حسن مرجع.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]

وفي قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ يعني أنّ ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا، وظلّها لا يزول ولا تنسخه الشّمس عن الحسن، وقيل: معناه: نعيمها لاينقطع بموت ولا آفة عن ابن عبّاس، وقيل: لذّتها في الافواه باقية، عن إبراهيم التيميّ.

﴿وَظِلُّهَا﴾ أيضاً دائم لايكون مرّة شمساً ومرّة ظلاً كما يكون في الدنيا.

﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ أي تلك الجنّة عاقبة المتّقين فالطريق إليها التقوى ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ أي عاقبة أمرالكفّار النّار.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ﴾ أي في بساتين خلقت لهم ﴿وَعُيُونٍ﴾ من ماء وخمر وعسل تفور من الفوّارة ثمّ تجري في مجاريها.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي يقال لهم: ادخلوا الجنّات بسلامة من الآفات وبراءة من المكاره والمضرّات.

﴿ءَامِنِينَ﴾ من الاخراج منها، ساكني النفس إلى انتفاء الضرر فيها

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ أي وأزلنا عن صدور أهل الجنّة ما فيها من أسباب العداوة من الغلّ أي الحقد والحسد والتنافس والتباغض.

﴿إِخۡوَٰنًا﴾ منصوب على الحال، أي وهم يكونون إخواناً متوادّين، يريد مثل الاخوان فيصفو لذلك عيشُهم ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ﴾ أي كائنين على مجالس السرر.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ متواجهين فينظر بعضهم إلى بعض، قال مجاهد: لا يرى الرجل من أهل الجنّة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأنّ الاسرّة تدور بهم كيف ما شاؤوا حتّى يكونوا متقابلين في عموم أحوالهم، وقيل: متقابلين في الزيارة إذا تزاوروا استوت مجالسهم ومنازلهم، وإذا افترقوا كانت منازل بعضهم أرفع من بعض.

﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا﴾ أي في الجنّة ﴿نَصَبٞ﴾ أي عناء وتعب لانّهم لا يحتاجون إلى إتعاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم، إذ جميع النّعم حاصلة لهم ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ أي يبقون فيها مؤبّدين.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣١-٣٢]

وفي قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ لأنهم على غرف في الجنّة كما قال: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ و قيل: إنّ أنهار الجنّة تجري من غير أخاديد[1] في الأرض، فلذلك قال: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾.

---

(١) الأخاديد جمع الأخدود: الحفرة المستطيلة. جدول الماء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسْتَبْرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقٗا ﴿٣١﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٖ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٖ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعٗا﴾ [الكهف: ٣١-٣٢]

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ أي يجعل لهم فيها حليٌّ من أساور، وقيل: إنّه يحلّى كلّ واحد بثلاثة أساور: سوار من فضّة، وسوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ وياقوت، عن سعيد بن جبير.

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسْتَبْرَقٖ﴾ أي من الديباج الرقيق والغليظ، وقيل: إنّ الاستبرق فارسيّ معرّب أصله «إستبر» وقيل: هوالديباج المنسوج بالذهب ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ﴾ متنعّمين في تلك الجنان على السّرر في الحجّال، وإنّما قال: متكئين لأنّ الاتكاء يفيد أنّهم منعمون في الأمن والراحة، فأنّ الإنسان لا يتكئ إلا في حال الأمن والسلامة.

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ أي طاب ثوابهم وعظم، عن ابن عبّاس ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الآرائك ﴿مُرْتَفَقٗا﴾ أي موضع ارتفاق، وقيل: منزلاً ومجلساً ومجتمعاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨]

وفي قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ أي كان في حكم الله وعلمه لهم بساتين الفردوس وهو أطيب موضع في الجنّة وأوسطها وأفضلها وأرفعها، عن قتادة، وقيل: هو الجنة الملتفّة الأشجار عن قتادة، وقيل: هو

البستان الّذي فيه الأعناب، عن كعب، وروى عبادة بن الصامت على النبيّ ﷺ قال: الجنّة مائة درجة مابين كلّ درجتين كما بين السّماء والأرض،

الفردوس أعلاها درجة، منها تفجر أنهار الجنّة الأربعة، فإذا سألتم الله فا سألوه الفردوس.

﴿نُزُلًا﴾[1] أي منزلاً ومأوى، وقيل: ذات نزل ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي دائمين فيها ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾ أي لا يطلبون عن تلك الجنّات تحولاً إلى موضع آخر لطيبها وحصول مرادهم فيها.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ٦٠-٦٣]

وفي قوله جل وعلا: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ أي ولا يبخسون شيئاً من ثوابهم، بل يوفّيه الله عليهم على التمام والكمال.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ أي إقامة، ووحّد في الآية المتقدّمة وجمع ههنا لأنّه جنّة تشتمل على جنّات، وقيل: لأنّ لكلّ واحد من المؤمنين جنّة تجمعها الجنّة العظمى ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ المراد بالعباد المؤمنون، وقيل: يتناول الكافر بشرط رجوعه عن كفره، وقال: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ لأنّهم غابوا عمّا فيها ممّا لا عين رأت ولا أُذن سمعت، عن ابن عبّاس. والمعنى أنّه وعدهم أمراً لم يكونوا يشاهدونه فصدّقوه وهو غائب عنهم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ أي موعوده ﴿مَأۡتِيّٗا﴾ أي آتياً لا محالة، والمفعول ههنا بمعنى

---

(١) قال الرضى في تلخيص البيان «ص١٨٨» ما حاصله: النزل عند عامة المفسرين بمعنى المنزل والنزول فكأنه تعالى قال: كانت لهم جنات الفردوس منزلاً ينزلونه وقراراً يستوطنونه، وله أيضاً مجاز يدخلها في حيز الاستعارة وهو أن لفظ النزل عند بعضهم قد عبر به عما يقرئ به الضيف عنه طروقه ويعدّ له قبل نزوله فيجوز أن يكون معنى ذلك أي قرى معداً كما يقرى الضيوف لأنهم ضيفان الله تعالى في جنانه وجيرانه في داره.

الفاعل، لأنّ ما أتيته فقد أتاك، وقيل: الموعود هوالجنة والجنّة مأتيّة يأتيها المؤمنون.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي قولاً لا معنى له يستفاد، وقد يكون اللّغو الهذر وما يلقى من الكلام مثل الفحش والأباطيل.

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ أي سلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض، وقال الزجّاج: السّلام اسم جامع لكلّ خير، لأنّه يتضمن السّلامة، أي يسمعون ما يسلمهم.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال المفسّرون: ليس في الجنّة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشيّ، والمراد أنّهم يؤتون رزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداء والعشاء، وقيل: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به، وكانت تكره الاكلة الواحدة في اليوم، فأخبرالله تعالى أنّ لهم في الجنّة رزقهم بكرةً وعشيّاً على قدر ذلك الوقت، وليس ثمّ ليل وإنّما هو ضوء ونور، عن قتادة، وقيل: إنّهم يعرفون مقدار اللّيل بإرخاء الحجب وفتح الأبواب ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ أي إنّما نملّك تلك الجنّة من كان تقياً في دار الدنيا بترك المعاصي وفعل الطاعات، وإنّما قال: نورث لأنّه شبّه بالميراث من جهة أنّه تمليك بحال استونفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميّت من أمر الدنيا، وقيل: إنّه تعالى أورثهم من الجنّة المساكن والمنازل الّتي كانت لأهل النّار لو أطاعوا الله تعالى، وأضاف العباد إلى نفسه لأنّه أراد المؤمنين.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾

[طه: ٧٦]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي تطهّر بالإيمان والطاعة عن دنس الكفر والمعصية، وقيل: ﴿تَزَكَّىٰ﴾: طلب الزكاء بإرادة الطاعة والعمل بها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٣-٢٤]

وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ هي حليّ اليد ﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ أي ومن لؤلؤ، وقال البيضاويّ: ولؤلؤ عطف على أساور لا على ذهب، لأنّه لم يعهد السوار منه إلا أنّ يراد به المرصّعة به، ونصبه عاصم ونافع عطفاً على محلها، أو إضمار الناصب مثل ويؤتون.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ غيّر أُسلوب الكلام فيه للدلالة على أنّ الحرير ثيابهم المعتادة، أو للمحافظة على هيئة الفواصل.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي أُرشدوا في الجنّة إلى التحيّات الحسنة يحيي بعضهم بعضاً ويحييهم الله وملائكته بها، وقيل: معناه: ارشدوا إلى شهادة أنّ لا إله إلا الله والحمد لله، عن ابن عبّاس، وزاد ابن زيد: والله أكبر، وقيل: إلى القرآن، وقيل: إلى القول الّذي يلتذّون به ويشتهونه وتطيب به نفوسهم، وقيل: إلى ذكر الله فهم به يتنعّمون ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ والحميد: هوالله المستحقّ للحمد المتحمّد إلى عباده بنعمته، عن الحسن، أي الطالب منهم أنّ يحمدوه وصراط الحميد: هو طريق الإسلام وطريق الجنّة.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠]

وفي قوله سبحانه. ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني نعيم الجنّة فإنّه أكرم دار.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١]

وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ أي يرثون منّازل أهل النّار من الجنّة، فقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنّة، ومنزل في النّار، فأنَّ مات ودخل النّار ورث أهل الجنّة منزله ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ هو اسم من أسماء الجنّة، ولذلك أُنّث فقال: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وقيل: هواسم لرياض الجنّة، وقيل: هي جنّة مخصوصة، ثمَّ اختلف في أصله فقيل: هو اسم روميّ فعرّب، وقيل: هو عربيّ وزنه فعلول، وهو البستان الّذي فيه كرم.

وقال الجبائيّ: معنى الوراثة هنا أنّ الجنّة ونعيمها يؤول إليهم من غير اكتساب كما يؤول المال إلى الوارث من غير اكتساب.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾

[الفرقان: ١٦]

وفي قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ ابن عبّاس: معناه أنّ الله سبحانه وعد لهم الجزاء فسألوه الوفاء فوفى، وقيل: إنّ الملائكة سألوا الله ذلك لهم فاجيبوا إلى مسألتهم، وذلك قولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾(١) وقيل: إنّهم سألوا الله تعالى في الدنيا الجنّة بالدعاء فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦]

وفي وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ أي يثابون الدرجة الرفيعة في الجنّة.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٨.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على أمر ربّهم وطاعة نبيّهم، وقيل: هي غرف الزبرجد والدرّ والياقوت. والغرفة في الأصل: بناء فوق بناء، وقيل: الغرفة اسم لاعلى منازل الجنّة وأفضلها، كما أنّها في الدنيا أعلى المساكن.

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ أي تتلقّاهم الملائكة فهيا بالتحيّة وهي كلّ قول يسرُّ به الإنسان وبالسلام بشارة لهم بعظيم الثواب، وقيل: التحيّة الملك العظيم، والسّلام جميع أنواع السّلامة، وقيل: التحيّة: البقاء الدائم، وقال الكلبيّ: يحيي بعضهم بعضاً بالسّلام ويرسل إليهم الربّ بالسلام.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

[السجدة: ١٧]

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي لا يعلم أحد ما خبي لهؤلاء الّذين ذكروا ممّا تقرّ به أعينهم.

قال ابن عبّاس: هذا ما لا تفسير له فالامر أعظم وأجلُّ ممّا يعرف تفسيره. وقد وردّ في الصحيح عن النبيّ ﷺ أنّه قال: إنّ الله يقول أعددت لعبادي الصّالحين، ما لا عين رأت، ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله[1] ما أطلعتكم عليه، اقرؤوا إنّ شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. رواه البخاريّ ومسلم جميعاً. وقد قيل في فائدة الاخفاء وجوه:

أحدها: أنّ الشيء إذا عظم خطره وجلّ قدره لا تستدرك صفاته على كنه بشرح طويل ومع ذلك فيكون إبهامه أبلغ.

وثانيها: أنّ قرارات العيون غير متناهية فلا يمكن العلم بتفاصيلها.

---

(١) بله ككيف بمعنى دع واترك؛ قال في النهاية: في حديث نعيم الجنة: ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه. بله من اسماء الأفعال بمعنى دع واترك، تقول: بله زيداً؛ وقد يوضع موضع المصدر ويضاف فيقال بله زيد أي ترك زيد. وقوله: ما اطلعتم عليه يحتمل أن يكون منصوب المحل ومجروره على التقديرين، والمعنى: دع ما اطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها. منه عفى عنه.

وثالثها: أنّه جعل ذلك في مقابلة صلاة اللّيل وهي خفيّة فكذلك ما بإزائها من جزائها، ويؤيّد ذلك ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: ما من حسنة إلا ولها ثواب مبيّن في القرآن إلا صلاة اللّيل، فأنَّ الله عزّ اسمه لم يبيّن ثوابها لعظم خطرها.

﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ﴾ الآية. وقرّة العين: رؤية ما تقرّ به العين، يقال: أقرّ الله عينك، أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقرّ عينك حتّى لا تطمح بالنظر إلى ما فوقه، وقيل: هي من القرّ أي البرد، لأنّ المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد، والمحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حارّ.

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩]

قوله تعالى: ﴿نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي عطاءً بما كانوا يعملون، وقيل: ينزلهم الله فيها نزلاً كما ينزل الضيف، يعني أنّهم في حكم الاضياف.

﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾ [الاحزاب: ٤٤]

وفي قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ﴾ أي يحيي بعضهم بعضاً يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا: السّلامة لكم من جميع الآفات، ولقاء الله سبحانه معناه: لقاء ثوابه.

وروي عن البراء بن عازب أنّه قال: يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلّم عليه. فعلى هذا يكون المعنى: تحيّة المؤمن من ملك الموت يوم يلقونه أنّ يسلّم عليهم، وملك الموت مذكور في الملائكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾ أي ثواباً جزيلاً.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]

وفي قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ أي يضاعف الله حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشراً إلى مازاد، والضعف اسم الجنس يدلّ على القليل والكثير.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ أخبر سبحانه عن حالهم أنّهم إذا دخلوها يقولون: الحمد لله اعترافاً منهم بنعمته، لا على وجه التكليف وشكراً له على أنّ أذهب الغمّ الّذي كانوا عليه في دار الدنيا عنهم، وقيل: يعنون الحزن الّذي أصابهم قبل دخول الجنّة، لأنّهم كانوا يخافون دخول النّار إذا كانوا مستحقّين لذلك، فإذا تفضّل الله عليهم بإسقاط عقابهم وأدخلم الجنّة حمدوه على ذلك وشكروه.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لذنوب عباده ﴿شَكُورٌ﴾ يقبل اليسير من محاسن أعمالهم، وقيل: إنّ شكره سبحانه هو مكافأته لهم على الشكر له والقيام بطاعته.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي أنزلنا دار الخلود يقيمون فيها أبداً لا يموتون ولا يتحوّلون عنها.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي ذلك بتفضّله وكرمه ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي لا يصيبا في الجنّة عناءٌ ومشقّة ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي أعياء ومتعبة في طلب المعاش.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٥-٥٨]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ شغلهم النّعيم الّذي شملهم وغمرهم بسروره عمّا فيه أهل النّار من العذاب، عن الحسن والكلبيّ، فلا يذكرونهم ولا يهتمّون بهم وإنّ كانوا أقاربهم.

وقيل: شغلوا بافتضاض العذارى، عن ابن عبّاس وابن مسعود، وهو المرويّ عن الصادق عليه السلام، قال: وحواجبهنَّ كالأهلّة وأشفار أعينهنّ كقوادم النسور.

وقيل: باستماع الألحان، عن وكيع.

وقيل: شغلهم في الجنّة سبعة أنواع من الثواب لسبعة أعضاء: فثواب الرجل بقوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾.

وثواب اليد: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾.

وثواب الفرج: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾.

وثواب الفم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ الآية.

وثواب اللّسان: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ الآية.

وثواب الأذن: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ ونظائرها.

وثواب العين: ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾.

﴿فَٰكِهُونَ﴾ أي فرحون، عن ابن عبّاس، وقيل: ناعمون معجبون بما هم فيه.

قال أبو زيد: الفكه: الطيّب النفس الضحوك، رجل فكه وفاكه، ولم يسمع لهذا فعل في الثلاثيّ.

وقال أبو مسلم: إنّه مأخوذ عن الفكاهة فهو كناية عن الأحاديث الطيّبة. وقيل: فاكهون: ذوو فاكهة، كما يقال: لا حم شاحم، أي ذو لحم وشحم، وعاسل ذو عسل.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾ أي هم وحلائلهم في الدنيا ممّن وافقهم على إيمانهم في أستار عن وهج النّار وسمومها، فهم في مثل تلك الحال الطيّبة من الظلال الّتي لا حرّ فيها ولا برد.

وقيل: أزواجهم الّتي زوّجهم الله تعالى من الحور العين في ظلال أشجار الجنّة، وقيل في ظلال تسترهم من نظر العيون إليهم.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وهي السّرر عليها الحجّال، وقيل: هي الوسائد.

﴿مُتَّكِئُونَ﴾ أي جالسون جلوس الملوك، إذ ليس لهم من الأعمال شيء، قال الأزهريّ: كلّ ما اتّكئ عليه فهو أريكة.

﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ أي في الجنّة ﴿فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي ما يتمنّون ويشتهون، قال أبو عبيدة: تقول العرب: ادّع عليّ ماشئت، أي تمنّ عليّ.

وقيل: معناه أنَّ كلّ من يدّعي شيئاً فهو له بحكم الله تعالى، لأنّه قد هذّب طباعهم فلا يدّعون إلا ما يحسن منهم.

قال الزجّاج: هو مأخوذ من الدعاء، يعني أنّ أهل الجنّة كلّ ما يدعونه يأتيهم ﴿سَلَامٌ﴾ أي لهم سلام، ومُنى أهل الجنّة أنّ يسلّم الله عليهم ﴿قَوْلًا﴾ أي يقوله الله قولاً.

﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ بهم يسمعونه من الله فيؤذنهم بدوام الامن والسلامة مع سبوغ النّعمة والكرامة، وقيل: إنّ الملائكة تدخل عليهم من كلّ باب يقولون: سلام عليكم من ربّكم الرحيم.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ

ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات: ٤١-٦١]

وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ جعل لهم التصرُّف فيه وحكم لهم به في الاوقات المستأنفة في كلّ وقت شيئاً معلوماً مقدّراً.

﴿فَوَٰكِهُ﴾ هي جمع فاكهة يقع على الرطب واليابس من الثّمار، كلّها يتفكّهون بها ويتنعّمون بالتصرُّف فيها.

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ مع ذلك أي معظّمون مبجّلون ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي وهم مع ذلك في بساتين فيها أنواع النّعيم.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ يستمتع بعضهم بالنّظر إلى وجوه بعض، ولايرى بعضهم قفا بعض.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾ وهو الإناء بما فيه من الشّراب ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي من خمر جارية في أنهار ظاهرة العيون، وقيل: شديدة الجري.

ثمَّ وصف الخمر فقال: ﴿بَيْضَآءَ﴾ وصفها بالبياض لأنّها في نهاية الرقّه مع الصفاء واللّطافة النّوريّة الّتي لها، قال الحسن: خمر الجنة أشدّ بياضاً من اللّبن، وذكر أنّ قراءة ابن مسعود ﴿صَفْرَآءَ﴾ فيحتمل أنّ يكون بيضاء الكأس صفراء اللون.

﴿لَذَّةٍ﴾ أي لذيذة للشاربين ليس فيها ما يعتري خمر الدنيا من المرارة والكراهة.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي لا يغتال عقولهم فيذهب بها ولا يصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرأس، ويقال للوجع غول لأنّه يؤدّي إلى الهلاك.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ قرأ أهل الكوفة غير عاصم ﴿يُنزِفُونَ﴾ بكسر الزاي، والباقون بفتحها، وكذلك في سورة الواقعة إلا عاصم، فإنّه قرأ ههنا بفتح الزاي، وهناك بكسرها، قال أبوعليّ: يكون أنزف على معنيين:

أحدهما: بمعنى سكر.

والآخر: بمعنى أنفد شرابه، فمن قرأ ﴿يُنزِفُونَ﴾ يجوز أن يريد: لا يسكرون عند شربها، ويجوز أنّ يريد: لا ينفد ذلك عندهم كما ينفد شراب أهل الدنيا، ومن قرأ بالفتح فهو من نزف الرجل فهو منزوف ونزيف: إذا ذهب عقله بالسّكر.

قال ابن عبّاس: معناه ولا يبولون، قال: وفي الخمر أربع خصال: السّكر، والصّداع، والقيء، والبول، فنزه الله سبحانه خمر الجنّة عن هذه الخصال.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهن لحبّهن إيّاهم، وقيل: معناه لا يفتحن أعينهنّ دلالاً وغنجاً.

﴿عِينٌ﴾ أي واسعات العيون، والواحدة عيناء وقيل: هي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها، عن الحسن.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ شبّههنّ ببيض النّعام يكنُّه بالريش من الريح والغبار، عن الحسن وابن زيد، وقيل شبّههنّ ببطن البيض قبل أنّ يقشر وقبل أنّ تمسّه الأيدي، والمكنون: المصون.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ يعني أهل الجنّة يسأل بعضهم بعضاً عن أحوالهم من حيث بعثوا إلى أنّ أُدخلوا الجنّة، فيخبر كلّ صاحبه بإنعام الله عليه ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من أهل الجنّة.

﴿إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ في الدنيا، أي صاحب يختصّ بي إمّا من الإنس على قول ابن عبّاس أو من الشياطين على قول مجاهد ﴿يَقُولُ﴾ لي على وجه الإنكار عليّ والتجهين لفعلي ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بيوم الدين وبالبعث والنشور والحساب والجزاء ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي مجزيّون محاسبون.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي ثمّ قال هذا المؤمن لإخوانّه في الجنّة هل أنتم مطّلعون على موضع من الجنّة يرى منه هذا القرين؟ يقال: اطّلع إلى كذا: إذا أشرف عليه، والمعنى هل تؤثرون إنّ تروا مكان هذا القرين في النار؟ وفي الكلام

حذف: أي فيقولون له: نعم اطّلع أنت فأنت أعرف بصاحبك، قال الكلبيّ: وذلك لأنّ الله تعالى جعل لأهل الجنّة كوّة ينظرون منها إلى أهل النّار ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي فاطّلع هذاالمؤمن فرآى قرينه في وسط النّار ﴿قَالَ﴾ أي فقال له المؤمن ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ (إن) مخفّفه من الثقيلة، أُقسم بالله سبحانه على وجه التعجّب إنّك كدت تهلكني بما قلته لي ودعوتني إليه حتّى يكون هلاكي كهلاك المتردّي من شاهق.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ عليَّ بالعصمة واللّطف والهداية حتّى آمنت.

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النّار، ولا يستعمل أحضر مطلقاً إلا في الشرّ، قال قتادة: فوالله لولا أنّ الله عرّفه إيّاه لمّا كان يعرفه لقد تغيّر حبره وسبره، أي حسنه وسيماؤه.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ أي يقول المؤمن لهذا القرين على وجه التقريع: ألست كنت تقول في الدنيا: إنّا لا نموت إلا الموتة الّتي تكون في الدنيا ولا نعذبّ؟ فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك وقيل: إنّ هذا من قول أهل الجنّة بعضهم لبعض على وجه إظهار السّرور بدوام نعيم الجنّة، ولهذا عقّبه بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ معناه: أفما نحن بميّتين في هذه الجنّة إلا موتتنا الّتي كانت في الدنيا وما نحن بمعذّبين كما وعدنا الله تعالى؟ ويريدون التحقيق لا الشكّ، قالوه سروراً وفرحاً، كقوله:

أبطحاء مكّة هذا الّذي أراه عياناً وهذا أنا؟

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ هذا من تمام الحكاية عن قول أهل الجنّة، وقيل: إن هذا من قول الله سبحانه.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٤٩-٥٤]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي حسن مرجع ومنقلب يرجعون في الآخرة إلى ثواب الله ومرضاته، ثمَّ فسّر حسن المآب بقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فهي في موضع جرّ على البدل(١)، أي جنّات إقامة وخلود.

﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ أي يجدون أبوابها مفتوحة حين يردونها، ولا يحتاجون إلى الوقوف عند أبوابها حتّى تفتّح لهم.

وقيل: أي لا يحتاجون إلى مفاتيح بل تنفتح بغير مفتاح وتنغلق بغير مغلاق، وقال الحسن يكلّم يقال: انفتحي انغلقي.

وقيل: معناه أنّها معدة لهم غير ممنوعين منها، وإنّ لم تكن أبوابها مفتوحة لهم قبل مصيرهم، كما يقول الرجل لغيره: متى نشطت لزيارتي فالباب مفتوح، والدست مطروح.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ أي مسندين فيها إلى المساند جالسين جلسة الملوك.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ أي يحكمون في ثمارها وشرابها، فإذا قالوا لشيء منها: أقبل حصل عندهم.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي أزواج قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ، راضيات بهم، ما لهنَّ في غيرهم رغبة والقاصر: نقيض المادّ، يقال: فلان قاصر طرفه عن فلان ومادّ عينه إلى فلان ﴿أَتْرَابٌ﴾ أي أقران على سنّ واحد ليس فيهنّ عجائز ولا هرمة.

وقيل: أمثال وأشباه، عن مجاهد، أي متساويات في الحسن ومقدار الشباب، لا يكون لواحدة على صاحبتها فضل في ذلك.

وقيل: أتراب على مقدار سنّ الازواج كلّ واحدة منهن ترب زوجها ولا تكون أكبر منه، قال الفرّاء: الترب: اللّدة، مأخوذ من اللّعب بالتّراب، ولا يقال: إلا في الإناث.

---

(١) في هامش نسخة المصنف بخطه الشريف: كذا في نسخ المجمع، والظاهر: في موضع نصب؛ وقال في الجوامع: عطف بيان لحسن مآب. منه.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أي مايوعد به المتّقون، أو يخاطبون فيقال لهم هذا القول ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي ليوم الجزاء ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا﴾ اي عطاؤنا المتّصل.

﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي فناء وانقطاع لأنّه على سبيل الدوام، عن قتادة، وقيل: إنّه ليس لشئ في الجنّة نفاد، ما أُكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أُكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حيّاً، عن ابن عبّاس.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠]

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ أي قصور في الجنّة ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ قصور مبنيّة، وهذا في مقابلة قوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ فإن في الجنّة منازل رفيعة بعضها فوق بعض، وذلك أنّ النّظر من الغرف إلى الخضر والمياه أشهى وألذُّ.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعداً.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩]

وفي قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي عذاب السيّئات، ويجوز أنّ يكون العذاب هو السيّئات، وسماه السيّئات اتساعاً كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠]

وفي قوله: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي زيادة على ما يستحقّونه تفضلاً منه تعالى، ولو كان على مقدار العمل فقط لكان بحساب، وقيل: معناه: لا تبعة عليهم فيما يعطون من الخير في الجنّة.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾

[فصلت: ٣١-٣٢]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي في الآخرة ﴿مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ من الملاذّ وتتمنّونه من المنافع.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ إنه لكم فإنّه سبحانه يحكم لكم بذلك.

وقيل: إنّ المراد بقوله: ﴿مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ البقاء لأنّهم كانوا يشتهون البقاء في الدنيا، أي لكم فيها ماكنتم تشتهونه من البقاء ولكم فيها ما كنتم تتمنّونه من النّعيم.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ معناه أنّ هذا الموعود به مع جلالته في نفسه له جلالة بمعطيه إذ هو عطاء لكم ورزق مجرى عليكم ممّن يغفر الذنوب ويستر العيوب رحمةً منه لعباده فهو أهنأ لكم وأكمل لسروركم.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٩-٧٣]

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي صدقوا بحججنا ودلائلنا واتّبعوها.

﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ أي مستسلمين لأمرنا خاضعين منقادين، ثمَّ بيّن سبحانه ما يقال لهم بقوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ اللاتي كنّ مؤمنات مثلكم، وقيل: أزواجكم من الحور العين في الجنّة ﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي تسرّون وتكرمون.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ أي بقصاع من ذهب فيها ألوان الأطعمة ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي كيزان لا عرى لها، وقيل: بآنية مستديرة الرأس، اكتفى سبحانه بذكر الصحاف والأكواب عن ذكر الطعام والشّراب.

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾ من أنواع النّعيم المشروبة والمطعومة والملبوسة والمشمومة وغيرها.

﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ بالنّظر إليه، قد جمع الله سبحانه بذلك ما لو اجتمع الخلائق كلّهم على أنّ يصفوا ما في الجنّة من أنواع النّعيم لم يزيدوا على ما انتظمته هاتان اللّفظتان.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ أمنوا فيه الغير من الموت والحوادث، وقيل: أمنوا من الشيطان والأحزان.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ قيل: السندس: ما يلبسونه والاستبرق: ما يفترشونه ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ في المجالس، وقيل: متقابلين بالمحبّة لا متدابرين بالبغضة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ حال أهل الجنّة.

﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قال الأخفش: المراد به التّزويج المعروف، وقال غيره: لا يكون في الجنّة تزويج، والمعنى: وقرنّاهم بحور عين.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ أي يستدعون فيها بأيّ ثمرة شاؤوا واشتهوه غير خائفين فوتها، آمنين من نفادها ومضرّتها، وقيل: آمنين من التخم والأسقام والأوجاع.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ شبّه الموت بالطعام الّذي يذاق ويتكرّه عند المذاق، ثمَّ نفى ذلك أنّ يكون في الجنّة، وإنّما خصّهم بأنّهم لا يذوقون الموت مع أنَّ جميع أهل الآخرة لا يذوقون الموت لمّا في ذلك من البشارة لهم بالحياة الهنيئة في الجنّة، فأمّا من يكون فيما هو كالموت في الشدّة فإنّه لا يطلق له هذه الصّفة، لأنّه يموت موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة.

﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قيل: معناه: بعد الموتة الأُولى، وقيل: معنا: لكنَّ الموتة الأولى قد ذاقوها، وقيل: سوى الموتة الأُولى.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي فصرف عنهم عذاب النّار، استدلّت المعتزلة بهذا على أنّ الفاسق الملّيّ لا يخرج من النّار لأنّه لا يكون قد وقي النّار، والجواب عن ذلك أنّ هذه الآية يجوز أنّ تكون مختصّة بمن لا يستحقّ دخول النّار فلا يدخلها، أو بمن استحقّ فيفضل عليه بالعفو فلا يدخلها، ويجوز أنّ يكون المراد: وقاهم عذاب الجحيم على وجه التأبيد، أو على الوجه الّذي يعذّب عليه الكفّار.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي فعل الله ذلك بهم تفضّلاً منه، لأنّه سبحانه خلقهم وأنعم عليهم، وركّب فيهم العقل وكلّفهم، وبيّن لهم من الآيات ما استدلّوا به على وحدانيّة الله تعالى وحسن الطاعات فاستحقّوا به النّعم العظيمة، ثمَّ جزاهم بالحسنة عشر أمثالها فكان ذلك فضلاً منه عزّ اسمه، وقيل: إنّما سمّاه فضلاً وإنّ كان مستحقاً لأنّ سبب الاستحقاق هوالتكليف والتمكين، وهو فضل منه تعالى.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي الظفر بالمطلوب العظيم الشأن.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦]

وفي قوله تعالى: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي بينها لهم أي بيّنها لهم حتّى عرفوها إذا

دخلوها، وتفرّقوا إلى منازلهم وكانوا أعرف بها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم، عن ابن جبير وأبي سعيد الخدريّ وقتادة ومجاهد وابن زيد، وقيل: معناه: بيّنها لهم وأعلمهم بوصفها على ما يشوق إليها فيرغبون فيها ويسعون لها، عن الجبائيّ.

وقيل: معناه: طيّبها لهم، عن ابن عبّاس في رواية عطاء، من العرف وهو الرائحة الطيّبة، يقال: طعام معرَّف أي مطيّب.

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]

وفي قوله جلّ وعلا: ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي غير متغيّر لطول المقام كما تتغيّر مياه الدنيا.

﴿وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ فهو غير حامض ولا قارص[(١)] ولا يعتريه شيء من العوارض الّتي تصيب الألبان في الدنيا.

﴿وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ أي لذيدة يلتذّون بشربها ولا يتأذّون بها ولا بعاقبتها، بخلاف خمر الدنيا الّتي لا تخلو من المرارة والسكر والصداع.

﴿وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ أي خالص من الشمع والرغوة والقذى ومن جميع الاذى والعيوب الّتي تكون لعسل الدنيا.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ممّا يعرفون اسمها وممّا لا يعرفون، مبرّأة من كلّ مكروه يكون لثمرات الدنيا.

(١) في هامش نسخة المصنف بخطه الشريف: القارص: اللبن الذي يحذى اللسان ويؤثر فيه. منه.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهِمْ﴾ أي ولهم مع هذا مغفرة من ربّهم وهو أنّه يستر ذنوبهم وينسيهم إساءتهم حتّى لا يتنغّص عليهم نعيم الجنّة.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣١-٣٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي قربت الجنّة وأُدنيت للّذين اتّقوا الشّرك والمعاصي حتّى يروا ما فيها من النّعيم.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي هي قريبة منهم لا يلحقهم ضرر ولا مشقّة في الوصول إليها، وقيل: معناه: ليس ببعيد مجيء ذلك فأنّ كلّ آت قريب.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أي ما وعدتم به من الثواب على ألسنة الرسل.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي توّاب رجّاع إلى الطاعة، وقيل: لكلّ مسبّح، عن ابن عبّاس وعطاء.

﴿حَفِيظٍ﴾ لما أمر الله به، متحفّظ عن الخروج إلى ما لا يجوز من سيّئة تدنّسه أو خطيئة تحطّ منه وتشينه.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي من خاف الله وأطاعه وآمن بثوابه وعقابه ولم يره، وقيل: أي في الخلوة بحيث لا يراه أحد.

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ أي داوم على ذلك حتّى وافى الآخرة بقلب مقبل على طاعة الله راجع إلى الله بضمائره.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي يقال لهم: ادخلوا الجنّة بأمان من كلّ مكروه، وسلامة من كلّ آفة، وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ الوقت الّذي يبقون فيه في النّعيم مؤبّدين لا إلى غاية.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي ما تشتهيه أنفسهم من أنواع النعم.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي وعندنا زيادة على ما يشاؤونه ممّا لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيّهم، وقيل: هو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثوات بأعمالهم.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾: أي أسباب رزقكم أو تقديره، وقيل: المراد بالسّماء: السّحاب، وبالرزق: المطر، فإنّه سبب الأقوات.

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الثّواب، لأنّ الجنّة فوق السماء السّابعة، أو لأنّ الأعمال وثوابها مكتوبة مقدّرة في السّماء، وقيل: إنّه مستأنف، خبره: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾.

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ١٨-٢٨]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي متنعّمين بما أعطاهم ربّهم من أنواع النّعيم، وقيل: أي معجبين بما آتاهم ربّهم.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي يقال لهم ذلك ﴿هَنِيئًا﴾ أي مأمون العاقبة من التخمة والسّقم.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ المصفوفة: المصطفّة الموصول بعضها ببعض، وقيل: إنّ في الكلام حذفاً تقديره: متكئين على نمارق موضوعة على سرر، لكنّه حذف لأنّ اللّفظ يدلّ عليه من حيث إنّ الاتّكاء جلسة راحة ودعة، ولا يكون ذلك إلا على الوسائد والنّمارق.

﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ فالحورالبيض النقيّات البياض في حسن وكمال، والعين: الواسعات الأعين في صفاء وبهاء ومعاه: قرنّا هؤلاء المتّقين بحور عين على وجه التمتيع لهم والتنعيم.

وعن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أنّ أهل الجنّة يأكلون ويشربون فقال: والّذي نفسي بيده إنّ الرجل منهم ليؤتى قوّة مائة رجل على الأكل والشرب والجماع.

قال: فأنّ الّذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة!

فقال: عرق يفيض مثل ريح المسك فإذا كان ذلك ضمر له بطنه.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ﴾ أي أعطيناهم حالاً بعد حال فأنَّ الامداد هو الأتيان بالشيء بعد الشئ ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي يتعاطون كأس الخمر هم وجلساؤهم بتجاذب.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي لا يجري بينهم باطل لأنّ اللّغو ما يلغى، ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا من شرب الخمر، والتأثيم تفعيل من الأثم يقال: أثّمه: إذا جعله ذا إثم، يعني أنّ تلك الكأس لا تجعلهم آثمين، وقيل: معناه: لا يتسابون عليها ولا يؤثم بعضهم بعضاً.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ في الحسن والصباحة والصّفاء والبياض. والمكنون: المصون المخزون.

وقيل: إنّه ليس على الغلمان مشقّة في خدمة أهل الجنّة، بل لهم في ذلك اللّذة والسّرور، إذ ليست تلك الدار دار محنة.

وذكر عن الحسن أنّه قال: قيل: يا رسول الله الخادم كاللّؤلؤ فكيف المخدوم؟ فقال: والّذي نفسي بيده إنّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا، عن ابن عبّاس، وهو قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي خائفين في دار الدنيا من العذاب.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي عذاب جهنّم، والسّموم من أسماء جهنّم، عن الحسن.

وقيل: إنّ المعني: يسأل بعضهم بعضاً عمّا فعلوه في الدنيا فاستحقّوا به المصير إلى الثواب والكون في الجنان فيقولون: إنّا كنّا في دارالتكليف مشفقين أي خائفين رقيقي القلب، والسّموم: الحرّ الّذي يدخل في مسامّ البدن يتألّم به، وأصله من السم الّذي هو مخرج النّفس، وكلّ خرق سمّ، أو من السمّ الّذي يقتل، قال الزجّاج: يريد عذاب سموم جهنّم وهو ما يوجد من لفحها وحرّها.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أي ندعو الله ونوحّده ونعبده.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ أي اللّطيف، وقيل: الصّادق فيما وعده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

[القمر: ٥٤-٥٥]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي أنهار، لأنّه اسم جنس يقع على القليل والكثير، والنّهر هو المجرى الواسع من مجاري الماء.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي مجلس حقّ لا لغو فيه ولا تأثيم، وقيل: وصفه بالصّدق لكونه رفيعاً مرضيّاً، وقيل: لدوام النّعيم به، وقيل: لأنّ الله صدق وعد أوليائه فيه.

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي عند الله سبحانه، فهو المالك القادر الّذي لا يعجزه شيء، وليس المراد قرب المكان، بل إنّهم في كنفه وجواره وكفايته حيث تنالهم غواشي رحمته وفضله.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦-٧٧]

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي موقفه الّذي يقف فيه العباد للحساب، أو قيامه على أحواله، من قام عليه: إذا راقبه، أو مقام الخائف عند ربّه للحساب بأحد المعنيين، فأضاف إلى الربّ تفخيماً وتهويلاً.

﴿جَنَّتَانِ﴾ جنّة للخائف الانسيّ، وجنّة للخائف الجنّيّ، فأنّ الخطّاب للفريقين، والمعنى: لكلّ خائفين منكما أو لكلّ واحد جنّة لعقيدته، وأُخرى لعمله، أو جنّة لفعل الطاعات وأُخرى لترك المعاصي، أو جنّة يثاب بها، وأُخرى يتفضّل بها عليه، أو روحانيّة وجسمانيّة، وكذا ما جاء مثنّى بعد.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: أي جنّة عدن، وجنّة النّعيم، وقيل: بستانان: إحديهما داخل القصر، والأُخرى خارج القصر، كما يشتهي الإنسان في الدنيا، وقيل: إحدى الجنّتين منزله، والأُخرى منزل أزواجه وخدمه، وقيل: جنّة من ذهب وجنّة من فضّة.

وقال البيضاويّ: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾: أنواع من الأشجار والثمار، جمع فن، أو أغصان جمع فنن، وهي الغصنة الّتي تنشعب من فرع الشّجر، وتخصيصها بالذّكر لأنّها الّتي تورق وتثمر وتمدّ الظلّ.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيث شاؤوا في الأعالي والأسافل، وقيل: إحداهما التّسنيم، والأُخرى السّلسبيل.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صفنان: غريب ومعروف، أو رطب ويابس.

وقال الطبرسيّ ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: أي من ديباج غليظ، ولم يذكر الظهارة لأنّ البطانة تدلّ على أنّ الظهارة فوق الاستبرق.

وقيل: إنّ الظهارة من سندس وهو الديباج الرقيق.

وروي عن ابن مسعود أنّه قال: هذه البطائن فما ظنّكم بالظهائر؟ وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق فما الظهائر؟ قال: هذا ممّا قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنى: الثّمر المجتنى، أي تدنو الثّمرة حتّى يجنيها ولي الله إنّ شاء قائماً وإنّ شاء قاعداً، عن ابن عبّاس.

وقيل: ثمار الجنّتين دانية إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين، فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين، لا يردّ أيديهم عنها بعد ولا شوك، عن مجاهد.

﴿فِيهِنَّ﴾ أي في الفرش الّتي ذكرها، أو في الجنان لانّها معلومة.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ على أزواجهنَّ، قال أبو ذرّ (ابن زيد خ ل): إنّها تقول لزوجها: وعزّة ربّي ما أرى شيئاً في الجنّة أحسن منك، فالحمد لله الّذي جعلني زوجك، وجعلك زوجي.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي لم يقتضّهنّ، والاقتضاض: النكاح بالتّدمية[1]، المعنى: لم يطأهنّ ولم يغشهنّ.

﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ فهن أبكار لانّهن خلقن في الجنّة، فعلى هذا القول: هنّ من حور الجنّة، وقيل: هنّ من نساء الدنيا لم يمسسهنّ منذ أُنشئن خلق، عن الشعبيّ والكلبيّ، أي لم يجامعهنَّ في هذا الخلق الّذي أُنشئن فيه إنس ولا جانّ.

قال الزجّاج: في هذه الآية دليل على أنّ الجنّي يغشى كما يغشى الأنسيّ.

وقال ضمرة بن حبيب: فيها دليل على أنّ للجنّ ثواباً وأزواجاً من الحور، فالأنسيّات للأنس، والجنّيّات للجنّ.

قال البلخيّ: والمعنى أنّ ما يهب الله لمؤمني الإنس من الحور لم يطمثهنَّ إنس، وما يهب الله لمؤمني الجنّ من الحور لم يطمثهنّ جانّ.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي هنّ على صفاء الياقوت وفي بياض المرجان، عن الحسن وقتادة، وقال الحسن: والمرجان أشدّ اللّؤلؤ بياضاً وهو صغاره.

وفي الحديث: إنَّ المرأة من أهل الجنّة يرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّة من حرير. وعن ابن مسعود: يرى كما يرى السلك من وراء الياقوت.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ أي ليس جزاء من أحسن في الدنيا إلا أنّ يحسن إليه في الآخرة.

وقيل: هل جزاء من قال: لا إله إلاالله وعمل بما جاء به محمّد ﷺ إلا الجنة؟

---

(١) في المجمع المطبوع: لم يفتضهن، والافتضاض: النكاح بالتدمية.

عن ابن عبّاس، وعن أنس قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: هل تدرون ما يقول ربّكم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: فأنَّ ربّكم يقول: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتّوحيد إلا الجنة؟

وقيل: معناه: هل جزاء من أحسن إليكم بهذه النّعم إلا أنّ تحسنوا في شكره وعبادته؟[١].

وروى العياشيّ بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن عثمان بن عيسى، عن عليّ بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: آية في كتاب الله مسجّلة، قلت: ما هي؟

قال: قول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ جرت في الكافر والمؤمن والبرّ والفاجر، ومن صنع إليه معروف فعليه أنّ بكافئ به، وليس المكافأة أنّ تصنع كما صنع حتّى تربي[٢]، فأنَّ صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء[٣].

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي ومن دون الجنّتين اللتين ذكرناهما جنّتان أُخريان دون الجنّتين الأُوليين، فإنّهما أقرب إلى قصره ومجالسه في قصره ليتضاعف له السّرور بالتنقّل من جنّة إلى جنّة على ما هو معروف من طبع البشر في شهوة مثل ذلك، ومعنى (دون) هنا: مكان قريب من الشئ بالإضافة إلى غيره ممّا ليس له مثل قربه، وقيل: إنَّ المعنى أنّهما دون الجنّتين الأُوليين في الفضل، فقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: جنّتان من فضّة أبنيتهما وما فيهما، وجنّتان من ذهب أبنيتها وما فيهما.

وروى العياشيّ بالإسناد إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن المؤمن تكون له امرأة مؤمنة يدخلان الجنّة يتزوّج أحدهما بالآخر؟

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٩٤ - ١٠٥.
(٢) أي تعطيه أكثر مما أعطاك.
(٣) البحار: ج ٨، ص ١٠٥.

فقال: يا أبا محمّد إنّ الله حكم عدل، إنّ كان هو أفضل منها خيّر هو فأنَّ اختارها كانت من أزواجه، وإنّ كانت هي خيراً منها خيّرها فأنَّ اختارته كان زوجاً لها.

قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: لا تقولنّ: إنّ الجنّة واحدة إنَّ الله يقول: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ولا تقولنّ: درجة واحدة إنَّ الله يقول: ﴿بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ إنما تفاضل القوم بالاعمال.

قال: وقلت له: إنَّ المؤمنين يدخلان الجنّة فيكون أحدهما أرفع مكاناً من الآخر فيشتهي أنّ يلقى صاحبه.

قال: من كان فوقه فله أنّ يهبط ومن كان تحته لم يكن له أنّ يصعد لأنّه لا يبلغ ذلك المكان ولكنّهم إذا أحبّوا ذلك واشتهوه التقوا على الأسرّة

وعن العلاء بن سيّابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّ الناس يتعجّبون منّا إذا قلنا: يخرج قومٌ من جهنّم فيدخلون الجنّة، فيقولون لنا: فيكونون مع أولياء الله في الجنة؟

فقال: يا علاء إنَّ الله يقول: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ لا والله لا يكونون مع أولياء الله.

قلت: كانوا كافرين؟

قال عليه السلام: لا والله لو كانوا كافرين ما دخلوا الجنة.

قلت: كانوا مؤمنين؟

قال: لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النّار ولكن بين ذلك. وتأويل ذلك - لو صحّ الخبر -: أنّهم لم يكونوا من أفاضل المؤمنين وخيارهم.

ثم وصف الجنّتين فقال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي من خضرتهما قد اسودّتا من الريّ، وكلّ نبت أخضر فتمام خضرته أنّ يضرب إلى السواد وهو على أتمّ ما يكون من الحسن.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي فوّارتان بالماء تنبع من أصلهما ثمّ تجريان، عن

الحسن، قال ابن عبّاس: تنضخ(١) على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور، وقيل: تنضخان بأنواع الخيرات.

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ﴾ يعني ألوان الفاكهة ﴿وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ وحكى الزجّاج عن يونس النحويّ أنّ النخل والرمّان من أفضل الفاكهة، وإنّما فصّلا بالواو لفضلهما ﴿فِيهِنَّ﴾ أي في الجنّات الأربع.

﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ أي نساء خيرات الاخلاق حسّان الوجوه، روته أُمّ سلمة عن النبيّ ﷺ. وقيل: ﴿خَيۡرَٰتٌ﴾ فاضلات في الصّلاح والجمال عن الحسن، حسّان في المناظر والألوان.

وقيل: إنّهنّ من نساء الدنيا ترد عليهم في الجنّة وهنّ أجل من الحور العين.

وقيل: ﴿خَيۡرَٰتٌ﴾: مختارات، عن جرير بن عبد الله، وقيل: لسن بذربات ولا زفرات ولا نخرات ولا متطلّعات ولا متسوّمات ولا متسلّطات ولا طمّاحات ولا طوّافات في الطرق ولا يغرن ولا يؤذين(٢).

وقال عقبة بن عبد الغافر: نساء أهل الجنّة تأخذ بعضهنّ بأيدي بعضهنّ ويتغنّين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها: نحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن خيرات حسّان حبيبات لأزواج كرام. وقالت عائشة: إنّ الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابتهنّ المؤمنات من نساء الدنيا: نحن المصلّيات وما صلّيتنّ، ونحن الصائمات وما صمتنّ، ونحن المتوضّيات وما توضّيتنّ، ونحن المتصدّقات وما تصدّقتنّ، فغلبنهنّ والله.

---

(١) نضخ الماء: اشتد فورانه من ينبوعه.

(٢) في هامش نسخة المصنف بخطه الشريف: ذرابة اللسان: حدته. والزفرة: التنفس الذي معه صوت، والزفر أول صوت الحمار. والنخير: مد الصوت في الخيشوم، وامرأة منخار: تنخر عند الجماع كأنها مجنونة. والمتسومات: لعله من السوم بمعنى البيع أي بياعات في الأسواق، أو أخاذات بالعنف مجازاً، ولعله كان: «مسوفات» من التسويف والتأخير أي المماطلة في الوطى. والطماحات: الناظرات إلى من فوقهن أو إلى بيوت الناس، أو من قولهم: طمحت المرأة أي جمحت. (منه عفى عنه).

﴿حُورٌ﴾ أي بيض حسّان البياض، ومنه العين الحوراء إذا كانت شديدة بياض البياض شديدة سواد السواد، وبذلك يتمّ حسن العين.

﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ أي محبوسات في الحجّال، مستورات في القباب، عن ابن عبّاس وغيره، والمعنى أنّهنّ مصونات مخدّرات لا يبتذلن.

وقيل: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ أي قصرن على أزواجهنّ فلا يردن بدلاً منهم، وقيل: إنّ لكلّ زوجة خيمة طولها ستّون ميلاً، عن ابن مسعود، وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: الخيمة درّة واحدة طولها في الهواء ستّون ميلاً، في كلّ زاوية منها أهل للمؤمنين، لا يراه الآخرون(١).

وعن ابن عبّاس قال: الخيمة درّة مجوّفة فرسخ في فرسخ فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

وعن أنس، عن النبيّ ﷺ قال: مررت ليلة أُسرى بي بنهرحافتاه قباب المرجان فنوديت منه: السلام عليك يا رسول الله.

فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟

قال: هؤلاء حور من الحور العين استأذنَّ ربّهنّ ﷻ أنّ يسلّمن عليك فأذن لهنَّ.

فقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن النّاعمات فلا نبأس، أزواج رجال كرام. ثمّ قرأ ﷺ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ الآية. الوجه في التكرير الابانة عن أنّ صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ أي على فرش مرتفعة، عن الجبائيّ، وقيل: الرفرف: رياض الجنّة، والواحدة: رفرفة، عن ابن جبير، وقيل: هي المجالس (الطنافس خ ل) عن ابن عبّاس وغيره، وقيل: هي المرافق يعني الوسائد، عن الحسن.

﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ أي وزرابيّ حسّان عن ابن عبّاس وغيره، وهي الطنافس،

---

(١) البحار: ج ٨، ص ١٠٥ - ١٠٧.

وقيل: العبقريّ: الديباج، وقيل: هي البسط، قال القتيبيّ: كلّ ثوب موشى فهو عبقريّ، وهو جمع ولذلك قال: ﴿حِسَانٍ﴾.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-٤٠]

وفي قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي جماعة كثيرة العدد من الأوّلين من الأمم الماضية ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ من أُمّة محمّد ﷺ، لأنّ من سبق إلى إجابة نبينا ﷺ قليل بالإضافة إلى من سبق إلى إجابة النبيّين قبله، عن جماعة من المفسّرين، وقيل: معناه: جماعة من أوائل هذه الأمّة، وقليل من أواخرهم ممّن قرب حالهم من حال أُولئك.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي منسوجة، كما يوضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض، قال المفسّرون: منسوجة بقضبان الذهب مشبّكة بالدرّ والجواهر.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ أي متحاذين كلّ واحد منهم بإزاء الآخر، وذلك أعظم في باب السرور.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ أي وصفاء وغلمان للخدمة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ أي باقون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيّرون، وقيل: مقرّطون، والخلدة: القرط.

واختلف في هذه الولدان فقيل: إنّهم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ولا سيّئات فيعاقبون عليها فأُنزلوا هذه المنزلة، عن عليّ عليه السلام والحسن وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه سئل عن أطفال المشركين فقال: هم خدم أهل الجنّة.

وقيل: هم من خدم الجنّة على صورة الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنّة.

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ وهي القداح الواسعة الرؤوس لا خراطيم لها.

﴿وَأَبَارِيقَ﴾ وهي الّتي لها خراطيم وعرى، وهوالذي برق من صفاء لونه.

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أي ويطوفون أيضاً عليهم بكأس من خمر معين، أي ظاهر للعيون جار ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي لا يأخذهم من شربها صداع، وقيل: لا يتفرّقون عنها.

﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا تنزف عقولهم بالسكر، أو لا يفنى خمرهم على القراءة الأُخرى.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي ممّا يختارونه ويشتهونه.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فإن أهل الجنّة إذا اشتهوا لحم الطير خلق الله لهم لحم الطير نضيجاً حتّى لا يحتاج إلى ذبح الطير وإيلامه، قال ابن عبّاس: يخطر على قلبه الطير فيصير ممثّلاً بين يديه على ما اشتهى.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ أي الدرّ المخزون المصون في الصّدف لم تمسّه الأيدي.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي ما لا فائدة فيها من الكلام.

﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي لا يقول بعضهم لبعض: أثمت لأنّهم لا يتكلّمون بما فيها إثم، عن ابن عبّاس، وقيل: لا يتخالفون على شرب الخمر ولا يأثمون بشربها كما في الدنيا.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ أي لا يسمعون إلا قول بعضهم لبعض على وجه التحيّة: سلاماً سلاماً، والتقدير: سلّمك الله سلاماً.

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أي نبق منزوع الشوكة قد خضد شوكه أي قطع، وقيل: هو الذي خضد بكثرة حمله وذهاب شوكه، وقيل: هو الموقر حملاً[1].

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال ابن عبّاس وغيره: هو شجر الموز، وقيل: هو شجر له ظلّ بارد طيّب، عن الحسن، وقيل: هو شجر يكون باليمن وبالحجاز من أحسن الشّجر منظراً، وإنّما ذكر هاتين الشجرتين لأنّ العرب كانوا يعرفون ذلك، فأنّ عامّة أشجارهم أُمّ غيلان ذات أنوار ورائحة طيّبة، وروت العامّة عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ عنده رجل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ فقال: ما شأن الطلح؟ إنّما هو «وطلع» كقوله: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾.

فقيل له: ألا نغيره؟

فقال: إنّ القرآن لا يغيّر اليوم ولا يحوّل، رواه عنه ابنه الحسن عليه السلام وقيس بن سعد، ورواه أصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال: لا «وطلع منضود» والمنضود الّذي بعضه على بعض نضد بالحمل من أوّله إلى آخره فليس له سوق بارزة، فمن عروقه إلى أفنانه ثمر كلّه.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي دائم لا تنسخه الشّمس فهو ثابت لا يزول، وقد وردّ في الخبر: أنّ في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنّة لا يقطعها، اقرؤوا إنّ شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ وروي أيضاً: أنّ أوقات الجنّة كغدوات الصيف لا يكون فيه حرّ ولا برد.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي مصبوب يجري اللّيل والنّهار ولا ينقطع عنهم فهو مسكوب بسكب الله إيّاه في مجاريه، وقيل: مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج.

وقيل: مسكوب يجري دائماً في غير أُخدود عن سفيان وجماعة.

وقيل: مسكوب ليشرب على مايرى من حسنه وصفائه لا يحتاجون إلى تعب في استقائه.

---

(١) من أوقرت النخلة وأوقرت أي كثر حملها.

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾ أي وثمار مختلفة كثيرة غير قليلة، والوجه في تكرير ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها، فذكرت أوّلاً بأنّها متخيّرة، وذكرت هنا بأنّها كثيرة.

﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ أي لا ينقطع كما تنقطع فواكه الدنيا في الشّتاء وفي أوقات مخصوصة، ولا تمتنع ببعد متناول أو شوك يؤذي اليد كما يكون ذلك في الدنيا، وقيل: إنّها لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان لا يتوصّل إليها إلا بالثمن.

﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾ أي بسط عالية، كما يقال: بناء مرفوع، وقيل: «مرفوع» بعضها فوق بعض، عن الحسن والفرّاء، وقيل: معناه: ونساء مرتفعات القدر في عقولهنّ وحسنهنّ وكمالهنّ، عن الجبائيّ، قال: ولذلك عقّبه بقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ ويقال لامرأة الرَّجل: فراشه، ومنه قوله ﷺ: الولد للفراش.

﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ أي خلقناهنّ خلقاً جديداً، قال ابن عبّاس: يعني النّساء الآدميّات والعجز الشمط، يقول: خلقناهنَّ بعد الكبر والهرم في الدنيا خلقاً آخر.

وقيل: معناه أنشأنا الحور العين كما هنّ عليه على هيآتهنّ لم ينتقلن من حال إلى حال كما يكون في الدنيا.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾ أي عذارى، وقيل: لا يأتيهنّ أزواجهنّ إلا وجدوهنّ أبكاراً ﴿عُرُبًا﴾ أي متحنّنات على أزواجهنّ متحبّبات إليهم، وقيل: عاشقات (خاشعات خ ل) لأزواجهنّ، عن ابن عبّاس، وقيل: العروب: اللّعوب مع زوجها، آنسة به كما يأنس العرب بكلام العربيّ.

﴿أَتۡرَابٗا﴾ أي متشابهات مستويات في السنّ، وقيل: أمثال أزواجهن في السنّ.

﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي هذا الّذي ذكرناه لأصحاب اليمين جزاءً وثواباً على طاعتهم.

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٠﴾ جماعة من الأُمم الماضية، وجماعة من مؤمني هذه الأمّة، وذهب جماعة إلى أنّ الثلّتين جميعاً من هذه الأمة.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]

وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ أي يعطيه أحسن ما يعطى أحد، وذلك مبالغة في وصف نعيم الجنّة.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٨-٣٩]

وفي قوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ أي من هؤلاء المنافقين.

﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كما يدخل أُولئك الموصوفون قبل هذا، وإنّما قال هذا لأنهم كانوا يقولون: إنّ كان الأمر على ما قال محمّد ﷺ - فأنّ لنا في الآخرة عند الله أفضل ممّا للمؤمنين كما أعطانا في الدنيا أفضل ممّا أعطاهم ﴿كَلَّآ﴾ أي لا يكون ذلك ولا يدخلونها.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦]

وفي قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ أناء فيه شراب ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي ما يمازجها ﴿كَافُورًا﴾ وهو اسم عين ماءٍ في الجنّة، ويدلّ عليه قوله: ﴿عَيْنًا﴾ وهي كالمفسّرة للكافور، وقيل: يعني الكافور الّذي له رائحة طيّبة، والمعنى: يمازجه ريح الكافور وليس ككافور الدنيا، قال قتادة: يمزج بالكافور ويختم بالمسك وقيل: معناه: طيّب بالكافور والمسك والزنجيل.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أي أولياؤه، عن ابن عبّاس، أي هذا الشّراب من عين يشربها أولياء الله.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي يقودون تلك العين حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم، عن مجاهد، والتفجير: تشقيق الأرض ليجري الماء قال: وأنهار الجنّة تجري بغير أُخدود، فإذا أراد المؤمن أنّ يجري نهراً خطّ خطّاً فينبع الماء من ذلك الموضع ويجري بغير تعب.

﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ١٢-٢٢]

﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بصبرهم على طاعته واجتناب معاصيه وتحمّل محن الدنيا وشدائدها.

﴿جَنَّةً﴾ يسكنونها ﴿وَحَرِيرًا﴾ من لباس الجنّة يلبسونه ويفروشونه ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ يتأذّون بحرّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يتأذّون ببرده.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ يعني أنّ أفياء أشجار تلك الجنّة قريبة منهم، وقيل: إنّ ظلال الجنّة لا تنسخها الشّمس كما تنسخ ظلال الدنيا.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي وسخّرت وسهل أخذ ثمارها تسخيراً، إنّ قام ارتفعت بقدره، وإنّ قعد نزلت عليه حتّى ينالها، وإنّ اضطجع نزلت حتّى تنالها يده، وقيل: معناه: لا يردّ أيديهم عنها بعد ولا شوك ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ أي زجاجاً ﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾.

قال الصادق عليه السلام: ينفذ البصر في فضّة الجنّة كما ينفذ في الزجاج.

والمعنى أنّ أصلها من فضّة فاجتمع لها بياض الفضّة وصفاء القوارير فيرى من خارجها ما في داخلها.

قال أبو عليّ: إنّ سئل فقيل: كيف يكون القوارير من فضّة، وإنّما القوارير من الرمل دونها؟

فالقول في ذلك أنّ الشئ إذا قاربه شيء واشتدّت ملابسته له قيل: إنّه من كذا وإنّ لم يكن منه في الحقيقة، فعلى هذا يجوز قوارير من فضّة أي هي في صفاء الفضة ونقائها، ويجوز تقدير حذف المضاف، أي من صفاء الفضّة، وقوارير الثانية بدل من الأُولى وليست بتكرار.

وقيل: إنّ قوارير كلّ أرض من تربتها، أرض الجنّة فضّة ولذلك كانت قواريرها مثل الفضّة، عن ابن عبّاس.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي قدروا الكأس على قدر ريّهم لا يزيد ولا ينقص من الريّ، والضمير في قدّروها للسقاة والخدّام الّذين يسقون. فإنّهم يقدرونها ثمَّ يسقون.

وقيل: قدّروها على قدر ملء الكفّ، أي كانت الأكواب على قدر ما اشتهوا لم تعظم ولم تثقل الكفّ عن حملها.

وقيل: قدّروها في أنفسهم قبل مجيئها على صفة فجاءت على ما قدّروا، والضّمير في قدّروا للشّاربين.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ أي في الجنّة ﴿كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ قال مقاتل: لا يشبه زنجبيل الدنيا. وقال ابن عبّاس: كلّما ذكر الله في القرآن ممّا في الجنّة وسمّاه ليس له مثل في الدنيا، ولكن سمّاه الله بالاسم الّذي يعرف، والزنجبيل ممّا كانت العرب تستطيبه فلذلك ذكره الله في القرآن ووعدهم أنّهم يسقون في الجنّة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنّة.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[1] أي الزنجبيل من عين تسمّى سلسبيلاً.

---

(١) قال الراغب: قوله: ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ أي سهلاً لذيذاً سلسلاً جديد الجرية، وذكر بعضهم أن ذلك مركب من قولهم: سل سبيلا نحو الحوقلة والبسملة ونحوهما من الألفاظ المركبة؛ وقيل: بل هو اسم لكل عين سريع الجرية.

قال ابن الأعرابيّ: لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن.

وقال الزجّاج: هو صفة لمّا كان في غايه السلاسة، يعنى أنّها سلسة تتسلسل في الحلق.

وقيل: سمّيت سلسبيلاً لانّها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم ينبع من أصل العرش من جنّة عدن إلى أهل الجنان، وقيل: سمّيت بذلك لأنّها ينقاد ماؤها لهم يصرفونها حيث شاؤوا.

﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي من الصفاء وحسن المنظر والكثرة فذكر لونهم وكثرتهم، وقيل: إنّما شبّههم بالمنثور لانتشارهم في الخدمة فلو كانوا صفّاً لشبّهوا بالمنظوم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي إذا رأيت ببصرك ثمّ يعني الجنّة، وقيل: إنّ تقديره: وإذا رأيت الأشياء ثمّ ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ خطيراً ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ لا يزول ولا يفنى، عن الصادق عليه السلام.

وقيل: كبيراً أي واسعاً، يعني أنّ نعيم الجنّة لا يوصف كثرة وأنما يوصف بعضها.

وقيل: الملك الكبير: استيذان الملائكة عليهم وتحيّتهم بالسلام.

وقيل: هو أنّه لا يريدون شيئاً إلا قدروا عليه.

وقيل: هو أنّ أدناهم منزلة ينظر في ملكه من ألف عام يرى أقصاه كما يرى أناه.

وقيل: هو الملك الدائم الأبديّ في نفاذ الأمر وحصول الأمانيّ.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ من جعله ظرفاً فهو بمنزلة قولك: فوقهم ثياب سندس، ومن جعله حالاً فهو بمنزلة قولك: تعلوهم ثياب سندس، وهو ما رقّ من الثياب فيلبسونها، وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال في معناه: تعلوهم الثياب فيلبسونها.

﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ وهو ما غلظ منها، ولا يراد بها الغلظ في السلك إنّما يراد به الثخانة في النسج قال ابن عبّاس: أما رأيت الرجل عليه ثياب والّذي يعلوها أفضلها؟

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ الفضّة الشفّافة وهي الّتي يرى ما وراؤها كما يرى من

البلّورة وهي أفضل من الدرّ والياقوت، وهما أفضلان من الذهب فتلك الفضة أفضل من الذهب، والفضّة والذهب هما أثمان الأشياء، وقيل: إنّهم يحلّون بالذهب تارة وبالفضّة أُخرى ليجمعوا محاسن الحلية، كما قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ والفضة وإنّ كانت دنيّة الثّمن فهي في غاية الحسن، خاصّة إذا كانت بالصفة الّتي ذكرها، والغرض في الآخرة ما يكثر الاستلذاذ والسرور به لا ما يكثر ثمنه لأنّه ليست هناك أثمان.

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي طاهراً من الاقذار والاقذاء لم تدنّسها الأيدي ولم تدسّها الأرجل كخمر الدنيا.

وقيل: ﴿طَهُورًا﴾ لا يصير بولاً نجساً، ولكن يصير رشحاً في أبدانهم كرشح المسك، وإنّ الرجل من أهل الجنّة يقسّم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا وأكلهم ونهمتهم، فإذا أكل ما شاء سقي شراباً طهوراً فيطهر بطنه ويصير ما أكل رشحاً يخرج من جلده أطيب ريحاً من المسك الأذفر، ويضمر بطنه وتعود شهوته، عن إبراهيم التيميّ وأبي قلابة، وقيل: يطهّرهم من كلّ شي ء سوى الله إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الاكوان إلا الله، رووه عن جعفر بن محمد عليه السلام.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي ماوصف من النّعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ أي مكافاة على أعمالكم الحسنة.

﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ في مرضات الله ﴿مَّشْكُورًا﴾ أي مقبولاً مرضيّاً جوزيتم عليه.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٥]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ من أشجار الجنّة ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية بين أيديهم في غير أُخدود، لأنّ ذلك أمتع لهم بما يرونه من حسن مياهها وصفائها، وقيل: عيون أي ينابيع ماء يجري خلال الأشجار.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾

[النبأ: ٣١-٣٦]

وفي قوله تعالى: ﴿مَفَازًا﴾ أي فوزاً ونجاة إلى حال السّلامة والسّرور، وقيل: المفاز: موضع الفوز.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ أي جواري تكعب ثديهنّ مستويات في السنّ.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي مترعة مملوءة، وقيل: متتابعة على شاربيها، أُخذ من متابعة الشدّ في الدهق، وقيل: على قدر ريّهم، عن مقاتل.

﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ أي ولا تكذيب بعضهم لبعض ومن قرأ بالتخفيف يريد: ولا مكاذبة، وقيل: كذباً.

﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ أي كافياً، وقيل: أي كثيراً، وقيل: حساباً على قدر الاستحقاق وبحسب العمل.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٣-٣٦]

وفي قولة تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ إلى ما أُعطوا من النّعيم والكرامة، وقيل: ينظرون إلى عدوّهم حين يعذّبون.

﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي إذا رأيتهم عرفت أنّهم من أهل النّعمة بما ترى في وجوههم من النّور والحسن والبياض والبهجة، قال عطاء: وذلك أنّ الله تعالى قد زاد في جمالهم وألوانهم مالاً يصفه واصف.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ أي من خمر صافية خالصة من كلّ غشّ.

﴿مَّخْتُومٍ﴾ وهو الّذي له ختام، أي عاقبة، وقيل: مختوم في الآنية بالمسك وهو غير الخمر الّتي تجري في الأنهار، وقيل: هو مختوم أي ممنوع من أنّ تمسّه يدٌ حتّى يفكَّ ختمه للأبرار، ثمَّ فسّر المختوم بقوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشّارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك، وقيل: ختم إناؤه بالمسك بدلاً من الطين الّذي يختم به الشراب في الدنيا، وعن أبي الدرداء، هو تراب أبيض من الفضّة يختمون به شرابهم، ولو أنّ رجلاً من أهل الدينا أدخل إصبعه فيه ثمَّ أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها ثمّ رغب فيها.

فقال: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله سبحانه، وفي الحديث: من صام لله في يوم صائف سقاه الله على الظماء من الرحيق المختوم.

وفي وصيّة النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي من ترك الخمر لله سقاه الله من الرحيق المختوم.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ أي ومزاج ذلك الشّراب الّذي وصفناه وهو ما يمزج به من تسنيم وهو عين في الجنّة، وهو أشرف شراب في الجنّة.

قال مسروق: يشربها المقرّبون صرفاً ويمزج بها كأس أصحاب اليمين فيطيب، وروى ميمون بن مهران أنّ ابن عبّاس سئل عن تسنيم فقال: هذا ممّا يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ونحو هذا قول الحسن: خفايا أخفاها الله لأهل الجنّة.

وقيل: هو شراب ينصبّ عليهم من علوّ انصباباً.

وقيل: هو نهر يجري في الهواء فينصبُّ في أواني أهل الجنّة بحسب الحاجة ثمَّ

فسّره سبحانه بقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي هي خالصة للمقرّبين يشربونها صرفاً، ويمزج لسائر أهل الجنّة، عن ابن مسعود وابن عبّاس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ يعني كفّار قريش ومترفيهم كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم.

﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني أصحاب النبيّ ﷺ مثل عمّار وخباب وبلال وغيرهم ﴿يَضْحَكُونَ﴾ على وجه السخريّة بهم والاستهزاء في دار الدنيا ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ﴾ يعني وإذا مرّ المؤمنون بهؤلاء المشركين ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ أي يشير بعضهم إلى بعض بالأعين والحواجب استهزاءً بهم، أي يقول هؤلاء إنّهم على حقّ، وإنّ محمّداً يأتيه الوحي، وإنّه رسول، وإنّا نبعث ونحو ذلك.

وقيل: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذلك أنّه كان في نفر من المسلمين جاؤوا إلى النبيّ ﷺ فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثمَّ رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه، فنزلت الآية قبل أنّ يصل عليّ عليه السلام وأصحابه إلى النبيّ ﷺ عن مقاتل والكلبيّ.

وذكر الحاكم أبو القاسم الحسكانيّ في كتاب شواهد التنزيل بإسناده عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: إنّ الّذين أجرموا منّافقوا قريش، والذين آمنوا عليّ بن أبي طالب وأصحابه.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ يعني وإذا رجع هؤلاء الكفّار إلى أهلهم رجعوا معجبين بما هم فيه يتفكّهون بذكرهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ لأنّهم تركوا التنعّم رجاء ثواب لا حقيقة له ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ أي ولم يرسل هؤلاء الكفّار حافظين على المؤمنين ما هم عليه وما كلّفوا حفظ أعمالهم، فكيف يطعنون عليهم، وقيل: معناه: وما أُرسلوا عليهم شاهدين.

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ كما ضحك الكفّار منهم في الدنيا وذلك أنّه يفتح للكفّار باب إلى الجنّة ويقال لهم: اخرجوا إليها، فإذا وصلوا إليه أُغلق دونهم، يفعل ذلك بهم مراراً فيضحك منهم المؤمنون، عن أبي صالح.

وقيل: يضحكون من الكفّار إذا رأوهم في العذاب وأنفسهم في النّعيم.

وقيل إنّ الوجه في ضحك أهل الجنّة من أهل النّار أنّهم لمّا كانوا أعداء الله وأعداءهم جعل الله سبحانه لهم سروراً في تعذيبهم.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ يعني المؤمنين ينظرون إلى تعذيب أعدائهم الكفّار على سرر في الحجّال.

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أي هل جوزي الكفّار إذا فعل بهم هذا الّذي ذكر ما كانوا يفعلونه[1] من السخريّة بالمؤمنين في الدنيا، وهو استفهام يراد به التقرير.

و﴿ثُوِّبَ﴾ بمعني أُثيب، وقيل: معناه: يتّصل بما قبله ويكون التقدير: إنّ الّذين آمنوا ينظرون هل جوزي الكفّار بأعمالهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦]

وفي قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير منقوص، وقيل: غير مقطوع، وقيل: غير محسوب، وقيل: غير مكدّر بما يؤذي ويغمّ[2].

عن ثابت بن هرمز، عن الحسن بن أبي الحسن، عن أحمد بن عبد الحميد، عن عبد الله بن عليّ أنّه لقى بلال مؤذّن رسول الله ﷺ فسأله فيما سأله عن وصف بناء الجنّة قال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن سور الجنّة لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، ولبنة من ياقوت، وملاطها المسك الأذفر، وشرفها الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر.

قلت: فما أبوابها؟

قال: أبوابها مختلفة: باب الرَحمة من ياقوتة حمراء.

---

(١) في التفسير المطبوع: إذا فعل بهم هذا الذي ذكره على ما كانوا يفعلونه.

(٢) البحار: ج ٨، ص ١٠٧ - ١١٦.

قلت: فما حلقته؟

قال: ويحك كفّ عنّي فقد كلّفتني شططاً.

قلت: ما أنا بكاف عنك حتّى تؤدي إليّ ما سمعت من رسول الله ﷺ في ذلك، قال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم أمّا باب الصبر فباب صغير مصراع واحد من ياقوتة حمراء لا حلق له، وأمّا باب الشكر فإنّه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان مسيرة ما بينهما خمسمائة عام له ضجيج وحنين يقول: اللّهمَّ جئني بأهلي، قلت: هل يتكلّم الباب؟

قال: نعم ينطقه ذو الجلال والإكرام، وأمّا باب البلاء، وقلت، أليس باب البلاء هو باب الصبر؟

قال: لا.

قلت: فما البلاء؟

قال: المصائب والأسقام والأمراض والجذام، وهو باب من ياقوتة صفراء مصراع واحد ما أقل من يدخل منه؟!

قلت: رحمك الله زدني وتفضّل عليّ فإنّي فقير.

قال: ياغلام لقد كلّفتني شططاً، أمّا الباب الأعظم فيدخل منه العباد الصالحون، وهم أهل الزهد والورع والراغبون إلى الله عزّ وجلّ المستأنسون به.

قلت: رحمك الله فإذا دخلوا الجنّة ماذا يصنعون؟

قال: يسيرون على نهرين في مصافّ في سفن الياقوت، مجاذيفها اللّؤلؤ، فيها ملائكة من نور، عليهم ثياب خضر شديدة خضرتها، قلت: رحمك الله هل يكون من النّور أخضر؟

قال: إن الثياب هي خضر ولكن فيها نور من نور ربّ العالمين جلّ جلاله، يسيرون على حافتي ذلك النّهر، قلت: فما اسم ذلك النّهر؟

قال: جنّة المأوى.

قلت: هل وسطها غير هذا؟

قال: نعم جنّة عدن وهي في وسط الجنان، فأمّا جنّة عدن فسورها ياقوت أحمر، وحصباؤها اللّؤلؤ.

قلت: فهل فيها غيرها؟

قال: نعم جنّة الفردوس.

قلت: وكيف سورها؟

قال: ويحك كفّ عنّي حيّرت عليَّ قلبي.

قلت: بل أنت الفاعل بي ذلك، ما أنا بكاف عنك حتّى تتمّ لي الصّفة وتخبرني عن سورها.

قال: سورها نور.

فقلت: والغرف الّتي هي فيها.

قال: هي من نور ربّ العالمين.

قلت: زدني رحمك الله.

قال: ويحك إلى هذا انتهى بنا رسول الله ﷺ، طوبى لك إنّ أنت وصلت إلى بعض هذه الصفة، وطوبى لمن يؤمن بهذا، الخبر[1].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: طوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار النبي ﷺ، وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن منها، لا تخطر على قلبه شهوة شيء إلا أتاه به ذلك الغصن، ولو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منها، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً، ألا ففي هذا فارغبوا، الخبر[2].

عن عبد الله بن سليمان قال: قرأت في الإنجيل:

يا عيسى - وذكر أمر نبينا ﷺ إلى أنّ قال -: طوبى لمن أدرك زمانه، وشهد أيّامه، وسمع كلامه.

---

(١) أمالي الصدوق: ص ١٢٨-١٢٩. البحار: ج ٨، ص ١١٦-١١٧، باب ٢٣، ح ١.
(٢) أمالي الصدوق: ص ١٣٣. البحار: ج ٨، ص ١١٧-١١٨، باب ٢٣، ح ٢.

قال عيسى: يا ربّ وما طوبى؟

قال: شجرة في الجنّة أنا غرستها، تظلّ الجنان، أصلها من رضوان، ماؤها من تسنيم، برده برد الكافور، وطعمه طعم الزنجبيل، من يشرب من تلك العين شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

فقال عيسى عليه السلام: اللّهمّ اسقني منها.

قال: حرام يا عيسى على البشر أنّ يشربوا منها حتّى يشرب ذلك النبيّ، وحرام على الأُمم أنّ يشربوا منها حتّى يشرب أُمّة ذلك النبيّ، الخبر[1].

عن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه عليهما السلام قال: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ في الجنّة لشجرة يخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيل بلق مسرّجة ملجمة ذوات أجنحة، لا تروث ولا تبول، فيركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنّة حيث شاؤوا.

فيقول الّذين أسفل منهم: يا ربّنا ما بلغ بعبادك هذه الكرامة؟

فيقول الله جلّ جلاله: إنّهم كانوا يقومون اللّيل ولا ينامون، ويصومون النهار ولا يأكلون، ويجاهدون العدوّ ولا يجنبون، ويتصدّقون ولا يبخلون[2].

عن الهرويّ قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله أخبرني عن الجنّة والنّار أهما اليوم مخلوقتان؟

فقال: نعم وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النّار لمّا عرج له إلى السّماء.

قال: فقلت له: فإنَّ قوماً يقولون: إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين، فقال عليه السلام: ما أُولئك منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنّار فقد كذب النبيّ صلى الله عليه وآله وكذّبنا وليس من ولايتنا على شيء، وخلّد في نار جهنّم.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾[3].

(١) أمالي الصدوق: ص ١٦٤. البحار: ج ٨، ص ١١٨، باب ٢٣، ح ٣.

(٢) أمالي الصدوق: ص ١٧٥، البحار: ج ٨، ص ١١٨، باب ٢٣، ح ٤.

(٣) سورة الرحمن، الآيتان: ٤٣-٤٤.

وقال النبيّ ﷺ: لمّا عرج بي إلى السّماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة فناولني من رطبها فأكلته فتحوّل ذلك نطفة في صلبي فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ففاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة[١].

عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قالت أُمّ سلمة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ بأبي أنت وأُمّي المرأة يكون لها زوجان فيموتون ويدخلون الجنّة لأيّهما تكون؟

فقال عليه السلام: يا أُمّ سلمة تخيّر أحسنهما خلقاً وخيرهما لأهله، يا أُمّ سلمة إنّ حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة[٢].

عن محمّد بن الفضل الزرقيّ، عن أبي عبد الله، عن أبيه عن جدّه، عن عليّ عليهم السلام قال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصّراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن توالاني في دار الدنيا، فإذا النّداء من بطنان العرش: قد أُجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك، ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولاّني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه؛ وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أنّ لا إله إلاّ الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت[٣].

أبو إسحاق الموصليّ: إنَّ قوماً من ما وراء النهر سألوا الرضا عليه السلام عن الحور العين ممّ خلقن؟ وعن أهل الجنّة إذا دخلوها ما أوّل ما يأكلون؟

فقال عليه السلام: أما الحور العين فإنّهنّ خلقن من الزعفران والتّراب لا يفنين،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ص ٦٥، أمالي الصدوق ٢٧٦. التوحيد: ص ١٠٥-١٠٦. البحار: ج ٨، ص ١١٩، باب ٢٣، ح ٦.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢٩٨، البحار: ج ٨، ص ١١٩، باب ٢٣، ح ٧.

(٣) الخصال: ج ٢، ص ٣٩. البحار: ج ٨، ص ١٢١-١٢٢، باب ٢٣، ح ١٢.

وأمّا أوّل ما يأكلون أهل الجنّة فإنّهم يأكلون أوّل ما يدخلونها من كبد الحوت الّتي عليها الأرض(١).

عن عمر بن عبد الله الثقفيّ قال: سأل نصرانيّ الشّام الباقر عليه السلام عن أهل الجنّة: كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون؟ أعطني مثله في الدنيا.

فقال عليه السلام: هذا الجنين في بطن أُمّه يأكل ممّا تأكل أُمه ولا يتغوّط؛ الخبر(٢).

عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضّة وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما لكم ربما بنيتم وربما أمسكتم؟

فقالوا: حتّى تجيئنا النفقة.

فقلت لهم: وما نفقتكم؟

فقالوا: قول المؤمن في الدنيا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر؛ فإذا قال: بنينا، وإذا أمسك أمسكنا(٣).

عن هشام بن سالم، عن الصّادق عليه السلام في خبر المعراج قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ثمّ خرجت من البيت المعمور فانقاد لي نهران: نهر تسمّى الكوثر، ونهر تسمّى الرحمة، فشربت من الكوثر، واغتسلت من الرحمة ثمّ انقادا لي جميعاً حتّى دخلت الجنّة، وإذا على حافيتها بيوتي وبيوت أزواجي (أهلي خ ل) وإذا ترابها كالمسك، وإذا جارية تنغمس في أنهار الجنّة فقلت: لمن أنت يا جارية؟

فقالت: لزيد بن حارثة، فبشّرته بها حين أصبحت، وإذا بطيرها كالبخت، وإذا رمّانها مثل الدليّ العظام، وإذا شجرة لو أُرسل طائر في أصلها ما دارها سبعمائة سنة، وليس في الجنّة منزل إلاّ وفيها قتر منها.

فقلت: ما هذه ياجبرئيل؟

---

(١) قرب الإسناد: ج ٢، ص ٤٠٨، البحار: ج ٨، ص ١٢٢، باب ٢٣، ح ١٤.
(٢) البحار: ج ٨، ص ١٢٢، باب ٢٣، ح ١٥. وتفسير علي بن إبراهيم.
(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٢٠. البحار: ج ٨، ص ١٢٣، باب ٢٣، ح ١٩.

فقال: هذه شجرة طوبى قال الله: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[(١)] [(٢)].

عن عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً إلا جعل له في الجنّة منزلاً وفي النّار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار نادى مناد، يا أهل الجنّة اشرفوا، فيشرفون على النار وترفع لهم منازلهم في النّار ثمّ يقال لهم: هذه منازلكم الّتي لو عصيتم ربّكم دخلتموها.

قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب؛ ثمّ ينادون: يا معشر أهل النار ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى منازلكم في الجنّة فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنّة وما فيها من النعيم، فيقال لهم: هذه منازلكم الّتي لوأ طعتم ربّكم دخلتموها.

قال: فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النّار ذلك اليوم حزناً، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء، وهؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝١١﴾[(٣)] [(٤)].

عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من عمل حسن يعمله العبد إلاّ وله ثواب في القرآن إلا صلاة اللّيل، فإنّ الله لم يبيّن ثوابها لعظيم خطرها عنده فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ إلى قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾[(٥)] ثمّ قال: إنّ لله كرامة في عباده المؤمنين في كلّ يوم جمعة، فإذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمن ملكاً معه حلّة فينتهي إلى باب الجنّة فيقول: استأذنوا لي على فلان، فيقال له: هذا رسول ربّك على الباب.

فيقول: لأزواجه أيّ شيء ترين عليّ أحسن؟

فيقلن: يا سيّدنا والّذي أباحك الجنّة ما رأينا عليك شيئاً أحسن من هذا بعث إليك ربّك، فيتّزر بواحدة ويتعطّف بالأخرى فلا يمرّ بشيء إلاّ أضاء له حتّى ينتهي

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٩.
(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٣٧٤. البحار: ج ٨، ص ١٢٣-١٢٤، باب ٢٣، ح ٢٠.
(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١-١٢.
(٤) ثواب الأعمال: ص ٢٤٩-٢٥٠. البحار: ج ٨، ص ١٢٥-١٢٦، باب ٢٣، ح ٢٦.
(٥) سورة السجدة، الآيات ١٦-١٩.

إلى الموعد، فإذا اجتمعوا تجلّى لهم الربُّ تبارك وتعالى، فإذا نظروا إليه خرّوا سجّداً.

فيقول: عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم سجود ولا يوم عبادة قد رفعت عنكم المؤونة.

فيقولون: يا ربّ وأيّ شيء أفضل ممّا أعطيتنا؟ أعطيتنا الجنّة.

فيقول: لكم مثل ما في أيديكم سبعين ضعفاً، فيرجع المؤمن في كلّ جمعة بسبعين ضعفاً مثل ما في يديه، وهو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1] وهو يوم الجمعة، إنّ ليلها ليلة غرّاء ويومها يوم أزهر، فأكثروا فيها من التسبيح والتكبير والتهليل والثّناء على الله والصلاة على محمّد وآله.

قال: فيمرّ المؤمن فلا يمرّ بشيء إلاّ أضاء له حتّى ينتهي إلى أزواجه فيقلن: والّذي أباحنا الجنّة يا سيدنا ما رأينا قطّ أحسن منك السّاعة.

فيقول: إنّي قد نظرت بنور ربّي ثمّ قال: إنّ أزواجه لا يغرن ولا يحضن ولا يصلفن.

قال: قلت: جعلت فداك إنّي أردت أنّ أسألك عن شيء أستحيي منه.

قال: سل، قلت: هل في الجنّة غناء؟

قال: إنّ في الجنّة شجراً يأمرالله رياحها فتهبّ فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها حسناً، ثمّ قال: هذا عوض لمن ترك السّماع في الدنيا من مخافة الله.

قال: قلت جعلت فداك زدني.

فقال: إنّ الله خلق جنّة بيده ولم ترها عين ولم يطّلع عليها مخلوق يفتحها الربُّ كلّ صباح فيقول: ازدادي ريحاً، ازدادي طيباً، وهو قول الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2] [3].

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٠.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٥١٢-٥١٣. البحار: ج ٨، ص ١٢٦-١٢٧، باب ٢٣، ح ٢٧.

عن ابن عبّاس قال: قدم يهوديّان فسألا أمير المؤمنين عليه السلام فقالا: أين تكون الجنّة؟ وأين تكون النّار؟

قال: أمّا الجنّة ففي السّماء، وأمّا النّار ففي الأرض.

قالا: فما السبّعة؟

قال: سبعة أبواب النّار متطابقات.

قال: فما الثّمانية؟

ثمانية أبواب الجنّة؛ الخبر[١].

عن عليّ عليه السلام قال: رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة أنهار من الجنّة: الفرات، والنيل، وسيحان، وجيحان.

فالفرات: الماء في الدنيا والآخرة.

والنيل: العسل.

وسيحان: الخمر.

وجيحان: اللّبن[٢] [٣].

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أحسنوا الظنّ بالله واعلموا أنّ للجنّة ثمانية أبواب، عرض كلّ باب منها مسيرة أربعين سنة[٤].

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: طوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وآله، فليس من مؤمن إلاّ وفي داره غصن من أغصانها، لا ينوي في قلبه شيئاً إلاّ أتاه ذلك الغصن به، ولوأنّ راكباً مجدًّا سار في ظلّها مائة عام لم يخرج منها، ولو أنّ غراباً طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتّى يبياضّ هرماً، ألا ففي هذا فارغبوا؛ الخبر[٥].

---

(١) الخصال: ج ٢، ص ١٤٧. البحار: ج ٨، ص ١٢٨، باب ٢٣، ح ٢٨.

(٢) لعلّ المراد اشتراك الأسم، ويحتمل أن يكون منبعها من جنة الدنيا وينقلب بعضها بعد الانتقال إلى الدنيا.

(٣) الخصال: ج ٢، ص ١١٩. البحار: ج ٨، ص ١٣٠، باب ٢٣، ح ٣٠.

(٤) الخصال: ج ٢، ص ٣٩. البحار، ج ٨، ص ١٣١، باب ٢٣، ح ٣٢.

(٥) الخصال: ج ٢، ص ٨٢. البحار: ج ٨، ص ١٣١، باب ٢٣، ح ٣٣.

عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق الجنّة خلقها من لبنتين: لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، وجعل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، وحصباءها اللّؤلؤ، وترابها الزعفران والمسك الأذفر، فقال لها: تكلّمي.

فقالت: لا إله إلاّ أنت الحيّ القيّوم قد سعد من يدخلني.

فقال عزّ وجلّ: بعزّتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر، ولا سكّير، ولا قتّات وهو النمّام، ولا ديّوث وهو القلطبان، ولا قلاّع وهو الشرطيّ، ولا زنوق وهو الخنثى، ولا خيوف وهو النبّاش ولا عشّار، ولا قاطع رحم، ولا قدريّ[1].

هشام بن الحكم، سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: من أين قالوا: إن أهل الجنّة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها فإذا أكلها عادت كهيئتها؟

قال: نعم ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيء وقد امتلأت الدنيا منه سرجاً.

قال: أليسوا يأكلون ويشربون؟ وتزعم أنّه لا تكون لهم الحاجة!

قال: بلى لأنّ غذاءهم رقيق لا ثفل له، بل يخرج من أجسادهم بالعرق.

قال: فكيف تكون الحوراء في كلّ ما أتاها زوجها عذراء؟

قال: إنّها خلقت من الطيب لا تعتريها عاهة، ولا تخالط جسمها آفة، ولا يجري في ثقبها شيء ولا يدنّسها حيض، فالرحم ملتزقة، إذ ليس فيه لسوى الإحليل مجرى.

قال: فهي تلبس سبعين حلّة ويرى زوجها مخّ ساقها من وراء حللها وبدنها؟

قال: نعم كما يرى أحدكم الدراهم إذا ألقيت في ماء صاف قدره قيد رمح[2].

قال: فكيف ينعّم أهل الجنّة بما فيها من النّعيم وما منهم أحد إلاّ وقد افتقد ابنه

---

(١) الخصال: ج ٢، ص ٥٤. البحار: ج ٨، ص ١٣٢، باب ٢٣، ح ٣٦.

(٢) القيد بالفتح والكسر: القدر.

أو أباه أو حميمه أو أمّه؟ فإذا افتقدوهم في الجنّة لم يشكوا في مصيرهم إلى النّار؟ فما يصنع بالنّعيم من يعلم أنّ حميمه في النّار يعذّب؟

قال عليه السلام: إنّ أهل العلم قالوا: إنّهم ينسون ذكرهم.

وقال بعضهم: انتظروا قدومهم ورجوا أن يكونوا بين الجنّة والنّار في أصحاب الأعراف؛ الخبر[١].

تفسير علي بن إبراهيم، عن بعض أصحابه رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا دخلت الجنّة رأيت فيها شجرة طوبى، أصلها في دار عليّ، وما في الجنّة قصر ولا منزل إلاّ وفيها فتر منها وأعلاها أسفاط حلل من سندس وإستبرق يكون للعبد المؤمن ألف ألف سفط في كلّ سفط مائة ألف حلّة ما فيها حلّة يشبه الأُخرى على ألوان مختلفة وهو ثياب أهل الجنّة، وسطها ظلّ ممدود، عرض الجنّة كعرض السّماء والأرض أُعدّت للّذين آمنوا بالله ورسله، يسير الراكب في ذلك الظلّ مسيرة مائة عام فلا يقطعه، وذلك قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[٢] وأسفلها ثمار أهل الجنّة وطعامهم متذلّل في بيوتهم، يكون في القضيب منها مائة لون من الفاكهة ممّا رأيتم في دار (ثمار خ ل) الدنيا وما لم تروه وما سمعتم به وما لم تسمعوا مثلها، وكلّما يجتنى منها شيء نبتت مكانها أخرى ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٣] وتجري نهر في أصل تلك الشجرة تنفجر منها الأنهار الأربعة ﴿أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[٤] الخبر[٥].

عن الحارث بن محمّد الأحول، عمّن حدّثه، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ:

يا عليُّ: إنّه لمّا أُسري بي رأيت في الجنّة نهراً أبيض من اللّبن، وأحلى من العسل، وأشدّ استقامة من السّهم، فيه أباريق عدد النّجوم، على شاطئه قباب

---

(١) الإحتجاج: ص ١٩٢. البحار: ج ٨، ص ١٣٦، باب ٢٣، ح ٤٨.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٢٣.

(٤) سورة محمد صلى الله عليه وآله، الآية: ١٥.

(٥) البحار: ج ٨، ص ١٣٧-١٣٨، باب ٢٣، ح ٤٩. وتفسير علي بن إبراهيم.

الياقوت الأحمرو الدرّ الأبيض، فضرب جبرئيل بجناحيه إلى جانبه فإذا هو مسكة ذفرة، ثمّ قال: والّذي نفس محمّد بيده إنَّ في الجنّة لشجراً يتصفّق بالتسبيح بصوت لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثله، يثمر ثمراً كالرمّان، يلقي الثّمرة إلى الرجل فيشقّها عن سبعين حلّة، والمؤمنون على كراسيّ من نورهم الغرّ المحجّلون، أنت إمامهم يوم القيامة، على الرجل منهم نعلان شراكهما من نور يضيء أمامهم حيث شاؤوا من الجنّة، فبينا هو (هم خ ل) كذلك إذ أشرفت عليه امرأة من فوقه تقول: سبحان الله يا عبد الله أمّا لنا منك دولة؟ فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللّواتي قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

ثم قال: والّذي نفس محمّد بيده إنّه ليجيئه كلّ يوم سبعون ألف ملك يسمّونه باسمه واسم أبيه[2].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ للجنّة إحدى وسبعين باباً يدخل من سبعين منها شيعتي وأهل بيتي، ومن باب واحد سائر النّاس[3].

عن الحسين بن محبوب، عن أبي ولّاد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إنَّ رجلاً من أصحابنا ورعاً سلماً كثير الصّلاة قد ابتلي بحبّ اللهو وهو يسمع الغناء، فقال: أيمنعه ذلك من الصّلاة لوقتها، أو من صوم أو من عيادة مريض أو حضور جنازة، أو زيارة أخ؟

قال: قلت: لا ليس يمنعه ذلك من شيء من الخير والبرّ.

قال: فقال: هذا من خطوات الشيطان مغفور له ذلك إنّ شاء الله.

ثمَّ قال: إنَّ طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم في اللّذات والشّهوات - أعني الحلال ليس الحرام - قال: فأنف الله للمؤمنين من ولد آدم من تعيير الملائكة لهم.

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) المحاسن: ص ١٨٠-١٨١. البحار: ج ٨، ص ١٣٨، باب ٢٣، ح ٥٠.

(٣) البحار: ج ٨، ص ١٣٩، باب ٢٣، ح ٥٥. وقرب الإسناد.

قال: فألقى الله في همّة أُولئك الملائكة اللّذّات والشّهوات كي لا يعيبوا المؤمنين.

قال: فلمّا أحسّوا ذلك من همّهم عجّوا إلى الله من ذلك.

فقالوا: ربّنا عفوك عفوك ردّنا إلى ما خلقنا له وأجبر تنا عليه، فإنّا نخاف أن نصير في أمر مريج[١].

قال: فنزع الله ذلك من هممهم.

قال: فإذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنّة في الجنّة استأذن أُولئك الملائكة على أهل الجنّة فيؤذن لهم فيدخلون عليهم فيسلّمون عليهم ويقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾[٢] في الدنيا عن اللّذّات والشهوات الحلال[٣].

عن صفوان الجمال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نظر رضوان خازن الجنّة إلى قوم لم يمرُّوا به فيقول: من أنتم؟ ومن أين دخلتم؟

قال: يقولون: إيّاك عنّا فإنّا قوم عبدنا الله سرًّا فأدخلنا الله سرًّا[٤].

سئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن أنهار الجنّة كم عرض كلّ نهر منها؟ فقال: صلى الله عليه وآله وسلم عرض كلّ نهر مسيرة خمسين مائة عام، يدور تحت القصور والحجب، تتغنّى أمواجه وتسبّح وتطرب في الجنّة كما يطرب النّاس في الدنيا[٥].

وقال عليه السلام: أكثر أنهار الجنّة الكوثر تنبت الكواعب الأتراب عليه، يزوره أولياء الله يوم القيامة.

فقال عليه السلام: خطيب أهل الجنّة أنا محمد رسول الله[٦].

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: للرجل الواحد من أهل الجنّة سبعمائة ضعف مثل الدنيا،

---

(١) أمر مريج: ملتبس مختبط.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٤.
(٣) البحار: ج ٨، ص ١٤١-١٤٢، باب ٢٣، ح ٥٩. وتفسير العياشي.
(٤) البحار: ج ٨، ص ١٤٢، باب ٢٣، ح ٧٠. وفلاح السائل.
(٥) جامع الأخبار: ص ١٢٦. البحار: ج ٨، ص ١٤٦، باب ٢٣، ح ٧١.
(٦) نفس المصدر: ص ١٢٦. البحار: ج ٨، ص ١٤٧، باب ٢٣، ح ٧٢.

وله سبعون ألف قبّة، وسبعون ألف قصر، وسبعون ألف حجلة، وسبعون ألف إكليل، وسبعون ألف حلّة، وسبعون ألف حوراء عيناء، وسبعون ألف وصيف، وسبعون ألف ذؤابة، وأربعون إكليلاً، وسبعون ألف حلّة[١].

وسئل النبيّ ﷺ ما بناؤها؟

قال: لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، وملاطها المسك الأذفر، وترابها الزعفران، وحصاؤها اللّؤلؤ والياقوت، من دخلها يتنعّم لاييأس أبداً، ويخلّد لا يموت أبداً، لا يبلى ثيابه ولا شبابه[٢].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال النبيّ ﷺ: إنّ في الجنّة سوقاً ما فيها شرى ولا بيع إلاّ الصّور من الرجال والنساء، من اشتهى صورة دخل فيها، وإنَّ فيها مجمع حور العين يرفعن أصواتهنّ بصوت لم يسمع الخلائق بمثله: نحن النّاعمات فلا نبأس أبداً، ونحن الطاعمات فلا نجوع أبداً، ونحن الكاسيات فلا نعرى أبداً، ونحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، فطوبى لمن كنّا له وكان لنا، نحن خيرات حسان، أزواجنا أقوام كرام[٣].

وقال النبيّ ﷺ: شبر من الجنّة خير من الدنيا وما فيها[٤].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ أهل الجنّة ينظرون إلى منّازل شيعتنا كما ينظرالانسان إلى الكواكب[٥].

عن ابن عبّاس قال: يأتي على أهل الجنّة ساعة يرون فيها نور الشّمس والقمر فيقولون: أليس قد وعدنا ربّنا أنّ لا نرى فيها شمساً ولا قمراً؟ فينادي مناد: قد صدقكم ربّكم وعده لا ترون فيها شمساً ولا قمراً، ولكن هذا رجل من شيعة عليّ

---

(١) جامع الأخبار: ص ١٢٧. البحار: ج ٨، ص ١٤٧، باب ٢٣، ح ٧٣.
(٢) جامع الأخبار: ص ١٧٣. البحار: ج ٨، ص ١٤٧، باب ٢٣، ح ٧٤.
(٣) جامع الأخبار: ص ١٧٤. البحار: ج ٨، ص ١٤٨. باب ٢٣، ح ٧٦.
(٤) جامع الأخبار: ص ١٧٤. البحار: ج ٨، ص ١٤٨، باب ٢٣، ح ٧٧.
(٥) جامع الأخبار: ص ١٧٤. البحار: ج ٨، ص ١٤٨. باب ٢٣، ح ٧٨.

ابن أبي طالب عليه السلام يتحوّل من غرفة إلى غرفة، فهذا الّذي أشرق عليكم من نور وجهه[١].

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا القاسم أتزعم أنّ أهل الجنّة يأكلون ويشربون؟

قال: نعم والّذي نفسي بيده إنّ أحدهم ليعطى قوّة مائة رجل في الأكل والشّرب.

قال: فإنّ الّذي يأكل تكون له الحاجة والجنّة طيّب لا خبث فيها!

قال: عرق يفيض من أحدهم كرشح المسك فيضمر بطنه[٢].

عن أبي جميلة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي الصدّيقين تنعّموا بعبادتي في الدنيا فإنّكم تتنعّمون بها في الآخرة[٣] [٤].

عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ المؤمن ليتحف أخاه التحفة، قلت: وأيّ شيء التّحفة؟

قال: من مجلس، ومتّكأ، وطعام، وكسوة وسلام، فتطاول الجنّة مكافاة له، ويوحي الله عزّ وجلّ إليها: أنّي قد حرَّمت طعامك على أهل الدنيا إلاّ على نبيّ أو وصيّ نبيّ.

فإذا كان يوم القيامة أوحى الله عزّ وجلّ إليها: أن كافي أوليائي بتحفهم، فتخرج منها وصفاء ووصائف معهم أطباق مغطّاة بمناديل من لؤلؤ.

فإذا نظروا إلى جهنّم وهولها وإلى الجنّة وما فيها طارت عقولهم وامتنعوا أنّ يأكلوا فينادي مناد من تحت العرش: إنّ الله عزّ وجلّ قد حرَّم جهنّم على من أكل من طعام جنّته فيمدّ القوم أيديهم فيأكلون[٥].

---

(١) بشارة المصطفى: ص ١٩٥. البحار: ج ٨، ص ١٤٩، باب ٢٣، ح ٨١.

(٢) البحار: ج ٨، ص ١٤٩، باب ٢٣، ح ٨٢، وتنبيه الخاطر.

(٣) قوله: فإنّكم تتنعّمون بها أي بسببها، أو بثوابها، أو بأصل العبادة، فإنَّ الصدّيقين يلتذّون بعبادة ربّهم أكثر من جميع اللّذّات والمشتهيات، بل لا يتلذّذون بشيء إلا بها، فهم في الجنّة يعبدون الله ويذكرونه، لا على وجه التكليف بل لا لتذاذهم وتنعّمهم بها، وهذا هو الأظهر.

(٤) البحار: ج ٨، ص ١٥٥، باب ٢٣، ح ٩٣. وأصول الكافي.

(٥) البحار: ج ٨، ص ١٥٦، باب ٢٣، ح ٩٧. وأصول الكافي.

عن شاذان، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال لي أبي: إنّ في الجنّة نهراً يقال له: جعفر، على شاطئه الأيمن درّة بيضاء فيها ألف قصر، في كلّ قصر ألف قصر لمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله، وعلى شاطئه الأيسر درّة صفراء فيها ألف قصر، في كلّ قصر ألف لإبراهيم وآل إبراهيم عليه السلام [(١)].

عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ السّخاء شجرة من أشجار الجنّة لها أغصان متدلّية في الدنيا، فمن كان سخيّاً تعلّق بغصن من أغصانها فساقه ذلك الغصن إلى الجنّة؛ والبخل شجرة من أشجار النّار لها أغصان متدلّية في الدنيا فمن كان بخيلاً تعلّق بغصن من أغصانها فساقه ذلك الغصن إلى النار[(٢)].

عن أنس بن مالك قال: سأل عبد الله بن سلام النبيّ صلى الله عليه وآله عن أوّل طعام أهل الجنّة.

فقال صلى الله عليه وآله: وأمّا أوّل طعام يأكله أهل الجنّة فزيادة كبد الحوت[(٣)] [(٤)]؛ الخبر.

عن جعفر بن يحيى بن أبي كثير، عن عبد الله ابن مرّة، عن ثوبان أنّ يهوديّاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فسأله عن مسائل فكان فيما سأله: فما أوّل ما يأكله أهل الجنّة إذا دخلوها؟

قال: كبد الحوت، قال: فما شرابهم على أثر ذلك؟

قال: السلسبيل.

قال: صدقت؛ الخبر[(٥)].

---

(١) روضة الكافي: ص ١٥٢. البحار: ج ٨، ص ١٦١. باب ٢٣، ح ٩٩.

(٢) أمالي الطوسي: ص ٣٠٢. البحار: ج ٨، ص ١٧١، باب ٢٣، ح ١١٤.

(٣) قال الكرمانيّ في شرح البخاريّ: زيادة الكبد هي القطعة المنفردة المتعلّقة بالكبد وهي أهنأها وأطيبها.

(٤) علل الشرائع: ص ٤٢-٤٣. البحار: ج ٨، ص ١٧٣، باب ٢٣، ح ١١٨.

(٥) البحار: ص ٨، ص ١٧٣، باب ٢٣، ح ١١٩. وعلل الشرائع.

عن أبي الحسن عليه السلام قال: رجب نهر في الجنّة أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر(١).

عن محمّد بن سالم رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾(٢).

قال: هي شجرة غرسها الله عزّ وجلّ بيده ونفخ فيها من روحه، وإنّ أغصانها لترى من وراء سور الجنّة تنبت بالحليّ والحلل والثّمار متدلّية على أفواههم؛ الخبر(٣).

عن ابن عبّاس قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع خطط في الأرض وقال: أتدرون ما هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل نساء الجنّة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون(٤).

عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: السّخاء شجرة في الجنّة أصلها، وهي مظلّة على الدنيا، من تعلّق بغصن منها اجترّه إلى الجنّة(٥).

عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال: كنا عند الرضا عليه السلام والمجلس غاصّ بأهله فتذاكروا يوم الغدير فأنكره بعض الناس.

فقال الرضا عليه السلام: حدّثني أبي، عن أبيه قال: إنّ يوم الغدير في السّماء أشهر منه في الأرض، إنّ لله في الفردوس الأعلى قصراً لبنة من فضّة ولبنة من ذهب، فيه مائة ألف قبّة من ياقوتة حمراء، ومائة ألف خيمة من ياقوت أخضر، ترابه المسك والعنبر، فيه أربعة أنهار: نهر من خمر، ونهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من عسل، حواليه أشجار جميع الفواكه، عليه طيور أبدانها من لؤلؤ، وأجنحتها من

---

(١) ثواب الأعمال: ص ٥٢، البحار: ج ٨، ص ١٧٥، باب ٢٣، ح ١٢٦.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٩.
(٣) الخصال: ج ١، ص ١٦١. البحار: ج ٨، ص ١٧٨، باب ٢٣، ح ١٣٢.
(٤) الخصال: ج ١، ص ٩٦. البحار: ج ٨، ص ١٧٨، باب ٢٣، ح ١٣٣.
(٥) معاني الأخبار: ص ٧٥. البحار: ج ٨، ص ١٧٨، باب ٢٣، ح ١٣٤.

ياقوت، وتصوّت بألوان الأصوات، فإذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر أهل السماوات يسبّحون الله ويقدّسونه ويهلّلونه، تتطاير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء، وتتمرّغ على ذلك المسك والعنبر، فإذا اجتمعت الملائكة طارت فتنفض ذلك عليهم، وإنّهم في ذلك اليوم ليتهادون نثار فاطمة عليها السلام، فإذا كان آخر ذلك اليوم نودوا: انصرفوا إلى مراتبكم فقد أمنتم الخطاء والزلل إلى قابل في مثل هذا اليوم تكرمةً لمحمّد وعليّ عليه السلام، الخبر[١].

عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام أنّ رجلاً سأل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن قيام اللّيل بالقرآن فقال - وساق الحديث إلى أن قال -: ومن صلّى ليلة تامّة تالياً لكتاب الله راكعاً وساجداً وذاكراً - وساقه إلى أن قال -: يقول الربّ تبارك وتعالى لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيا ليلة ابتغاء مرضاتي أسكنوه الفردوس، وله فيها مائة ألف مدينة، في كلّ مدينة جميع ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وما لا يخطرعلى بال، سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة[٢].

عن الصّادق جعفر بن محمّد، عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: للجنّة باب يقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون سيوفهم والجمع في الموقف، الملائكة ترحب بهم؛ الخبر[٣].

عن بشير الدهّان قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك أيّ الفصوص اركبه على خاتمي؟

قال: يا بشير أين أنت عن العقيق الأحمر والعقيق الأصفر والعقيق الأبيض، فإنّها ثلاثة جبال في الجنّة:

فأمّا الأحمر: فمطلّ على دار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) إقبال الأعمال: ص ٤٦٨، والتهذيب: ج ٢، ص ٨. والبحار ج ٨. والبحار: ج ٨، ص ١٨٢-١٨٣، باب ٢٣، ح ١٤٤.

(٢) أمالي الصدوق: ص ١٧٥. البحار: ج ٨، ص ١٨٦، باب ٢٣، ح ١٥١.

(٣) أمالي الصدوق: ص ٣٤٤. البحار: ج ٨، ص ١٨٦، باب ٢٣، ح ١٥٣.

وأمّا الأصفر: فمطلّ على دار فاطمة صلوات الله عليها.

وأمّا الأبيض: فمطلّ على دار أمير المؤمنين عليه السلام، والدور كلّها واحدة، يخرج منها ثلاثة أنهار، من تحت كلّ جبل نهر أشدّ برداً من الثلج، وأحلى من العسل، وأشدّ بياضاً من الدرّ، لا يشرب منها إلاّ محمّد وآله وشيعتهم، ومصبّها كلّها واحد، ومجراها من الكوثر وإنّ هذه الثلاثة جبال تسبّح الله وتقدّسه وتمجّده وتستغفر لمحبّي آل محمد عليه السلام [1].

عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليلة أُسري بي إلى السماء أخذ جبرئيل بيدي فأدخلني الجنّة وأجلسني على درنوك من درانيك الجنّة، فناولني سفرجلة فانفلقت بنصفين، فخرجت منها حوراء كأنَّ أشفار عينيها مقاديم النسور، فقالت: السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا محمّد.

فقلت: من أنت رحمك الله؟

قالت: أنا الراضية المرضيّة، خلقني الجبّار من ثلاثة أنواع: أسفلي من المسك، وأعلاي من الكافور، ووسطي من العنبر، وعجنت بماء الحيوان.

قال الجبّار: كوني فكنت، خلقت لابن عمّك ووصيّك ووزيرك عليّ بن أبي طالب عليه السلام [2].

عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أُدخلت الجنّة فرأيت على بابها مكتوباً بالذهب: لا إله إلاّ الله، محمّد حبيب الله، عليّ وليّ الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضيهم لعنة الله [3].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أنّ ثوباً من ثياب أهل الجنّة أُلقي على أهل الدنيا لم يحتمله أبصارهم ولماتوا من شهوة النّظر إليه.

---

(١) أمالي الطوسي: ص ٢٤. البحار: ج ٨، ص ١٨٧، باب ٢٣، ح ١٥٦.

(٢) أمالي الصدوق: ص ١١٠. البحار: ج ٨، ص ١٨٩-١٩٠، باب ٢٣، ح ١٦٢.

(٣) الخصال: ج ١، ص ١٥٧. البحار: ج ٨، ص ١٩١، باب ٢٣، ح ١٦٧.

وقد ورد عنهم عليهم السلام: كلّ شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه.

وفي الوحي القديم: أعددت لعبادي ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر بقلب بشر[١].

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرني جبرئيل عليه السلام: أنّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام ما يجدها عاقّ، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء، ولا فتّان، ولا منّان، ولا جعظريّ.

قال: قلت: فما الجعظريّ؟

قال: الّذي لا يشبع من الدنيا[٢].

عن المفضّل بن صالح، عن جعفر بن محمد عليه السلام - وساق الحديث الطويل في أجوبة أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل اليهوديّ إلى أنّ قال -: قال اليهوديّ: وأين يسكن نبيّكم من الجنّة؟

قال: في أعلاها درجة، وأشرفها مكاناً، في جنّات عدن.

قال: صدقت والله إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى عليه السلام [٣].

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: آتي يوم القيامة باب الجنّة وأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟

فأقول: أنا محمّد.

فيقول: بك أُمرت أنّ لا أفتح لأحد قبلك[٤].

قال الصّادق: عليه السلام: لايكون في الجنّة من البهائم سوى حمارة بلعم ابن باعور، وناقة صالح، وذئب يوسف، وكلب أهل الكهف[٥].

---

(١) البحار: ج ٨، ص ١٩١، باب ٢٣، ج ١٦٨. وعدة الداعي.
(٢) معاني الأخبار: ص ٩٤. البحار: ص ٨، ص ١٩٣، باب ٢٣، ح ١٧٤.
(٣) إكمال الدين: ص ١٧٥-١٧٦. البحار: ج ٨، ص ١٩٥، باب ٢٣، ح ١٧٧.
(٤) أمالي الطوسي: ص ٢٥٢. البحار: ج ٨، ص ١٩٥، باب ٢٣، ح ١٧٩.
(٥) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٣٩٤. البحار: ج ٨، ص ١٩٥، باب ٢٣، ح ١٨٠.

عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام قال: إذا كان يوم الجمعة وأهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار عرف أهل الجنّة يوم الجمعة لما يرون من تضاعف اللّذّة والسرور، وعرف أهل النّار ويوم الجمعة وذلك أنّه تبطش بهم الزبانية[1].

عن زيد بن عليّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة من الشّهداء من له اثنا عشر ألف زوجة من الحور العين، وأربعة آلاف بكر، واثنا عشر ألف ثيّب، تخدم كلّ زوجة منهنّ سبعون ألف خادم، غير أنّ الحور العين يضعف لهنّ، يطوف على جماعتهنّ في كلّ أسبوع، فإذا جاء يوم إحديهنّ أو ساعتها اجتمعن إليها يصوّتن بأصوات لا أصوات أحلى منها ولا أحسن حتّى ما يبقى في الجنّة شيء إلاّ اهتزّ لحسن أصواتهنّ؛ يقلن: ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن النّاعمات فلا نبأس أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً[2].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما خير بخير بعده النّار، ولا شرّ بشرّ بعده الجنّة، وكلّ نعيم دون الجنّة محقور، وكلّ بلاء دون النار عافية[3].

اعتقادات الصدوق: اعتقادنا في الجنّة أنّها دارالبقاء ودار السلامة، لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زمانة ولا غمّ ولا همّ ولا حاجة ولا فقر، وأنّها دار الغناء والسعادة، ودار المقامة والكرامة، لا يمسّ أهلها فيها نصب ولا لغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وهم فيها خالدون، وأنّها دار أهلها جيران الله وأولياؤه وأحبّاؤه وأهل كرامته، وهم أنواع على مراتب:

منهم المتنعّمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة ملائكته.

ومنهم المتنعّمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك وحورالعين، واستخدام الولدان المخلّدين، والجلوس على النّمارق والزرابيّ ولباس السندس والحرير، كلٌّ منهم إنّما يتلذّذ بما يشتهي ويريد حسب ما تعلّقت عليه همّته، ويعطى ما عبد الله من أجله.

---

(١) البحار: ج ٨، ص ١٩٨، باب ٢٣، ح ١٩٣. والنوادر للحسين بن سعيد.
(٢) البحار: ج ٨، ص ١٩٨، باب ٢٣، ح ١٩٦. والنوادر للحسين بن سعيد.
(٣) البحار: ج ٨، ص ١٩٩، باب ٢٣، ح ٢٠٣. نهج البلاغة.

وقال الصّادق عليه السلام: إنّ النّاس يعبدون الله على ثلاثة أصناف:

١ - صنّف منهم يعبدونه رجاء ثوابه فتلك عبادة الخدّام.

٢ - وصنف منهم يعبدونه خوفاً من ناره فتلك عبادة العبيد.

٣ - وصنف منهم يعبدونه حبّاً له فتلك عبادة الكرام.

واعتقادنا في الجنّة والنّار أنّهما مخلوقتان وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النّار حين عرج به.

واعتقادنا أنّه لا يخرج أحد من الدنيا حتّى يرى مكانه من الجنّة أو من النار وأنّ المؤمن لا يخرج من الدنيا حتّى ترفع له الدنيا كأحسن ما رآها، ويرفع مكانه في الآخرة ثمّ يخيّر فيختار الآخرة فحينئذ يقبض روحه، وفي العادة أنّ يقال: فلان يجود بنفسه، ولا يجود الإنسان بشيء إلاّ عن طيبة نفس غير مقهور ولا مجبور ولا مكره.

وأمّا جنّة آدم فهي جنّة من جنان الدنيا، تطلع الشمس فيها وتغيب، وليست بجنّة الخلد، ولو كانت جنّة الخلد ما خرج منها أبداً.

واعتقادنا أنّ بالثّواب يخلد أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النّار في النّار، وما من أحد يدخل الجنّة حتّى يعرض عليه مكانه من النّار فيقال له: هذا مكانك الّذي لو عصيت الله لكنت فيه، وما من أحد يدخل النّار حتّى يعرض عليه مكانه من الجنّة، فيقال له: هذا مكانك الّذي لو أطعت الله لكنت فيه، فيورث هؤلاء مكان هؤلاء وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[١] وأقلّ المؤمنين منزلة في الجنّة من له مثل ملك الدنيا عشر مرّات[٢].

قال الشيخ المفيد رحمه الله في شرح هذا الكلام: الجنّة دار النّعيم لا يلحق من دخلها نصب ولا يلحقهم فيها لغوب، جعلها الله داراً لمن عرفه وعبده، ونعيمها دائم لا انقطاع له، والساكنون فيها على أضرب:

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) العقائد: ص ٨٩-٩٢. البحار: ج ٨، ص ٢٠٠-٢٠١، باب ٢٣، ح ٢٠٤.

فمنهم من أخلص لله تعالى فذلك الّذي يدخلها على أمان من عذاب الله تعالى.

ومنهم من خلط عمله الصّالح بأعمال سيّئة كان يسوّف منها التوبة فاخترمته المنيّة[١] قبل ذلك، فلحقه ضرب من العقاب في عاجله وآجله، أو في عاجله، دون آجله، ثمّ سكن الجنّة بعد عفو أو عقاب.

ومنهم من يتفضّل عليه بغير عمل سلف منه في الدنيا وهم الولدان المخلّدون الّذين جعل الله تعالى تصرّفهم لحوائج أهل الجنّة ثواباً للعاملين، وليس في تصرّفهم مشاقّ عليهم ولا كلفة، لأنّهم مطبوعون إذ ذاك على المسارّة بتصرّفهم في حوائج أهل الجنّة، وثواب أهل الجنّة الابتذال بالمآكل[٢] والمشارب والمناظر والمناكح وما تدركه حواسّهم ممّا يطبعون على الميل إليه ويدركون مرادهم بالظفر به، وليس في الجنّة من البشر من يلتذّ بغير مأكل ومشرب وما تدركه الحواسّ من الملذّات؛ وقول من زعم أنّ في الجنّة بشراً يلتذّ بالتسبيح والتقديس من دون الأكل والشّرب قول شاذّ عن دين الإسلام، وهو مأخوذ من مذهب النّصارى الّذين زعموا أنّ المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنّة ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينكحون، وقد أكذب الله هذا القول في كتابه بما رغّب العالمين فيه من الأكل والشرب والنّكاح، فقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ﴾ الآية[٣].

وقال تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ الآية[٤].

وقال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾[٥].

وقال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[٦].

---

(١) اخترمته المنية: أخذته.

(٢) في المطبوع: في حوائج المؤمنين، وثواب أهل الجنة الالتذاذ بالمآكل اهـ.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٥.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٧٢.

(٦) سورة الواقعة، الآية: ٢٢.

وقال: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[١].

وقال: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[٢].

وقال: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾[٣].

وقال: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ﴾[٤].

فكيف استجاز من أثبت في الجنّة طائفة من البشر لا يأكلون ولا يشربون، ويتنعّمون ممّا به الخلق من الأعمال ويتألّمون، وكتاب الله شاهد بضدّ ذلك، والإجماع على خلافه لولا أن قلّد في ذلك من لا يجوز تقليده، أو عمل على حديث موضوع؛ انتهى كلامه رفع الله مقامه، وهو في غاية المتانة.

وأمّا استدلال الصّدوق رحمه الله بقوله عليه السلام: وصنف يعبدونه حبّاً له على أنّهم لا يتلذّذون بالمآكل والمشارب والمناكح في الجنّة فهو ضعيف، إذ عدم كون الجنّة مقصودة لهم عند العبادة لا يستلزم عدم تلذّذهم بنعيمها في الآخرة[٥]. فإن قيل: إذا ارتفعت هممهم في الدنيا مع تشبّثهم بعلائقها عن أنّ ينظروا مع محبّة الله

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٥٤.

(٢) سورة ص، الآية: ٥٢.

(٣) سورة يس، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٥) لو كان مراد شيخنا الصدوق قدس الله روحه الشريف حصر التذاذهم في ذلك وأنهم لا يلتذون بالمآكل وغيرها كالملائكة فقد وردت روايات كثيرة في خلاف ذلك تقدمت بعضها، وفيها أن نبينا صلى الله عليه وآله وأوصيائه وسائر الأنبياء والأوصياء يلتذون بها كقوله فيما تقدم: حرام على البشر أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي. وقوله: دخلت الجنة وإذا على حافتيها بيوتي وقوله: تلك الغرف بنى الله لأوليائه وقوله: شجرة طوبى في دار رسول الله صلى الله عليه وآله وفي رواية: في دار علي عليه السلام وقوله في وصف تسنيم: هي عين يشربون منها المقربون بحتاً والمقربون آل محمد صلى الله عليه وآله، وفي رواية محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله. وقوله: الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله محمداً صلى الله عليه وآله. وقوله في حديث ذكر أن بيته وبيت علي واحد: إذا أراد أحدنا أن يأتي بأهله ضرب الله بيني وبينه حجاباً من نور. وقوله تعالى مخاطبا للجنة: (إني قد حرمت طعامك على أهل الدنيا إلا على نبي أو وصي نبي) وقوله: (فيها ألف قصر في كل قصر ألف قصر لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله)، وفيها ألف قصر في كل قصر ألف قصر لإبراهيم وآل إبراهيم. وقوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: لا تلبس لباس الذهب فإنه لباسك في الجنة. وغير ذلك.

سبحانه وقربه إلى جنّة ونار ففي الآخرة مع قطع علائقهم ودواعيهم وقوّة أسباب المحبّة والقرب أحرى أنّ لا ينظروا إليهما ولا يتلذّذوا بشهوات الجنّة وملاذّها.

قلت: للتلذّذ بالمستلذّات الجسمانيّة أيضاً مراتب ودرجات بحسب اختلاف أحوال أهل الجنّة:

فمنهم من يتلذّذ بها كالبهائم يرتعون في رياضها ويتمتّعون بنعيمها كما كانوا في الدنيا من غير استلذاذ بقرب ووصال أو إدراك لمحبّة وكمال.

ومنهم من يتمتّع بنعيمها من حيث إنّها دار كرامة الله الّتي اختارها لأوليائه وأكرمهم بها وإنّها محلّ رضوان الله تعالى وقربه، فمن كلّ ريحان يستنشقون نسيم لطفه، ومن كلّ فاكهة يذوقون طعم رحمته ولا يستلذّون بالحور إلاّ لأنّه أكرمهم بها الربّ الغفور، ولا يسكنون في القصور إلاّ لأنّه رضيها لهم المالك الشكور، فالجنّة جنّتان: روحانيّة وجسمانيّة.

والجنّة الجسمانيّة: قالب للجنّة الروحانيّة، فمن كان في الدنيا يقنع من العبادات والطاعات بجسد بلا روح ولا يعطيها حقّها من المحبّة والإخلاص وسائر مكمّلات الأعمال ففي الآخرة أيضاً لا ينتفع إلاّ بالجنّة الجسمانيّة، ومن فهم في الدنيا روح العبادة وأنس بها واستلذّ منها وأعطاها حقّها فهو في الجنّة الجسمانيّة لا يستلذّ إلاّ بالنّعم الروحانيّة؛ ولنضرب لك في ذلك مثلاً لمزيد الإيضاح، فنقول: ربما يجلس بعض سلاطين الزمان على سريره ويطلب عامّة رعاياه ووزرائه وأُمرائه ومقرّبي حضرته ويعطيهم شيئاً من الحلاوات، فكلّ صنّف من أصناف الخلق ينتفع بما يأخذه من ذلك نوعاً من الانتفاع ويلتذّ نوعاً من الالتذاذ على حسب معرفته لعظمة السّلطان ورتبة إنعامه: فمنهم جاهل لا ينتفع بذلك إلاّ أنّه حلو ترغب الذائقة فيه، فلا فرق في ذلك عنده بين أنّ يأخذه من بائعه في السّوق أو من يد السّلطان.

ومنهم من يعرف شيئاً من عظمة السّلطان ويريد بذلك الفخر على بعض أمثاله أو من هو تحت يده أنّ السلطان أكرمني بذلك، وهكذا حتّى ينتهي الأمر إلى من هو من مقرّبي حضرة السّلطان ومن طالبي لطفه وإكرامه، فهو لا يلتذّ بذلك إلاّ لأنّه خرج من يد السلطان، وأنّه علامة لطفه وإكرامه فهو يضنّ بذلك ويخفيه ويفتخر

بذلك ويبديه، مع أنّ في بيته أضعاف ذلك مبذولة لخدمه وعبيده فهو لا يجد من الحلاوة إلا طعم القرب والإكرام، ولو جعل السلطان علامة إكرامه في بذل أمرّ الأشياء وأبشعها لكان عنده أحلى من جميع الحلاوات، ولذا ترى في عشق المجاز إذا ضرب المعشوق محبّه ضرباً وجيعاً على جهة الإكرام فهو أشهى عنده من كلّ ما يستلذّ منه سائر الأنام، فإذا كان مثل ذلك في المجاز ففي الحقيقة أولى وأحرى، فإذا فهمت ذلك عرفت أنّ أولياء الله تعالى في الدنيا أيضاً في الجنّة والنّعيم، إذ هم في عبادة ربّهم متلذّذون بقربه ووصاله وفي التنعّم بنعيم الدنيا إنّما يتلذّذون لكونه ممّا خلق لهم ربّهم ومحبوبهم وحباهم بذلك ورزقهم وأعطاهم، وفي البلايا والمصائب أيضاً يلتذّون بمثل ذلك، لأنّهم يعلمون أنّ محبّهم ومحبوبهم اختار ذلك لهم وعلم فيه صلاحهم، فبذلك امتحنهم فهم بذلك راضون شاكرون، فتنعّمهم بالبلايا كتمتّعهم بالنّعم والهدايا، إذ جهة الاستلذاذ فيهما واحدة عندهم، فهم في الدنيا والآخرة بقربه ولطفه وحبّه يتنعّمون، وفيهما لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإذا فازوا بهذه الدرجة القصوى ووصلوا إلى تلك المرتبة الفضلى لا يعبدونه تعالى خوفاً من ناره وأنّها محرقة، بل لأنّها دار الخذلان والحرمان ومحلّ أهل الكفر والعصيان، ومن سخط عليه الرحمن، ولا طمعاً في جنته من حيث كونها محلّ المشتهيات النّفسانيّة والملاذّ الجسمانيّة، بل من حيث إنّها محلّ رضوان الله وأهل كرامته وقربه ولطفه، فلو كانت النّار محلّ أهل كرامة الله لاختاروها كما اختاروا في الدنيا محنها ومشاقّها، لعلمهم بأنّ رضى الله فيها، ولو كانت الجنّة محلّ من غضب الله عليه لتركوها وفرّوا منها كما تركوا ملاذّ الدنيا لمّا علموا أنّ محبوبهم لا يرتضيها، وإذا دريت ذلك حقّ درايته سهل عليك الجمع بين ما ورد من عدم كون العبادة للجنّة والنّار، والمبالغة في طلب الجنّة والاستعاذة من النّار، وما وردّ في بعض الروايات والدعوات من التّصريح يكون العبادة لابتغاء الدار الآخرة، فإنّ من طلب الآخرة لقربه ووصاله لم يطلب إلاّ وجهه، ومن طلبها لاستلذاذه وتمتّعه الجسمانيّ لم يعبد إلاّ نفسه، وتحقيق هذا المقام يحتاج إلى نوع آخر من الكلام وذكر مقدّمات غير مأنوسة لأكثر الأنام، وفيما ذكرنا كفاية لمن شمّ روحاً من رياض محبّة ذي الجلال

والإكرام، وعسى أنّ نتمّم هذا المرام في بابي الحبّ والإخلاص بعض الإتمام، والله المرجوّ لكلّ خير وفضل وإنعام[١].

فذلكة: اعلم أنّ الإيمان بالجنّة والنّار على ماوردتا في الآيات والأخبار من غير تأويل من ضروريّات الدين، ومنكرهما أو مؤوّلهما بما أوّلت به الفلاسفة خارج من الدين، وأمّا كونهما مخلوقتان الآن فقد ذهب إليه جمهور المسلمين إلاّ شرذمة من المعتزلة، فإنّهم يقولون: سيخلقان في القيامة، والآيات والأخبار المتواترة دافعة لقولهم، مزيّفة لمذهبهم، والظاهر أنّه لم يذهب إلى هذا القول السخيف أحد من الإماميّة إلاّ ما ينسب إلى السيّد الرضيّ ﷺ، وأمّا مكانهما فقد عرفت أنّ الأخبار تدلّ على أنَّ الجنّة فوق السّماوات السبع، والنّار في الأرض السّابعة، وعليه أكثر المسلمين.

وقال شارح المقاصد: جمهور المسلمين على أنَّ الجنّة والنّار مخلوقتان الآن، خلافاً لابي هاشم والقاضي عبد الجبّار ومن يجري مجراهما من المعتزلة، حيث زعموا أنّهما إنّما تخلقان يوم الجزاء، لنا وجهان:

الأوّل: قصّة آدم وحوّاء وإسكانهما الجنّة، ثمَّ إخراجهما عنها بأكل الشجرة، وكونهما يخصفان عليهما من ورق الجنّة على ما نطق به الكتاب والسنّة، وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالفين، وحملها على بستان من بساتين الدنيا يجزي مجرى التلاعب بالدين والمراغمة لإجماع المسلمين، ثمَّ لا قائل بخلق الجنّة دون النّار فثبوتها ثبوتها.

الثاني: الآيات الصريحة في ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾[٢].

وكقوله في حقّ الجنّة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٢٠١ - ٢٠٥.

(٢) سورة النجم، الآيات: ١٣ - ١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[١].

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢] وفي حقّ النّار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٣] ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٤].

وحملها على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي مبالغةً في تحقّقه خلاف الظاهر، فلا يعدل إليه بدون قرينة، ثمَّ قال: لم يرد نصّ صريح في تعيين مكان الجنّة والنّار، والأكثرون على أنَّ الجنّة فوق السّماوات السّبع وتحت العرش تشبثاً بقوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾.

وقوله عليه السلام: «سقف الجنة عرش الرحمن والنّار تحت الأرضين السبع» والحقّ تفويض ذلك إلى علم العليم الخبير انتهى[٥].

قال المحقّق الطوسيّ رحمه الله في التجريد بعد ذكر الثّواب والعقاب: ويجب خلوصهما، وإلاّ لكان الثّواب أنقص حالاً من العوض والتفضّل على تقدير حصوله فيهما، وهو أدخل في باب الزجر، وكلّ ذي مرتبة في الجنّة لا يطلب الأزيد[٦]، ويبلغ سرورهم بالشّكر إلى حدّ انتفاء المشقّة، وغَناؤهم بالثواب ينفي مشقّة ترك القبائح وأهل النّار ملجؤون إلى ترك القبيح.

وقال العلامة رحمه الله في شرحه: يجب خلوص الثّواب والعقاب عن الشوائب، أمّا الثّواب فلأنّه لولا ذلك لكان العوض والتفضّل أكمل منه، لأنّه يجوز خلوصهما من الشوائب، وحينئذ يكون الثواب أنقص درجة وإنّه غير جائز، وأمّا العقاب فلأنّه أعظم في الزجر[٧] فيكون لطفاً؛ ولمّا ذكر أنّ الثّواب خالص عن الشوائب ورد عليه أنّ أهل الجنّة يتفاوتون في الدرجات، فالأنقص إذا شاهد من

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٩٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٩١.
(٥) البحار: ج ٨، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.
(٦) في التجريد المطبوع: لا يطلب الأزيد من مرتبة. ولعل الصحيح: من مرتبته.
(٧) في شرح التجريد المطبوع، فلأنه أدخل في الزجر.

هو أعظم ثواباً حصل له الغمُّ بنقص درجته عنه وبعدم اجتهاده في العبادة، وأيضاً فإنّهم يجب عليهم الشّكر لنعم الله تعالى، والإخلال بالقبائح، وفي ذلك مشقّة.

والجواب عن الأوّل أنّ شهوة كلّ مكلّف مقصورة على ما حصل له ولا يغتمّ بفقد الأزيد لعدم استيهاله له[١]، وعن الثّاني أنّه يبلغ سرورهم بالشكر على النّعمة إلى حدّ ينتفي المشقّة معه، وأمّا الإخلال بالقبائح فإنّه لا مشقّة عليهم فيها، لأنّه تعالى يغنيهم بالثّواب ومنافعه عن فعل القبيح، فلا يحصل لهم مشقّة، وأمّا أهل النّار فإنّهم يلجؤون إلى فعل ما يجب عليهم وترك القبائح، فلا يصدر عنهم، وليس ذلك تكليفاً لأنّه بالغ حدّ الإلجاء، ويحصل من ذلك نوع من العقاب أيضاً[٢].

عن عوف بن عبد الله الأزديّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أراد الله تبارك وتعالى قبض روح المؤمن قال: يا ملك الموت انطلق أنت وأعوانك إلى عبدي فطال ما نصب نفسه من أجلي، فأتني بروحه لأريحه عندي؛ فيأتيه ملك الموت بوجه حسن، وثياب طاهرة، وريح طيّبة، فيقوم بالباب فلا يستأذن بوّاباً، ولا يهتك حجاباً، ولا يكسر باباً، معه خمسمائة ملك أعوان، معهم طنان الريحان، والحرير الأبيض، والمسك الأذفر فيقولون: السّلام عليك يا ولي الله إبشر فإنّ الربّ يقرؤك السلام، أمّا إنّه عنك راض غير غضبان، وابشر بروح وريحان وجنّة نعيم.

قال: أمّا الروح فراحة من الدنيا وبلائها، وأمّا الريحان من كلّ طيّب في الجنّة، فيوضع على ذقنه فيصل ريحه إلى روحه، فلا يزال في راحة حتّى يخرج نفسه، ثمّ يأتيه رضوان خازن الجنّة فيسقيه شربة من الجنّة لا يعطش في قبره ولا في القيامة حتّى يدخل الجنّة ريّاناً.

فيقول: يا ملك الموت ردّ روحي حتّى يثني على جسدي وجسدي على روحي.

---

(١) هكذا في نسخة المصنف، وفي شرح التجريد المطبوع: لعدم اشتهائه له. وهو الصحيح.

(٢) البحار: ج ٨، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

قال: فيقول ملك الموت: ليثن كلّ واحد منكما على صاحبه، فيقول الروح: جزاك الله من جسد خير الجزاء، لقد كنت في طاعة الله مسرعاً، وعن معاصيه مبطئاً، فجزاك الله عنّي من جسد خير الجزاء، فعليك السّلام إلى يوم القيامة؛ ويقول الجسد للروح مثل ذلك.

قال: فيصيح ملك الموت: أيّتها الروح الطيّبة اخرجي من الدنيا مؤمنة مرحومة مغتبطة.

قال: فرقت به الملائكة، وفرجت عنه الشدائد، وسهّلت له الموارد، وصار لحيوان الخلد.

قال: ثمّ يبعث الله له صفّين من الملائكة غير القابضين لروحه، فيقومون سماطين ما بين منزله إلى قبره يستغفرون له ويشفعون له.

قال: فيعلّله ملك الموت ويمنّيه[1] ويبشّره عن الله بالكرامة والخير كما تخادع الصبيّ أُمّه، تمرخه بالدهن والريحان وبقاء النّفس، ويفديه بالنّفس والوالدين.

قال: فإذا بلغت الحلقوم قال الحافظان اللّذان معه: يا ملك الموت ارأف بصاحبنا وارفق فنعم الأخ كان ونعم الجليس لم يملِ علينا ما يسخط الله قطّ، فإذا خرجت روحه خرجت كنخلة بيضاء وضعت في مسكة بيضاء، ومن كلّ ريحان في الجنّة فأدرجت إدراجاً، وعرج بها القابضون إلى السّماء الدنيا.

قال: فيفتح له أبواب السّماء ويقول لها البوّابون: حيّاها الله من جسد كانت فيه، لقد كان يمرّ له علينا عمل صالح ونسمع حلاوة صوته بالقرآن.

قال: فبكى له أبواب السماء والبوّابون لفقده ويقولون: يا ربّ قد كان لعبدك هذا عمل صالح وكنّا نسمع حلاوة صوته بالذكر للقرآن.

ويقولون: اللّهمّ ابعث لنا مكانه عبداً يسمعنا ما كان يسمعنا، ويصنع الله ما يشاء، فيصعد به إلى عيش رحّب به ملائكة السّماء كلّهم أجمعون، ويشفعون له ويستغفرون له

---

(١) علل بكذا: شغله ولهاه به. منى الرجل الشيء وبالشيء: جعله يتمناه، ومنيتي كذا: جعلت لي أمنية بما شبهت لي.

ويقول الله تبارك وتعالى: رحمتي عليه من روح، ويتلّقاه أرواح المؤمنين كما يتلقّى الغائب غائبه.

فيقول بعضهم لبعض: ذروا هذه الروح حتّى تفيق فقد خرجت من كرب عظيم، وإذا هو إستراح أقبلوا عليه يسائلونه ويقولون: ما فعل فلان وفلان؟ فإن كان قد مات بكوا واسترجعوا.

ويقولون: ذهبت به أُمه الهاوية فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قال: فيقول الله: ردّوها عليه، فمنها خلقتهم وفيها أُعيدهم، ومنها أُخرجهم تارة أُخرى.

قال: فإذا حمل سريره حملت نعشه الملائكة واندفعوا به اندفاعاً والشّياطين سماطين ينظرون من بعيد ليس لهم عليه سلطان ولا سبيل، فإذا بلغوا به القبر توثّبت إليه بقاع الأرض كالرياض الخضر، فقالت كلّ بقعة منها: اللّهم اجعله في بطني.

قال: فيجاء به حتّى يوضع في الحفرة الّتي قضاها الله له، فإذا وضع في لحده مثّل له أبوه وأُمّه وزوجته وولده وإخوانه.

قال: فيقول لزوجته: ما يبكيك؟

قال: فتقول، لفقدك، تركتنا معولين.

قال: فتجيء صورة حسنة.

قال: فيقول: ما أنت؟

فيقول: أنا عملك الصّالح، أنا لك اليوم حصن حصين وجنّة وسلاح بأمر الله.

قال: فيقول: أمّا والله لو علمت أنّك في هذا المكان لنصبت نفسي لك، وما غرّني مالي وولدي.

قال: فيقول: ياوليّ الله ابشر بالخير؛ فوالله إنّه ليسمع خفق نعال القوم إذا راجعوا، ونفضهم أيديهم من التّراب إذا فرغوا، قد ردّ عليه روحه وما علموا.

قال: فيقول له الأرض: مرحباً يا وليّ الله، مرحباً بك، أمّا والله لقد كنت أُحبّك وأنت على متني، فأنا لك اليوم أشدّ حبّاً إذا أنت في بطني، أمّا وعزّة ربّي

لأحسننَّ جوارك ولأبردنّ مضجعك، ولأوسّعنَّ مدخلك، إنّما أنا روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار.

قال: ثمّ يبعث الله إليه ملكاً فيضرب بجناحيه عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه فيوسّع له من كلّ طريقة أربعين (فرسخاً ظ) نوراً، فإذا قبره مستدير بالنّور.

قال: ثمّ يدخل عليه منكر ونكير وهما ملكان أسودان، يبحثان القبر بأنيابهما، ويطئان في شعورهما، حدقتاهما مثل قدر النحاس، وأصواتهما كالرعد العاصف، وأبصارهما مثل البرق اللاّمع، فينتهرانه ويصيحان به ويقولان: من ربّك؟ ومن نبيّك؟ وما دينك ومن إمامك؟ فإنّ المؤمن ليغضب حتّى ينتفض من الإدلال توكّلاً على الله من غير قرابة ولا نسب.

فيقول: ربّي وربّكم وربّ كلّ شيء الله، ونبيّي ونبيّكم محمّد خاتم النبيّين، وديني الإسلام الّذي لا يقبل الله معه ديناً، وإمامي القرآن مهيمناً على الكتب وهو القرآن العظيم.

فيقولان: صدقت ووفّقت وفّقك الله وهداك، انظر ما ترى عند رجليك، فإذا هو بباب من نار فيقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ما كان هذا ظنّي بربّ العالمين.

قال: فيقولان له: يا وليّ الله لا تحزن ولا تخش وابشر واستبشر ليس هذا لك ولا أنت له، إنّما أراد الله تبارك وتعالى أنّ يريك من أيّ شيء نجّاك ويذيقك برد عفوه قد أُغلق هذا الباب عنك ولا تدخل النّار أبداً؛ انظر ما ترى عند رأسك؟ فإذا هو بمنازله من الجنّة وأزواجه من الحور العين.

قال: فيثب وثبة لمعانقة حور العين لزوجة من أزواجه فيقولان له: يا وليّ الله إنّ لك إخوة وأخوات لم يلحقوا، فنم قرير العين كعاشق في حجلته إلى يوم الدين.

قال: فيفرش له ويبسط ويلحد.

قال: فوالله ما صبيّ قد نام مدلّلاً بين يدي أُمّه وأبيه بأثقل نومة منه.

قال: فإذا كان يوم القيامة تجيئه عنق من النّار فتطيف به، فإذا كان مدمناً على

تنزيل السّجدة وتبارك الّذي بيده الملك وهو على كلّ شيء قدير وقفت عنده تبارك وانطلقت تنزيل السّجدة.

فقالت: أنا آت بشفاعة ربّ العالمين.

قال: فتجيء عنق من العذاب من قبل يمينه فيقول الصّلاة: إليك عن وليّ الله فليس لك إلى ما قبلي سبيل، فتأتيه من قبل يساره فيقول الزكاة: إليك عن ولّي الله فليس لك إلى ما قبلي سبيل، فتأتيه من قبل رأسه فيقول القرآن: إليك عن وليّ الله فليس لك إلى ما قبلي سبيل، فيخرج عنق من النّار مغضباً فيقول: دونكما وليّ الله وليّكما.

قال: فيقول الصّبر وهو في ناحية القبر: أمّا والله ما منعني أنّ ألي من وليّ الله اليوم إلا أنّي نظرت ما عندكم فلمّا أنّ حزتم عن وليّ الله عذاب القبر ومؤونته فأنا لوليّ الله ذخر وحصن عندالميزان وجسر جهنّم والعرض عند الله.

فقال عليّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه: يفتح لولي الله من منزله من الجنّة إلى قبره تسعة وتسعين (تسعون ظ) باباً يدخل عليها روحها وريحانها وطيبها ولذّتها ونورها إلى يوم القيامة، فليس شيء أحبّ إليه من لقاء الله.

قال: فيقول: يا ربّ عجّل عليّ قيام السّاعة حتّى أرجع إلى أهلي ومالي، فإذا كانت صيحة القيامة خرج من قبره مستورة عورته، مسكّنة روعته، قد أُعطي الأمن والأمان، وبشّر بالرضوان والروح والريحان والخيرات الحسان، فيستقبله الملكان اللّذان كانا معه في الحياة الدنيا فينفضان التّراب عن وجهه وعن رأسه، ولا يفارقانه ويبشّرانه ويمنّيانه ويفرّجانه كلّما راعه شيء من أهوال القيامة قالا له: يا وليّ الله لاخوف عليك اليوم ولا حزن، نحن للّذين ولينا عملك في الحياة الدنيا ونحن أولياؤك اليوم في الآخرة، انظر تلكم الجنّة الّتي أورثتموها بما كنتم تعملون.

قال: فيقام في ظلّ العرش فيدنيه الربّ تبارك وتعالى حتّى يكون بينه وبينه حجاب من نور فيقول له: مرحباً فمنها يبيضّ وجهه، ويسرّ قلبه، ويطول سبعون ذراعاً من فرحته، فوجهه كالقمر، وطوله طول آدم، وصورته صورة يوسف،

ولسانه لسان محمّد ﷺ، وقلبه قلب أيّوب، كلّما غفر له ذنب سجده، فيقول: عبدي اقرأ كتابك فيصطكّ[1] فرائصه شفقاً وفرقاً.

قال: فيقول الجبّار: هل زدنا عليك سيّئاتك ونقصنا من حسناتك؟

قال: فيقول: يا سيّدي بل أنت قائم بالقسط، وأنت خير الفاصلين.

قال: فيقول: عبدي أما استحييت ولا راقبتني ولا خشيتني؟

قال: فيقول: سيّدي قد أسأت فلا تفضحني فإنّ الخلائق ينظرون إليّ.

قال: فيقول الجبّار: وعزّتي يا مسيء لا أفضحك اليوم.

قال: فالسيّئات فيما بينه وبين الله مستورة والحسنات بارزة للخلائق.

قال: فكلّما عيّره بذنب قال: سيّدي لَسعيي إلى النّار أحب إليّ من أنّ تعيّرني.

قال: فيقول الجبّار تبارك وتعالى: أتذكر يوم كذا وكذا أطعمت جائعاً، ووصلت أخاً مؤمناً كسوت يوماً، حججت في الصحاري تدعوني محرماً، أرسلت عينيك فرقاً، سهرت ليلة شفقاً، غضضت طرفك منّي فرقاً؟ فإذا (فذا خ ل) بذا أمّاما أحسنت فمشكور، وأمّا ما أسأت فمغفور، فعند ذلك ابيضّ وجهه، وسرّ قبله، ووضع التاج على رأسه، وعلى يديه الحليّ والحلل، ثمّ يقول: يا جبرئيل انطلق بعبدي فأرِهِ كرامتي، فيخرج من عند الله قد أخذ كتابه بيمينه فيدحوبه مدّ البصر فيبسط صحيفته للمؤمنين والمؤمنات وهو ينادي: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾[2] فإذا انتهى إلى باب الجنّة قيل له: هات الجواز، قال: هذا جوازي مكتوب فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا جواز جائز من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان من ربّ العالمين؛ فينادي مناد يسمع أهل الجمع كلّهم: ألا إنّ فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

قال: فيدخل فإذا هو بشجرة ذات ظلّ ممدود، وماء مسكوب، وثمار مهدلة يخرج من ساقها عينان تجريان، فينطلق إلى إحداهما فيغتسل منها فيخرج عليه

---

(١) أي فيضطرب.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ١٩-٢١.

نضرة النّعيم، ثمّ يشرب من الأخرى فلا يكون في بطنه مغص ولامرض ولا داء أبداً، وذلك قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[1] ثمّ تستقبله الملائكة فتقول: طبت فادخلها مع الخالدين، فيدخل فإذا هو بسماطين من شجر أغصانها اللؤلؤ، وفروعها الحليّ والحلل، ثمارها مثل ثدي الجواري الأبكار، فتستقبله الملائكة معهم النّوق والبراذين والحليّ والحلل فيقولون: ياولي الله اركب ماشئت، والبس ماشئت، وسل (سرظ) ما شئت.

قال: فيركب ما اشتهى، ويلبس ما اشتهى، وهو على ناقة أو برذون من نور، وثيابه من نور، وحليّه من نور، يسير في دار النّور، معه ملائكة من نور، وغلمان من نور، ووصائف من نور، حتّى تهابه الملائكة ممّا يرون النور، فيقول بعضهم لبعض: تنحّوا فقد جاء وفد الحليم الغفور، قال: فينظر إلى أوّل قصر له من فضّة مشرَّفاً بالدرّ والياقوت فتشرف عليه أزواجه فيقولون: مرحباً مرحبا انزل بنا، فيّهم أن ينزل بقصره.

قال: فيقول الملائكة: سر يا ولي الله فإنَّ هذا لك وغيره، حتّى ينتهي إلى قصر من ذهب مكلّل بالدرّ والياقوت فتشرف عليه أزواجه فيقلن: مرحباً مرحباً ياوليّ الله انزل بنا، فيّهم أنّ ينزل به فتقول له الملائكة: سر ياوليّ الله فإنّ هذا لك وغيره.

قال: ثمّ ينتهي إلى قصر مكلّل بالدرّ والياقوت فيهمُّ بالنزول بقصره فيقول له الملائكة: سر ياوليّ الله فإنَّ هذا لك وغيره، قال: ثمّ يأتي قصراً من ياقوت أحمر مكلّلاً بالدرّ والياقوت فيهمُّ بالنزول بقصره فيقول له الملائكة: سر ياوليّ الله فإنَّ هذا لك وغيره، قال: فيسير حتّى يأتي تمام ألف قصر كلّ ذلك ينفذ فيه بصره ويسير في ملكه أسرع من طرف العين، فإذا انتهى إلى أقصاها قصراً نكس رأسه فتقول الملائكة: مالك يا وليَّ الله؟

قال: فيقول: والله لقد كاد بصري أن يختطف.

فيقولون: ياوليَّ الله ابشر فإنّ الجنّة ليس فيها عمى ولا صمم، فيأتي قصراً يرى

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢١.

باطنه من ظاهره، وظاهره من باطنه، لبنة من فضّة، ولبنة ذهب، ولبنة ياقوت، ولبنة درّ، ملاطه المسك، قد شرف بشرف من نور يتلالؤ، ويرى الرجل وجهه في الحائط وذا قوله: «ختامه مسك» يعني ختام الشراب. ثمّ ذكر النبيّ ﷺ الحور العين فقالت أُمّ سلمة: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله أما لنا فضل عليهنّ؟

قال: بلى بصلاتكنّ وصيامكنّ وعبادتكنّ الله، بمنزلة الظاهرة على الباطنة، وحدَّث أنّ الحور العين خلقهنّ الله في الجنّة مع شجرها، وحبسهنَّ على أزواجهنّ في الدنيا، على كلّ واحدة منهنّ سبعون حلّة، يرى بياض سوقهنَّ من وراء الحلل السبعين كما ترى الشّراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وكالسلك الأبيض في الياقوت الحمراء، يجامعها في قوّة مائة رجل في شهوة أربعين سنة، وهنّ أتراب أبكار عذارى، كلّما نكحت صارت عذراء ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[1] يقول: لم يمسّهن إنسيّ ولا جنّيّ قطّ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾[2] يعني خيرات الأخلاق، حسّان الوجوه ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[3] يعني صفاء الياقوت وبياض اللّؤلؤ.

قال: وإنّ في الجنّة لنهراً حافتاه الجواري.

قال: فيوحي إليهنّ الربّ تبارك وتعالى: أسمعن عبادي تمجيدي وتسبيحي وتحميدي، فير فعن أصواتهنّ بألحان وترجيع لم يسمع الخلائق مثلها قطّ، فتطرب أهل الجنّة، وإنّه لتشرف على وليّ الله المرأة ليست من نسائه من السجف فملأت قصوره ومنازله ضوءاً ونوراً، فيظنّ وليّ الله أنّ ربّه أشرف عليه، أو ملك من ملائكته، فيرفع رأسه فإذا هو بزوجة قد كادت يذهب نورها نور عينيه.

قال: فتناديه: قد آن لنا أنّ تكون لنا منك دولة.

قال: فيقول لها: ومن أنت؟

قال: فتقول: أنا ممّن ذكر الله في القرآن: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[4]

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٥٦.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٧٠.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٥٨.
(٤) سورة ق، الآية: ٣٥.

فيجامعها في قوّة مائة شاب ويعانقها سبعين سنة من أعمار الأوّلين، وما يدري أينظر إلى وجهها أم إلى خلفها أم إلى ساقها؟! فما من شيء ينظر إليه منها إلاّ رأى وجهه من ذلك المكان من شدّة نورها وصفائها، ثمّ تشرف عليها أُخرى أحسن وجهاً وأطيب ريحاً من الأولى، فتناديه فتقول: قد آن لنا أنّ يكون لنا منك دولة، قال: فيقول لها ومن أنت؟

فتقول: أنا من ذكر الله في القرآن: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١).

قال: وما من أحد يدخل الجنّة إلاّ كان له من الأزواج خمسمائة حوراء، مع كلّ حوراء سبعون غلاماً وسبعون جارية كأنّهنّ (كأنّهم ظ) اللّؤلؤ المنثور، كأنّهنّ اللولؤ المكنون - وتفسير المكنون بمنزلة اللّؤلؤ في الصدف لم تمسّه الأيدي ولم تره الأعين، وأمّا المنثور فيعني في الكثرة - وله سبع قصور في كلّ قصر سبعون بيتاً، في كلّ بيت سبعون سريراً، على كلّ سرير سبعون فراشاً، عليها زوجة من الحور العين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أنهار من ماء غير آسن، صاف ليس بالكدر ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ لم يخرج من ضُرر المواشي ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لم يخرج من بطون النّحل ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لم يعصره الرجال بأقدامهم، فإذا اشتهوا الطعام جاءهم طيور بيض يرفعن أجنحتهنّ فيأكلون من أيّ الألوان اشتهوا جلوساً إنّ شاؤوا أو متّكئين، وإن اشتهوا الفاكهة تشعّبت إليهم الأغصان فأكلوا من من أيّها اشتهوا، قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾(٢) فبيناهم كذلك إذ يسمعون صوتاً من تحت العرش: يا أهل الجنّة كيف ترون منقلبكم؟

فيقولون: خير المنقلب منقلبنا وخيرالثواب ثوابنا، قد سمعنا الصّوت واشتهينا النّظر إلى أنوار جلالك وهو أعظم ثوابنا وقد وعدته ولا تخلف الميعاد، فيأمر الله الحجب فيقوم سبعون ألف حجاب فيركبون على النّوق والبراذين وعليهم الحليّ والحلل فيسيرون في ظلّ الشّجر حتّى ينتهوا إلى دار السّلام، وهي دار الله دار

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣-٢٤.

البهاء والنّور والسّرور والكرامة، فيسمعون الصّوت فيقولون: يا سيّدنا سمعنا لذاذة منطقك، فأرنا نور وجهك، فيتجلّى لهم سبحانه وتعالى حتّى ينظرون إلى نور وجهه - تبارك وتعالى - المكنون من عين كلّ ناظر، فلا يتمالكون حتّى يخرّوا على وجوههم سجداً فيقولون: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك يا عظيم.

قال: فيقول: عبادي! ارفعوا رؤوسكم ليس هذه بدار عمل إنّما هي دار كرامة ومسألة ونعيم قد ذهبت عنكم اللّغوب والنّصب، فإذا رفعوها رفعوها وقد أشرقت وجوههم من نور وجهه سبعين ضعفاً، ثمّ يقول تبارك وتعالى: يا ملائكتي أطعموهم واسقوهم، فيؤتون بألوان الأطعمة لم يروا مثلها قط في طعم الشهد وبياض الثّلج ولين الزيد، فإذا أكلوه قال بعضهم لبعض: كان طعامنا الّذي خلّفناه في الجنّة عند هذا حُلُماً.

قال: ثمَّ يقول الجبّار تبارك وتعالى: يا ملائكتي اسقوهم.

قال: فيؤتون بأشربة فيقبضها وليّ الله فيشرب شربة لم يشرب مثلها قطّ.

قال: ثمّ يقول: يا ملائكتي طيّبوهم فتأتيهم ريح من تحت العرش بمسك أشدّ بياضاً من الثلج تغيّر وجوههم وجباههم وجنوبهم تسمّى المثيرة فيستمكنون من النظر إلى نور وجهه، فيقولون: يا سيّدنا حسبنا لذاذة منطقك والنظر إلى نور وجهك لا نريد به بدلاً ولا نبتغي به حولاً.

فيقول الربّ تبارك وتعالى: إنّي أعلم أنكم إلى أزواجكم مشتاقون، وأنّ أزواجكم إليكم مشتاقات، فيقولون: يا سيّدنا ما أعلمك بما في نفوس عبادك؟!

فيقول: كيف لا أعلم وأنا خلقتكم، وأسكنت أرواحكم في أبدانكم، ثمّ رددتها عليكم بعد الوفاة فقلت: اسكني في عبادي خير مسكن، ارجعوا إلى أزواجكم.

قال: فيقولون: يا سيّدنا اجعل لنا شرطاً.

قال: فإنَّ لكم كلّ جمعة زورة ما بين الجمعة إلى الجمعة سبعة آلاف سنّة ممّا تعدّون.

قال: فينصرفون فيعطى كلّ رجل منهم رمّانة خضراء، في كلّ رمّانة سبعون حلّة

لم يرها النّاظرون المخلوقون، فيسيرون فيتقدّمهم بعض الولدان حتّى يبشّروا أزواجهم وهنّ قيام على أبواب الجنان.

قال: فلمّا دنى منها نظرت إلى وجهه فأنكرته من غير سوء.

فقالت: حبيبي! لقد خرجت من عندي وما أنت هكذا.

قال: فيقول: حبيبتي! تلومينني! أنّ أكون هكذا وقد نظرت إلى نور وجه ربّي تبارك وتعالى فأشرق وجهي من نور وجهه، ثمّ يعرض عنها فينظر إليها نظرة فيقول: حبيبتي! لقد خرجت من عندك وما كنت هكذا فتقول: حبيبي! تلومني أنّ أكون هكذا وقد نظرت إلى وجه الناظر إلى نور وجه ربّي فأشرق وجهي من وجه النّاظر إلى نور وجه ربّي سبعين ضعفاً، فتعانقه من باب الخيمة والربّ تبارك وتعالى يضحك إليهم فينادون بأصابعهم (بأصواتهم خ ل): الحمد لله الّذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور.

قال: ثمّ إنّ الربّ تبارك وتعالى يأذن للنبيّين فيخرج رجل في موكب حوله الملائكة والنور أمامهم، فينظر إليه أهل الجنّة فيمدّون أعناقهم إليه فيقولون: من هذا؟ إنّه لكريم على الله، فيقول الملائكة: هذا المخلوق، بيده، والمنفوخ فيه من روحه والمعلّم للأسماء هذا آدم، قد أُذن له على الله؛ قال: ثمّ يخرج رجل في موكب حوله الملائكة قد صفّت أجنحتها والنّور أمامهم قال: فيمدّ إليه أهل الجنّة أعناقهم فيقولون: من هذا؟

فتقول الملائكة: هذا الخليل إبراهيم، قد أُذن له على الله.

قال: ثمّ يخرج رجل في موكب حوله الملائكة قد صفّت أجنحتها والنور أمامهم.

قال: فيمدّ إليه أهل الجنّة أعناقهم فيقولون: من هذا؟

فيقول: هذا موسى بن عمران الّذي كلّم الله موسى تكليماً، قد أُذن له على الله.

قال: ثمّ يخرج رجل في موكب حوله الملائكة قد صفّت أجنحتها والنور أمامهم فيمدّ إليه أهل الجنّة أعناقهم فيقولون: من هذا الّذي قد أُذن له على الله؟

فتقول الملائكة: هذا روح الله وكلمته، هذا عيسى بن مريم.

قال: ثمّ يخرج رجل في موكب في مثل جميع مواكب من كان قبله سبعين

ضعفاً، حوله الملائكة قد صفّت أجنحتها والنور أمامهم، فيمدّ إليه أهل الجنّة أعناقهم فيقولون: من هذا الّذي قد أُذن له على الله؟

فتقول الملائكة: هذا المصطفى بالوحي المؤتمن على الرسالة سيّد ولد آدم هذا النبيّ محمّد ﷺ وعلى أهل بيته وسلم كثيراً، قد أُذن له على الله؛ قال: ثمّ يخرج رجل في موكب حوله الملائكة قد صفّت أجنحتها والنّور أمامهم، فيمدّ إليه أهل الجنّة أعناقهم فيقولون: من هذا؟

فيقول الملائكة: هذا أخو رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة.

قال: ثمّ يؤذن للنبيّين والصدّيقين والشهداء، فيوضع للنبيّين منّابر من نور، وللصدّيقين سرر من نور، والشّهداء كراسيّ من نور، ثمَّ يقول الربّ تبارك وتعالى مرحباً بوفدي وزوّاري وجيراني، يا ملائكتي أطعموهم فطال ما أكل النّاس وجاعوا، وطال ماروّي النّاس وعطشوا، وطال ما نام النّاس وقاموا، وطال ما أمن النّاس وخافوا.

قال: فيوضع لهم أطعمة لم يروا مثلها قط، على طعم الشهد، ولين الزبد، وبياض الثّلج، ثمّ يقول: ملائكتي فكّهوهم، فيفكّهونهم بألوان من الفاكهة لم يروا مثلها قطّ ورطب عذب دسم على بياض الثّلج ولين الزبد.

قال: ثمَّ قال النبيّ ﷺ إنه لتقع الحبّة من الرمّان فتستر وجوه الرجال بعضهم عن بعض، ثمّ يقول: يا ملائكتي اكسوهم.

قال: فينطلقون إلى شجر في الجنّة فيحبون منها حللاً مصقولة بنور الرحمن ثمّ يقول: طيّبوهم، فتأتيهم ريح من تحت العرش تسمّى المثيرة أشدّ بياضاً من الثلج تغير وجوههم وجباههم وجنوبهم، ثمّ يتجلّى لهم تبارك وتعالى سبحانه حتّى ينظروا إلى نور وجهه المكنون من عين كلّ ناظر.

فيقولون: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك يا عظيم، ثمّ يقول الربّ سبحانه تبارك وتعالى لا إله غيره: لكم كلّ جمعة زورة ما بين الجمعة إلى الجمعة سبعة آلاف سنّة ممّا تعدّون[١].

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٢٠٧-٢١٧، باب ٢٣، ح ٢٠٥، وكتاب الإختصاص.

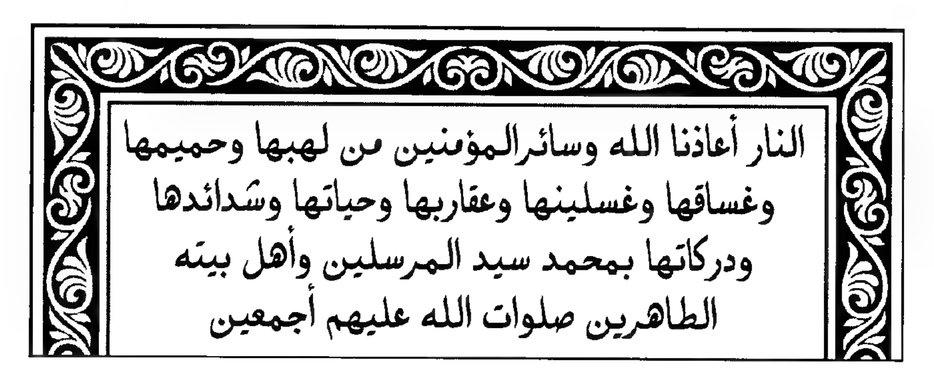
عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أنهار الجنّة تجري في غير أُخدود أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، طين النهر مسك أذفر، وحصاه الدرّ والياقوت تجري في عيونه وأنهاره حيث يشتهي ويريد في جنانه ولي الله، فلو أضاف من في الدنيا من الجنّ والإنس لأوسعهم طعاماً وشراباً وحللاً وحليّاً لا ينقصه من ذلك شيء[1].

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أهل الجنّة جرد مرد مكحّلين مكلّلين مطوّقين مسوّرين مختمّين ناعمين محبورين مكرمين، يعطى أحدهم قوّة مائة رجل في الطعام والشراب والشهوة والجماع، قوّة غذائه قوّة مائة رجل في الطعام والشراب، ويجد لذّة غدائه مقدار أربعين سنة، ولذّة عشائه مقدار أربعين سنة، قد ألبس الله وجوههم النّور، وأجسادهم الحرير، بيض الألوان صفر الحليّ خضر الثياب[2].

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أهل الجنّة يحيون فلا يموتون أبداً، ويستيقظون فلا ينامون أبداً، ويستغنون فلا يفتقرون أبداً ويفرحون فلا يحزنون أبداً، ويضحكون فلا يبكون أبداً، ويكرمون فلا يهانون أبداً، ويفكهون ولا يقطبون أبداً، ويحبرون ويسرّون أبداً، ويأكلون فلا يجوعون أبداً، ويروون فلا يظمؤون أبداً، ويكسون فلا يعرون أبداً، ويركبون ويتزاورون أبداً، ويسلّم عليهم الولدان المخلّدون أبداً بأيديهم أباريق الفضّة وآنية الذهب أبداً متّكئين على سرر أبداً، على الأرائك ينظرون أبداً، يأتيهم التحيّة والتسليم من الله أبداً، نسأل الله الجنّة برحمته إنّه على كلّ شيء قدير[3].



(١) البحار: ج ٨، ص ٢١٩، باب ٢٣، ح ٢١١. وكتاب الإختصاص.
(٢) البحار: ج ٨، ص ٢٢٠، باب ٢٣، ح ٢١٤. وكتاب الإختصاص.
(٣) البحار: ج ٨، ص ٢٢٠، باب ٢٣، ح ٢١٥. وكتاب الإختصاص.



﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]

تفسير: قال الطبرسيّ قدّس سرُّه ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ أي لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه.

﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ أي ولن تأتوا بسورة من مثله أبداً.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ أي فاحذروا أن تصلوا النّار بتكذيبه ﴿ٱلَّتِى وَقُودُهَا﴾ أي حطبها ﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾: قيل: إنّها حجارة الكبريت لانّها أحرّ شيء إذا أُحميت؛ عن ابن عبّاس وابن مسعود. والظاهر أنّ المراد بها أصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾(١).

وقيل: ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النّار لانّها لا تأكل الحجارة إلاّ وهي في غاية الفظاعة والهول؛ وقيل: معناه أنّ أجسادهم تبقى على النّار بقاء الحجارة الّتي توقد بها النّار بتبقية الله إيّاها، ويؤيّد ذلك قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾(٢) وقيل: معناه أنهم يعذّبون بالحجارة المحميّة بالنّار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي خلقت وهيّئت لهم، لأنهم الّذين يخلدون فيها، ولأنهم أكثر أهل النّار فأضيفت إليهم؛ وقيل: إنّما خصّ النّار بكونها معدّة للكافرين وإن كانت

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٦.

معدّة للفاسقين أيضاً لأنّه يريد بذلك ناراً مخصوصة لا يدخلها غيرهم، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(١) واستدلّ بهذه الآية على أنّ النّار مخلوقة الآن، لأنّ المعدّ لا يكون إلا موجوداً، وكذلك الجنّة بقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢) والفائدة في ذلك أنّا وإن لم نشاهدهما فإنّ الملائكة يشاهدونهما وهم من أهل التكليف والاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتّقين وعقابه للكافرين.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ أي لن تصيبنا ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أي أيّاما قلائل كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾(٣).

وقيل: معدودة: محصاة؛ قال ابن عبّاس ومجاهد: قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تزعم أنّ مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنّما نعذّب بكلّ ألف سنة يوماً واحداً ثمّ ينقطع العذاب فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ وقال أبو العالية وعكرمة وقتادة: هي أربعون يوماً، لأنّها عدد الأيام الّتي عبدوا فيها العجل.

فقال سبحانه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ أي موثقاً لأن لا يعذّبكم إلاّ هذه المدّة، وعرفتم ذلك بوحيه وتنزيله؟ فإن كان ذلك فالله سبحانه لا ينقض عهده وميثاقه.

﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي الباطل جهلاً منكم به وجرأةً عليه؛ ثمّ رد

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٠.

عليهم فقال: ﴿بَلَىٰ﴾ أي ليس الأمر كما قالوا، ولكن ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ اختلف في السيّئة فقال ابن عبّاس وغيره: السيّئة هنا الشرك.

وقال الحسن: هي الكبيرة الموجبة.

وقال السدّيّ: هي الذنوب الّتي أوعد الله عليها النّار، القول الأوّل يوافق مذهبنا لأنّ ماعدا الشرك لا يستحقّ به الخلود في النّار عندنا وقوله: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ يحتمل أمرين: **أحدهما**: أنّها أحدقت به من كلّ جانب. **والثّاني**: أنّ المعنى: أهلكته، من قوله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾[1] وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾[2] وقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾[3] فهذا كلّه بمعنى البوار والهلكة، والمراد أنّها سدّت عليه طريق النجاة.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي يصحبونها ويلازمونها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي دائمون أبداً، والّذي يليق بمذهبنا من تفسير هذه الآية قول ابن عبّاس، لأنّ أهل الإيمان لا يدخلونها في حكم الآية.

وقوله: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ يقوّي ذلك لأنّ المعنى: قد اشتملت خطاياه عليه وأحدقت به حتّى لا يجد عنها مخلصاً ولا مخرجاً، ولو كان معه شيء من الطاعات لم تكن السيّئة محيطة به من كلّ وجه، وقد دلّ الدليل على بطلان التحابط، ولأنّ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4] فيه وعد لأهل التصديق والطاعة بالثّواب الدائم، فكيف يجتمع الثّواب الدائم مع العقاب الدائم؟

ويدلّ أيضاً على أنّ المراد بالسيّئة في الآية الشرك أنّ سيّئة واحدة لا تحبط جميع الأعمال عند أكثر الخصوم، فلا يمكن إذاً إجراء الآية على العموم، فيجب أن تحمل على أكبر السيّئات وهو الشّرك ليمكن الجمع بين الآيتين.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٦.
(٢) سورة يونس، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٢.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ أي لا يمهلون للاعتذار؛ وقيل: معناه: لا يؤخّر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: أي ولو يعلم هؤلاء الّذين ظلموا باتّخاذ الأنداد.

﴿إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾ إذ عاينوه يوم القيامة، وأجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾[1].

﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ سادّ مسدّ مفعولي يري، وجواب (لو) محذوف أي لو يعلمون أنّ القدرة لله جميعاً إذ عاينوا العذاب لندموا أشدّ النّدم؛ وقيل: هو متعلّق الجواب المفعولان محذوفان، والتّقدير: ولو يرى الّذين ظلموا أندادهم لا تنفع لعلموا أنّ القوّة لله كلّها، لا ينفع ولا يضرّ غيره؛ وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب: (ولو ترى) على أنّه خطّاب للنبي ﷺ أي لو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً؛ وابن عامر: (إذ يرون) على البناء للمفعول، ويعقوب: (إن) بالكسر، وكذا و﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ على الاستيناف أو إضمار القول.

﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.

بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧]

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ بدل من إذ يرون، أي إذ تبرأ المتبوعون من الأتباع، وقرئ بالعكس أي تبرّأ الأتباع من الرؤساء.

﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي رائين له، والواو للحال وقد مضمرة؛ وقيل: عطف على تبرّأ.

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ يحتمل العطف على تبرّأ أو رأوا والحال، والأوّل أظهر، والأسباب الوصل الّتي كانت بينهم من الاتّباع والاتّفاق على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك، وأصل السبب الحبل الّذي يرتقي به الشّجر.

﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ لو للتمنّي ولذلك أُجيب بالفاء، أي يا ليت لنا كرّة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى إنّ كان من رؤية القلب وإلاّ فحال.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]

وفي قوله سبحانه: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ حملته الأنفة وحميّة الجاهليّة على الإثم الّذي يؤمر باتّقائه لجاجاً، من قولك: أخذته بكذا: إذا حملته عليه وألزمته إيّاه.

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ كفته جزاءً وعذاباً، وجهنّم علم دار العقاب، وهو في الأصل مرادف للنار، وقيل: معرّب.

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ جواب قسم مقدّر، والمخصوص بالذمّ محذوف للعلم به، والمهاد: الفراش؛ وقيل: ما يوطىء للجنب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٠-١٢].

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عامّ في الكفرة؛ وقيل: المراد به وفد نجران أو اليهود أو مشركو العرب.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ﴾ أي من رحمته أو طاعته على معنى البدليّة، أو من عذابه ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ حطبها.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ متّصل بما قبله، أي لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك، أو يوقد بهم كما يوقد بأولئك، أو استيناف مرفوع المحلّ، وتقديره: دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ عطف على آل فرعون؛ وقيل: استيناف ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ﴾ حال بإضمار قد، أو استيناف بتفسير حالهم، أو خبرٌ إن ابتدأت بالّذين من قبلهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤]

وفي قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من أنّ النّار لن تمسّهم إلاّ أيّاما قلائل، أو أنّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، أو أنّه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذّب أولاده إلاّ تحلة القسم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ

ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١]

وفي قوله: ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ ملء الشيء: ما يملؤه، وذهباً نصب على التمييز.

﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ محمول على المعنى، كأنّه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، أو معطوف على مضمر تقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تقرّب به في الدنيا، ولو افتدى به من العذاب في الآخرة، أو المراد: ولو افتدى بمثله، والمثل يحذف ويراد كثيراً، لأنّ المثلين في حكم شيء واحد.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]

وفي قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ فيه تنبيه على أنّ النّار بالذات معدّة للكفّار، وبالعرض للعصاة.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ فمن بعد عنها، والزحزحة في الأصل تكرير الزحّ وهو الجذب بعجلة. وفي قوله تعالى: ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمنجاة ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي فائزين بالنجاة منه[1].

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٢٣٥ - ٢٣٩.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ قيل فيه وجهان:

أحدهما: أنّ النار تلتهب من أفواههم وأسماعهم وآنافهم يوم القيامة ليعلم أهل الموقف أنّهم آكلة أموال اليتامى.

وروي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجّج أفواههم ناراً، فقيل له: يا رسول الله من هؤلاء؟ فقرأ هذه الآية.

والآخر أنّه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث إنّ من فعل ذلك يصير إلى جهنّم فيمتلئ بالنار أجوافهم عقاباً على أكلهم مال اليتيم ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ النّار المسعّرة للإحراق، وإنّما ذكر البطون تأكيداً.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]

وفي قوله: تعالى: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ أي يتجاوز ما حدّ له من الطاعات ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ سمّاه مهيناً لأنّ الله يجعله على وجه الإهانة، ومن استدلّ بهذه الآية على أنّ صاحب الكبيرة من أهل الصلاة مخلّد في النّار ومعاقب لا محالة فقوله بعيد، لأنّ قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ يدلّ على أنّ المراد به من يتعدّى جميع حدود الله، وهذه صفة الكفّار، ولأن صاحب الصغيرة بلا خلاف خارج من عموم الآية وإن كان فاعلاً لمعصية ومتعدّياً حدًّا من حدود الله، فإذا جاز لهذا القائل إخراجه منه بدليل جاز لغيره أنّ يخرج من عمومها من يشفع له النبيُّ صلى الله عليه وآله، أو يتفضّل الله عليهم بالعفو بدليل آخر؛ وأيضاً فإنّ التائب لابدّ من إخراجه من عموم الآية لقيام الدليل على وجوب قبول التوبة، فكذلك يجب إخراج من يتفضّل الله عليه بإسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضّل بالعفو، فأنّ

جعلوا الآية دالة على أنّ الله سبحانه لا يختار العفو جاز لغيرهم أنّ يجعلها دالة على أنّ العاصي لا يختار التوبة، على أنَّ في المفسّرين من حمل الآية على من تعدّى حدود الله وعصاه مستحلاً لذلك ومن كان كذلك لا يكون إلاّ كافراً.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠]

وفي قوله: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ أي نجعله صلى نار ونحرقه بها.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٥-٥٦]

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ أى كفى هؤلاء المعرضين عنه في العذاب النازل بهم عذاب جهنّم ناراً موقدة إيقاداً شديداً، يريد بذلك أنّه إن صرف عنهم بعض العذاب في الدنيا فقد أعدَّ لهم جهنّم في العقبى.

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ قيل فيه أقوال:

أحدها: أنّ الله سبحانه يجدّد لهم جلوداً غير الجلود الّتي احترقت على ظاهر القرآن.

ومن قال: على هذا إنّ الجلد المجدّد لم يذنب فكيف يعذّب؟

فجوابه: أنّ المعذَّب الحيّ، ولا اعتبار بالأطراف والجلود.

وقال عليّ بن عيسى: إنّ ما يزاد لا يألم ولاهو بعض لمّا يألم، وإنّما هو شيء يصل به الألم إلى المستحقّ له.

وثانيها: أنّ الله سبحانه يجدّدها بأن يردَّها إلى الحالة الأولى الّتي كانت عليها

غير محترقة، كما يقال: جئتني بغير ذلك الوجه، إذا كان قد تغيّر وجهه من الحالة الأولى، وكما إذا انكسر الخاتم فاتخذ منه خاتم آخر، فيقال: هذا غير الخاتم الأوّل وإنّ كان أصلهما واحداً، فعلى هذا يكون الجلد واحداً وإنّما يتغيّر عليه الأحوال، وهو اختيار الزجّاج والبلخيّ وأبي عليّ الجبائيّ.

وثالثها: أنَّ التبديل إنّما هو للسّرابيل الّتي ذكرها الله سبحانه: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾[1] وسمّيت السّرابيل الجلود على المجاورة للزومها الجلود، وهذا ترك للظاهر بغير دليل، وعلى القولين الأخيرين لا يلزم سؤال التّعذيب لغير العاصي، فأمّا من قال: إنّ الإنسان غير هذه الجملة المشاهدة وإنّها المعذّب في الحقيقة فقد تخلّص من هذا السّؤال.

وقوله: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ﴾ معناه: ليجدوا ألم العذاب، وإنّما قال ذلك ليبيّن أنّهم كالمبتدء عليهم العذاب في كلّ حال، فيحسّون في كلّ حالة ألماً، لا كمن يستمرّ به الشيء فيكون أخفّ عليه. وروى الكلبيّ عن الحسن قال: بلغنا أنّ جلودهم تنضح كلّ يوم سبعين ألف مرّة.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

وفي قوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ قال جماعة من التّابعين: إنّ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[2] نزلت بعد هذه الآية، وقال أبو محلز: هي جزاؤه إن جازاه، ويروى هذا أيضاً عن أبي صالح.

ورواه العيّاشيّ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى عاصم بن أبي النجود، عن ابن عبّاس أنّه قال: هي جزاؤه فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٥٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

وروي عن أبي صالح وبكر بن عبد الله وغيرهما أنّه كما يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر: إن فعلت فجزاؤك القتل والضرب، ثمَّ إنّ لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذباً؛ ومن تعلّق بها من أهل الوعيد في أنّ مرتكب الكبيرة لا بدّ أن يخلد في النّار فإنا نقول له: ما أنكرت أنّ يكون المراد به من لا ثواب له أصلاً بأن يكون كافراً أو يكون قتله مستحلاً لقتله، أو قتله لأجل إيمانه؟ كما رواه العيّاشيّ عن الصّادق عليه السلام.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء: ١٢١]

وفي قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ﴾ أي مستقرهم جميعاً ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ أي مخلصاً ولا مهرباً ولا معدلاً.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾

[النساء: ١٤٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي في الطبق الأسفل من النّار، فإنّ النّار طبقات ودركات كما أنّ الجنّة درجات فيكون المنافق في أسفل طبقة منها لقبح فعله.

وقيل: إنّ المنافقين في توابيت من حديد مغلقة عليهم في النّار، عن ابن مسعود وابن عباس.

وقيل: إنّ الأدراك يجوز أن يكون منازل بعضها أسفل من بعض بالمسافة، ويجوز أن يكون ذلك إخباراً عن بلوغ الغاية في العقاب، كما يقال: إنّ السّلطان بلّغ فلاناً الحضيض، وبلغ فلاناً العرش. يريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوّها لا المسافة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]

وفي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾ أي يتمنّون؛ وقيل: معناه الإرادة الحقيقيّة، أي كلّما دفعتهم النّار بلهبها، رجوا أن يخرجوا منها؛ وقيل: معناه يكادون يخرجون منها إذا دفعتهم النّار بلهبها، كما قال سبحانه: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾(١).

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي ماء مغلّي حارّ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٦-٣٧]

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ أي يجمعون إلى النّار.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ معناه: ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين.

﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي ويجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض.

﴿فَيَرْكُمَهُ﴾ أي فيجمعه ﴿جَمِيعًا﴾ في الآخرة ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ فيعاقبهم به، كما قال: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ الآية.

وقيل: معناه ليميز الله الكافر من المؤمن في الدنيا بالغلبة والنصر والأسماء الحسنة والأحكام المخصوصة، وفي الآخرة بالثّواب والجنّة، عن أبي مسلم.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

وقيل: بأن يجعل الكافر في جهنّم والمؤمن في الجنّة.

﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في جهنّم يضيّقها عليهم.

﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ أي يجمع الخبيث حتّى يصير كالسّحاب المركوم، بأن يكون بعضهم فوق بعض في النّار مجتمعين فيها.

﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ أي فيدخله جهنّم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ قد خسروا أنفسهم، لأنّهم اشتروا بإنفاق الأموال في المعصية عذاب الله في الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي يجمعون المال ولا يؤدّون زكاته.

فقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: كلّ مال لم تؤدّ زكاته فهو كنز وإنّ كان ظاهراً، وكلّ مال أدّيت زكاته فليس بكنز وإنّ كان مدفوناً في الأرض(١).

وعن عليّ عليه السلام: ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز أدّى زكاته أو لم تؤدّ، وما دونها فهو نفقة.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي أخبرهم بعذاب موجع.

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٢٣٩ - ٢٤٢.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي يوقد على الكنوز، أو على الذهب والفضّة في نار جهنّم حتّى تصير ناراً.

﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا﴾ أي بتلك الكنوز المحمات والأموال الّتي منعوا حقّ الله فيها بأعيانها.

﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وإنّما خصّ هذه الأعضاء لأنّها معظم البدن، وكان أبو ذرّ الغفاريّ يقول: بشر الكانزين بكيّ في الجباه وكيّ في الجنوب، وكيّ في الظهور حتّى يلتقي الحرّ في أجوافهم. ولهذا المعنى الّذي أشار إليه أبو ذر خصّت هذه المواضع بالكيّ، لأنّ داخلها جوف بخلاف اليد والرجل.

وقيل: إنّما خصّت هذه المواضع لأنَّ الجبهة محلّ الوسم لظهورها، والجنب محلّ الألم، والظهر محلّ الحدود.

وقيل: لأنّ الجبهة محلّ السّجود فلم يقم فيه بحقّه، والجنب يقابل القلب الّذي لم يخلص في معتقده، والظهر محلّ الأوزار قال: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾[1] وقيل: لأنّ صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته، وزوى ما بين عينيه، وطوى عنه كشحه وولّاه ظهره.

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي يقال لهم في حال الكيّ أو بعده: هذا جزاء ما كنزتم وجمعتم المال ولم تؤدّوا حقّ الله عنها.

﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي فذوقوا العذاب بسبب ما كنزتم.

وقال رسول الله ﷺ: ما من عبد له مال ولا يؤدّي زكاته إلاّ جمع يوم القيامة صفائح يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جبهته وجنباه وظهره حتّى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنّة ممّا تعدون، ثمّ يرى سبيله، إمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النار.

وروي عن أبي ذرّ أنّه قال: من ترك بيضاء أو حمراء كوي بها يوم القيامة[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣١.

(٢) البحار: ج ٨ ص ٢٤٣.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]

وفي قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي ستحيط بهم فلا مخلص لهم منها.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣]

وفي قوله تعالى: ﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي من يجاوز حدود الله الّتي أمر المكلّفين أنّ لا يتجاوزوها.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]

وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ هذا تهديد لهم في صورة الأمر أي فليضحك هؤلاء المنافقون في الدنيا قليلاً، لأنّ ذلك يفنى وإنّ دام إلى الموت، ولأن الضّحك في الدنيا قليل لكثرة أحزانها وهمومها، وليبكوا كثيراً في الآخرة لأنّ ذلك يوم مقداره خمسون ألف سنة، وهم فيه يبكون فصار بكاؤهم كثيراً.

قال ابن عبّاس: إنّ أهل النفاق ليبكون في النّار مدة عمرالدنيا ولا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ الشفا: حرف الشيء وشفيره، وحرفه: نهايته في

المساحة؛ وجرف الوادي: جانبه الّذي ينحفر بالماء أصله، وهار البناء وأنهار وتهوّر: تساقط.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧]

وفي قوله سبحانه: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي بين يدي هذا الجبّار، أو من خلفه.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ أي يسقى ممّا يسيل من الدم والقيح من فروج الزواني في النّار، عن أبي عبد الله عليه السلام وأكثر المفسّرين؛ أي لونه لون الماء[١] وطعمه طعم الصديد.

وروى أبو أمامة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: يقرب إليه فيكرهه فإذا أُدني منه شوى وجهه ووقع فروة رأسه[٢]، فإذا شرب قطّع أمعاءه حتّى يخرج من دبره، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ أو يقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، فإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقّاً على الله أنّ يسقيه من طينة خبال وهو صديد أهل النّار وما يخرج من فروج الزناة، فيجتمع ذلك في قدور جهنّم فيشربه أهل النّار فيصهر به ما في بطونهم والجلود[٣]. رواه شعيب بن واقد، عن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام[٤].

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ أي يشرب ذلك الصّديد جرعة ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي لا

---

(١) الموجود في التفسير المطبوع: أو لونه لون الماء. وهو الصحيح.
(٢) الفروة: جلدة الرأس بشعرها.
(٣) أي فيذيب ما في بطونهم.
(٤) البحار: ج ٨، ص ٢٤٤.

يقارب أنّ يشربه تكرّهاً له وهو يشربه، والمعنى أنّ نفسه لا تقبله لحرارته ونتنه ولكن يكره عليه.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي يأتيه شدائد الموت وسكراته من كلّ موضع من جسده، ظاهره وباطنه حتّى يأتيه من أطراف شعره؛ وقيل: يحضره الموت[1] من كلّ موضع، ويأخذه من كلّ جانب، من فوقه وتحته وعن يمينه وشماله وقدّامه وخلفه، عن ابن عبّاس والجبائي.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي ومع إتيان أسباب الموت والشدائد الّتي يكون معها الموت من كلّ جهة لايموت فيستريح ﴿وَمِن وَرَآئِهِ﴾ أي ومن وراء هذا الكافر.

﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وهو الخلود في النّار؛ وقيل: معناه: ومن بعد هذا العذاب الّذي سبق ذكره عذاب أو جمع وأشدّ ممّا تقدّم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٣٠]

وفي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ يحتمل أن يكون المراد: عرفوا نعمة الله بمحمّد، أي عرفوا محمّداً ثمّ كفروا به فبدّلوا مكان الشكر كفراً.

وروي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: نحن والله نعمة الله الّتي أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز. ويحتمل أنّ يكون المراد جميع نعم الله على العموم، بدّلوها أقبح التبديل، إذ جعلوا مكان شكرها الكفر بها ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ أي أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن أخرجوهم إلى بدر؛ وقيل: هي النّار بدعائهم إيّاهم إلى الكفر.

---

(١) قال السيد الرضي قدس الله روحه في التلخيص: لو كان الموت الحقيقي لم يكن سبحانه ليقول: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ وإنما المعنى أن غواشى الكروب وحوازب الأمور تطرقه من كل مطرق وتطلع عليه من كل مطلع، وقد يوصف المغمور بالكرب والمضغوط بالخطب بأنه في غمرات الموت مبالغة في عظيم ما يغشاه وأليم ما يلقاه.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ تفسير لدار البوار ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ قرار من قراره النّار[١].

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي موعد إبليس ومن تبعه.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّ جهنّم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض - ووضع إحدى يديه عل الأخرى فقال: هكذا - وأنّ الله وضع الجنان على العرض، ووضع النيران بعضها فوق بعض، فأسفلها جهنّم وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية.

وفي رواية الكلبيّ: أسفلها الهاوية، وأعلاها جهنّم.

وعن ابن عبّاس: أنّ الباب الأوّل جهنّم، والثّاني سعير، والثالث سقر، والرابع جحيم، والخامس لظى، والسادس الحطمة، والسابع الهاوية.

اختلفت الروايات في ذلك كما ترى، وهو قول مجاهد وعكرمة والجبائي، قالوا: إنّ أبواب النيران كاطباق اليد على اليد.

والآخر ما روي عن الضحّاك قال: للنار سبعة أبواب، وهي سبعة أدراك، بعضها فوق بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذّبون على قدر أعمالهم في الدنيا ثمّ يخرجون.

والثاني: فيه اليهود.

والثالث: فيه النصارى.

والرابع: فيه الصابؤون.

---

(١) في التفسير المطبوع: بئس القرار من قراره النار.

والخامس: فيه المجوس.

والسادس: فيه مشركو العرب.

والسابع: فيه المنافقون، وذلك أنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النّار. وهو قول الحسن وأبي مسلم، والقولان متقاربان.

﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ أي من الغاوين ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ أي نصيب معروف.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٥-٨٨]

وفي قوله: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ يعني الأصنام والشياطين، والذين أشركوهم مع الله في العبادة؛ وقيل: سمّاهم شركاءهم لأنّهم جعلوا لهم نصيباً من الزرع والأنعام، فهي إذاً شركاؤهم على زعمهم.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾ أي يقولون هؤلاء شركاؤنا الّتي أشركناها معك في الإلهيّة والعبادة، وأضلونا عن دينك، فحمّلهم بعض عذابنا.

﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي فقالت الأصنام وسائر ما كانوا يعبدونه من دون الله بإنطاق الله إيّاها لهؤلاء: إنّكم لكاذبون في أنّا أمرناكم بعبادتنا، ولكنّكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لأنفسكم؛ وقيل: إنّكم لكاذبون في قولكم: إنّا آلهة.

﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ أي استسلم المشركون وما عبدوهم من دون الله

لأمر الله وانقادوا لحكمه يومئذ؛ وقيل: معناه أنَّ المشركين زال عنهم نخوة الجاهليّة وانقادوا قسراً لا اختياراً، واعترفوا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي وبطل ما كانوا يأملونه ويتمنّونه من الأماني الكاذبة من أنّ آلهتهم تشفع لهم وتنفع.

قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي عذبناهم على صدّهم عن دين الله زيادةً على عذاب الكفر؛ وقيل: زدناهم الأفاعي والعقارب في النّار لها أنياب كالنّخل الطوال، عن ابن مسعود؛ وقيل: هي أنهار من صفر مذاب كالنّار يعذّبون بها عن ابن عبّاس وغيره؛ وقيل: زيدوا حيّات كأمثال الفيل والبخت، والعقارب كالبغال الدلم[1] عن ابن جبير.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]

وفي قوله: ﴿حَصِيرًا﴾ أي سجناً ومحبساً.

وفي قوله: ﴿مَّدْحُورًا﴾ أي مبعداً من رحمة الله.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]

وفي قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ أي كلّما سكن التهابها زدناهم

---

(١) قال في النهاية: الادهم: الأسود الطويل ومنه حديث مجاهد في ذكر أهل النار: لسعتهم عقارب كأمثال البغال الدلم؛ أي السود جمع أدلم؛ منه. أقول: وقال الفيروزآبادي: الدلم محركة: شيء شبه الحية يكون بالحجاز، ومنه المثل: «هو أشد من الدلم» وكصرد: الفيل انتهى. وقال الدميري: هو نوع من القراد، قالت العرب في أمثالها: فلان أشد من الدلم.

اشتعالاً، ويكون كذلك دائماً. فإن قيل: كيف يبقى الحي حيّاً في تلك الحالة من الاحتراق دائماً؟ قلنا: إنّ الله قادر على أنّ يمنع وصول النّار إلى مقاتلهم.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ أي هيّأنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين الّذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله تعالى.

﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ والسّرادق: حائط من النّار يحيط بهم، عن ابن عبّاس؛ وقيل: هو دخان النّار ولهبها يصل إليهم قبل وصولهم إليها وهو الّذي في قوله: ﴿إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ عن قتادة؛ وقيل: أراد أنَّ النّار أحاطت بهم من جميع جوانبهم، فشبّه ذلك بالسّرادق، عن أبي مسلم.

﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾ من شدّة العطش وحرّ النّار.

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ وهو شيء أُذيب كالنّحاس والرصاص والصفر، عن ابن مسعود؛ وقيل: هو كعكر الزيت، إذا قرب إليه سقطت فروة رأسه روي ذلك مرفوعاً، كدرديّ الزيت(١) عن ابن عبّاس.

وقيل: هو القيح والدم، عن مجاهد؛ وقيل: هو الّذي انتهى حرّه، عن ابن جبير؛ وقيل: إنّه ماء أسود وإنّ جهنّم سوداء، وماؤها أسود، وشجرها أسود، وأهلها سود، عن الضحّاك.

﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ أي ينضجها عند دنوّه منها ويحرقها، وإنّما جعل سبحانه ذلك إغاثة؟ لاقترانه بذكر الاستغاثة.

﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ ذلك المهل ﴿وَسَآءَتۡ﴾ النّار ﴿مُرۡتَفَقًا﴾ أي متكأً لهم؛ وقيل:

(١) الصحيح: وقيل: كدردى الزيت. راجع التفسير المطبوع.

ساءت مجتمعاً، مأخوذاً من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد؛ وقيل: منزلاً مستقرًّا عن ابن عبّاس.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢]

وفي قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ أي منزلاً؛ وقيل: أي معدّة مهيّأةً لهم عندنا كما يهيّأ النزل للضيف.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨-٧٢]

وفي قوله تعالى: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي لنجمعنّهم ولنبعثنّهم من قبورهم مقرّنين بأوليائهم من الشّياطين؛ وقيل: ولنحشرنّهم ولنحشرنّ الشّياطين أيضاً.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ أي مستوفزين[1] على الركب، والمعنى: يجثّون حول جهنّم متخاصمين، ويتبرّء بعضهم من بعض، لأنّ المحاسبة تكون بقرب جهنّم.

وقيل: جثيّاً أي جماعات جماعات، عن ابن عبّاس، كأنّه قيل: زمراً، وهي جمع جثوة وهي المجموع من التّراب والحجارة.

وقيل: معناه: قياماً على الركب، وذلك لضيق المكان بهم لا يمكنهم أن يجلسوا.

---

(١) استوفز في قعدته: قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن. (منه عفى عنه).

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي لنستخرجنّ من كلّ جماعة.

﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ أي الأعتى فالأعتى منهم، قال قتادة: لننزعنّ من أهل كلّ دين قادتهم ورؤوسهم في الشرّ، والعتيّ ههنا مصدر كالعتوّ وهو التمرّد في العصيان؛ وقيل: نبدء بالأكبر جرماً فالأكبر، عن مجاهد وأبي الأحوص.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ أي نحن أعلم بالّذين هم أولى بشدة العذاب ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي ما منكم واحد إلاّ واردها، والهاء راجعة إلى جهنّم، فاختلف العلماء في معنى الورود على قولين:

أحدهما: أنّ ورودها هو الوصول إليها والإشراف عليها لا الدخول فيها، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾[2] وقال الزجّاج: والحجة القاطعة في ذلك قوله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ فهذا يدل على أنّ أهل الحسنى لا يدخلون النّار، قالوا: فمعناه أنّهم واردون حول جهنّم للمحاسبة، ويدلّ عليه قوله: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ثم يدخل النّار من هو أهلها، وقال بعضهم: إنّ معناه أنّهم واردون عرصة القيامة الّتي تجمع كلّ برّ وفاجر.

والآخر: أن ورودها دخولها بدلالة قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[3].

وقوله: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ وهو قول ابن عبّاس وجابر وأكثر المفسّرين ويدلّ عليه قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ولم يقل: وندخل الظالمين، وإنّما يقال: نذر ونترك للشيء الّذي قد حصل في مكانه؛ ثمّ اختلف هؤلاء فقال بعضهم: إنّه للمشركين خاصّة، ويكون قوله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ المراد به إنّ منهم، وروي في الشواذّ عن ابن عبّاس أنّه قرأ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ وقال الأكثرون: أنّه خطّاب لجميع المكلّفين فلا يبقى مؤمن ولا

(١) سورة القصص، الآية: ٢٣.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٩.
(٣) سورة هود، الآية: ٩٨.

فاجر إلاّ ويدخلها، فيكون برداً وسلاماً على المؤمنين، وعذابا لازماً للكافرين.

قال السدّيّ: سألت مرّة الهمدانيّ عن هذه الآية فحدّثني أنّ عبد الله بن مسعود حدّثهم عن رسول الله ﷺ قال: يرد النّاس النار ثم يصدرون بأعمالهم، فأوّلهم كلمع البرق، ثمّ كمرّ الريح، ثمّ كحضر الفرس، ثمّ كالراكب، ثمّ كشدّ الرجل، ثمّ كمشيه.

وروى أبو صالح غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد، عن أبي سمينة قال: اختلفنا في الورود، فقال قوم: لا يدخلها مؤمن.

وقال آخرون: يدخلونها جميعاً ثمّ ينجي الّذين اتّقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأومأ بإصبعه إلى أذنيه فقال: صمّتا إنّ لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلاّ يدخلها، تكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتّى أنّ للنّار - أو قال لجهنم - ضجيجاً من بردها ثمّ ينجّي الّذين اتّقوا.

وروي مرفوعاً عن يعلى بن منبّه، عن رسول الله ﷺ قال: يقول النار للمؤمنين يوم القيامة: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه سئل عن معنى الآية فقال: إنّ الله تعالى يجعل النّار كالسّمن الجامد، ويجتمع عليها الخلق، ثمّ ينادي المنادي: أن خذي أصحابك وذري أصحابي، فوالّذي نفسي بيده لهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها.

وروي عن الحسن أنه رأى رجلاً يضحك فقال: هل علمت أنّك وارد النّار؟

فقال: نعم.

قال: وهل علمت أنّك خارج منها؟

قال: لا.

قال: ففيمَ هذا الضّحك؟ وكان الحسن لم ير ضاحكاً قطّ حتّى مات.

وقيل: إنّ الفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار: أنّ الله تعالى لا يدخل أحداً الجنّة حتّى يطلعه على النّار وما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه وكمال لطفه وإحسانه إليه فيزداد لذلك فرحاً وسروراً بالجنّة ونعيمها، ولا يدخل

أحداً النّار حتّى يطلعه على الجنّة وما فيها من أنواع النّعيم والثّواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له وحسرة على ما فاته من الجنّة ونعيمها.

وقال مجاهد: الحمّى حظّ كلّ مؤمن من النّار، ثمّ قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فعلى هذا من حمّ من المؤمنين فقد وردها.

وقد وردّ في الخبر أنّ الحمى من قيح جهنّم. وروي أنّ رسول الله ﷺ عاد مريضاً فقال: ابشر إنّ الله يقول: الحمّى هي ناري، أُسلّطها على عبدي المؤمن في الدنيا ليكون حظّه من النار[١].

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ أي كائناً واقعاً لا محالة، قد قضى بأنّه يكون.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ الشرك وصدقوا، عن ابن عبّاس ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي ونقرّ المشركين والكفّار على حالهم.

﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ أي باركين على ركبهم؛ وقيل: جماعات؛ وقيل: إنّ المراد بالظالمين كلّ ظالم وعاص.

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: إلاّ واصلها وحاضر دونهما يمرّ، بها المؤمنون وهي خامدة، وتنهار بغيرهم.

وعن جابر أنّه عليه السلام سئل عنه فقال: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربّنا أنّ نرد النّار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة.

وأمّا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ فالمراد من عذابها؛ وقيل: ورودها الجواز على الصّراط فإنّه محدودٌ عليها.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ قال ابن عبّاس في رواية الضحّاك: المجرم: الكافر، وفي رواية عطاء يعني الّذي أجرم وفعل مثل ما فعل فرعون.

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٢٤٤ - ٢٥٠.

﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح من العذاب ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ حياة فيها راحة، بل هو معاقب بأنواع العقاب.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ۝١٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٢]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي وقودها، عن ابن عبّاس؛ وقيل: حطبها، وأصل الحصب: الرمي، فالمراد أنّهم يرمون فيها كما يرمى بالحصى، ويسأل على هذا فيقال: إنّ عيسى عليه السلام عبد، والملائكة قد عبدوا والجواب أنّهم لا يدخلون في الآية لأنّ (ما) لما لا يعقل، ولأنّ الخطاب لأهل مكّة وإنّما كانوا يعبدون الأصنام.

فإن قيل: وأيّ فائدة في إدخال الأصنام النّار؟

قيل: يعذّب بها المشركون الّذين عبدوها فتكون زيادة في حسرتهم وغمّهم، ويجوز أنّ يرمى بها في النّار توبيخاً للكفّار حيث عبدوها وهي جماد لا تضرُّ ولا تنفع.

وقيل: إنّ المراد بقوله: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الشّياطين الّذين دعوهم إلى عبادة غير الله فأطاعوهم، فكأنّهم عبدوهم، كما قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾.

﴿أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ خطاب للكفّار، أي أنتم في جهنّم داخلون؛ وقيل: إنّ معنى لها إليها ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأصنام والشّياطين ﴿ءَالِهَةً﴾ كما تزعمون ﴿مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ أي ما دخلوا النّار ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابد والمعبود.

﴿فِيهَا خَـٰلِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أي صوت كصوت الحمار، وهو شدّة تنفّسهم في النّار عند إحراقها لهم.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يسمعون ما يسّرهم ولا ما ينتفعون به، وإنّما يسمعون صوت المعذَّبين وصوت الملائكة الّذين يعذّبونهم ويسمعون ما يسوؤهم.

وقيل: يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أنّ في النّار أحداً يعذّب غيره.

عن ابن مسعود؛ قالوا: ولمّا نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن الزبعري إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد ألست تزعم أنّ عزيزاً رجل صالح، وأنَّ عيسى رجل صالح، وأنّ مريم امرأة صالحة؟

قال بلى.

قال: فإنّ هؤلاء يعبدون من دون الله فهم في النار؟! فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ أي الموعدة بالجنة، وقيل: الحسنى: السعادة.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الّذي يحسّ.

﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ﴾ من نعيم الجنّة وملاذّها.

﴿خَـٰلِدُونَ﴾ أي دائمون، ويقال: إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى عيسى وعزيز ومريم، والملائكة الّذين عبدوا من دون الله وهم كارهون استثناهم الله من جملة ما يعبدون من دون الله؛ وقيل إنّ الآية عامّة في كلّ من سبقت له الموعدة بالسعادة.

﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩-٢٢]

وفي قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[(١)] قال ابن عبّاس: حين صاروا إلى جهنّم ألبسوا مقطّعات النيران، وهي الثّياب القصار؛ وقيل: يجعل لهم ثياب نحاس من نار وهي أشدّ ما يكون حرًّا عن سعيد بن جبير؛ وقيل: إنّ النار تحيط بهم كإحاطة الثياب الّتي يلبسونها ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ أي الماء المغليّ فيذيب ما في بطونهم من الشحوم ويتساقط الجلود، وفي خبر مرفوع أنّه يصبّ على رؤوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها[(٢)].

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ أي يذاب وينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء وتذاب به الجلود، والصّهر: الإذابة.

﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ قال اللّيث: المقمعة: شبه الجرز[(٣)] من الحديد يضرب بها الرأس.

وروى أبو سعيد الخدريّ قال: رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثمّ اجتمع عليه الثقلان ما أقلّوه من الأرض.

وقال الحسن: إنّ النّار ترميهم بلهبها حتّى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرّون ساعة فذلك قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي كلّما حاولوا الخروج من النار لمّا يلحقهم من الغمّ والكرب الّذي يأخذ بأنفاسهم حين ليس لها مخرج ردّوا إليها بالمقامع.

---

(١) قال السيد الرضي رضوان الله عليه: المراد بها أن النار - نعوذ بالله منها - تشتمل عليهم اشتمال الملابس على الأبدان حتى لا يسلم منها عضو من أعضائهم ولا يغيب عنها شيء من أجسادهم، وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك - والله أعلم - أن سرابيل القطران التي ذكرها الله سبحانه فقال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ إذا لبسوها واشتعلت النار فيها صارت كأنها ثياب من نار لاحاطتها بهم واشتمالها عليهم.

(٢) أي فيقطع ما فيها.

(٣) الجرز: العمود.

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي ويقال لهم: ذوقوا عذاب النّار الّتي تحرقكم، والحريق الاسم من الاحتراق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]

وفي قوله: ﴿بِإِلْحَادٍۭ﴾ الإلحاد: العدول عن القصد.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥١]

وفي قوله: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ أي مغالبين، وقيل: مقدّرين أنّهم يسبقوننا؛ وقيل: ظانّين أنّ يعجزوا الله، أي يفوتوه ولن يعجزوه.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤-١١٤]

وفي قوله: ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي تصيب وجوههم لفح النّار ولهبها واللّفح والنّفح بمعنى، إلاّ أنّ اللّفح أشدّ تأثيراً وأعظم من النّفح.

﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ أي عابسون، عن ابن عبّاس؛ وقيل: هو أن تتقلّص شفاههم وتبدو أسنانهم كالرؤوس المشويّة عن الحسن.

﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي ويقال لهم: ألم يكن القرآن يقرء عليّكم؛ وقيل: ألم تكن حججي وبيّناتي وأدلّتي تُقرء عليكم في دار الدنيا.

﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ أي شقاوتنا، وهي المضرّة اللاّحقة في العاقبة، والمعنى: استعلت علينا سيّئاتنا التي أوجبت لنا الشقاوة ﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ أي ذاهبين عن الحقّ ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا﴾ من النّار ﴿فَإِنۡ عُدۡنَا﴾ لما تكره من الكفر والتّكذيب والمعاصي.

﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ لأنفسنا، قال الحسن: هذا آخر كلام يتكلّم به أهل النّار، ثمّ بعد ذلك يكون لهم شهيق كشهيق الحمار.

﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ أي ابعدوا بعد الكلب في النار، وهذه اللّفظة زجر للكلاب، وإذا قيل ذلك للإنسان يكون للإهانة المستحقّة للعقوبة.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ وهذه مبالغة للإذلال والإهانة وإظهار الغضب عليهم؛ وقيل: معناه: ولا تكلّموني في رفع العذاب فإنّي لا أرفعه عنكم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي﴾ وهم الأنبياء والمؤمنون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي يدعون هذه الدعوات في الدنيا طلباً لما عندي من الثواب.

﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾ أنتم يا معشر الكفّار ﴿سِخۡرِيًّا﴾ أي كنتم تهزؤون بهم؛ وقيل: معناه: تستعبدونهم وتصرّفونهم في أعمالكم وحوائجكم كرهاً بغير أجر.

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ أي نسيتم ذكري لاشتغالكم بالسخريّة منهم، فنسب الإنساء إلى عباده المؤمنين وإنّ لم يفعلوا؟ لما كانوا السبب في ذلك.

﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بصبرهم على أذاكم وسخريّتكم.

﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي الظّافرون بما أرادوا والنّاجون في الآخرة ﴿قَالَ﴾ أي قال الله تعالى للكفّار يوم البعث، وهو سؤال توبيخ وتبكيت لمنكري البعث.

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي في القبور ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنّهم لم يشعروا بطول لبثهم ومكثهم لكونهم أمواتاً؛ وقيل: إنّه سؤال لهم عن مدّة حياتهم في الدنيا، فقالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، استقلّوا حياتهم في الدنيا لطول لبثهم ومكثهم في النار، عن الحسن، قال: ولم يكن ذلك كذباً منهم، لأنّهم أخبروا بما عندهم.

وقيل: إنّ المراد به يوماً أو بعض يوم من أيّام الآخرة؛ وقال ابن عبّاس: أنساهم الله قدر لبثهم فيرون أنّهم لم يلبثوا إلاّ يوماً أو بعض يوم لعظم ما هم بصدده من العذاب.

﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ يعني الملائكة، لأنّهم يحصون أعمال العباد؛ وقيل: يعني الحساب لأنّهم يعدّون الشهور والسّنين.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن مكثكم في الدنيا أو في القبور وإن طال فإنّ منتهاه قليل بالإضافة إلى طول مكثكم في عذاب جهنّم.

﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ صحّة ما أخبرناكم به؛ وقيل: معناه: لو كنتم تعلمون قصر أعماركم في الدنيا وطول مكثكم في الآخرة في العذاب لما اشتغلتم بالكفر والمعاصي.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا

وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان: ١١-١٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ أي ناراً تتلظّى، ثمّ وصف ذلك السعير فقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي من مسيرة مائة عام، عن السديّ والكلبيّ؛ وقال أبو عبد الله عليه السلام: من مسيرة سنة، ونسب الرؤية إلى النار وإنّما يرونها هم؟ لأنّ ذلك أبلغ، كأنّها تراهم رؤية الغضبان الّذي يزفر غيظا، وذلك قوله: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ وتغيّظها: تقطّعها عند شدّة اضطرابها، وزفيرها صوتها عند شدّة التهابها كالتهاب الرجل المغتاظ، والتغيّظ لا يسمع وإنّما يعلم بدلالة الحال عليه.

وقيل: معناه: سمعوا لها صوت تغيّظ وغليان، قال عبيد بن عمير: إنّ جهنّم لتزفر زفرة لا يبقى نبيّ ولا ملك إلا خرّ لوجهه.

وقيل: التغيّظ للنّار والزفير لأهلها كأنّه يقول: رأوا للنّار تغيّظاً، وسمعوا لأهلها زفيراً.

﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ معناه: وإذا القوا من النّار في مكان ضيّق يضيق عليهم كما يضيق الزجّ في الرمح، عن أكثر المفسّرين[(١)].

وفي الحديث عنه عليه السلام في هذه الآية: والّذي نفسي بيده إنّهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط.

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي مصفّدين، قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال؛ وقيل: قرنوا مع الشيطان في السّلاسل والأغلال، عن الجبائيّ.

﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أي دعوا بالويل والهلاك على أنفسهم، كما يقول القائل: واثبوراه أي واهلاكاه؛ وقيل: واانصرافاه عن طاعة الله فتجيبهم الملائكة: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي لا تدعوا ويلاً واحداً

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٢٥٠ - ٢٥٥.

وادعوا ويلاً كثيراً، أي لا ينفعكم هذا وإن كثر منكم؛ قال الزجّاج: معناه: هلاككم أكبر من أن تدعوا مرّة واحدة.

﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤]

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي يسحبون على وجوههم إلى النار وهم كفّار مكّة، وذلك لأنّهم قالوا: لمحمّد وأصحابه هم شرّ خلق الله، فأنزل الله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي منزلاً ومصيراً.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي ديناً وطريقاً من المؤمنين. وروى أنس قال: إنّ رجلاً قال: يا نبيّ الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟

قال: إنّ الّذي أمشاه على رجليه قادر أنّ يمشيه على وجهه يوم القيامة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي لازماً ملحا دائماً غير مفارق.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]

وفي قوله: ﴿يَلۡقَ أَثَامًا﴾ أي عقوبة وجزاءً لما فعل؛ وقيل: إنّ أثاماً اسم واد في جهنّم، عن ابن عمر وقتادة ومجاهد وعكرمة.

﴿يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٤ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ

ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[العنكبوت: ٥٤-٥٥]

وفي قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني أنّ العذاب وإن لم يأتهم في الدنيا فإن جهنّم محيطة بهم، أي جامعة لهم وهم معذّبون فيها لا محالة.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يعني أنّ العذاب يحيط بهم، لا أنّه يصل إلى موضع منهم دون موضع، فلا يبقى جزء منهم إلاّ وهو معذّب في النّار، عن الحسن؛ وهو كقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاء أعمالكم.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]

وفي قوله: ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي إلى عذاب يغلظ عليهم ويصعب.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٣-١٤]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ أي الخبر والوعيد. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي من كلا الصنّفين بكفرهم بالله سبحانه وجحدهم وحدانيّته، ثمّ يقال لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ أي بما فعلتم فعل من نسي لقاء جزاء هذا اليوم، فتركتم ما أمركم الله به وعصيتموه، والنّسيان: الترك.

﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ أي فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه، أي ترككم من نعيمه جزاءً على ترككم طاعتنا.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]

وفي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ العذاب الأكبر عذاب جهنّم، وأمّا العذاب الأدنى فقي الدنيا؛ وقيل: هو عذاب القبر.

وروي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام، والأكثر في الرواية عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام: أنّ العذاب الأدنى الدابّة والدجّال.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨]

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ التقليب: تصريف الشيء في الجهات، ومعناه: تقلّب وجوه هولاء السّائلين عن السّاعة وأشباههم من الكفّار، فتسودُّ وتصفرُّ وتصير كالحة بعد أنّ لم تكن؛ وقيل: معناه: تنقل وجوههم من جهة إلى جهة في النار، فيكون أبلغ فيما يصل إليها من العذاب، يقولون متمنّين متأسّفين: ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ﴾ فيما أمرنا به ونهانا عنه ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ فيما دعانا إليه ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ بضلالهم في نفوسهم، وإضلالهم إيّانا، أي عذّبهم مثلي ما تعذّب به غيرهم.

﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ مرّة بعد أخرى، وزدهم غضباً إلى غضبك.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم

مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧]

وفي قوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُواْ﴾ فيستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ﴾ أي ولا يسهل عليهم عذاب النّار ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي ومثل هذا العذاب، ونظيره.

﴿نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ وجاحد كثير الكفران، مكذّب لأنبياء الله ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي يتصايحون بالاستغاثة.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ من عذاب النّار ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي نؤمن بدل الكفر، ونطيع بدل المعصية، والمعنى: ردّنا إلى الدنيا لنعمل بالطاعات الّتي تأمرنا بها.

﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ﴾ فوبّخهم الله تعالى فقال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أي ألم نعطكم من العمر مقدار ما يمكن أن يتفكّر ويعتبر وينظر في أمور دينه، وعواقب حاله من يريد أن يتفكّر ويتذكّر؟.

واختلف في هذا المقدار فقيل: هو ستّون سنّة وهو المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: العمر الّذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة. وهو إحدى الروايتين عن ابن عبّاس.

وقيل: هو أربعون سنة، عن ابن عبّاس ومسروق.

وقيل: هو توبيخ لابن ثمانية عشر سنة، عن وهب وقتادة؛ وروي ذلك عن الصادق عليه السلام ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ أي المخوّف من عذاب الله وهو محمّد صلى الله عليه وآله، وقيل: القرآن؛ وقيل: الشيب.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ

﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٨]

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ الزقّوم ثمرشجرة منكرة جدًّا، من قولهم تزقّم هذا الطعام: إذا تناوله على تكرّه ومشقّة شديدة.

وقيل: الزقّوم: شجرة في النّار يقتاتها أهل النّار، لها ثمرة مره خشنة اللّمس، منتنة الريح.

وقيل: إنّها معروفة من شجر الدنيا تعرفها العرب؛ وقيل: إنّها لا تعرفها؛ فقد روي: أنّ قريشاً لمّا سمعت هذه الآية قالت: ما نعرف هذه الشّجرة.

قال ابن الزبعري: الزقّوم بكلام البربر: التّمر والزبد، وفي رواية بلغة اليمن، فقال أبو جهل لجاريته: يا جارية زقّمينا، فأتته الجارية بتمر وزبد، فقال لأصحابه: تزقّموا بهذا الّذي يخوّفكم به محمّد، فيزعم أنّ النّار تنبت الشجر، والنّار تحرق الشجر! فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ أي خبرة لهم افتتنوا بها وكذّبوا بكونها فصارت فتنة لهم؛ وقيل المراد بالفتنة العذاب من قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾(١) أي يعذّبون.

﴿إِنَّهَا﴾ أي الزقّوم ﴿شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي في قعر جهنّم، وأغصانها ترفع إلى دركاتها، عن الحسن؛ ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته(٢) في النّار من جنس النار، أو من جوهر لا تأكله النّار ولا تحرقه، كما أنّها لا تحرق السّلاسل والأغلال، وكما لا تحرق حيّاتها وعقاربها، وكذلك الضريع وما أشبه ذلك ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ يسأل عن هذا فيقال: كيف شبّه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين وهي لا تعرف، وإنّما يشبّه الشيء بما يعرف؟

وأُجيب عنه بثلاثة أجوبة:

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ١٣.

(٢) في التفسير المطبوع: «ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة في النار» وهو الصحيح.

أحدها: أنّ رؤوس الشياطين ثمرة يقال لها: أستن[١]، قال الأصمعيّ: يقال له الصورم.

وثانيها: أنّ الشيطان جنس من الحيّات فشبّه سبحانه طلع تلك الشجرة برؤوس تلك الحيّات.

وثالثها: أنّ قبح صور الشياطين متصوّر في النفوس، ولذلك يقولون لمّا يستقبحونه جدًّا: كأنّه شيطان، فشبّه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرّت شناعته في قلوب الناس، وهذا قول ابن عبّاس ومحمّد بن كعب؛ وقال الجبائيّ: إنّ الله تعالى يشوه خلق الشياطين في النّار حتّى أنّه لو رآه راء من العباد لاستوحش منهم، فلذلك شبّه برؤوسهم.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ يعني أنّ أهل النّار ليأكلون من ثمرة تلك الشجرة.

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي يملؤون بطونهم منها لشدّة ما يلحقهم من ألم الجوع، وقد روي أنّ الله تعالى يجوّعهم حتّى ينسوا عذاب النار من شدّة الجوع، فيصرخون إلى مالك فيحملهم إلى تلك الشجرة وفيهم أبو جهل فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم، فيستسقون فيسقون شربة من الماء الحارّ الّذي بلغ نهايته في الحرارة، فإذا قرّبوها من وجوههم شوت وجوههم، فذلك قوله: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ فإذا وصل إلى بطونهم صهر ما في بطونهم، كما قال سبحانه: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ فذلك شرابهم وطعامهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ زيادة على شجرة الزقّوم ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي خلطاً ومزاجاً من ماء حارّ يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب؛ وقيل: إنّهم يكرهون على ذلك عقوبة لهم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ بعد أكل الزقّوم وشراب الحميم ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ وذلك أنّهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم، كما تورد الإبل إلى الماء ثمّ يوردون إلى الجحيم، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ و الجحيم

(١) قال الفيروزآبادي: الاستن والاستان: أصول الشجر البالية، واحدها أستنة؛ أو الاستن: شجر يفشو في منابته، فإذا نظر الناظر إليه شبهه بشخوص الناس.

النار الموقدة، والمعنى أنّ الزقّوم والحميم طعامهم وشرابهم، والجحيم المسعرة منقلبهم ومآبهم.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٥٧-٦٤]

وفي قوله سبحانه: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ أي هذا حميم وغسّاق فليذوقوه؛ وقيل: معناه: هذا الجزاء للطاغين فليذوقوه، وأطلق عليه لفظ الذوق لأنّ الذائق يدرك الطعم بعد طلبه فهو أشدّ إحساساً به، والحميم: الماء الحارّ، والغسّاق: البارد الزمهرير، عن ابن مسعود وابن عبّاس، فالمعنى أنّهم يعذّبون بحارّ الشراب الّذي انتهت حرارته، وبباردهِ الّذي انتهت برودته، فيبرده يحرق كما يحرق النار، وقيل: إنّ الغسّاق: عين في جهنّم يسيل إليها سمّ كلّ ذات حمّة من حيّة وعقرب؛ وقيل: هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم؛ وقيل: هو القيح الّذي يسيل منهم، يُجمع ويسقونه؛ وقيل: هو عذاب لا يعلمه إلاّ الله.

﴿وَءَاخَرُ﴾ أي وضروب أُخر ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي من جنس هذا العذاب ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أي ألوان وأنواع متشابهة في الشدّة لا نوع واحد.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ أي يقال لهم: هذا فوج وهم قادة أهل الضلالة إذا دخلوا النار، ثمّ يدخل الأتباع، فتقول الخزنة للقادة: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ أي قطع من النّاس وهم الأتباع.

﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ في النار دخلوها كما دخلتم، عن ابن عبّاس؛ وقيل: يعني

بالأوّل أولاد إبليس وبالفوج الثاني بني آدم، أي يقال لبني إبليس بأمر الله: هذا جمع من بني آدم مقتحم معكم يدخلون النّار وعذابها وأنتم معهم، عن الحسن.

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ أي لا اتّسعت لهم أماكنهم، لأنهم لازموا النار، فيكون المعنى على القول الأوّل أنّ القادة والرؤساء يقولون للأتباع: لا مرحباً بهؤلاء، إنّهم يدخلون النّار مثلنا، فلا فرج لنا في مشاركتهم إيّانا، فتقول الأتباع لهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أي لا نلتم رحباً وسعةً.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي حملتمونا على الكفر الّذي أوجب لنا هذا العذاب ودعوتمونا إليه، وأمّا على القول الثاني فإنّ أولاد إبليس يقولون: لا مرحباً بهؤلاء قد ضاقت أماكنهم إذا كانت النّار مملوءة منّا فليس لنا منهم إلاّ الضيق والشدّة، وهذا كما روي عن النبيّ ﷺ: أنَّ النار تضيق عليهم كضيق الزجّ[1] بالرمح.

﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أي تقول بنو آدم: لا كرامة لكم أنتم شرعتموه لنا وزيّنتموه في نفوسنا ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ الّذي استقررنا عليه.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي يدعون عليهم بهذا إذا حصلوا في نار جهنّم، أي من سبّب لنا هذا العذاب ودعانا إلى ما استوجبنا به ذلك.

﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي مثلاً مضاعفاً إلى ما يستحقّه من النّار، أحد الضعفين لكفرهم بالله، والضعف الآخر لدعائهم إيّانا إلى الكفر.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ أي يقولون ذلك حين ينظرون في النّار فلا يرون من كان يخالفهم فيها معهم وهم المؤمنون، عن الكلبيّ؛ وقيل: نزلت في أبي جهل والوليد بن المغيرة وذويهما، يقولون: ما لنا لا نرى عمّاراً وخباباً وصهيباً وبلالاً الّذين كنا نعدُّهم في الدنيا من جملة الّذين يفعلون الشرّ والقبيح ولا يفعلون الخير، عن مجاهد.

وروى العيّاشيّ بالإسناد عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: أهل النار يقولون: ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار، يعنونكم لا يرونكم في النّار، لا يرون والله أحداً منكم في النار.

---

(١) الزج بالضم: الحديد التي في أسفل الرمح.

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ معناه أنّهم يقولون لمّا لم يروهم في النّار: أتّخذناهم هزوا في الدنيا فأخطأنا، أم عدلت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم معنا في النّار.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ أي ما ذكر قبل هذا لحقّ، أي كائن لا محالة. ثمّ بين ما هو فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ يعني تخاصم الأتباع والقادة، أو مجادلة أهل النار بعضهم لبعض على ما أخبر عنهم.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٥-١٦]

وفي قولة تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ في الحقيقة هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فلا ينتفعون بأنفسهم، ولا يجدون في النار أهلاً كما كان لهم في الدنيا أهل، فقد فاتتهم المنفعة بأنفسهم وأهليهم؛ وقيل: خسروا أنفسهم بأن قذفوها بين أطباق الجحيم، وخسروا أهليهم الّذين أُعدّوا لهم في جنّة النّعيم، عن الحسن.

قال ابن عبّاس: إنّ الله تعالى جعل لكلّ إنسان في الجنّة منزلاً وأهلاً، فمن عمل بطاعته كان له ذلك، ومن عصاه فصار إلى النّار، ودفع منزله وأهله إلى من أطاع فذلك قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾.

﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي الظاهر الّذي لا يخفى.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ﴾ أي سرادقات وأطباق من النّار ودخانها نعوذ بالله منها.

﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أي فرش ومهد منها؛ وقيل: إنّما سمّي ما تحتهم ظللاً لانّها ظلل لمن تحتهم، إذ النار أدراك وهم بين أطباقها؛ وقيل: إنّما أُجري اسم الظلل

على قطع النار على سبيل التوسّع والمجاز، لانّها في مقابلة ما لأهل الجنّة من الظلل، والمراد أنَّ النّار تحيط بجوانبهم.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]

وفي قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ اختلف في تقديره فقيل: معناه: أفمن وجب عليه وعيد الله بالعقاب الله أفأنت تخلصه من النار؟ فاكتفى بذكر من في النار عن الضّمير العائد إلى المبتدأ.

وقيل: تقديره: أفأنت تنقذ من في النّار منهم؟ وأُتي بالاستفهام مرّتين توكيداً للتنبيه على المعنى؛ وقال ابن الأنباريّ: الوقف على قوله: ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ والتقدير: كمن وجبت له الجنّة، ثمّ يبتدىء ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ وأراد بكلمة العذاب قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤]

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ تقديره: أفحال من يدفع عذاب الله بوجهه يوم القيامة كحال من يأتي آمناً لا يمسّه النّار، وإنّما قال: ﴿بِوَجْهِهِۦ﴾ لأنّ الوجه أعزُّ أعضاء الإنسان؟

وقيل: معناه: أم من يلقى منكوساً، فأوّل عضو منه مسّته النّار وجهه، ومعنى يتّقي يتوقّى ﴿وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ يقوله خزنة النّار.

(١) سورة ص، الآية: ٨٥.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٠-١٢]

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ أي تناديهم الملائكة يوم القيامة.

﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ المقت أشدّ العداوة والبغض، المعنى أنّهم لمّا رأوا أعمالهم ونظروا في كتابهم وأدخلوا النّار مقتوا أنفسهم لسوء صنيعهم، فنودوا: لمقت الله إيّاكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم؛ وقيل: إنّهم لمّا تركوا الإيمان وصاروا إلى الكفر فقد مقتوا أنفسهم أعظم المقت، ثمّ حكى سبحانه عن الكفّار الّذين تقدّم وصفهم بعد حصولهم في النّار بأنّهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ اختلف في معناه على وجوه:

أحدها: أنّ الإماتة الأولى في الدنيا بعد الحياة.

والثانية: في القبر قبل البعث، والاحياء الأولى في القبر للمسألة والثانية في الحشر.

وثانيها: أنّ الإماتة الأولى حال كونهم نطفاً، فأحياهم الله في الدنيا، ثمّ أماتهم الموتة الثانية، ثمّ أحياهم للبعث، فهاتان حياتان ومماتان.

وثالثها: أنّ الحياة الأولى في الدنيا، والثانية في القبر، ولم يرد الحياة يوم القيامة؛ والموتة الأولى في الدنيا، والثانية في القبر.

﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الّتي اقترفنا ها في الدنيا ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ هذا تلطّف منهم في الاستدعاء، أي هل بعد الاعتراف سبيل إلى الخروج؟

وقيل: إنّهم سألوا الرجوع إلى الدنيا، أي هل من خروج من النار إلى الدنيا لنعمل بطاعتك؟

﴿ذَٰلِكُم﴾ أي ذلك العذاب الّذي حلَّ بكم ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ أي إذا قيل: لا إله إلاّ الله، قلتم: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ وجحدتم ذلك.

﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ أي وإن يشرك به معبود آخر من الأصنام والأوثان تصدّقوا.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾

[غافر: ٤٧-٥٠]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي واذكر يا محمّد لقومك الوقت الّذي يتحاجُّ فيه أهل النّار في النّار، ويتخاصم الرؤساء والأتباع.

﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ وهم الرؤساء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ﴾ معاشر الرؤوساء ﴿تَبَعًا﴾ وكنّا نمتثل أمركم ونجيبكم إلى ماتدعوننا إليه.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ لأنه يلزم الرئيس الدفع عن أتباعه المنقادين لأمره ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ أي نحن وأنتم في النار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ بذلك، بأن لا يتحمّل أحدٌ عن أحد، وإنّه يعاقب من أشرك به وعبد معه غيره لا محالة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ من الأتباع والمتبوعين ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ وهم الّذين يتولّون عذاب أهل النار من الملائكة الموكّلين بهم.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يقولون ذلك لأنّهم لا طاقة لهم على شدّة العذاب ولشدّة جزعهم، لا أنّهم يطمعون في التخفيف، لأنّ معارفهم ضروريّة يعلمون أنّ عقابهم لا ينقطع ولا يخفّف عنهم.

﴿قَالُوٓا۟﴾ أي الخزنة ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالحجج والدلالات على صحّة التّوحيد والنبوّة، أي فكفرتم وعاندتم حتّى استحققتم هذا العذاب.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ جاءتنا الرسل والبيّنات فكذّبناهم وجحدنا نبوّتهم ﴿قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟﴾ أي قالت الخزنة: فادعوا أنتم فإنّا لا ندعو إلا بإذن الله ولم يؤذن لنا فيه؛ وقيل: إنّما قالوا ذلك استخفافاً بهم؛ وقيل: معناه: فأدعوا بالويل والثّبور ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي في ضياع، لأنّه لا ينفع.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٠-٧٦]

وفي قوله: ﴿يُسْحَبُونَ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ أي يجرّون في الماء الحارّ الّذي قد انتهت حرارته.

﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ أي ثمّ يقذفون في النّار؛ وقيل: أي ثمّ يصيرون وقود النّار.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء الكفّار إذا دخلوا النار على وجه التوبيخ ﴿أَيْنَ مَا

﴿كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ من أصنامكم ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي ضاعوا وهلكوا فلا نراهم ولا نقدر عليهم، ثمّ يستدركون فيقولون: ﴿لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي شيئاً يستحقّ العبادة ولا ما ننتفع بعبادته.

وقيل: لم نكن ندعو شيئاً ينفع ويضرّ ويسمع ويبصر، وهذا كما يقال لكلّ ما لا يغني شيئاً: هذا ليس بشيء؛ وقيل: معناه: ضاعت عبادتنا لهم فلم نكن نصنع شيئاً إذ عبدناها، كما يقول المتحسّر: ما فعلت شيئاً.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي كما أضلّ أعمال هؤلاء وأبطل ما كانوا يأملونه كذلك يفعل بجميع من يتديّن بالكفر فلا ينتفعون بشيء من أعمالهم.

وقيل: «يُضِلُّ اللهُ أعمالهم» أي يبطلها؛ وقيل: يضلّهم عن طريق الجنّة والثّواب كما أضلّهم عمّا اتخذوه إلهاً بأن صرفهم عن الطمع في نيل منفعة من جهتها.

﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب الّذي نزل بكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ أي تأشرون وتبطرون.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٧]

وفي قوله تعالى: ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي نجازيهم بأقبح الجزاء على أقبح معاصيهم وهو الكفر والشّرك، وخصّ الأسوأ بالذكر للمبالغة في الزجر؛ وقيل: معناه: لنجزينّهم بأسوأ أعمالهم وهي المعاصي دون غيرها ممّا لا يستحقّ به العذاب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ يعنون إبليس الأبالسة، وقابيل بن آدم أوّل من أبدع الكفر والضّلال والمعصية، روي ذلك عن

عليّ عليه السلام ؛ وقيل : كلّ من دعى إلى الضّلال والكفر من الجنّ والإنس، والمراد باللّذين جنس الجنّ والإنس.

﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ تمنّوا لشدّة عدواتهم لهم بما أضلّوهم أنّ يجعلوهم تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النّار؛ وقيل : أي ندوسهما ونطؤهما بأقدامنا إذلالاً لهما ليكونا من الأذلّين، قال ابن عبّاس : ليكونا أشدّ عذاباً منّا.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨]

وفي قوله تعالى : ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي لا يخفّف عنهم ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آئسون من كلّ خير.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ أي يدعون خازن جهنّم فيقولون : ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي ليمتنا ربّك حتّى نتخلّص ونستريح من هذا العذاب ﴿قَالَ﴾ أي فيقول مالك مجيباً لهم : ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ أي لابثون دائمون في العذاب، قال ابن عبّاس والسدّيّ : إنّما يجيبهم مالك بذلك بعد ألف سنة؛ وقال ابن عمر : بعد أربعين عاماً.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم﴾ أي يقول الله تعالى : لقد أرسلنا إليكم الرسل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي جاءكم رسلنا بالحقّ، وأضافه إلى نفسه لأنّه كان بأمره؛ وقيل : هو قول مالك، وإنّما قال : قد جئناكم؟ لأنّه من الملائكة وهم من جنس الرسل.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ معاشر الخلق ﴿لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ لأنّكم ألفتم الباطل فكرهتم مفارقته.

﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ

﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: ٤٤-٥٠]

وفي قوله تعالى: ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أي الآثم وهو أبو جهل، وروي أنّ أبا جهل أتى بتمر وزبد فجمع بينهما وأكل وقال: هذا هو الزقّوم الّذي يخوّفنا محمّد به، نحن نتزقّمه، أي نملأ أفواهنا به.

فقال سبحانه: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو المذاب من النّحاس أو الرصاص أو الذهب أو الفضّة؛ وقيل: هو درديّ الزيت.

﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ أي إذا حصلت في أجواف أهل النار تغلي كغلي الماء الحارّ الشديد الحرارة.

قال أبو عليّ الفارسيّ: لا يجوز أنّ يكون المعنى: يغلي المهل في البطون، لأنّ المهل إنّما ذكر للتشبيه به في الذوب، ألا ترى أنّ المهل لا يغلي في البطون، وإنّما يغلي ما يشبّه به.

﴿خُذُوهُ﴾ أي يقال للزبانية: ﴿خُذُوهُ﴾ بالإثم ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾[1] أي زعزعوه وادفعوه بعنف؛ وقيل: معناه: جرّوا على وجهه.

﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي إلى وسط النار ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ قال مقاتل: إنّ خازن النار يمرّ به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه، ثمّ يصبّ فيه.

﴿مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ وهو الماء الّذي قد انتهى حرّه، ويقول له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ وذلك أنّه كان يقول: أنا أعزّ أهل الوادي وأكرمهم، فيقول له الملك: ذق العذاب أيّها المتعزّز المتكرّم في زعمك وفيما كنت تقوله.

وقيل: إنّه على معنى النقيض، فكأنّه قيل: إنّك أنت الذليل المهين، إلاّ أنّه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به؛ وقيل: معناه إنّك أنت العزيز في قومك الكريم عليهم فما أغنى عنك ذلك.

---

(١) من العتل، وهو الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر كعتل البعير.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ أي ثمّ يقال لهم: إنّ العذاب ما كنتم تشكّون فيه في الدنيا.

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية: ١٠-١١]

وفي قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي من وراء ما هم فيه من التعزّز بالمال والدنيا جهنّم.

﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا﴾ أي لا يغني عنهم ما حصّلوه وجمعوه من المال والولد شيئاً من عذاب الله.

﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ من الآلهة الّتي عبدوها لتكون شفعاءهم عند الله.

﴿هَٰذَا هُدًى﴾ أي هذا القرآن الّذي تلوناه والحديث الّذي ذكرناه دلالة موصلة إلى الفرق بين الحقّ والباطل. والرجز: العذاب.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠]

وفي قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يعني يوم القيامة، أي يدخلون النار، كما يقال: عرض فلان على السوط؛ وقيل: معناه عرض عليهم النار قبل أنّ يدخلوها ليروا أهوالها ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي فيقال لهم: آثرتم طيّباتكم ولذّاتكم في الدنيا على طيّبات الجنّة.

﴿وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ أي انتفعتم بها منهمكين فيها؛ وقيل: هي الطيّبات من الرزق، يقول: أنفقتموها في شهواتكم وفي ملاذّ الدنيا، ولم تنفقوها في مرضات الله.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ أي العذاب الّذي فيه الذلّ والخزي والهوان ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي باستكباركم عن الانقياد للحقّ في الدنيا.

﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ أي وبخروجكم عن طاعة الله إلى معاصيه.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٤]

وفي قوله: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم: أليس هذا الّذي جوزيتم به حقّ[1] لا ظلم فيه؟

﴿قَالُواْ﴾ أي فيقولون: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ اعترفوا بذلك وحلفوا عليه بعدما كانوا منكرين ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ أي بكفركم في الدنيا وإنكاركم.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق: ٢٣-٣٠]

وفي قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعني الملك الشهيد عليه، عن الحسن؛ وهو

---

(١) كذا في المجمع. والظاهر: حقاً.

المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وقيل: قرينه الّذي قيض له من الشيطان؛ وقيل: قرينه من الإنس.

﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ إن كان المراد به الملك فمعناه: هذا حسابه حاضر لديّ في هذا الكتاب، أي يقول لربّه: كنت وكّلتني به، فما كتبت من عمله حاضر عندي، وإنّ كان المراد به الشيطان أو القرين من الإنس فالمعنى: هذا العذاب حاضر عندي معدٌّ لي بسبب سيّئاتي.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ هذا خطّاب لخازن النار، والعرب تأمر الواحد والقوم بما تأمر به الاثنين، ألا ترى في الشعر أكثر شيء قيلاً: (يا صاحبيَّ ويا خليليَّ) وقيل: إنّما ثنّي ليدلّ على التكثير، كأنّه قال: ألق ألق، فثنّي الضمير ليدلّ على تكرير الفعل؛ وقيل: خطاب للملكين الموكّلين به وهما السائق والشهيد.

وروى أبو القاسم الحسكانيّ بالإسناد عن الأعمش أنّه قال: حدّثنا أبو المتوكّل الناجيّ، عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لي ولعليّ: ألقيا في النار من أبغضكما، وأدخلا الجنّة من أحبّكما، وذلك قوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ والعنيد: الذاهب عن الحقّ وسبيل الرشد.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ الّذي أمر الله به من بذل المال في وجوهه ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم متجاوز يتعدّى حدود الله.

﴿مُّرِيبٍ﴾ أي شاكّ في الله وفيما جاء من عند الله؛ وقيل: متّهم يفعل ما يرتاب بفعله ويظنّ به غيرالجميل؛ وقيل: إنّها نزلت في وليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه في الإسلام فمنعهم. فيكون المراد بالخير الإسلام.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ هذا تأكيد للأوّل، فكأنّه قال: افعلا ما أمرتكما به فإنّه مستحقٌّ لذلك.

﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ أي شيطانه الّذي أغواه، عن ابن عبّاس وغيره؛ وإنّما سمّي قرينه؟ لأنّه يقرن به في العذاب؛ وقيل: قرينه من الإنس وهم علماء السّوء والمبتدعون.

﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي ما أضللته وما أوقعته في الطغيان باستكراه.

﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ﴾ من الإيمان ﴿بَعِيدٍ﴾ أي ولكنّه طغى باختياره السّوء ﴿قَالَ﴾ أي فيقول الله لهم: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ أي لا يخاصم بعضكم بعضاً عندي.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ في دار التكليف فلم تنزجروا وخالفتم أمري.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ المعنى أنّ الّذي قدمته لكم في دار الدنيا من أنّي أُعاقب من جحدني وكذّب رسلي وخالف أمري لا يبدّل بغيره، ولا يكون خلافه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي لست بظالم أحداً في عقابي لمن استحقّه، بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي الّتي استحقّ بها ذلك.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ متعلق بقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ﴾ أو بتقدير اذكر ﴿وَتَقُولُ﴾ جهنّم ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قال أنس: طلبت الزيادة؛ وقال مجاهد: المعنى معنى الكفاية، أي لم يبق مزيد لامتلائها، ويدلّ على هذا القول قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وقيل في الوجه الأوّل: إنّ هذا القول منها كان قبل دخول جميع أهل النّار فيها؛ ويجوز أن تكون تطلب الزيادة على أن يزاد في سعتها، كما جاء عن النبيّ ﷺ أنّه قيل له يوم فتح مكّة: ألا تنزل دارك؟

فقال ﷺ: وهل ترك لنا عقيل من دار؟ لأنّه باع دور بني هاشم لمّا خرجوا إلى المدينة؛ فعلى هذا يكون المعنى: وهل بقي زيادة؟.

فأمّا الوجه في كلام جهنّم فقيل فيه وجوه:

أحدها: أنّه خرج مخرج المثل، أي أنّ جهنّم من سعتها وعظمها بمنزلة الناطقة الّتي إذا قيل لها: هل امتلأت؟

تقول: لم أمتل وبقي فيَّ سعة كثيرة.

وثانيها: أنّ الله سبحانه يخلق لجهنّم آلة الكلام فتتكلّم، وهذا غير منكر لأنّ من أنطق الأيدي والجوارح والجلود قادر على أنّ ينطق جهنّم.

وثالثها: أنّه خطاب لخزنة جهنّم على وجه التقرير لهم: هل امتلأت جهنّم؟

فيقولون: بلى لم يبق موضع لمزيد، ليعلم الخلق صدق وعده، عن الحسن؛ قال: معناه: ما من مزيد، أي لا مزيد.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٣-١٦]

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أي يدفعون ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي دفعاً بعنف وجفوة، قال مقاتل: هو أن تغلّ أيديهم إلى أعناقهم، وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم، ثمّ يدفعون إلى جهنّم دفعاً على وجوههم، حتّى إذا دنوا قال لهم خزنتها: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا، ثمّ وبّخهم لمّا عاينوا ما كانوا يكذّبون به وهو قوله: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ الذي ترون ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ وذلك أنّهم كانوا ينسبون محمّدا ﷺ إلى السّحر وإلى أنّه يغطي على الأبصار بالسّحر، فلمّا شاهدوا ما وعّدوا به من العذاب وبّخوا بهذا، ثمّ يقال لهم: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ قاسوا شدتها ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ﴾ على العذاب ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ عليه ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصبّر والجزع.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من المعاصي بكفركم وتكذيبكم الرسول.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٧-٤٨]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ أي في ذهاب عن وجه النّجاة وطريق الجنّة، وفي نار مسعرة؛ وقيل: أي في هلاك وذهاب عن الحقّ ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي عناء وعذاب ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ أي يجرّون.

﴿فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني أنّ هذا العذاب يكون لهم في يوم يجرّهم الملائكة فيه على وجوههم في النّار؛ ويقال لهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ أي إصابتها إيّاهم بعذابها وحرّها، وهو كقولهم: «وجدت مسّ الحمّى» وسقر: جهنّم؛ وقيل: هو باب من أبوابها.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤١-٤٥]

وفي قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ فتأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغلّ، ثمّ يسحبون في النّار ويقذفون فيها، عن الحسن؛ وقيل: تأخذهم الزبانية بنواصيهم وبأقدامهم فيسوقونهم إلى النّار.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي ويقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون في الدنيا قذ أظهرها الله تعالى حتّى زالت الشكوك فأُدخلوها؛ ويمكن أنّه لمّا أخبر الله تعالى أنّهم يؤخذون بالنواصي والأقدام ثمّ قال للنبي ﷺ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي المشركون من قومك وسيردونها فليهن عليك أمرهم.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي يطوفون مرّة بين الجحيم ومرّة بين الحميم، والجحيم: النّار، والحميم: الشراب؛ وقيل: معناه أنّهم يعذّبون بالنار مرّة ويجرعون من الحميم يصبُّ علهيم ليس لهم من العذاب أبداً فرج، عن ابن عبّاس؛ والآني: الّذي انتهت حرارته؛ وقيل: الآني: الحاضر.

﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ٤٢-٥٦]

وفي قوله تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ أي في ريح حارّة تدخل مسامّهم وخروقهم، وفي ماء مغليّ حارّ انتهت حرارته.

﴿وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ﴾ أي دخان أسود شديد السّواد عن ابن عبّاس وغيره؛ وقيل: اليحموم: جبل في جهنّم يستغيث أهل النّار إلى ظلّه، ثمّ نعت ذلك الظلّ فقال: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر؛ وقيل: لا بارد يستراح إليه لأنّه دخان جهنّم، ولا كريم فيشتهى مثله؛ وقيل: ولا كريم أي لا منفعة فيه بوجه من الوجوه، والعرب إذا أرادت نفي صفة الحمد عن الشيء نفت عنه الكرم.

وقال الفرّاء: العرب تجعل الكريم تابعاً لكلّ شيء نفت عنه وصفاً تنوى به الذمّ، تقول: ما هو بسمين ولا كريم، وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة.

ثمّ ذكر سبحانه أعمالهم الّتي أوجبت لهم هذا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أي كانوا في الدنيا متنعّمين، عن ابن عبّاس.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ أي الذنب العظيم، والإصرار أنّ يقيم عليه فلا يقلع عنه؛ وقيل: الحنث العظيم: الشرك؛ وقيل: كانوا يحلفون لا يبعث الله من يموت، وأنّ الأصنام أنداد الله.

قوله: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ أي كشرب الهيم، وهي الإبل الّتي أصابها الهيام وهو شدّة العطش، فلا تزال تشرب الماء حتّى تموت؛ وقيل: هي الأرض الرملة الّتي لا تروي بالماء.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ النّزل: الأمر الّذي ينزل عليه صاحبه، والمعنى: هذا طعامهم وشرابهم يوم الجزاء في جهنّم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]

وفي قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ أي قوا أنفسكم النار بالصبر على طاعة الله وعن معصيته، وعن اتّباع الشهوات، وأهليكم بدعائهم إلى طاعة الله، وتعليمهم الفرائض، ونهيهم عن القبائح، وحثّهم على أفعال الخير.

﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ أي غلاظ القلوب لا يرحمون أهل النّار، أقوياء، يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانها ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ في هذا دلالة على أنّ الملائكة الموكّلين بالنار معصومون عن القبائح لا يخالفون الله في أوامره ونواهيه. ثمّ حكى سبحانه ما يقال للكفّار يوم القيامة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ وذلك أنّهم إذا عذّبوا يأخذون في الاعتذار فلا يلتفت إلى معاذيرهم ويقال لهم: لا تعتذروا فهذا جزاء فعلكم.

﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥-١١]

وفي قوله: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ﴾ أي للشياطين ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ عذاب النار المسعرة المشعلة.

﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا﴾ أي إذا طرح الكفّار في النّار سمعوا للنار صوتاً فظيعاً مثل صوت القدر عند غليانها وفورانها، فيعظم بسماع ذلك عذابهم لما يرد على قلوبهم من هوله.

﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ أي تغلي بهم كغلي المرجل[1].

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي تتقطّع وتتمزّق من الغيظ أي شدّة الغضب، سمّى سبحانه شدّة التهاب النّار غيظاً على الكفّار؟ لأنّ المغتاظ هو المتقطّع ممّا يجد من الألم الباعث على الإيقاع بغيره، فحال جهنّم كحال المتغيّظ ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا﴾ أي كلّما طرح في النار ﴿فَوْجٌ﴾ من الكفّار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي يقول لهم الملائكة الموكّلون بالنار على وجه التبكيت لهم في صيغة الاستفهام: ألم يجئكم مخوّف من جهة الله سبحانه يخوّفكم عذاب هذه النّار؟

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ أي مخوّف ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ أي لم نقبل منه، بل قلنا ما نزّل الله شيئاً ممّا تدعونا إليه وتحذّرونا منه، فتقول لهم الملائكة: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ أى لستم اليوم إلاّ في عذاب عظيم؛ وقيل: معناه: قلنا للرسل: ما أنتم إلاّ في ضلال، أي ذهاب عن الصواب. كبير في قولكم: أنزل الله عليها كتاباً.

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ من النذر ما جاؤونا به ودعونا إليه وعملنا بذلك ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ قال الزجّاج: لو كنّا نسمع سمع من يعي ويفكّر ونعقل عقل من يميّز وينظر ما كنّا من أهل النّار.

﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾ في ذلك الوقت الّذي لا ينفعهم فيه الإقرار والاعتراف.

﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ هذا دعاء عليهم، أي أسحقهم الله وأبعدهم من النجاة سحقاً.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]

وفي قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ العادلون عن طريق الحقّ والدين ﴿فَكَانُواْ﴾ في علم الله وحكمه.

---

(١) المرجل: القدر.

﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ يلقون فيها فتحرقهم كما تحرق النّار الحطب، أو يكون معناه: فسيكونون لجهنم حطباً توقد بهم كما توقد النّار بالحطب.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]

وفي قولة: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي يدخله عذاباً شاقاً شديداً متصعداً في العظم، وإنّما قال: يسلكه؟ لأنّه تقدّم ذكر الطريقة؛ وقيل: معناه عذاباً ذا صعد، أي ذا مشقّة.

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ أي عندنا في الآخرة قيوداً عظاماً لا تفك أبداً؛ وقيل: أغلالاً.

﴿وَجَحِيمًا﴾ وهو اسم من أسماء جهنّم؛ وقيل: يعني وناراً عظيمة، ولا تسمّى القليلة به.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ أي ذا شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج، عن ابن عبّاس؛ وقيل: طعاماً يأخذ بالحلقوم لخشونته وشدّة تكرُّهه؛ وقيل: يعني الزقّوم والضريع.

وروي عن حمران بن أعين، عن عبد الله بن عمر أنّ النبيّ ﷺ سمع قارئاً يقرء هذا فصعق. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي عقاباً موجعاً مؤلماً.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]

وفي قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ أي سأكلفه مشقّة من العذاب لا راحة فيه؛ وقيل: صعود جبل في جهنّم من نار يؤخذ بارتقائه، فإذا وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، وكذلك رجله في خبر مرفوع؛ وقيل: هو جبل من صخرة ملساء في النار

يكلّف أنّ يصعدها حتّى إذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها، ثمّ يكلّف أيضاً أن يصعدها فذلك دأبه أبداً، يجذب من أمامه بسلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعدها في أربعين سنّة عن الكلبيّ[1].

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٢٦-٤٨]

وفي قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي سأدخله جهنّم وألزمه إيّاها؛ وقيل: سقر: دركة من دركات جهنم؛ وقيل: باب من أبوابها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أيها السّامع ﴿مَا سَقَرُ﴾ في شدّتها وهولها وضيقها.

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي لا تبقي لهم لحماً إلاّ أكلته، ولا تذرهم إذا أعيدوا خلقاً

(١) البحار: ص ٢٥٥ - ٢٧١.

جديداً؛ وقيل: لا تبقي شيئاً إلاّ احرقته، ولا تذر أي لا إبقاء عليهم بل يبلغ مجهودهم في أنواع العذاب.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي مغيّرة للجلود؛ وقيل: لافحة للجلود حتّى تدعها أشدّ سواد من اللّيل.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الملائكة، هم خزنتها: مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، تسع كفّ أحدهم مثل ربيعة ومضر، نزعت منهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنّم.

وقيل: معناه: على سقر تسعة عشر ملكاً فهم خزّان سقر، وللنّار ودركاتها الآخر خزّان آخرون.

وقيل: إنّما خصّوا بهذا العدد ليوافق الخبر لمّا جاء به الأنبياء قبله وما كان في الكتب المتقدّمة، ويكون في ذلك مصلحة للمكلّفين.

وقال بعضهم في تخصيص هذا العدد: إنّ تسعة عشر يجمع أكثر القليل من العدد وأقلّ الكثير منه، لأنّ العدد آحاد وعشرات ومئون وألوف، فأقلّ العشرات عشرة، وأكثر الآحاد تسعة، قالوا: ولمّا نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أتسمعون ابن أبي كبشة يخبركم أنّ خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم[١] والشّجعان، أفيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنّم؟

قال أبو الأسد الجمحيّ: أنا أكفيكم سبعة عشر، عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين، فنزل: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ الآية، عن ابن عبّاس وقتادة والضحّاك، ومعناه: وما جعلنا الموكّلين بالنار المتولّين تدبيرها إلاّ ملائكة، جعلنا شهوتهم في تعذيب أهل النار، ولم نجعلهم من بني آدم كما تعهدون أنتم فتطيقونهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لم نجعلهم على هذا العدد إلاّ محنة وتشديداً في التكليف للّذين كفروا نعم الله، وجحدوا وحدانيّته حتّى يتفكّروا

---

(١) الدهم: العدد الكثير.

فيعلموا أنّ الله سبحانه حكيم لا يفعل إلاّ ما هو حكمة، ويعلموا أنّه قادر على أن يزيد في قواهم ما يقدرون به على تعذيب الخلائق، ولو راجع الكفّار عقولهم لعلموا أنّ من سلط ملكاً واحداً على كافّة بني آدم لقبض أرواحهم فلا يغلبونه قادر على سوق بعضهم إلى النار وجعلهم فيها بتسعة عشر من الملائكة.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى أنّه حقّ، وأنّ محمّداً صادق من حيث أخبر بما هو في كتبهم من غير قراءة لها ولا تعلّم منهم.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ أي يقيناً بهذا العدد وبصحّة نبوّة محمّد ﷺ إذا أخبرهم أهل الكتاب أنّه مثل ما في كتابهم.

﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي ولئلاّ يشكّ هؤلاء في عدد الخزنة، والمعنى: ليستيقن من لم يؤمن بمحمّد ﷺ ومن آمن بصحّة نبوّته إذا تدبّروا وتفكّروا ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ اللاّم لام العاقبة أي عاقبة أمر هؤلاء أن يقولوا هذا يعني المنافقين والكافرين؛ وقيل: معناه: ولأن يقولوا ماذا أراد الله بهذا الوصف والعدد؟ ويتدبّروه فيؤدّي بهم التدبّر في ذلك إلى الإيمان.

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي مثل ما جعلنا خزنة النّار ملائكة ذوي عدد محنة واختباراً نكلّف الخلق ليظهر الضّلال والهدى، وأضافهما إلى نفسه لأنّ سبب ذلك التكليف وهو من جهته.

وقيل: يضلّ عن طريق الجنّة والثواب من يشاء، ويهدي من يشاء إليه.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لايعلم جنوده من كثرتها أحد إلاّ هو، ولم يجعل خزنة النار تسعة عشر لقلّة جنوده، ولكنَّ الحكمة اقتضت ذلك.

وقيل: هذا جواب أبي جهل حين قال: ما لمحمّد أعوان إلاّ تسعة عشر.

وقيل معناه: وما يعلم عدّة الملائكة الّذين خلقهم الله لتعذيب أهل النّار إلاّ الله، والمعنى أنّ التسعة عشرهم خزنة النّار، ولهم من الأعوان والجنود ما لا يعلمه إلاّ الله، ثمّ رجع إلى ذكر سقر فقال:

﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي تذكرة وموعظة للعالم ليذّكّروا فيتجنّبوا ما يستوجبون به ذلك؛ وقيل: معناه: وما هذه النار في الدنيا إلاّ تذكرة للبشر من نار

الآخرة حتّى يتفكروا فيها فيحذروا نار الآخرة؛ وقيل: ما هذه السورة إلاّ تذكرة للناس؛ وقيل: وما هذه الملائكة التسعة عشر إلاّ عبرة للخلق يستدلّون بذلك على كمال قدرة الله تعالى وينزجرون عن المعاصي ﴿كَلَّا﴾ أي حقّاً؛ وقيل: أي ليس الأمر على ما يتوهّمونه من أنّهم يمكنهم دفع خزنة النار وغلبتهم ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾ أقسم بالقمر لما فيه من الآيات العجيبة في طلوعه وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي ولّى ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أي أضاء وأنار؛ وقيل: معناه: إذا كشف الظلام، وأضاء الأشخاص ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ هذا جواب القسم، يعني أنّ سقر الّتي هي النّار لإحدى العظائم، والكبر جمع الكبرى؛ وقيل: معناه أنّ آيات القرآن إحدى الكبر في الوعيد.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ صفة للنّار؛ وقيل: من صفة النبيّ ﷺ، فكأنّه قال: قم نذيراً، وقيل: من صفة الله تعالى فيكون حالاً من فعل القسم المحذوف.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ أي يتقدّم في طاعة الله، أو يتأخّر عنها بالمعصية.

وروى محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام أنّه قال: كلّ من تقدّم إلى ولايتنا تأخّر عن سقر، وكلّ من تأخّر عن ولايتنا تقدّم إلى سقر[1].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي مرهونة بعملها، محبوسة به، مطالبة بما كسبته من طاعة أو معصية ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ وهم الّذين يعطون كتبهم بأيمانهم؛ وقيل: هم الّذين يسلك بهم ذات اليمين.

﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي يسأل بعضهم بعضاً؛ وقيل: يسألون ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي عن حالهم وعن ذنوبهم الّتي استحقّوا بها النار.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ هذا سؤال توبيخ، أي يطلع أهل الجنّة على أهل النار فيقولون لهم: ما أوقعكم في النار؟

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي كنّا لا نصلّي الصلوات المكتوبة على ما قرّرها الشرع، وفيه دلالة على أنّ الكفّار مخاطبون بالعبادات.

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٢٧١ - ٢٧٣.

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ أي لم نكن نخرج الزكوات الّتي كانت واجبة علينا، والكفّارات الّتي وجب دفعها إلى المساكين وهم الفقراء.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ أي كلّما غوى غاو بالدخول في الباطل غوينا معه ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي نجحد يوم الجزاء.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ أي الموت على هذه الحالة؛ وقيل: حتّى جاءنا العلم اليقين من ذلك بأن عايناه.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ أي شفاعة الملائكة والنبيّين كما نفعت الموحّدين.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٩-٣٤]

وفي قوله سبحانه: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي تقول لهم الخزنة: اذهبوا وسيروا إلى النّار الّتي كنتم تجحدونها في الدنيا.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ أي نار لها ثلاث شعب، سماها ظلاً لسواد نار جهنّم؛ وقيل: هو دخان جهنّم له ثلاث شعب تحيط بالكافر، شعبة تكون فوقه، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، فسمّى الدخان ظلاً، كما قال: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾(١) أي من الدخان الآخذ بالأنفاس؛ وقيل: يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق فتنشعب ثلاث شعب، يكون فيها حتّى يفرغ من الحساب، ثمّ وصف سبحانه ذلك الظلّ فقال: ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ أي غير مانع من الأذى بستره عنه فظلّ هذا الدخان لا يغني شيئاً من حرّ النّار، وهو قوله: ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ واللّهب: ما يعلو على النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر، يعني أنّهم إذا استظلّوا بذلك الظلّ لم يدفع عنهم حرّ اللّهب.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

ثمّ وصف النار فقال: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ وهو ما تطاير من النار في الجهات.

﴿كَالْقَصْرِ﴾ أي مثله في عظمه وتخويفه، يتطاير على الكافرين من كلّ جهة - نعوذ بالله منه - وهو واحد القصور من البنيان، والعرب تشبّه الإبل بالقصور.

وقيل: ﴿كَالْقَصْرِ﴾ أي كأصول الشجر العظام، ثمَّ شبّهه في لونه بالجمالات الصفر فقال: ﴿كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ أي كأنّه أنيق سود لما يعتري سوادها من الصفر، قال الفرّاء: لا ترى أسود من الإبل إلاّ وهو مشرب صفرة، ولذلك سمّت العرب سود الإبل صفراً؛ وقيل: هو من الصفرة لأنّ النار تكون صفراء.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢١-٣٠]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ يرصدون به، أي هي معدّة لهم يرصد بها خزنتها الكفّار؛ وقيل: مرصاداً محبساً يحبس فيه النّاس؛ وقيل: طريقاً منصوباً على العاصين فهو موردهم ومنهلهم، وهذا إشارة إلى أنّ جهنّم للعصاة على الرصد لا يفوتونها

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ أي للّذين جازوا حدود الله وطغوا في معصية الله مرجعاً يرجعون إليه ومصيراً، فكأنّ المجرم قد كان باجرامه فيها ثمّ رجع إليها

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ أي ماكثين فيها أزماناً كثيرةً، وذكر فيه أقوال:

أحدها: أنّ المعنى أحقاباً لا انقطاع لها، كلّما مضى حقب جاء بعده حقب آخر، والحقب: ثمانون سنّة من سني الآخرة.

وثانيها: أنّ الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً، كلّ حقب سبعون خريفاً، كلّ خريف سبعمائة سنة، كلّ سنة ثلاث مائة وستّون يوماً، كلّ يوم ألف سنة، عن مجاهد.

وثالثها: أنّ الله تعالى لم يذكر شيئاً إلاّ وجعل له مدّة ينقطع إليها، ولم يجعل لأهل النار مدة بل قال: ﴿لَٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا﴾ فوالله ما هو إلاّ أنّه إذا مضى حقب دخل حقب آخر، ثمَّ آخر كذلك إلى أبد الآبدين، فليس للأحقاب عدّة إلاّ الخلود في النّار ولكن قد ذكروا أنّ الحقب الواحد سبعون ألف سنة، كلّ يوم من تلك السنين ألف سنّة ممّا نعده.

ورابعها: أنّ المعنى لابثين فيها أحقاباً لا يذوقون في تلك الأحقاب إلاّ حميماً وغسّاقاً، ثمّ يلبثون يذوقون فيها غير الحميم والغسّاق من أنواع العذاب، فهذا توقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم في النّار وهذا أحسن الأقوال.

وخامسها: أنّه يعني به أهل التوحيد عن خالد بن معدان.

وروى نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: لا يخرج من النّار من دخلها حتّى يمكث فيها أحقاباً، والحقب بضع وستّون سنة، والسنة ثلاث مائة وستّون يوماً، كلّ يوم كألف سنّة ممّا تعدّون، فلا يتّكلنّ أحد على أنّ يخرج من النّار.

وروى العيّاشيّ بإسناده عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية فقال: هذه في الّذين يخرجون من النّار، وروي عن الأحول مثله.

وقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا﴾ يريد النوم والماء، عن ابن عبّاس؛ قال أبو عبيدة: البرد: النوم هنا؛ وقيل: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حرّها، ولا شراباً ينقعهم من عطشها.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ وهو صديد أهل النّار ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي وافق عذاب النار الشرك لأنّهما عظيمان ولا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار عن مقاتل؛ وقيل: جوزوا جزاءً وفق أعمالهم، عن ابن عبّاس.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا﴾ أي فعلنا ذلك بهم لأنّهم كانوا لا يخافون أن يحاسبوا ولا يؤمنون بالبعث.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي بما جاءت به الأنبياء؛ وقيل: بالقرآن: وقيل: بحجج الله ولم يصدّقوا بها ﴿كِذَّابًا﴾ أي تكذيباً.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ أي كلّ شيء من الأعمال بيّنّاه في اللوح المحفوظ؛ وقيل: أي كلّ شيء من أعمالهم حفظناه نجازيهم به.

﴿فَذُوقُوا﴾ أي فقيل لهؤلاء الكفّار: ذوقوا ما أنتم فيه من العذاب.

﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ لأن كلّ عذاب يأتي بعد الوقت الأوّل فهو زائد عليه.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥-١٧]

وفي قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ يعني أنّ هؤلاء الّذين وصفهم بالكفر والفجور محجوبون يوم القيامة عن رحمة ربّهم وإحسانه وكرامته؛ وقيل: ممنوعون عن رحمته، مدفوعون عن ثوابه، غير مقبولين ولامرضيّين؛ وقيل: محرومون عن ثوابه وكرامته، عن عليّ عليه السلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي أحرقوهم وعذّبوهم بالنار.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١١-١٣]

وفي قوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي ويتجنب الذكرى والموعظة ﴿الْأَشْقَى﴾ أي أشقى العصاة، وهو الّذي كفر بالله وبتوحيده، وعبد غيره.

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ أي يلزم أكبر النّيران وهي نار جهنم، والنّار الصغرى نار الدنيا؛ وقيل: النار الكبرى هي الّتي في الطبقة السفلى من جهنّم.

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة ينتفع بها، بل صار حياته وبالاً عليه يتمنّى زوالها، لما هو فيه معها من فنون العقاب وألوان العذاب.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٤-١٨]

وفي قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أي تتلهّب وتتوقّد ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ﴾ بآيات الله ورسله ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أي أعرض عن الإيمان.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي سيجنّب النار ويجعل منها على جانب ﴿الْأَتْقَى﴾ المبالغ في التقوى ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ أي ينفقه في سبيل الله ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ يطلب أن يكون عند الله زكيّاً لا يطلب بذلك رئاءً ولا سمعة.

قال القاضي: قوله: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ لا يدلّ على أنّه تعالى لا يدخل النار إلاّ الكافر على ما يقوله الخوارج وبعض المرجئة، وذلك لأنّه نكر النّار المذكورة ولم يعرّفها، فالمراد بذلك أنّ ناراً من جملة النّيران لا يصلها إلاّ من هذه حاله، والنّيران دركات على ما بيّنه سبحانه في سورة النّساء في شأن المنافقين، فمن أين عرف أنّ غير هذه النار لا يصلها قوم آخرون؟ وبعد فإنّ الظاهر من الآية يوجب أنّ لا يدخل النار إلاّ من كذّب وتولّى وجمع بين الأمرين، فلا بدّ للقوم من القول بخلافه لأنّهم يوجبون النّار لمن يتولّى عن كثير من الواجبات وإنّ لم يكذّب.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٥-١٨]

وفي قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي إنّ لم يمتنع أبو جهل عن تكذيب محمّد ﷺ وإيذائه ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ النون نون التأكيد الخفيفة اي لنجرّنّ بناصيته

إلى النار، وهذا كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾(١) ومعناه: لنذلّنه ونقيمنّه مقام الأذلّة، ففي الأخذ بالناصية إهانة واستخفاف؛ وقيل: معناه: لنغيّرّن وجهه ونسوّدنّه بالنار يوم القيامة، لأنّ السفع أثر الإحراق بالنار.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وصفها بالكذب والخطاء بمعنى أنّ صاحبها كاذب في أقواله خاطىء في أفعاله، لمّا ذكر الجرّ بها أضاف الفعل إليها.

قال ابن عبّاس: لمّا أتى أبو جهل رسول الله ﷺ انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: أتنتهرني يا محمد؟ فوالله لقد علمت ما بها - أي بمكة - أحد أكثر نادياً منّي، فأنزل الله سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ وهذا وعيد، أي فليدع أهل ناديه ومجلسه يعني عشيرته فلينتصر بهم إذا حلّ عقاب الله به ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ يعني الملائكة الموكّلين بالنار وهم الملائكة الغلاظ الشداد.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥-٧]

وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر والتباهي بالعزّ والكثرة، ثمّ استأنف سبحانه وعيدا آخر فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ على نيّة القسم يعني حين تبرّز الجحيم في القيامة قبل دخولهم إليها.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ يعني بعد الدخول إليها ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ كما يقال: حقّ اليقين، ومحض اليقين، معناه: ثمّ لترونّها بالمشاهدة إذا دخلتموها وعذّبتم بها.

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٤١.

ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: ٤-٩]

وفي قولة تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي ليطرحنّ من وصفناه في الحطمة، وهي اسم من أسماء جهنّم، قال مقاتل: وهي تحطم العظام وتأكل اللّحوم حتّى تهجم على القلوب. ثمّ قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ تفخيماً لأمرها، ثمّ فسّرها بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي المؤجّجة، أضافها سبحانه إلى نفسه ليعلم أنّها ليست كسائر النّيران، ثمَّ وصفها بالإيقاد على الدوام.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي تشرف على القلوب فتبلغها ألمها وحريقها؛ وقيل: معناه أنّ هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر خلاف نيران الدنيا.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ يعني إنّها على أهلها مطبقة تطبق أبوابها عليهم تأكيداً للأياس عن الخروج.

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ وهي جمع عمود، وقال أبو عبيدة: كلاهما جمع عماد، قال: وهي أوتاد الأطباق الّتي تطبق على أهل النّار.

وقال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم، ثمّ شدّت بأوتاد من حديد من نار حتّى يرجع عليهم غمّها وحرّها، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم روح؛ وقال الحسن: يعني عمد السرادق في قوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[1] فإذا مدّت تلك العمد أطبقت جهنّم على أهلها نعوذ بالله منها.

وقال الكلبيُّ: في عمد مثل السواري ممدودة مطوّلة تمدّد عليهم، وقال ابن عبّاس: هم في عمد أي في أغلال في أعناقهم يعذّبون بها.

وروى العيّاشيّ بإسناده عن محمّد بن النّعمان الأحول، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الكفّار والمشركين يعيّرون أهل التوحيد في النار، ويقولون: ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً، وما نحن وأنتم إلاّ سواء!

قال: فيأنف لهم الربّ تعالى فيقول للملائكة: اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله،

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

ثمّ يقول للنبيّين: اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ثمَّ يقول للمؤمنين: اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ويقول الله: أنا أرحم الراحمين، اخرجوا برحمتي فيخرجون كما يخرج الفراش[١]؛ قال: ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: ثمّ مدت العمد وأوصدت عليهم وكان والله الخلود[٢].

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٣-٥]

وفي قوله سبحانه: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي سيّدخل ناراً ذات قوّة واشتعال تلتهب عليه وهي نار جهنّم.

﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ وهي أم جميل بنت حرب أُخت أبي سفيان ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ كانت تحمل الشوك والغضا[٣] فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج إلى الصّلاة؛ وقيل: معناه حمّالة الخطايا

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي في عنقها حبل من ليف، وإنّما وصفها بهذه الصفة تخسيساً لها وتحقيراً.

وقيل: حبل تكون له خشونة اللّيف، وحرارة النار، وثقل الحديد، يجعل في عنقها زيادة في عذابها.

وقيل: في عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون ذرّاعاً تدخل من فيها، وتخرج من دبرها، وتدار على عنقها في النار، عن ابن عبّاس وعروة بن الزبير؛ وسمّيت السلسلة مسداً لأنّها ممسودة أي مفتولة.

وقيل: إنهّا كانت لها قلاّدة فاخرة من جوهر فقالت: لأنفقنّها في عداوة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فتكون عذاباً في عنقها يوم القيامة، عن سعيد بن المسيّب.

---

(١) الفراش جمع الفراشة، وهي طائر صغير يتهافت على السراج فيحترق، تسمى بالفارسية «بروانه».

(٢) البحار: ج ٨، ص ٢٧٣ - ٢٧٩.

(٣) الغضا: شجر من الأثل خشبه من اصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفىء، الواحدة منه «غضاة».

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]

وفي قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ الفلق: الصبح لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام؛ وقيل: الفلق: المواليد، لأنّهم ينفلقون بالخروج من أصلاب الآباء وأرحام الأُمّهات.

وقيل: جبّ في جهنّم يتعوّذ أهل جهنّم من شدّة حرّه، عن السدّيّ؛ ورواه أبو حمزة الثماليّ وعليّ بن إبراهيم في تفسيريهما.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: يابن رسول الله خوّفني فإنّ قلبي قد قسا.

فقال: يا أبا محمّد استعدّ للحياة الطويلة، فإنّ جبرئيل جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسّم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً.

فقال: يا محمّد قد وضعت منافخ النّار.

فقال: وما منافخ النار يا جبرئيل؟

فقال: يا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتّى ابيضّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى احمرّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة، لو أنّ قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أنّ حلقة واحدة من السلسلة الّتي طولها سبعون ذراعا وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها، ولو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النار علّق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه.

قال: فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل، فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: إنّ ربّكما يقرؤكما السلام ويقول: قد أمنتكما إن تذنبا ذنباً أُعذّبكما عليه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل متبسّماً بعد ذلك، ثمّ قال: إنّ أهل النار يعظّمون النار وإنّ أهل الجنّة يعظّمون الجنّة والنعيم، وإنّ جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد

وأُعيدوا في دركها فهذه حالهم، وهو قول الله عزّوجلّ : ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[1] ثمّ تبدّل جلودهم غير الجلود الّتي كانت عليهم.

قال أبو عبد الله عليه السلام : حسبك؟ قلت: حسبي حسبي[2].

عن الصّادق جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربعة يؤذون أهل النّار على ما بهم من الأذى، يسقون من الحميم في الجحيم ينادون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ فرجلٌ معلّق في تابوت من جمر، ورجل يجرّ أمعاؤه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه؛ فقيل لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على مابنا من الاذى؟

فيقول: إنّ الأبعد قد مات وفي عنقه أموال النّاس لم يجد لها في نفسه أداءً ولا وفاءً.

ثمَّ يقال للّذي يجرّ أمعاؤه: ما بال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى؟

فيقول: إنّ الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده.

ثمّ يقال للّذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنّ الأبعد كان يحاكي فينظر إلى كلّ كلمة خبيثة فيسندها ويحاكي بها.

ثمّ يقال للّذي كان يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنّميمة[3].

عن عمرو بن ثابت، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: إنّ أهل النّار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب ممّا يلقون من أليم (ألم خ ل) العذاب، فما ظنّك ياعمرو بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من

(١) سورة الحج، الآية: ٢٢.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٤٣٧-٤٣٨. البحار: ج ٨، ص ٢٨٠، باب ٢٤، ح ١.

(٣) ثواب الأعمال: ص ٢٣٩-٢٤٠. أمالي الصدوق: ص ٣٤٦. البحار: ج ٨، ص ٢٨٠-٢٨١، باب ٢٤، ح ٣.

عذابها، عطاش فيها، جياع، كليلة أبصارهم، صمّ بكم عمي، مسودّة وجوههم، خاسئين فيها نادمين، مغضوب عليهم، فلا يرحمون من العذاب، ولا يخفّف عنهم وفي النّار يسجرون ومن الحميم يشربون، ومن الزقّوم يأكلون، وبكلاليب[(١)] النار يحطمون، وبالمقامع يضربون، والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون؟ فهم في النّار يسحبون على وجوههم، مع الشياطين يقرنون، وفي الأنكال والأغلال يصفّدون، إن دعوا لم يستجب لهم، وإن سألوا حاجة لم تقض لهم، هذه حال من دخل النار[(٢)].

عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنّ عبداً مكث في النّار سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة.

قال: ثمّ إنّه سأل الله عزّ وجلّ: بحق محمّد وأهل بيته لمّا رحمتني.

قال: فأوحى الله جلّ جلاله إلى جبرئيل عليه السلام: أن اهبط إلى عبدي فأخرجه.

قال: يا ربّ وكيف لي بالهبوط في النار؟

قال: إنّي قد أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً.

قال: يا ربّ فما علمي بموضعه؟

قال: إنّه في جبّ من سجّين.

قال: فهبط في النّار فوجده وهو معقول على وجهه فأخرجه.

فقال عزّ وجلّ: ياعبدي كم لبثت تناشدني في النّار؟

قال: ما أُحصيه يارب.

قال: أمّا وعزّتي لولا ما سألتني به لأطلت هوانك في النّار، ولكنّه حتم على نفسي أن لا يسألني عبد بحقّ محمّد وأهل بيته إلاّ غفرت له ما كان بيني وبينه، وقد غفرت لك اليوم[(٣)].

---

(١) الكلاليب جمع الكلاب والكلوب: حديدة معطوفة الرأس يجر بها الجمر.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٣٢٢-٣٢٣. البحار: ج ٨، ص ٢٨١-٢٨٢، باب ٢٤، ح ٣.

(٣) أمالي الصدوق: ص ٣٩٨. البحار: ج ٨، ص ٢٨٢، باب ٢٤، ح ٤.

الغضائريّ بإسناده عن شريح القاضي، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له طويلة: حتّى تشقّ عن القبور، وتبعث إلى النّشور، فإن ختم لك بالسعادة صرت إلى الحبور، وأنت ملك مطاع، وآمن لا تراع، يطوف عليكم ولدان كأنّهم الجمان بكأس من معين بيضاء لذّة للشاربين، أهل الجنّة فيها يتنعّمون، وأهل النار فيها يعذّبون، هؤلاء في السندس والحرير يتبخترون، وهؤلاء في الجحيم والسعير يتقلّبون، هؤلاء تحشى جماجمهم بمسك الجنان، وهؤلاء يضربون بمقامع النّيران، هؤلاء يعانقون الحور في الحجال، وهؤلاء يطوّقون أطواقاً في النّار بالأغلال، فله فزع قد أعيا الأطباء، وبه داء لا يقبل الدواء[١].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا اشتدّ الحرّ فأبردوا بالصلاة، فإنّ الحرّ من فيح جهنّم، واشتكت النّار إلى ربّها فأذن لها في نفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف فشدّة ما يجدون من الحرّ من فيحها وما يجدون من البرد من زمهريرها[٢].

عن الهرويّ قال: قلت للرضا عليه السلام: أخبرني عن الجنّة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟

فقال: نعم، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النار لمّا عرج به إلى السّماء.

قال: فقلت له: فإنّ قوماً يقولون: إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين.

فقال عليه السلام: ما أُولئك منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنار فقد كذّب النبيّ صلى الله عليه وآله وكذّبنا، وليس من ولايتنا على شيء، وخلّد في نار جهنّم.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾[٣] الخبر[٤].

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٢٨٣، باب ٢٤، ح ٥. وأمالي الطوسي.

(٢) علل الشرائع: ص ٩٣، البحار: ج ٨، ص ٢٨٣، باب ٢٤، ح ٦.

(٣) سورة الرحمن، الآيتان: ٤٣-٤٤.

(٤) التوحيد: ص ١٠٥-١٠٦. وعيون أخبار الرضا: ص ٦٥، وأمالي الصدوق: ص ٢٧٦. البحار: ج ٨، ص ٢٨٣-٢٨٤، باب ٢٤، ح ٨.

عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أُسري به لم يمرّ بخلق من خلق الله إلاّ رأى منه مايحبّ من البشر واللّطف والسرور به، حتّى مرّ بخلق من خلق الله فلم يلتفت إليه ولم يقل له شيئاً فوجده قاطباً عابساً، فقال: ياجبرئيل ما مررت بخلق من خلق الله إلاّ رأيت البشر واللّطف والسرور منه إلاّ هذا، فمَن هذا؟

قال: هذا مالك خازن النار، هكذا خلقه ربّه، قال: فإنّي أُحب أن تطلب إليه أن يريني النار.

فقال له جبرئيل عليه السلام: إنّ هذا محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سألني أن أطلب إليك أن تريه النار.

قال: فأخرج له عنقاً منها فرآها فلمّا أبصرها لم يكن ضاحكاً حتّى قبضه الله عزّ وجلّ [(١)].

عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: والله ماخلت الجنّة من أرواح المؤمنين منذ خلقها، ولا خلت النّار من أرواح الكفّار والعصاة منذ خلقها عزّ وجلّ، الخبر[(٢)].

عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: تكلّم النار يوم القيامة ثلاثة: أميراً، وقارئاً، وذا ثروة من المال.

فتقول للأمير: يامن وهب الله له سلطاناً فلم يعدل فتزدرده كما يزدرد الطير حبّ السمسم.

وتقول للقاري: يا من تزّين للناس وبارز الله بالمعاصي فتزدرده.

وتقول للغنيّ: يا من وهب الله له دنياً كثيرةً واسعةً فيضاً وسأله الحقير اليسير قرضاً فأبى إلاّ بخلاً فتزدرده[(٣)].

عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: قدم يهوديّان فسألا أمير المؤمنين عليه السلام فقالا: أين تكون الجنّة؟ وأين تكون النّار؟

---

(١) أمالي الصدوق: ص ٣٥٧. البحار: ج ٨، ص ٢٨٤، باب ٢٤، ح ٩.

(٢) الخصال: ج ٢، ص ١١. البحار: ص ٢٨٤، باب ٢٤، ح ١٠.

(٣) الخصال: ج ١، ص ٥٥. البحار: ج ٨، ص ٢٨٥، باب ٢٤، ح ١٢.

قال: أمّا الجنّة ففي السّماء، وأمّا النّار ففي الأرض؛ الخبر[١].

في خبر الشامي أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن شرّ واد على وجه الأرض.

فقال: واد باليمن يقال له برهوت، وهو من أودية جهنّم؛ وسأله عن كلام أهل الجنّة، فقال: كلام أهل الجنّة بالعربيّة؛ وسأله عن كلام أهل النّار.

فقال: بالمجوسيّة[٢] [٣].

في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصرفي وصف النار: قعرها بعيد، وحرها شديد، وشرابها صديد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، لا يفتّر عذابها، ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع لأهلها دعوة؛ الخبر[٤].

عن معاوية بن وهب قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقرأ رجل قل أعوذ بربّ الفلق، فقال: الرجل: وما الفلق؟

قال: صدع[٥] في النار سبعون ألف دار في كلّ دار سبعون ألف بيت، في كلّ بيت سبعون ألف أسود، في جوف كلّ أسود سبعون ألف جرّة سمّ، لابدّ لأهل النار أن يمرّوا عليها[٦].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً إلاّ جعل له في الجنّة منزلاً وفي النار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنّة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنّة اشرفوا، فيشرفون عل النار وترفع لهم منازلهم فيها.

ثمّ يقال لهم: هذه منازلكم الّتي لو عصيتم الله دخلتموها.

قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً، لما صرف عنهم من العذاب.

---

(١) الخصال: ج ٢، ص ١٤٧. البحار: ج ٨، ص ٢٨٦، باب ٢٤، ح ١٣.

(٢) قوله عليه السلام: وهو من أودية جهنّم أي تشبهها، أو تحاذيها، أو ستصير منها، أو هي جهنّم لأرواح الكفّار في البرزخ كما مرّ

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ١٣٥-١٣٦. البحار: ج ٨، ص ٢٨٦، باب ٢٤، ح ١٤.

(٤) أمالي الطوسي: ص ١٨. البحار: ج ٨، ص ٢٨٦، باب ٢٤، ح ١٦.

(٥) الصدع: الشق في شيء صلب.

(٦) معاني الأخبار: ص ٦٧. البحار: ج ٨، ص ٢٨٧، باب ٢٤، ح ١٧.

ثمَّ ينادي مناد: يا أهل النار ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنّة وما فيها من النعيم.

فيقال لهم: هذه منازلكم الّتي لو أطعتم ربّكم دخلتموها.

قال: فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النار حزناً، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء، ويورث هؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾[١] [٢].

قال علي بن إبراهيم في تفسيره: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٣].

فقيل لأبي عبد الله عليه السلام: كيف تبدّل جلودهم غيرها؟

فقال: أرأيت لو أخذت لبنة فكسرتها وصيّرتها تراباً ثمّ ضربتها في القالب أهي الّتي كانت؟ إنّما هي ذلك وحدث تغيّر (وجدت تغييراً خ ل) آخر والأصل واحد[٤].

القمي في تفسيره: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾[٥].

قال: يدخل في كلّ باب أهل ملّة، وللجنّة ثمانية أبواب. وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فوقوفهم على الصراط وأمّا ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ فبلغني - والله أعلم - أنَّ الله جعلها سبع دركات: أعلاها الجحيم يقوم أهلها على الصفا منها، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

والثانية: لظى نزّاعة للشوى، تدعو من أدبر وتولّى، وجمع فأوعى.

والثالثة: سقر لا تبقي ولا تذر، لوّاحة للبشر، عليها تسعة عشر.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٤٤٤-٤٤٥. البحار: ج ٨، ص ٢٨٧، باب ٢٤، ح ١٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ص ١٢٩. البحار: ج ٨، ص ٢٨٨، باب ٢٤، ح ٢٠.

(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٤٣-٤٤.

والرابعة: الحطمة، ومنها يثور شرر كالقصر، كالقصر، كأنّها جمالات صفر، تدقُّ كلّ من صار إليها مثل الكحل، فلا يموت الروح، كلّما صاروا مثل الكحل عادوا.

والخامسة: الهاوية فيها ملأ يدعون: يامالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيه صديد ماء يسيل من جلودهم كأنّه مهل، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدّة حرّها، وهو قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1] ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار، كلّما احترق جلده بدّل جلداً غيره.

والسادسة: هي السعير فيها ثلاث مائة سرادق من نار، في كلّ سرادق ثلاث مائة قصر من نار، في كلّ قصر ثلاث مائة بيت من نار، في كلّ بيت ثلاث مائة لون من عذاب النار، فيها حيّات من نار، وعقارب من نار، وجوامع من نار، وسلاسل من نار وأغلال من نار وهو الّذي يقول الله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾[2].

والسابعة: جهنّم، وفيها الفلق وهو جبّ في جهنّم إذا فتح أسعر النار سعراً، وهو أشدّ النار عذاباً، وأمّا صعوداً فجبل من صفر من نار وسط جهنّم؛ وأمّا أثاماً فهو واد من صفر مذاب يجري حول الجبل فهو أشدّ النّار عذاباً[3].

عن هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام في خبر المعراج قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله سمعت صوتاً أفزعني.

فقال لي جبرئيل: أتسمع يا محمّد؟

قلت: نعم.

قال: هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنّم منذ سبعين عاماً فهذا حين استقرّت قالوا: فما ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قبض.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٤.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٣٥١-٣٥٢. البحار: ج ٨، ص ٢٨٩-٢٩٠، باب ٢٤، ح ٢٧.

قال: فصعد جبرئيل وصعدت حتّى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلاّ وهو ضاحك مستبشر حتّى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقاً منه، كريه المنظر، ظاهر الغضب، فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلاّ أنّه لم يضحك ولم أر فيه من الاستبشار ما رأيت ممّن ضحك من الملائكة.

فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فإنّي قد فزعت منه.

فقال: يجوز أن تفزع منه فكلّنا يفزع منه، إنّ هذا مالك خازن النار لم يضحك قطّ، ولم يزل منذ ولاّه الله جهنّم يزداد كلّ يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم، ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنّه لا يضحك؛ فسلّمت عليه فردّ السلام عليّ وبشّرني بالجنّة، فقلت لجبرئيل - وجبرئيل: بالمكان الّذي وصفه الله: مطاع ثَمَّ أمين - ألا تأمره أنّ يريني النار؟

فقال له جبرئيل: يا مالك أر محمّداً النّار، فكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها فخرج منها لهب ساطع في السماء وفارت وارتفعت حتّى ظننت ليتناولني ممّا رأيت.

فقلت: يا جبرئيل قل له: فليردّ عليها غطاءها، فأمرها فقال لها: ارجعي، فرجعت إلى مكانها الّذي خرجت منه؛ الخبر(١).

عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾(٢) يريد أُوقدت للكافرين، والجحيم النار الأعلى من جهنّم، والجحيم في كلام العرب ما عظم من النار، كقوله عزّوجلّ: ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾(٣) يريد النّار العظيمة(٤).

عن منصور بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ في النار لناراً تتعوّذ منها أهل النار، ما خلقت إلاّ لكلّ متكبّر جبّار عنيد ولكلّ شيطان مريد، ولكلّ متكبّر لا

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٣٦٩-٣٧٠. البحار: ج ٨، ص ٢٩١، باب ٢٤، ح ٣٠.
(٢) سورة التكوير، الآية: ١٢.
(٣) سورة الصافات، الآية: ٩٧.
(٤) تفسير علي بن إبراهيم، ص ٧١٣-٧١٤. البحار: ج ٨، ص ٢٩٤، باب ٢٤، ح ٤١.

يؤمن بيوم الحساب، وكلّ ناصب لآل محمّد وقال: إنّ أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار، عليه نعلان من نار، وشراً كان من نار، يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أنّ في النار أحداً أشدُّ عذاباً منه، وما في النار أحد أهون عذاباً منه[1].

عن هشام بن الحكم قال: قال الزنديق للصادق عليه السلام: أخبرني أوليس في النار مقنع أن يعذّب خلقه بها دون الحيّات والعقارب؟ قال: إنّما يعذّب بها قوماً زعموا أنّها ليست من خلقه[2]، إنّما شريكه الّذي يخلقه فيسلّط الله عليهم العقارب والحيّات في النار ليذيقهم بها وبال ما كانوا عليه فجحدوا أنّ يكون صنعه؛ الخبر[3].

عن عليّ بن يقطين، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل مؤمن وكان له جار كافر فكان يرفق بالمؤمن ويولّيه المعروف في الدنيا، فلمّا أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين، فكان يقيه حرّها، ويأتيه الرزق من غيرها، وقيل له: هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق وتولّيه من المعروف في الدنيا[4] [5].

عن ميسّر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ في جهنّم لجبلاً يقال له الصعدى، وإنّ في الصعدى لوادياً يقال له سقر، وإنّ في سقر لجبّاً يقال له هبهب، كلّما كشف غطاء ذلك الجبّ ضجّ أهل النّار من حرّه، وذلك منازل الجبّارين[6].

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٥٨٥. البحار: ج ٨، ص ٢٩٥، باب ٢٤، ح ٤٤.

(٢) لعله عليه السلام بيّن بعض الحكم في خلقها على قدر فهم السائل، ويكون الحصر إضافياً، وإلا فيظهر من أكثر الأخبار أنّ غيرهم أيضاً يعذّبون بها.

(٣) الإحتجاج: ص ١٩٢. البحار: ج ٨، ص ٢٩٦، باب ٢٤، ح ٤٧.

(٤) هذا الخبر الحسن الذي لا يقصر عن الصحيح يدلّ على أن بعض أهل النار من الكفّار يرفع عنهم العذاب لبعض أعمالهم الحسنة، فلا يبعد أن يخصّص الآيات الدالة على كونهم معذبين فيها لا يخفف عنهم العذاب، لتأيده بأخبار أُخر سيأتي بعضها؛ ويمكن أن يقال: كونهم في النار أيضاً عذاب لهم وإن لم يؤذهم، وهذا لا يخفّف عنهم، ويحتمل أن يكون لهم فيها نوع من العذاب غير الاحتراق بالنار كالتخويف به مثلاً.

(٥) ثواب الأعمال: ص ١٦٣-١٦٤. البحار: ج ٨، ص ٢٩٦-٢٩٧، باب ٢٤، ح ٤٨.

(٦) ثواب الأعمال: ص ٢٦٣-٢٦٤. البحار: ج ٨، ص ٢٩٧، باب ٢٤، ح ٤٩.

عن أبي بصير قال: يؤتى بجهنّم لها سبعة أبواب:

بابها الأوّل: للظالم وهو زريق.

وبابها الثاني: لحبتر.

والباب الثالث: للثالث.

والرابع: لمعاوية.

والباب الخامس: لعبد الملك.

والباب السّادس: لعسكر بن هوسر.

والباب السابع: لأبي سلامة؛ فهم (فهي خ ل) أبواب لمن اتّبعهم[(١)] [(٢)].

عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أهل النّار لمّا غلى الزقّوم والضريع في بطونهم كغلي الحميم سألوا الشراب فأتوا بشراب غسّاق وصديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بميّت ومن ورائه عذاب غليظ، وحميم يغلي في جهنّم منذ خلقت كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً[(٣)].

وعنه عليه السلام في قول الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[(٤)] قال: تبدّل خبزة بيضاء نقيّة يأكل الناس منها حتّى يفرغ من الحساب، قال له قائل: إنّهم يومئذٍ لفي شغل عن الأكل والشرب، فقال له: ابن آدم خلق أجوف لابدّ له من الطعام

---

(١) الزريق كناية عن أبي بكر لأن العرب يتشأم بزرقة العين. والحبتر هو عمر، والحبتر هو الثعلب، ولعله إنما كني عنه لحيلته ومكره؛ وفي غيره من الأخبار وقع بالعكس وهو أظهر إذا الحبتر بالأول أنسب، ويمكن أن يكون هنا أيضاً المراد ذلك، وإنما قدّم الثاني لأنه أشقى وأفظّ وأغلظ. وعسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بني أُميّة أو بني العبّاس، وكذا أبي سلامة، ولا يبعد أن يكون أبو سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقيّ، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل إذ كان اسم جمل عائشة عسكراً، وروي أنه كان شيطاناً.

(٢) البحار: ج ٨، ص ٣٠١، باب ٢٤، ح ٥٧. وتفسير العياشي.

(٣) البحار: ج ٨، ص ٣٠٢، باب ٢٤، ح ٥٨. وتفسير العياشي.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٨.

والشراب، أهم أشدّ شغلاً أم من في النار؟ قد استغاثوا قال الله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾[١] [٢].

من كتاب زهد النبيّ ﷺ عن أبي جعفر أحمد القميّ، عن عليّ عليه السلام أنّ النبيّ ﷺ قال: والّذي نفس محمّد بيده لو أنّ قطرة من الزقّوم قطرت على جبال الأرض لساخت إلى أسفل سبع أرضين ولما أطاقته، فكيف بمن هو شرابه؟

والّذي نفسي بيده لو أنّ مقماعاً واحداً ممّا ذكره الله في كتابه وضع على جبال الأرض لساخت إلى أسفل سبع أرضين ولما أطاقته فكيف بمن يقع عليه يوم القيامة في النار[٣]؟.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: واعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار، فارحموا نفوسكم فإنّكم قد جرّبتموها في مصائب الدنيا، فرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه، فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان؟

أعلمتم أنّ مالكاً إذا غضب على النّار حطم بعضها بعضاً لغضبه؟

وإذا زجرها توثّبت بين أبوابها جزعاً من زجرته؟

أيّها اليفن الكبير الّذي قد لهزه القتير كيف أنت إذا التحمت أطواق النار بعظام الأعناق، ونشبت الجوامع حتّى أكلت لحوم السواعد؟

فالله الله معشر العباد وأنتم سالمون في الصحّة قبل السقم، وفي الفسحة قبل الضّيق، فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أنّ تغلق رهائنها[٤].

بالإسناد إلى المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم صلوات الله عليهم - وساق الحديث

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) البحار: ج ٨، ص ٣٠٢، باب ٢٤، ح ٦٠. عن تفسير العياشي.

(٣) البحار: ج ٨، ص ٣٠٢، باب ٢٤، ح ٦١. والدروع الواقية.

(٤) البحار: ج ٨، ص ٣٠٦=٣٠٧١، باب ٢٤، ح ٦٨. ونهج البلاغة. وتنبيه الخاطر.

في قصّة آدم وحواء إلى أن قال -: قالا: ربّنا فأرنا ظالميهم في نارك حتّى نراها كما رأينا منزلتهم في جنّتك، فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النكال والعذاب.

وقال الله عزّوجلّ: مكان الظالمين لهم المدّعين لمنزلتهم في أسفل درك منها، كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها؛ الحديث[1].

عن عبد العظيم الحسنيّ، عن محمّد بن عليّ، عن أبيه الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين قال: دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلّى الله عليه وآله، فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟

فقال: يا عليّ ليلة أُسري بي إلى السماء رأيت نساء من أُمّتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهنّ فبكيت لمّا رأيت من شدّة عذابهنّ، ور أيت امرأة معلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها؛ ورأيت امرأة معلّقة بلسانها والحميم يصبّ في حلقها؛ ورأيت امرأة معلّقة بثديها، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها؛ ورأيت امرأة قد شدّ رجلاها إلى يديها وقد سلّط عليها الحيّات والعقارب؛ ورأيت امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار، يخرج دماغ رأسها من منخرها، وبدنها متقطّع من الجذام والبرص؛ ورأيت امرأة معلّقة برجليها في تنّور من نار؛ ورأيت امرأة تقطّع لحم جسدها من مقدّمها ومؤخّرها بمقاريض من نار؛ ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعاءها؛ ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن الحمّار، وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على وصورة الكلب، والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.

فقالت فاطمة عليها السلام: حبيبي وقرّة عيني أخبرني ما كان عملهنّ وسيرتهنّ حتّى وضع الله عليهنّ هذا العذاب؟

فقال: يابنتي أمّا **المعلّقة بشعرها**: فإنّها كانت لا تغطي شعرها من الرجال.

---

(١) معاني الأخبار: ج ٣٧. البحار: ج ٨، ص ٣٠٨، باب ٢٤، ح ٧٤.

وأمّا المعلّقة بلسانها: فإنّها كانت تؤذي زوجها.

وأمّا المعلّقة بثديها: فانها كانت تمتنع من فراش زوجها.

وأمّا المعلّقة برجليها: فإنّها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها.

وأمّا الّتي كانت تأكل لحم جسدها: فإنّها كانت تزيّن بدنها للناس.

وأمّا التي شدّت يداها إلى رجليها وسلّط عليها الحيّات والعقارب: فإنّها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض، ولا تتنظّف، وكانت تستهين بالصلاة.

وأمّا العمياء الصمّاء الخرساء: فإنّها كانت تلد من الزناء فتعلّقه في عنق زوجها.

وأمّا الّتي تقرض لحمها بالمقاريض: فإنّها تعرض نفسها على الرجال.

وأمّا الّتي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها: فإنّها كانت قوّادة.

وأمّا الّتي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار: فإنّها كانت نمّامة كذّابة.

وأمّا الّتي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها: فإنّها كانت قينة نوّاحة حاسدة.

ثمّ قال عليه السلام: ويل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لأمرأة رضي عنها زوجها[1].

عن مسعدة بن زياد، عن الصّادق، عن أبائه عليهم السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال: إنّ في جهنّم رحىً تطحن خمساً، أفلا تسألوني ما طحنها؟

فقيل له: وما طحنها يا أمير المؤمنين؟

قال: العلماء الفجرة؛ والقرّاء الفسقة؛ والجبابرة الظلمة؛ والوزراء الخونة؛ والعرفاء الكذبة؛ وإنّ في النّار لمدينة يقال لها الحصينة، فلا تسألوني ما فيها؟

فقيل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ١٨٤-١٨٥. البحار: ج ٨، ص ٣٠٩-٣١٠، باب ٢٤، ح ٧٥.

فقال: فيها أيدي الناكثين[١].

عن ابن سدير، عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر: أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه، ونمرود الّذي حاجَّ إبراهيم في ربّه، واثنان في بني إسرائيل هوّداً قومهم ونصّراهم، وفرعون الّذي قال: أنا ربّكم الأعلى، واثنان من هذه الأُمّة أحدهما شرّهما في تابوت من قوارير تحت الفلق في بحار من نار[٢].

عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفة وبين يديَّ قنبر، فإذا إبليس قد أقبل، فقلت: بئس الشيخ أنت.

فقال: لمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله لأُحدّثنك بحديث عنّي عن الله عزّ وجلّ ما بيننا ثالث: إنّه لمّا هبطت بخطيئتي إلى السماء الرابعة ناديت: إلهي وسيّدي ما أحسبك خلقت خلقاً هو أشقى منّي.

فأوحى الله تعالى إليّ: بلى قد خلقت من هو أشقى منك، فانطلق إلى مالك يريكه، فانطلقت إلى مالك فقلت: السلام يقرء عليك السلام ويقول: أرني من هو أشقى منّي؛ فانطلق بي مالك إلى النار فرفع الطبق الأعلى فخرجت نار سوداء ظننت أنّها قد أكلتني وأكلت مالكاً فقال لها: اهدئي فهدأت، ثمّ انطلق بي إلى الطبق الثاني فخرجت نار هي أشدّ من تلك سواداً وأشدّ حمّى، فقال لها: اخمدي فخمدت إلى أنّ انطلق بي إلى السابع، وكلُّ نار تخرج من طبق هي أشدّ من الأولى، فخرجت نارظننت أنّها قد أكلتني وأكلت مالكاً وجميع ما خلقه الله عزّ وجلّ، فوضعت يديَّ على عيني وقلت: مرها يامالك تخمد وإلاّ خمدت.

فقال: إنّك لن تخمد إلى الوقت المعلوم، فأمرها فخمدت، فرأيت رجلين في أعناقهما سلاسل النيران معلّقين بها إلى فوق. وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها، فقلت: يامالك: من هذان؟

(١) الخصال: ج ٢، ص ١٤٢. البحار: ج ٨، ص ٣١١، باب ٢٤، ح ٧٨.
(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٠٧. البحار: ج ٨، ص ٣١٣، باب ٢٤، ح ٨٣.

فقال: أوما قرأت على ساق العرش - وكنت قبل قرأته قبل أنّ يخلق الله الدنيا بألفي عام -: «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، أيّدته ونصرته بعليّ».

فقال: هذان عدوّاً أولئك وظالماهم(١).

عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا أراد الله قبض الكافر قال: يا ملك الموت انطلق أنت وأعوانك إلى عدوّي فإنّي قد أبليته فأحسنت البلاء، ودعوته إلى دار السلام فأبى إلاّ أن يشتمني، وكفربي وبنعمتي وشتمني على عرشي، فاقبض روحه حتّى تكبّه في النار.

قال: فيجيئه ملك الموت بوجه كريه كالح، عيناه كالبرق الخاطف، وصوته كالرعد القاصف، لونه كقطع اللّيل المظلم، نفسه كلهب النار رأسه في السماء الدنيا، ورجل في المشرق، ورجل في المغرب، وقدماه في الهواء، معه سفّود كثير الشعب، معه خمسمائة ملك أعواناً، معهم سياط من قلب جهنّم تلتهب تلك السيّاط وهي من لهب جهنّم، ومعهم مسح أسود وجمرة من جمر جهنّم، ثمّ يدخل عليه ملك من خزّان جهنّم يقال له سحقطائيل، فيسقيه شربة من النار لايزال منها عطشاناً حتّى يدخل النار، فإذا نظر إلى ملك الموت شخص بصره وطار عقله قال: يا ملك الموت ارجعون.

قال: فيقول ملك الموت: كلاّ إنّها كلمة هو قائلها.

قال: فيقول: يا ملك الموت فإلى من أدع مالي وأهلي وولدي وعشيرتي وما كنت فيه من الدنيا؟ فيقول: دعهم لغيرك واخرج إلى النار.

قال: فيضربه بالسفّود ضربة فلا يبقى منه شعبة إلاّ أنشبها في كلّ عرق ومفصل، ثمّ يجذبه جذبة فيسلُّ روحه من قدميه بسطاً، فإذا بلغت الركبتين أمر أعوانه فأكبّوا عليه بالسياط ضرباً، ثمّ يرفعه عنه فيذيقه سكراته وغمراته قبل خروجها كأنّما ضرب بألف سيف، فلو كان له قوّة الجنّ والإنس لاشتكى كلّ عرق منه على حياله بمنزلة سفّود(٢) كثير الشعب أُلقي على صوف مبتل ثمّ يطوفه

(١) البحار: ج ٨، ص ٣١٥-٣١٦. باب ٢٤، ح ٩٥. وكتاب الإختصاص.
(٢) السفود: حديدة يشوى عليها اللحم.

(يدار فيه ظ) فلم يأت على شيء إلاّ انتزعه، كذلك خروج نفس الكافر من عرق وعضو ومفصل وشعرة، فإذا بلغت الحلقوم ضربت الملائكة وجهه ودبره، وقيل: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[١] وذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[٢] فيقولون: حراماً عليكم الجنّة محرّماً.

وقال: يخرج روحه فيضعه ملك الموت بين مطرقة وسندان فيفضح أطراف أنامله وآخر ما يشدخ منه العينان، فيسطع لها ريح منتن يتأذّى منه أهل السماء كلّهم أجمعون.

فيقولون: لعنة الله عليها من روح كافرة منتنة خرجت من الدنيا، فيلعنه الله ويلعنه اللاّعنون، فإذا أُتي بروحه إلى السماء الدنيا أُغلقت عنه أبواب السماء، وذلك قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٣].

يقول الله: ردّوها عليه، فمنها خلقتهم، وفيها أُعيدهم، ومنها أُخرجهم تارة أُخرى، فإذا حمل على سريره حملت نعشه الشياطين، فإذا انتهوا به إلى قبره قالت كلّ بقعة منها: اللّهم لا تجعله في بطني، حتّى يوضع في الحفرة الّتي قضاها الله، فإذا وضع في لحده قالت له الأرض: لا مرحباً بك يا عدوّ الله، أما والله لقد كنت أبغضك وأنت على متني[٤]، وأنا لك اليوم أشدّ بغضاً وأنت في بطني، أما وعزّة ربّي لأُسيئنّ جوارك، ولأُضيقنّ مدخلك، ولأُوحشنّ مضجعك، ولأُبدّلن مطمعك، إنّما أنا روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران. ثمّ ينزل عليه منكر ونكير وهما ملكان أسودان أرزقان يبحثان القبر بأنيابهما، ويطآن في شعورهما، حدقتاهما مثل قدر النحّاس، وكلامهما مثل الرعد القاصف،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.
(٤) متن الأرض: ما ارتفع منها واستوى.

وأبصارهما مثل البرق اللاّمع فينتهرانه[1] ويصيحان به، فيتقلّص نفسه حتّى يبلغ حنجرته، فيقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ ومن إمامك؟

فيقول: لا أدري.

قال: فيقولان: شاكّ في الدنيا، وشاكّ اليوم، لا دريت ولا هديت، قال: فيضربانه ضربة فلا يبقى في المشرق ولا في المغرب شيء إلاّ سمع صيحته إلاّ الجنّ والإنس.

قال: فمن شدّة صيحته يلوذ الحيتان بالطين وينفر الوحش في الخياس[2]، ولكنّكم لا تعلمون.

قال: ثمّ يسلّط الله عليه حيّتين سوداوين رزقاوين يعذّبانه بالنهار خمس ساعات وباللّيل ستّ ساعات، لأنّه كان يستخفي من الناس ولا يستخفي من الله، فبعداً لقوم لا يؤمنون.

قال: ثمّ يسلّط الله عليه ملكين أصمّين أعمين (أعميين خ ل) معهما مطرقتان من حديد من نار يضربانه فلا يخطئانه (يخبطانه خ ل) ويصيح فلا يسمعانه إلى يوم القيامة، فإذا كانت صيحة القيامة اشتعل قبره ناراً فيقول: لي الويل إذا اشتعل قبري ناراً، فينادي مناد: ألا الويل قد دنا منك والهوان، قم من نيران القبر إلى نيران لا يطفأ، فيخرج من قبره مسودًّا وجهه مزرقة عيناه، قد طال خرطومه، وكسف باله، منكّساً رأسه، يسارق النّظر، فيأتيه عمله الخبيث فيقول: والله ما علمتك إلاّ كنت عن طاعة الله مبطئاً، وإلى معصيته مسرعاً، قد كنت تركبني في الدنيا فأنا أُريد أنّ أركبك اليوم كما كنت تركبني وأقودك إلى النار.

قال: ثمّ يستوي على منكبيه فرحل (فيركل ظ) قفاه حتّى ينتهي إلى عجزة جهنّم، فإذا نظر إلى الملائكة قد استعدّوا له بالسلاسل والأغلال قد عضّوا على شفاههم من الغيظ والغضب فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾[3] وينادي الجليل:

---

(١) أي فيزجرانه.
(٢) الخياس: الشجر الملتف. غابة الأسد.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ٢٥.

جيئوا به إلى النّار، فصارت الأرض تحته ناراً، والشمس فوقه ناراً، وجاءت نار فأحدقت بعنقه، فنادى وبكى طويلاً يقول: واعقباه قال: فتكلّمه النّار فتقول: أبعد الله عقبيك ممّا أعقبتا في طاعة الله قال ثمّ تجيء صحيفته تطير من خلف ظهره فتقع في شماله، ثمّ يأتيه ملك فيثقب (فيقلّب خ ل) صدره إلى ظهره، ثمّ يفتل شماله إلى خلف ظهره.

ثمّ يقال له: اقرء كتابك، قال: فيقول: أيّها الملك كيف أقرء وجهنّم أمامي؟

قال: فيقول الله دقّ عنقه، واكسر صلبه، وشدّ ناصيته إلى قدميه، ثمّ يقول: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[1].

قال: فيبتدره[2] لتعظيم قول الله سبعون ألف ملك غلاظ شداد، فمنهم من ينتف، لحيته، ومنهم من يحطم عظامه.

قال: فيقول: أمّا ترحموني؟

قال: فيقولون: يا شقيّ كيف نرحمك ولا يرحمك أرحم الرحمين؟! أفيؤذيك هذا؟

قال: فيقول: نعم أشدّ الأذى.

قال: فيقولون يا شقيّ وكيف لو قد طرحناك في النار؟

قال: فيدفعه الملك في صدره دفعة فيهوي سبعين ألف عام.

قال: فيقولون: «ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول».

قال: فيقرن معه حجر عن يمينه وشيطان عن يساره، حجر كبريت من نار يشتعل في وجهه، ويخلق الله له سبعين جلداً غلظه أربعون ذراعاً بذارع الملك الّذي يعذّبه، بين الجلد إلى الجلد أربعون ذراعاً، بين الجلد إلى الجلد حيّات وعقارب من نار وديدان من نار، رأسه مثل الجبل العظيم وفخذاه مثل جبل ورقان - وهو جبل بالمدينة - مشفره[3] أطول من مشفر الفيل فيسحبه[4] سحباً، وأذناه

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٣٠.

(٢) ابتدر القوم أمراً: بادر بعضهم بعضاً؛ إليه: أيهم يسبق إليه.

(٣) المشفر: الشفة. وأخص استعماله للبعير.

(٤) سحبه: جره على وجه الأرض.

عضوضان[١]، بينهما سرادق من نار تشتعل، قد أطلعت النّار من دبره على فؤاده فلا يبلغ دوين سائهما[٢] حتّى يبدّل له سبعون سلسلة، للسلسلة سبعون ذراعاً، ما بين الذراع حلق عدد القطر والمطر، لو وضعت حلقة منها على وبال الأرض لأذابتها.

قال: وعليه سبعون سربالاً من قطران من نار، ويغشى وجوههم النار (عليه ظ) قلنسوة من نار، وليس في جسده موضع فتر إلاّ وفيه حلية من نار، وفي رجليه قيود من نار، على رأسه تاج ستّون ذراعاً من نار، قدنقب رأسه ثلاث مائة وستّين نقباً يخرج من ذلك النقب الدخان من كلّ جانب، وغلى منها دماغه حتّى يجري على كتفيه، يسيل منها ثلاث مائة نهر وستّون نهراً من صديد، يضيق عليه منزله كما يضيق الرمح في الزجّ، فمن ضيق منازلهم عليهم ومن ريحها ومن شدّة سوادها وزفيرها وشهيقها وتغيّظها ونتنها اسودّت وجوههم وعظمت ديدانهم، فينبت لها أظفار السنّور والعقبان تأكل لحمه، وتقرض عظامه، وتشرب دمه، ليس لهنّ مأكل ولا مشرب غيره.

ثمّ يدفع في صدره دفعة فيهوي على رأسه سبعين ألف عام حتّى يواقع الحطمة، فإذا واقعها دقّت عليه وعلى شيطانه وجاذبه الشيطان بالسلسلة فكلّما رفع رأسه ونظر إلى قبح وجهه كلح في وجهه.

قال: فيقول: ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين، ويحك بما أغويتني، احمل عنّي من عذاب الله من شيء؛ فيقول: يا شقيّ كيف أحمل عنك من عذاب الله من شيء وأنا وأنت اليوم في العذاب مشتركون؟

ثمَّ يضرب على رأسه ضربة فيهوي سبعين ألف عام حتّى ينتهي إلى عين يقال لها آنية، يقول الله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾[٣] وهو عين ينتهي حرّها وطبخها، وأوقد عليها مذ خلق الله جهنّم كلّ أودية النّار تنام وتلك العين لا تنام من حرّها، ويقول الملائكة: يا معشر الأشقياء ادنوا فاشربوا منها، فإذا أعرضوا عنها

---

(١) العضوض: البئر: البعيدة القعر.
(٢) كذا وفي نسخة [درين سامهما] وفي تفسير البرهان «دوين بنيانهما».
(٣) سورة الغاشية، الآية: ٥.

ضربتهم الملائكة بالمقامع، وقيل لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾[١].

قال: ثمّ يؤتون بكأس من حديد فيه شربة من عين آنية، فإذا أُدني منهم تقلّصت شفاههم، وانتثر لحوم وجوههم، فإذا شربوا منها وصار في أجوافهم يصهر به ما في بطونهم والجلود، ثمّ يضرب على رأسه ضربة فيهوي سبعين ألف عام حتّى يواقع السّعير فإذا واقعها سّعرت في وجوههم، فعند ذلك غشيت أبصارهم من نفحها.

ثمّ يضرب على رأسه ضربة فيهوي سبعين ألف عام حتّى ينتهي إلى شجرة الزقّوم شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنّه رؤوس الشّياطين، عليها سبعون ألف غصن من نار، في كلّ غصن سبعون ألف ثمرة من نار، كلّ ثمرة كأنّها رأس الشّيطان قبحاً ونتناً، تنشب صخرة مملسة سوخاء[٢] كأنّها مرآة ذلقة، ما بين أصل الصّخرة إلى الصخرة (الشجرة خ ل) سبعون ألف عام، أغصانها يشرب من نار، وثمارها نار، وفرعها نار، فيقال له: يا شقيّ اصعد، فكلّما صعد زلق، وكلّما زلق صعد، فلا يزال كذلك سبعين ألف عام في العذاب، وإذا أكل منها ثمرة يجدها أمرَّ من الصبر، وأنتن من الجيف، وأشدّ من الحديد، فإذا واقعت بطنه غلت في بطنه كغلي الحميم، فيذكرون ما كانوا يأكلون في دار الدنيا من طيب الطعام فبيناهم كذلك إذ تجذبهم الملائكة فيهوون دهراً في ظلم متراكبة، فإذا استقرُّوا في النّار سمع لهم صوت كصيح السّمك على المقلى[٣]، أو كقضيب القصب، ثمّ يرمي بنفسه من الشّجرة في أودية مذابة من صفر من نار وأشدّ حرًّا من النّار، تغلي بهم الأودية، ترمي بهم في سواحلها، ولها سواحل كسواحل بحركم هذا، فأبعدهم منها باع، والثّاني ذرّاع، والثالث فتر[٤] فيحمل عليهم هوامّ النّار

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٨١-١٨٢.

(٢) السوخاء: الأرض التي تسيخ فيها الأرض أي ترسب ولعله أن صبحت هنا كناية عن زلق الأقدام إلى أسفل.

(٣) وعاء يقلى فيه الطعام.

(٤) الباع: قدر مد اليدين. والفتر تقدم معناه.

الحيّات والعقارب كأمثال البغال الدلم[١]، لكلّ عقرب ستّون فقاراً، في كلّ فقار قلّة من سمّ، وحيّات سود زرق أمثال البخاتيّ، فيتعلّق بالرجل سبعون ألف حيّة، وسبعون ألف عقرب، ثمّ كبّ في النّار سبعين ألف عام لا تحرقه قد اكتفى بسهمته (بسمّها ظ) ثمّ تعلّق على كلّ غصن من الزقّوم سبعون ألف رجل ما ينحني ولا ينكسر، فيدخل النّار من أدبارهم، فتطّلع على الأفئدة، تقلّص الشفاه، وتطيّر الجنان، وتنضج الجلود، وتذوب الشّحوم، ويغضب الحيّ القيّوم فيقول:

يا مالك قل لهم: ذوقوا فلن نزيدكم إلاّ عذاباً، يا مالك سعّر سعّر فقد اشتدّ غضبي على من شتمني على عرشي، واستخفّ بحقّي، وأنا الملك الجبّار.

فينادي مالك: يا أهل الضّلال والاستكبار والنّعمة في دار الدنيا كيف تجدون مسّ سقر؟

قال: فيقولون: قد أنضجت قلوبنا، وأكلت لحومنا، وحطمت عظامنا، فليس لنا مستغيث، ولا لنا معين.

قال: فيقول مالك: وعزّة ربّي لا أزيدكم إلاّ عذاباً.

فيقولون: إنّ عذّبنا ربّنا لم يظلمنا شيئاً.

قال: فيقول مالك: فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السّعير، يعني بعداً لأصحاب السّعير، ثمّ يغضب الجبّار فيقول: يا مالك سعّر سعّر، فيغضب مالك فيبعث عليهم سحابة سوداء يظلّ أهل النّار كلّهم، ثمّ يناديهم فيسمعها أوّلهم وآخرهم وأفضلهم وأدناهم، فيقول: ماذا تريدون أن أُمطركم؟

فيقولون: الماء البارد واعطشاه! واطول هواناه! فيمطرهم حجارة وكلاليباً وخطاطيفاً[٢] وغسليناً وديداناً من نار فينضج وجوههم وجباههم، ويغضا[٣] أبصارهم، ويحطم عظامهم، فعند ذلك ينادون: واثبوراه! فإذا بقيت العظام

---

(١) الدلم - بالضم-: جمع أدلم وهو الشديد السواد.

(٢) الكلاليب جمع الكلاب: حديدة معطوفة يعلق بها اللحم، يقال لها بالفارسية: قلاب. الخطاطيف جمع الخطاف: حديدة يختطف بها.

(٣) أي يظلم أبصارهم. وفي نسخة: يعمى أبصارهم.

عواري من اللّحوم اشتدّ غضب الله فيقول: يا مالك اسجرها عليهم كالحطب في النّار، ثمّ يضرب أمواجها أرواحهم سبعين خريفاً في النّار ثمّ يطبق عليهم أبوابها من الباب إلى الباب مسيرة خمسمائة عام، وغلظ الباب مسيرة خمسمائة عام، ثمّ يجعل كلّ رجل منهم في ثلاث توابيت من حديد من نار بعضها في بعض فلا يسمع لهم كلام أبداً إلاّ أنّ لهم فيها شهيق كشهيق البغال، وزفير مثل نهيق الحمير، وعواء[١] كعواء الكلاب، صمّ بكم عمّي فليس لهم فيها كلام إلاّ أنين، فيطبق عليهم أبوابها، ويسدّ (يمدّد خ ل) عليهم عمدها، فلا يدخل عليهم روح أبداً، ولا يخرج منهم الغمّ أبداً، فهي عليهم مؤصدة - يعني مطبقة - ليس لهم من الملائكة شافعون، ولا من أهل الجنّة صديق حميم، وينساهم الربّ ويمحو ذكرهم من قلوب العباد، فلا يذكرون أبداً[٢].

قال سيّد الساجدين صلوات الله عليه في الصّحيفة الكاملة فيما كان يدعون عليه السلام بعد صلاة اللّيل: اللّهم إنّي أعوذ بك من نار تغلّظت بها على من عصاك، وتوعّدت بها من صدف عن رضاك[٣]، ومن نارٍ نورها ظلمة، وهيّنها أليم، وبعيدها قريب، ومن نارٍ يأكل بعضها بعضٌ، ويصول بعضها على بعض[٤]، ومن نار تذر العظام رميماً، وتسقي أهلها حميماً، ومن نارٍ لا تبقي على من تضرّع إليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم إليها، تلقى سكّانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال، وشديد الوبال، وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها[٥]، وحيّاتها الصّالقة بأنيابها[٦]، وشرابها الّذي يقطّع أمعاء وأفئدة سكّانها وينزع قلوبهم، وأستهديك لما باعد منها وأخّر عنها؛ الدعاء[٧].

---

(١) كذا في الجمل الثلاثة.

(٢) الاختصاص: ص ٣٥٩-٣٦٤. البحار: ج ٨، ص ٣١٧-٣٢٣، باب ٢٤، ح ٩٩.

(٣) صدف عنه: أعرض عنه.

(٤) صال عليه: وثب.

(٥) فغر فاه: فتحه.

(٦) صلق نابه: حكه بالاخر فحدث بينهما صوت.

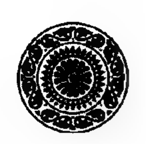
(٧) الصحيفة السجادية: مقطع من آخر دعاؤه عليه السلام، في صلاة الليل رقم الدعاء ٣٢. البحار: ج ٨، ص ٣٢٤، باب ٢٤، ح ١٠٠.

من عهد لإمام علي عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر: واحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرّها شديد، وعذابها جديد، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرّج فيها كربة(١).

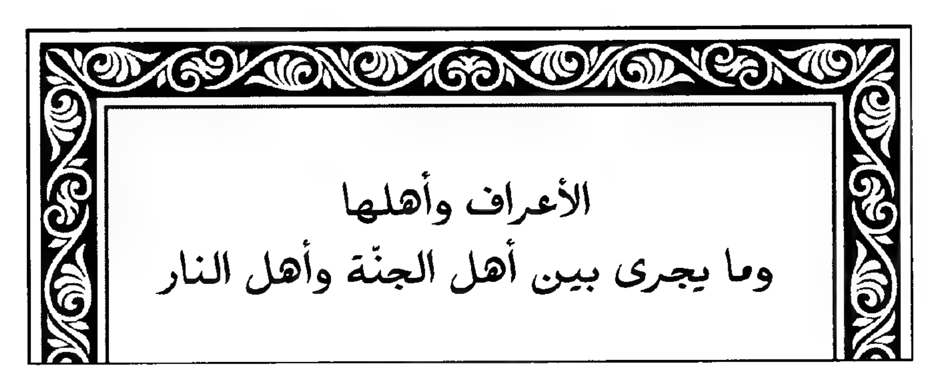
اعتقادات الصدوق: اعتقادنا في النار أنها دار الهوان، ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلّد فيها إلاّ أهل الكفر والشّرك، فأمّا المذنبون من أهل التّوحيد فإنّهم يخرجون منها بالرحمة الّتي تدركهم والشّفاعة الّتي تنالهم.

وروي أنّه لا يصيب أحداً من أهل التّوحيد ألم في النّار إذا دخلوها، وإنّما يصيبهم الآلام عند الخروج منها، فتكون تلك الآلام جزاءً بما كسبت أيديهم وما الله بظلاّم للعبيد. وأهل النّار هم المساكين حقّاً لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفّف عنهم من عذابها، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلاّ حميماً وغسّاقاً، وإن استطعموا أُطعموا من الزقّوم، وإن استغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً، ينادون من مكان بعيد: ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون، فيمسك الجواب عنهم أحياناً ثمّ قيل لهم: اخسؤوا فيها ولا تكلّمون، ونادوا: يا مالك ليقض علينا ربّك، قال: إنّكم ماكثون.

وروي أنّه يأمر الله عزّ وجلّ برجال إلى النّار فيقول لمالك: قل للنّار لا تحرقي لهم أقداماً فقد كانوا يمشون إلى المساجد، ولا تحرقي لهم أيدياً فقد كانوا يرفعونها إليّ بالدعاء ولا تحرقي لهم ألسنة فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن، ولا تحرقي لهم وجوهاً فقد كانوا يسبغون الوضوء؛ فيقول مالك: يا أشقياء فما كان حالكم؟ فيقولون: كنّا نعمل لغير الله، فقيل لنا: خذوا ثوابكم ممّن عملتم له(٢).



(١) البحار: ج ٨، ص ٣٢٤، باب ٢٤، ح ١٠١، ونهج البلاغة.
(٢) البحار: ج ٨، ص ٣٢٤-٣٢٥، باب ٢٤، ح ١٠٢. العقائد: ص ٩٠-٩١.



الأعراف وأهلها
وما يجرى بين أهل الجنّة وأهل النار

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ

نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣-٥١]

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أي وأخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنّة حتّى لا يحسد بعضهم بعضاً، وإن رآه أرفع درجة منه.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي هدانا للعمل الّذي استوجبنا به هذا الثّواب بأن دلّنا عليه وعرضنا له بتكليفه إيّانا؛ وقيل: هدانا لثبوت الإيمان في قلوبنا؛ وقيل: لنزع الغلّ من صدورنا؛ وقيل: هدانا لمجاوزة الصّراط ودخول الجنّة.

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾ لما يصيرنا إلى هذا النّعيم المقيم والثّواب العظيم.

﴿لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ هذا اعتراف من أهل الجنّة بنعمة الله سبحانه إليهم، ومنّه عليهم في دخول الجنّة على سبيل الشكر والتلذّذ بذلك: لأنّه لا تكليف هناك.

﴿وَنُودُوٓا۟﴾ أي وناديهم منّاد من جهة الله تعالى، ويجوز أن يكون ذلك خطاباً منه سبحانه لهم.

﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ أي أعطيتموها إرثاً وصارت إليكم كما يصير الميراث لأهله، أو جعلها الله سبحانه بدلاً لكم عمّا كان أعدّه للكفّار لو آمنوا.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أيّ توحّدون الله وتقومون بفرائضه.

﴿وَنَادَىٰٓ﴾ أي وسينادي ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب في كتبه وعلى ألسنة رسله.

﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ فهذا سؤال توبيخ وشماتة يزيد به سرور أهل الجنّة وحسرة أهل النّار.

﴿قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ﴾ أي نادى مناد بينهم أسمع الفريقين ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي غضب الله وأليم عقابه على الكافرين.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الطريق الّذي دلّ الله سبحانه على أنّه يؤدّي إلى الجنّة.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قال ابن عبّاس: معناه: يصلّون لغير الله، ويعظّمون ما لم يعظّمه الله؛ وقيل: يطلبون لها العوج بالشبّه الّتي يلبسون بها.

وروى أبو القاسم الحسكانيّ، بإسناده عن محمّد بن الحنفيّة، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: أنا ذلك المؤذّن.

وبإسناده عن أبي صالح، عن ابن عبّاس إنّ لعليّ في كتاب الله أسماءً لا تعرفها النّاس، قوله: فأذّن مؤذّن بينهم فهو المؤذّن بينهم يقول: ألا لعنة الله على الظالمين الّذين كذّبوا بولايتي واستخفّوا بحقّي[١].

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي بين الفريقين: أهل الجنّة وأهل النّار ستر، وهو الأعراف والأعراف: سور بين الجنّة والنّار، عن ابن عبّاس ومجاهد والسدّيّ.

وفي التنزيل: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ الآية؛ وقيل: الأعراف: شرف ذلك السور؛ وقيل الأعراف الصراط.

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ اختلف في المراد بالرجال هنا على أقوال:

فقيل: إنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النّار، وحالت سيّئاتهم بينهم وبين الجنّة فجعلوا هنالك حتّى يقضي الله فيهم ما شاء، ثمّ يدخلهم الجنّة، عن ابن عبّاس وابن مسعود.

وذكر أنّ بكر بن عبد الله المزنيّ قال للحسن: بلغني أنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فضرب الحسن يده على فخذه ثمّ قال: هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف أهل الجنّة والنّار يميّزون بعضهم من بعض، والله لا أدري لعلّ بعضهم معنا في هذا البيت.

وقيل: إنّ الأعراف موضع عال على الصّراط عليه حمزة والعبّاس وعليّ

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٣٣٠ - ٣٣١.

وجعفر يعرفون محبيّهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه عن الضحّاك عن ابن عبّاس؛ رواه الثعلبيُّ بالإسناد في تفسيره.

وقيل: إنّهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنّة والنّار، ويكونون خزنة الجنّة والنّار جميعاً، أو يكونون حفظة الأعمال الشاهدين بها في الآخرة، عن أبي محلز[1]؛ وقيل: إنّهم فضلاء المؤمنين، عن الحسن ومجاهد؛ وقيل: إنّهم الشّهداء وهم عدول الآخرة، عن الجبائيّ.

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: هم آل محمّد عليهم السلام لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النّار إلا من أنكرهم وأنكروه.

وقال أبو عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام: الأعراف كثبان بين الجنّة والنّار، فيوقف عليها كلّ نبيّ وكلُّ خليفة نبيّ مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، وقد سبق المحسنون إلى الجنّة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنّة، فيسلّم المذنبون عليهم، وذلك قوله: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾.

ثمّ أخبر سبحانه أنّهم لم يدخلوها وهم يطمعون، يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنّة وهم يطمعون أن يدخلهم الله إيّاها بشفاعة النبيّ والإمام، وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النّار ويقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثمّ ينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء أهل النّار مقرعين لهم: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ به.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ يعني أهؤلاء المستضعفين الّذين كنتم تحقّرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم، ثمّ يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

ويؤيّده ما رواه أبو القاسم الحسكانيّ بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند عليّ عليه السلام فأتاه ابن الكوّاء فسأله عن هذه الآية.

---

(١) هكذا في الكتاب، والصحيح: أبو مجلز بالجيم، والرجل هو لاحق بن حميد التابعي البصري.

فقال: ويحك يابن الكوّاء نحن نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنّار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النّار[١].

وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ يعني هؤلاء الرجال الّذين هم على الأعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم، يعرفون أهل الجنّة بسيماء المطيعين، وأهل النّار بسيماء العصاة.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ يعني هؤلاء الّذين على الأعراف ينادون أصحاب الجنة.

﴿أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا تسليم تهنئة وسرور بما وهب الله لهم.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي لم يدخلوا الجنّة بعد ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أن يدخلوها؛ قيل: إنّ الطمع ههنا طمع يقين مثل قول إبراهيم: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[٢].

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أي أبصار أهل الأعراف ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي إلى جهتهم فنظروا إليهم، وإنّما قال كذلك لأنّ نظرهم نظر عدواة فلا ينظرون إليهم إلاّ إذا صرفت وجوههم إليهم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تجمعنا وإيّاهم في النار. وروي أنّ في قراءة ابن مسعود وسالم: «وإذا قلبت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا عائذا بك أن تجعلنا مع القوم الظالمين» وري ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بصفاتهم يدعونهم بأساميهم وكناهم، ويسمّون رؤساء المشركين، عن ابن عبّاس؛ وقيل: بعلاماتهم الّتي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين؛ وقيل: بصورهم الّتي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا.

﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ الأموال والعدد في الدنيا.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي واستكباركم من عبادة الله تعالى وعن قبول الحقّ وقد كنّا نصحناكم فاشتغلتم بجمع الأموال وتكبّرتم فلم تقبلوا منّا، فأين ذلك المال؟

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٢.

وأين ذلك التكبّر؟ وقيل: معناه: مانفعكم جماعتكم الّتي استندتم إليها وتجبّركم عن الانقياد لأنبياء الله في الدنيا.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ أي حلفتم أنّهم لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنّة كذبتم، ثمّ يقولون لهؤلاء ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ أي لا خائفين ولا محزونين، على أكمل سرور وأتمّ كرامة، والمراد بهذا تقريع الّذين أزروا على ضعفاء المؤمنين[١] حتّى خلفوا أنّهم لا خير لهم عند الله.

وقد اضطربت أقوال المفسّرين في القائل لهذا القول، فقال الأكثرون: إنّه كلام أصحاب الأعراف؛ وقيل: هو كلام الله تعالى؛ وقيل: كلام الملائكة؛ والصّحيح ما ذكرناه لأنّه المرويّ عن الصادق عليه السلام.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ وهم المخلّدون فيها ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ أي صبّوا علينا من الماء نسكن به العطش، أو ندفع به حرّ النار.

﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي أعطاكم الله من الطعام ﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني أهل الجنّة جواباً لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

ويسأل فيقال: كيف يتنادى أهل الجنّة وأهل النار وأهل الجنّة في السماء على ماجاءت به الرواية وأهل النار في الأرض وبينهما أبعد الغايات من البعد؟ وأُجيب عن ذلك بأنّه يجوز أن يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع من السماع، ويجوز أنّ يقوّي الله أصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ أي أعدّوا دينهم الّذي أمرهم الله تعالى به اللهو واللّعب دون التديّن به؛ وقيل: اتّخذوا دينهم الّذي كان يلزمهم التديّن به والتجنّب من محظوراته لعباً ولهواً، فحرّموا ماشاؤوا واستحلّوا ماشاؤوا بشهواتهم.

﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ أي اغترّوا بها وبطول البقاء فيها، فكأنّ الدنيا غرتهم.

---

(١) أزرى عليه عمله: عاتبه أو عابه عليه.

﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ أي نتركهم في العذاب كما تركوا التأهّب والعمل للقاء هذا اليوم؛ وقيل: أي نعاملهم معاملة المنسيّ في النّار، فلا نجيب لهم دعوة، ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الإستدلال حتّى نسوا العلم وتعرّضوا للنسيان.

﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (ما) في الموضعين بمعنى المصدر وتقديره: كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لآياتنا، واختلف في هذه الآية فقيل: إنّ الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن أهل الجنّة وتمّ كلام أهل الجنّة عند قوله: ﴿حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقيل: إنّه من كلام أهل الجنّة إلى قوله: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ثمّ استأنف سبحانه الكلام بقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ انتهى كلامه رحمه الله (١).

قال العلامة المجلسي: الّذي يظهر لي من الآيات والأخبار هو أنّ الله تعالى بعد خرق السماوات وطيّها ينزل الجنّة والعرش قريباً من الأرض فيكون سقف الجنّة العرش، ولا يبعد أن يكون هذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وتتحوّل البحار نيراناً فيوضع الصراط من الأرض إلى الجنّة. والأعراف: درجات ومنازل بين الجنّة والنّار، وبهذا يندفع كثير من الأوهام، والاستبعادات الّتي تخطر في أذهان أقوام في كثير ممّا ورد في أحوال الجنّة والنّار، والصّراط ومرور الخلق عليه، ودخولهم الجنّة بعده، وإحضار العرش يوم القيامة وأمثالها، وبه يقلّ أيضاً الاستبعاد الّذي مرَّ في كلام السّائل وإن كان يحتاج إلى أحد الوجهين اللّذين ذكرهما أو مثلهما، ليرفع الاستبعاد رأساً والله يعلم.

سئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجنّ يدخلون الجنّة؟

فقال: لا، ولكنّ لله حظائر بين الجنّة والنّار يكون فيها مؤمنو الجنّ وفسّاق الشيعة(٢).

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٣٣٢ - ٣٣٤.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٦٢٤. البحار: ج ٨، ص ٣٣٥، باب ٢٥، ح ١.

عن بريد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأعراف كثبان بين الجنّة والنّار، والرجال: الأئمّة صلوات الله عليهم يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سبق المؤمنون إلى الجنّة بلا حساب.

فيقول الأئمّة لشيعتهم من أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في الجنّة قد سبقوا إليها بلا حساب وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[1].

ثمّ يقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النّار، وهو قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ في النّار ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

ثمّ يقول لمن في النّار من أعدائهم: هؤلاء شيعتي وإخواني الّذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا أن لا ينالهم الله برحمة.

ثمّ يقول الأئمّة لشيعتهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ثم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾[2] [3].

عن بريد العجليّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ﴾.

قال: أُنزلت في هذه الأمّة، والرجال هم الأئمّة من آل محمّد، قلت: فما الأعراف؟

قال: صراط بين الجنّة والنّار، فمن شفع له الأئمّة منّا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى[4].

عن سعد الإسكاف قال: قلت: لأبي جعفر عليه السلام قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٧-٥٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٧-٥٠.
(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٢١٦-٢١٧. البحار: ج ٨، ص ٢٣٥، باب ٢٥، ح ٢.
(٤) بصائر الدرجات: ص ١٤٥. البحار: ج ٨، ص ٣٣٥، باب ٢٥، ح ٣.

فقال: يا سعد إنّها أعراف لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، وأعراف لا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه، وأعراف لا يعرف الله إلاّ بسبيل معرفتهم، فلا سواء ما اعتصمت به المعتصمة، ومن ذهب مذهب النّاس، ذهب النّاس إلى عين كدرة يفرغ بعضها في بعض، ومن أتى آل محمّد أتى عيناً صافية تجري بعلم الله ليس لها نفاد ولا انقطاع، ذلك بأنّ الله لو شاء لأراهم شخصه حتّى يأتوه من بابه، لكنّ جعل الله محمّد وآل محمّد الأبواب الّتي يؤتى منها، وذلك قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾(١) (٢).

عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: أنا يعسوب المؤمنين، وأنا أوّل السابقين، وخليفة رسول ربّ العالمين، وأنا قسيم الجنّة والنار، وأنا صاحب الأعراف(٣).

عن الطيّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أيُّ شيء أصحاب الأعراف؟

قال: استوت الحسنات والسيّئات، فإن أدخلهم الله الجنّة فبرحمته، وإنّ عذّبهم لم يظلمهم(٤).

عن كرام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة أقبل سبع قباب من نور يواقيت خضر وبيض، في كلّ قبّة إمام دهره، قد حفّ به أهل دهره برّها وفاجرها حتّى يقفون بباب الجنّة، فيطلع أوّلها صاحب قبّة إطلاعة فيتميّز أهل ولايته وعدوّه، ثمّ يقبل على عدوّه فيقول: أنتم الّذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته، ادخلوا الجنّة لاخوف عليكم اليوم، يقوله لأصحابه، فيسوّد وجوه الظالم فيميز أصحابه إلى الجنّة، وهم يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإذا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٢) بصائر الدرجات: ص ١٤٦. البحار: ج ٨، ص ٣٣٦. باب ٢٥، ح ٥.

(٣) البحار: ج ٨، ص ٣٣٦، باب ٢٥، ح ٧. وتفسير العياشي.

(٤) البحار: ج ٨، ص ٢٣٧، باب ٢٥، ح ١١. وتفسير العياشي.

نظر أهل القبّة الثانية إلى قلّة من يدخل الجنّة وكثرة من يدخل النّار خافوا أن لا يدخلوها وذلك قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[1] [2].

عن الثماليّ قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ﴾[3].

فقال أبو جعفر عليه السلام: نحن الأعراف الّذين لا يعرف الله إلاّ بسبب معرفتنا، ونحن الأعراف الّذين لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرنا وأنكرناه، وذلك أنّ الله لو شاء أنّ يعرّف النّاس نفسه لعرّفهم ولكنّه جعلنا سببه وسبيله وبابه الّذي يؤتى منه[4].

عن مقرن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكوّاء إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ﴾؟

فقال: نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الّذين لا يعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يعرّفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصّراط، ولا يدخل الجنّة إلاّ من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرنا وأنكرناه[5].

اعتقادنا في الاعراف أنّه سور بين الجنّة والنار، عليه رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم، والرجال هم النبيّ وأوصياءه عليهم السلام، لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه، وعند الأعراف المرجون لأمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم[6].

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في شرح هذا الكلام: قد قيل إنّ الأعراف جبل بين الجنّة والنار.

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٤٦-٤٧.
(٢) البحار: ج ٨، ص ٣٣٧، باب ٢٥، ح ١٢ وتفسير العياشي.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٨.
(٤) البحار: ج ٨، ص ٣٣٨، باب ٢٥، ح ١٦، وتفسير العياشي.
(٥) أصول الكافي: ج ١، ص ١٨٤. البحار: ج ٨، ص ٣٣٩-٣٤٠، باب ٢٥، ح ٢٢.
(٦) العقائد: ص ٨٧. البحار: ج ٨، ص ٣٤٠، باب ٢٥، ح ٢٣.

وقيل أيضاً: إنّه سور بين الجنّة والنار؛ وجملة الأمر في ذلك أنّه مكان ليس من الجنّة ولا من النار، وقد جاء الخبر بما ذكرناه وأنّه إذا كان يوم القيامة كان به رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيّته صلوات الله عليهم، وهم الّذين عنى الله بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ الآية، وذلك أنّ الله تعالى يعلّمهم أصحاب الجنّة وأصحاب النار بسيماء يجعلها عليهم وهي العلامات، وقد بيّن ذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾[1] ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾[3] فأخبر أنّ في خلقه طائفة يتوسّمون الخلق فيعرفونهم بسيماهم.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في بعض كلامه: أنا صاحب العصا والميسم - يعني علمه بمن يعلم حاله بالتوسّم.

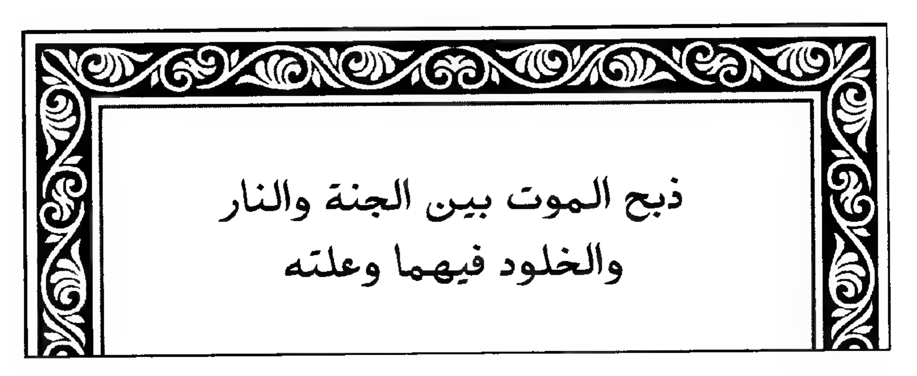
وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: فينا نزلت أهل البيت، يعني في الأئمّة عليهم السلام.

وقد جاء في الحديث: بأنّ الله تعالى يُسكن الأعراف طائفة من الخلق لم يستحقّوا بأعمالهم الحسنة الثواب من غير عقاب، ولا استحقّوا الخلود في النّار، وهم المرجون لامر الله، ولهم الشفاعة، ولا يزالون على الأعراف حتّى يؤذن لهم في دخول الجنّة بشفاعة النبيّ وأمير المؤمنين والأئمّة من بعده صلوات الله عليهم.

وقيل أيضاً: إنّه مسكن طوائف لم يكونوا في الأرض مكلّفين فيستحقّون بأعمالهم جنّة وناراً فيسكنهم الله تعالى ذلك المكان، يعوّضهم على آلامهم في الدنيا بنعيم لا يبلغون منازل أهل الثواب المستحقّين له بالأعمال، وكلّ ما ذكرناه جائز في العقول، وقد وردت به أخبار والله أعلم بالحقيقة من ذلك إلاّ أنّ المقطوع به في جملته أنّ الأعراف مكان بين الجنّة والنار، يقف فيه من سمّيناه من حجج الله تعالى على خلقه، ويكون به يوم القيامة قوم من المرجون لأمر الله، وما بعد ذلك فالله أعلم بالحال فيه[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤١.
(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٧٥، ٧٦.
(٤) البحار: ج ٨، ص ٣٤٠ - ٣٤١.



ذبح الموت بين الجنة والنار والخلود فيهما وعلته

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٧-١٠٨]

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

اختلف العلماء في تأويل هذا في الآيتين وهما من الموضع المشكلة في القرآن، والإشكال فيه من وجهين:

أحدهما: تحديد الخلود بمدّة دوام السماوات والأرض، والآخر الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فالأوّل فيه أقوال:

أحدها: أنّ المراد: ما دامت السماوات والأرض مبدّلتين، أي ما دامت سماء الآخرة وأرضها وهما لا يفنيان إذا أُعيدا بعد الإفناء.

وثانيها: أنّ المراد: ما دامت سماوات الجنّة والنار وأرضهما، وكلّ ما علاك وأظلّك فهو سماء وكلّ ما استقر عليه قدمك فهو أرض وهذا مثل الأوّل أو قريب منه.

وثالثها: أنّ المراد مادامت الآخرة وهي دائمة أبداً، كما أنّ دوام السماء والأرض في الدنيا قدر مدّة بقائها.

ورابعها: أنّه لا يراد به السماء والأرض بعينهما، بل المراد التبعيد، فإنّ

للعرب ألفاظاً للتبعيد في معنى التأبيد يقولون: لا أفعل ذلك ما اختلف اللّيل والنهار، ومادامت السماوات والأرض، وماذرّ شارقٌ، وأشباه ذلك كثيرة ظنّاً منهم أنّ هذه الأشياء لا تتغيّر، ويريدون بذلك التأبيد لا التوقيت، فخاطبهم الله سبحانه بالمتعارف من كلامهم على قدر عقولهم وما يعرفون(١).

وأمّا الكلام في الاستثناء فقد اختلف فيه أقوال العلماء على وجوه:

أحدها: أنّه استثنى في الزيادة من العذاب لأهل العذاب والزيادة من النّعيم لأهل الجنّة، والتقدير: إلاّ ما شاء ربّك من الزيادة على هذا المقدار، كما يقول الرجل لغيره: لي عليك ألف دينار إلاّ الألفين اللّذين أقرضتكهما وقت كذا، فالألفان زيادة على الألف بغير شكّ، لأنّ الكثير لا يستثنى من القليل فيكون على هذا (إلاّ) بمعنى سوى.

وثانيها: أنّ الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب لأنّهم حينئذ ليسوا في جنّة ولا نار، ومدّة كونهم في البرزخ الّذي هو ما بين الموت والحياة، لأنّه تعالى لو قال: خالدين فيها أبداً ولم يستثن لظنّ ظانّ أنّهم يكونون في النّار أو الجنّة من لدن نزول الآية، أو من بعد انقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائدة.

وثالثها: أنّ الاستثناء الأوّل يتّصل بقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ وتقديره إلاّ ما شاء ربّك من أنواع العذاب على هذين الضّربين(٢) ولا يتعلّق الاستثناء بالخلود، وفي أهل الجنّة يتّصل بما دلّ عليه الكلام، فكأنّه قال: لهم فيها نعيم إلاّ ما شاء ربّك من أنواع النعيم وإنّما دلَّ عليه قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

ورابعها: أنّ يكون إلاّ بمعنى الواو أي وما شاء ربّك، عن الفرّاء وقد ضعّفه محقّقو النحويّين.

وخامسها: أنَّ المراد بالذين شقوا من أُدخل النّار من أهل التّوحيد الّذين ضمّوا إلى إيمانهم وطاعاتهم ارتكاب المعاصي، فقال سبحانه: إنّهم معاقبون في النّار إلاّ ما شاء ربّك من إخراجهم إلى الجنّة وإيصال ثواب طاعاتهم إليهم.

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٣٤١-٣٤٢، باب ٢٦، باب التفسير.

(٢) في التفسير المطبوع: إلا ما شاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين.

ويجوز أن يريد بالّذين شقوا جميع الداخلين إلى جهنّم ثمّ استثنى بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أهل الطاعات منهم ممّن قد استحقّ الثّواب، ولا بدّ أن يوصل إليه، وتقديره: إلاّ ما شاء ربّك أن يخرجه بتوحيده من النّار ويدخله الجنّة، وقد يكون (ما) بمعنى (من) وأمّا في أهل الجنّة فهو استثناء من خلودهم أيضاً لما ذكرناه، لأنَّ من ينقل إلى الجنّة من النّار وخلّد فيها لا بدَّ في الإخبار عنه بتأبيد خلوده أيضاً من استثناء ما تقدّم، فكأنّه قال: خالدين فيها إلاّ ما شاء ربّك من الوقت الّذي أدخلهم فيه النّار قبل أن ينقلهم إلى الجنّة، فما في قوله: ما شاء ربّك ههنا على بابه، والاستثناء من الزمان، والاستثناء في الأوّل عن الأعيان، والّذين شقوا على هذا القول هم الّذين سعدوا بأعيانهم وإنّما أُجري عليهم كلّ لفظ في الحال الّتي تليق به، فإذا أُدخلوا النّار وعوقبوا فيها فهم من أهل الشّقاوة، وإذا نقلوا منها إلى الجنّة فهم من أهل السّعادة، وهذا القول عن ابن عبّاس، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدريّ، وقتادة، والسدّيّ، والضحّاك، وجماعة من المفسّرين.

وروى أبو روق، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس قال: الّذين شقوا ليس فيهم كافر، وإنّما هم قوم من أهل التّوحيد يدخلون النّار بذنوبهم، ثمّ يتفضّل الله عليهم فيخرجهم من النّار إلى الجنّة، فيكونون أشقياء في حال، سعداء في حال أُخرى. وقال قتادة: الله أعلم بثنيّاه[1] ذكر لنا أنّ ناساً يصيبهم سفع من النّار بذنوبهم ثمّ يدخلهم الله الجنّة برحمته يسمّون الجهنّميّين وهم الّذين أنفذ فيهم الوعيد، ثمّ أخرجهم الله بالشّفاعة.

وسادسها: أنّ تعليق ذلك بالمشيّة على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء إلاّ تخليدهم على ما حكم به فكأنّه تعليق لما لا يكون بما لا يكون، لأنّه لا يشاء أن يخرجهم منها.

وسابعها: ما قاله الحسن: إنّ الله تعالى استثنى ثمّ عزم بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أنّه أراد أن يخلّدهم؛ وقريب منه ما قاله الزجّاج وغيره: إنّه استثناء تستثنيه العرب وتفعله كما تقول: والله لأضربنَّ زيداً إلاّ أنّ أرى غير ذلك وأنت عازم على

(١) الثنية: الاستثناء.

ضربه، والمعنى في الاستثناء على هذا: إنّي لو شئت أن لا أضربه لفعلت.

وثامنها: ما قاله يحيى بن سلام البصريّ: إنّه يعني بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ ما سبقهم به الّذين دخلوا قبلهم من الفريقين، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[(١)] قال: إنّ الزمرة تدخل بعد الزمرة، فلابدّ أن يقع بينهما تفاوت في الدخول، والاستثناآن على هذا من الزمان.

وتاسعها: أنّ المعنى أنّهم خالدون في النار، دائمون فيها مدّة كونهم في القبور مادامت السموات في الأرض والدنيا، وإذا فنيتا وعدمتا انقطع عقابهم إلى أنّ يبعثهم الله للحساب.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ استثناء وقع على ما يكون في الآخرة. أورده الشيخ أبو جعفر قدّس الله روحه وقال: ذكره قوم من أصحابنا في التفسير.

وعاشرها: أنّ المراد: إلا ما شاء ربّك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار، فالاستثناء لأهل التوحيد عن أبي محلز[(٢)] قال: هي جزاؤهم، وإنّ شاء سبحانه تجاوز عنهم، والاستثناء على هذا يكون من الأعيان ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[مريم: ٣٩]

وفي قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ الخطاب للنبيّ ﷺ، أي خوّف كفّار قريش يوم يتحسّر المسيء هلاّ أحسن العمل؟ والمحسن هلاّ ازداد من العمل؟ وهو يوم القيامة.

وقيل: إنّما يتحسّر من يستحقّ العقاب فأمّا المؤمن فلا يتحسّر.

---

(١) سورة الزمر، الآيات: ٧١ و٧٣.

(٢) قد عرفت أنه بالجيم.

وروى مسلم في الصحيح بالإسناد عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أهل الجنّة وأهل النار النار قيل: يا أهل الجنّة فيشرفون وينظرون، وقيل: يا أهل النار فيشرفون وينظرون، فيجاء بالموت كأنّه كبش أملح فيقال لهم: تعرفون الموت؟

فيقولون: هو هذا، وكلّ قد عرفه، قال: فيقدّم ويذبح، ثمّ يقال: يا أهل الجنّة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، قال: وذلك قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ الآية.

ورواه أصحابنا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، ثمّ جاء في آخره فيفرح أهل الجنّة فرحاً لو كان أحد يومئذٍ ميّتاً لماتوا فرحاً، ويشهق أهل النّار شهقة لو كان أحد ميتاً لماتوا

﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي فرغ من الأمر وانقضت الآمال، وأُدخل قوم النار وقوم الجنّة؛ وقيل: معناه: انقضى أمر الدنيا فلا يرجع إليها ستدراك الغاية؛ وقيل: معناه: حكم بين الخلائق بالعدل؛ وقيل: قضي على أهل الجنّة الخلود، وقضي على أهل النار الخلود.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ في الدنيا عن ذلك ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يصدّقون به[1].

عن أبي بصير قال: لا أعلمه ذكره إلاّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا أدخل الله أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار جيء بالموت في صورة كبش حتّى يوقف بين الجنّة والنار، قال: ثمّ ينادي مناد يسمع أهل الدارين جميعاً: يا أهل الجنّة يا أهل النار، فإذا سمعوا الصوت أقبلوا، قال: فيقال لهم: أتدرون ما هذا؟ هذا هو الموت الّذي كنتم تخافون منه في الدنيا.

قال: فيقول أهل الجنّة: اللّهم لا تدخل الموت علينا.

قال: ويقول أهل النار: اللّهم أدخل الموت علينا، قال ثمّ يذبح كما تذبح الشاة.

---

(١) البحار: ج ٨، ص ٣٤١ - ٣٤٥.

قال: ثمَّ ينادي مناد: لا موت أبداً، أيقنوا بالخلود.

قال: فيفرح أهل الجنّة فرحاً لو كان أحد يومئذٍ يموت من فرح لماتوا.

قال: ثمَّ قرأ هذه الآية: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[١].

قال: ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد يموت من شهيق لماتوا، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾[٢] [٣].

عن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّه بلغنا أنّه يأتي على جهنّم حين يصطفق أبوابها، فقال: لا والله إنّه الخلود، قلت: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾؟ فقال هذه في الّذين يخرجون من النار[٤].

عن أبي ولاّد الحنّاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ الآية قال: ينادي مناد من عند الله - وذلك بعدما صار أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار -: يا أهل الجنّة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟ فيقولون: لا، فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنّة والنار، ثمّ ينادون جميعاً: اشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون ثمّ يأمر الله به فيذبح، ثمّ يقال: يا أهل الجنّة خلود فلا موت أبداً، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً، وهو قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي قضي على أهل الجنّة بالخلود فيها، وقضي على أهل النّار بالخلود فيها[٥].

عن أبي هاشم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخلود في الجنّة والنار.

فقال: إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا لو بقوا

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ٥٨-٦١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٩.

(٣) البحار: ج ٨، ص ٣٤٥، باب ٢٦، ح ٢. والنوادر للحسين بن سعيد.

(٤) البحار: ج ٨، ص ٣٤٦، باب ٢٦، ح ٣. والنوادر للحسين بن سعيد.

(٥) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٤١١. البحار: ج ٨، ص ٣٤٦، باب ٢٦، ح ٤.

أن يطيعوا الله أبداً ما بقوا، فالنيّات تخلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[١].

قال: على نيته[٢].

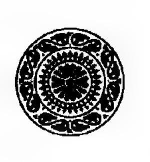
اعلم أنّ خلود أهل الجنّة في الجنّة ممّا أجمعت عليه المسلمون، وكذا خلود الكفّار في النار ودوام تعذيبهم، قال شارح المقاصد: أجمع المسلمون على خلود أهل الجنة في الجنة، وخلود الكفّار في النار، فإن قيل: القوى الجسمانيّة متناهية فلا يعقل خلود الحياة، وأيضاً الرطوبة الّتي هي مادّة الحياة تنفى بالحرارة سيّما حرارة نار جهنّم فيفضي إلى الفناء ضرورةً، وأيضاً دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن قضيّة العقل.

قلنا: هذه قواعد فلسفيّة غير مسلّمة عند الملّيّين، ولا صحيحة عند القائلين بإسناد الحوادث إلى القادر المختار على تقدير تناهي القوي وزوال الحياة لجواز أن يخلق الله البدل فيدوم الثواب والعقاب، قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾[٣] هذا حكم الكافر المعاند، وكذا من بالغ في الطلب والنظر واستفرغ المجهود ولم ينل المقصود خلافاً للجاحظ والقسريّ حيث زعما أنّه معذور، إذ لا يليق بحكمة الحكيم أن يعذّبه مع بذله الجهد والطاقة من غير جرم وتقصير، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾[٤] ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾[٥] ولا شكّ أنّ عجز المتحيّر أشدّ، وهذا الفرق خرق للإجماع وترك للنّصوص الواردة في هذا الباب، هذا في حقّ الكفّار عناداً أو اعتقاداً، وأمّا الكفّار حكماً كأطفال المشركين فكذلك عند الأكثرين لدخولهم في العمومات، ولما روي أنّ خديجة سألت النبيّ ﷺ عن أطفالها الّذين ماتوا في الجاهليّة، فقال: هم في النّار.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.
(٢) علل الشرائع: ص ١٧٧. البحار: ج ٨، ص ٣٤٧، باب ٢٦، ح ٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٦.
(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٥) سورة النور، الآية: ٦١.

وقالت المعتزلة ومن تبعهم: لا يعذّبون بل هم خدم أهل الجنّة على ما ورد في الحديث، لأنّ تعذيب من لا جرم له ظلم، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١] ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢] ونحو ذلك.

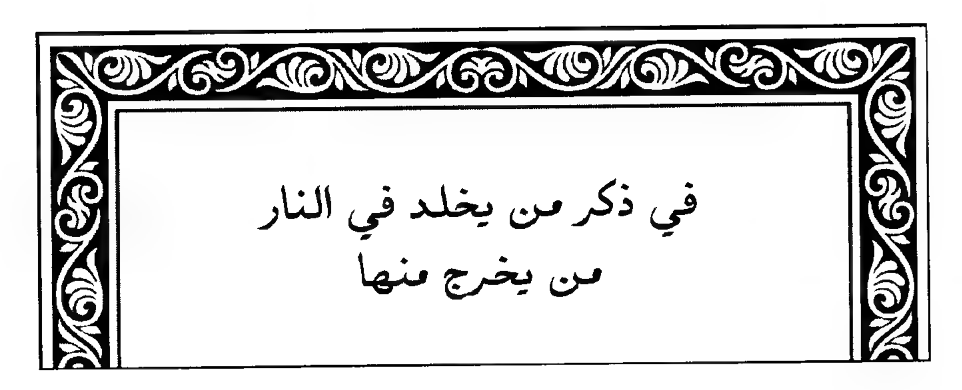
وقيل: من علم الله منه الإيمان والطاعة على تقدير البلوغ ففي الجنّة، ومن علم منه الكفر والعصيان ففي النّار انتهى[٣].



(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤، والإسراء، الآية: ١٥، وفاطر، الآية: ١٨، والزمر، الآية: ٧.

(٢) سورة يس، الآية: ٥٤.

(٣) البحار: ج ٨، ص ٣٥٠-٣٥١، باب ٢٦، ح ١٢.



في ذكر من يخلد في النار من يخرج منها

عن ابن أبي عمير قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لايخلّد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود، وأهل الضّلال والشرك؛ ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر، قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾(١).

قال: فقلت له: يا بن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المؤمنين؟

فقال: حدّثني أبي، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي، فأمّا المحسنون منهم فما عليهم من سبيل.

قال ابن أبي عمير: فقلت له: يابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾(٢) ومن يركب الكبائر لا يكون مرتضى؟

فقال: يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلاّ ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبة وقال: من سرّته حسنة وساءته سيّئة فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً، والله تعالى يقول: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٨.

فقلت له: يابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟

فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنّه سيعاقب عليها إلاّ ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقّاً للشّفاعة ومتى لم يندم عليها كان مصرًّا والمصرّ لا يغفر له لأنّه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبيّ ﷺ: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، وأمّا قول الله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1] فإنّهم لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى الله دينه، والدين: الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيّئات، ومن ارتضى الله دينه ندم على ما يرتكبه من الذنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة[2].

إسماعيل بن إبراهيم معنعناً عن مسيرة قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: والله لا يرى في النّار منكم اثنان أبداً، والله ولا واحد.

قال: قلت له: أصلحك الله أين هذا في كتاب الله؟

قال: في سورة الرحمن وهو قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾[3].

قال: قلت: ليس فيها ﴿مِنكُمْ﴾.

قال: بلى والله إنّه لمثبت فيها، وإنّ أوّل من غيّر ذلك لابن أروى، وذلك لكم خاصّة ولو لم يكن فيها ﴿مِنكُمْ﴾ لسقط عقاب الله عن الخلق[4].

عن عثمان بن عيسى، عن ميسر قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: كيف أصحابك؟

فقلت: جعلت فداك لنحن عندهم أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والّذين أشركوا.

قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً ثمّ قال: كيف قلت؟ والله لنحن عندهم أشرّ من اليهود والنصارى والّذين أشركوا؟

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٢) التوحيد: ص ٤١٨-٤٢٠. البحار: ج ٨، ص ٣٥١-٣٥٢، باب ٢٧، ح ١.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٣٩.
(٤) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ١٧٧. البحار: ج ٨، ص ٣٥٣-٣٥٤، باب ٢٧، ح ٣.

فقال: أما والله لا يدخل النار منكم اثنان، لا والله ولا واحد، والله إنّكم الّذين قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾[1] ثمّ قال: طلبوكم والله في النار والله فما وجدوا منكم أحداً[2].

عن عنبسة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا استقرّ أهل النار في النّار يفقدونكم فلا يرون منكم أحداً، فيقول بعضهم لبعض: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾.

قال: وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ يتخاصمون فيكم فيما كانوا يقولون في الدنيا[3].

عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لأبي بصير: يا أبا محمّد لقد ذكركم الله إذ حكى عن عدوّكم في النار بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ والله ما عنى الله ولا أراد بهذا غيركم، صرتم عند أهل هذا العالم شرار الناس وأنتم والله في الجنّة تحبرون[4]، وفي الناس تطلبون؛ الخبر[5].

عن محمّد بن سنان، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لا يدخلون الجنّة: السفّاك للدم، وشارب الخمر، ومشّاء بنميمة[6].

عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والّذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً لا يعذّب الله بالنار موحّداً أبداً وإنّ أهل التوحيد يشفعون فيشفّعون.

ثمّ قال عليه السلام: إنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النّار فيقولون: يا ربّ كيف تدخلنا النّار وقد كنّا نوحّدك

---

(١) سورة صٓ، الآيات: ٦٢-٦٤.

(٢) روضة الكافي: ص ٧٨. البحار: ج ٨، ص ٣٥٤، باب ٢٧، ح ٤.

(٣) روضة الكافي: ص ١٤١. البحار: ج ٨، ص ٣٥٤، باب ٢٧، ح ٥.

(٤) أي تسرّون وتبهجون.

(٥) روضة الكافي: ص ٣٦. البحار: ج ٨، ص ٣٥٤-٣٥٥، باب ٢٧، ح ٦.

(٦) الخصال: ج ١، ص ٨٥. البحار: ج ٨، ص ٣٥٧، باب ٢٧، ح ١٧.

في دار الدنيا؟ وكيف تحرق قلوبنا(١) وقد عقدت على أنّ لا إله إلاّ أنت؟ أم كيف تحرق وجوهنا وقد عفّرناها لك في التراب؟ أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك؟ فيقول الله جلّ جلاله: عبادي ساءت أعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنّم، فيقولون: يا ربّنا عفوك أعظم أم خطيئتنا؟

فيقول: بل عفوي.

فيقولون: رحمتك أوسع أم ذنوبنا؟

فيقول عزّوجلّ: بل رحمتي.

فيقولون: إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا؟

فيقول عزّوجلّ: بل إقراركم بتوحيدي أعظم.

فيقولون: يا ربّنا فليسعنا عفوك ورحمتك الّتي وسعت كلّ شيء.

فيقول الله جلّ جلاله: ملائكتي! وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ من المقرّين لي بتوحيدي، وأن لا إله غيري، وحقّ عليّ أنّ لا أُصلي بالنار أهل توحيدي أدخلوا عبادي الجنّة(٢).

عن أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة قام على الصفا فقال: يا بني هاشم يا بني عبد المطّلب إنّي رسول الله إليكم وإنّي شفيق عليكم لا تقولوا إنّ محمّداً منّا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلاّ المتّقون، ألا فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الآخرة، ألا وإنّي قد أعذرت فيما بيني وبينكم وفيما بين الله عزّوجلّ وبينكم وإنّ لي عملي ولكم عملكم(٣).

ومن كتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

---

(١) في المصدر: وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في دار الدنيا، وكيف تحرق قلوبنا ا هـ. م.

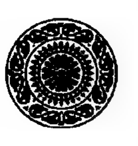
(٢) أمالي الصدوق: ص ١٧٨. البحار: ج ٨، ص ٣٥٨-٣٥٩، باب ٢٧، ح ٢٣.

(٣) البحار: ج ٨، ص ٣٥٩، باب ٢٧، ح ٢٥. كتاب صفات الشيعة للصدوق.

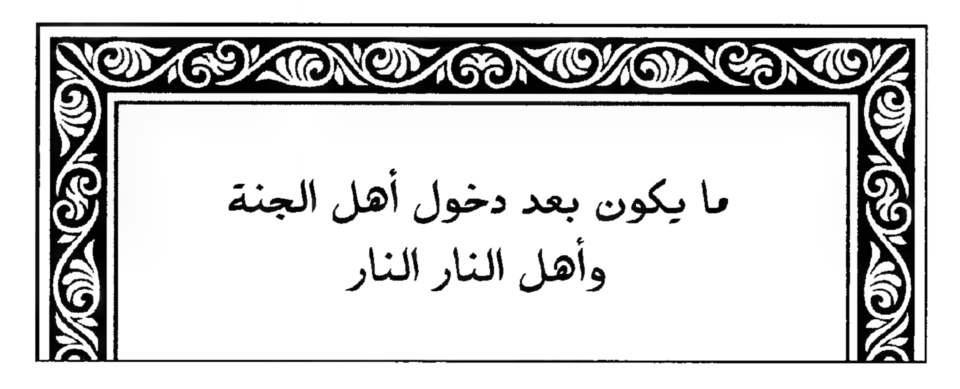
قال لشيعته: دياركم لكم جنّة، وقبوركم لكم جنّة، للجنّة خلقتم، وإلى الجنّة تصيرون[١].

عن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّهم يقولون: لا تعجبون من قوم يزعمون أنّ الله يخرج قوماً من النار فيجعلهم من أصحاب الجنّة مع أوليائه؟

فقال: أما يقرؤن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٢] إنّها جنّة دون جنّة، ونار دون نار، إنّهم لا يساكنون أولياء الله؛ وقال: بينهما والله منزلة ولكن لا أستطيع أنّ أتكلّم، إنّ أمرهم لأضيق من الحلقة إنّ القائم لو قام لبدأ بهؤلاء[٣].



(١) البحار: ج ٨، ص ٣٦٠، باب ٢٧، ح ٢٦.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٢.
(٣) البحار: ج ٨، ص ٣٦٠، باب ٢٧، ح ٣٠. النوادر للحسين بن سعيد.



ما يكون بعد دخول أهل الجنة وأهل النار النار

عن العلاء، عن محمّد قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله عزّ وجلّ في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم، خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثم خلق الله عزّ وجلّ أبا هذا البشر وخلق ذرّيّته منه، ولا والله ما خلت الجنّة من أرواح المؤمنين منذ خلقها، ولا خلت النّار من أرواح الكفّار والعصاة منذ خلقها عز وجل، لعلّكم ترون أنّه إذا كان يوم القيامة وصيّر الله أبدان أهل الجنّة مع أرواحهم في الجنّة، وصيّر أبدان أهل النّار مع أرواحهم في النّار إنّ الله تبارك وتعالى (لا يعبد خ ل) في بلاده ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحّدونه ويعظّمونه ويخلق لهم أرضاً تحملهم وسماءً تظلّهم، أليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾(١) وقال الله عزّ وجلّ : ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٢) (٣).

عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

فقال: يا جابر تأويل ذلك أنّ عزّ وجلّ إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار جدّد الله عزّ وجلّ عالماً غير هذا العالم، وجدّد خلق من غير فحولة ولا أُناث يعبدونه ويوحّدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٨.

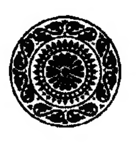
(٢) سورة ق، الآية: ١٥.

(٣) الخصال: ج ٢، ص ١١٢. البحار: ج ٨، ص ٣٧٤، باب ٢٨، ح ١.

الأرض تحملهم، وسماءً غير هذه السّماء تظلّهم، لعلّك ترى أنَّ الله عزّوجلّ إنّما خلق هذا العالم الواحد وترى أنّ الله عزّوجلّ لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأُولئك الآدميين(١).

عن أبي خالد القمّاط قال: لأبي عبد الله عليه السلام ويقال لأبي جعفر عليه السلام: إذا أُدخل أهل الجنّة الجنّة وأُدخل أهل النّار النّار فمه؟

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إن أراد أن يخلق الله خلقاً ويخلق لهم دنياً يردّهم إليها فعل، ولا أقول لك إنّه يفعل(٢).



(١) الخصال: ج ٢، ص ١٨٠. البحار: ج ٨، ص ٣٧٤-٣٧٥، باب ٢٨، ح ٢.
(٢) البحار: ج ٨، ص ٣٧٥، باب ٢٨، ح ٣. النوادر للحسين بن سعيد.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الباب الأول
الموت ما يلحقه إلى وقت البعث والنشور

الباب الثاني
المعاد وما يتبعه ويتعلق به